طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

مُدَغْرَةُ وَادِي زِيزْ

إسهام في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال العصر الحديث

إعداد:

الأستاذ أحمد عبد اللوي علوي

الجزء الثاني

1416 هـ - 1996 م

طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

مدغرة وادي زيز

إسهام في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال العصر الحديث

إعداد:
الأستاذ أحمد عبد اللوي علوي

الجزء الثاني

1416 هـ - 1996م

الباب الثالث :

مظاهر الحياة الاقتصادية بمدغرة :

I – النشاط الفلاحي : زراعة ورعي

الفصل الأول :

النشاط الزراعي :

الفصل الثاني :

التقنيات الزراعية وأشكال الاستغلال :

الفصل الثالث :

الحياة التجارية بمنطقة مدغرة :

I - النشاط الفلاحي : زراعة ورعي

الفصل الأول :

النشاط الزراعي

مقدمة :

1 – نظام الأرض

– أنواع الملكية بمنطقة مدغرة :

* الملكية الفردية :

* الإرث

* البيع والشراء

– مكاتبة القاضي للقائد المخزني

– جواب القائد

* وسائل أخرى لتفويت الملكية الفردية

* الملكية الجماعية

* أراضي المخزن أو الدولة :

* أراضي الأحباس :

1 – أراضي الأحباس العامة :

أ – أراضي أحباس المساجد

ب – أراضي أحباس الزوايا

2 – نظام الماء :

* أنماط الري التقليدية :

– السواقي «السواكَـي»

* طرق تنظيم السقي :

– ملكية الماء

– جـدول خــاص بأسماء الســواقي الترابيــة والقصــور المستفيدة منها بمدغرة :

الباب الثالث :

مظاهر الحياة الاقتصادية بمدغرة

I – النشاط الفلاحي : زراعة ورعي

الفصل الأول : النشاط الزراعي :

مقدمة :

تشكل الزراعة بمنطقة مدغرة المصدر الأساسي لحياة السكان، وأن النشاطات الأخرى كتربية الماشية والحرف والتجارة لم تكن تشكل إلا نسبة ضئيلة جدا بين ممارسيها. وإذا كانت الظروف الطبيعية لمدغرة الواقعة في منطقة شبه صحراوية حيث جفاف المناخ وضيق المساحات الزراعية لا تضمن لسكانها في أحسن الأحوال إلا محصولاً زراعياً يستجيب لضروريات حياتهم اليومية، مع بعض الفائض في المنتوج الشجري كالتمر والزيتون أحياناً. إلا أن مجهود هؤلاء السكان وبوسائل إنتاجهم التقليدية اتجه نحو المحافظة على ضمان الإكتفاء الذاتي الغذائي بالإستغلال المكثف والمتنوع للأرض وصيانة الكميات المحدودة للمياه.

وقد كانت ملكية الأراضي هي أساس العلاقات الاجتماعية لا من حيث الجاه فقط، بل وأيضا من أجل اكتساب الثروة وتبوء مكانة اجتماعية متميزة. وتعاني الزراعة على العموم بوادي زيز بمدغرة من عدة مشاكل أهمها التنظيمات العقارية المعقدة للأرض، ومشكل الماء. من حيث قلته وتنظيماته، ودورات الجفاف الحادة وعوامل التصحر المختلفة.

1 – نظام الأرض :

لا يمكن أن نتحدث عن أشكال وأنماط الاستغلال الزراعي للأرض، دون أن نتساءل عن شكل وطبيعة هذه الوحدة وعن تصور الفلاحين لها. ذلك أنه لما كانت منطقة مدغرة واحة زراعية بالدرجة الأولى، فقد صارت الأرض مصدراً أساسياً لحياة السكان ومقياساً لثروتهم، على اعتبار أن تملك الأرض الزراعية عصب اقتصادي أساسي.

تعتبر دراسة تاريخ تملك الأرض من الأمور المحفوفة بالمخاطر والمزالق، لدرجة جعلت أحد الباحثين يعتبر تاريخ تطور الملكية العقارية بالمغرب عامة بالمجال المظلم.(1)

– أنواع الملكية بمنطقة مدغرة :

إن محاولة القيام بوضع تصنيف للملكيات العقارية بمنطقة مدغرة خلال مرحلة الدراسة، لا ينبني بالأساس على النتائج التي توصلت إليها الأبحاث المنجزة في هذا الإتجاه(2) مغربية كانت أو أجنبية. وذلك لاختلاف المصادر التي اعتمدتها وأدواتها المنهجية في التحليل والتأويل، وأيضا لاختلاف مجال وفترات هذه الدراسات. وبناء عليه سيكون معتمدنا الأساسي لرصد وتتبع وضعية الملكية العقارية بمدغرة، هو ما نلتقطه في وثائق عقود الملكية العقارية من معلومات، قد تساعد الباحث على تحديد واقع أنواع الملكيات العقارية بحقل الدراسة.

يتبين من خلال فحص مجموعة من عقود القسمة والحوالات الحبسية وعقود الملكية العقارية العامة والخاصة، أن امتلاك الأرض بمدغرة يرجع للخواص والجماعة والأحباس. وكان كل صنف من هذه الملكيات يثبت شرعاً برسم الإرث والهبة والمعاوضة والبيع، وأيضا بمقتضى الأعراف المحلية

---

1) Valensi (L) : Fellahs tunisiens, l'économie rurale et la vie des campagnes aux XVIIIe et XIXe siècles, ed mouton Paris 1977 p: 91.

2) أنظر على الخصوص ما أنجزته المدرستان الاستعمارية والمغربية بخصوص تطور الملكية العقارية بالمغرب.

بالجهات القريبة من مدغرة. وكانت الظاهرة المسيطرة داخل الغابة(3) بمدغرة هي الملكية الفردية. فقد كان لكل أسرة حقولها وشجرها. كما كان لكل مسجد «جَامْعْ» من مساجد قصور مدغرة أحباسه. أما الملكية الجماعية فلا توجد إلا في حريم مدغرة. وهي عبارة عن مسارح ومحاطب تستفيد منها ساكنة القصور، وكانت محط نزاعات بين الكسابين الرحالة، وسكان الواحة المستقرين، باعتبارها مرعى للأولين ومحتطباً للأخيرين.

*** الملكية الفردية :**

نستشف من خلال فحص بعض الرسوم العدلية التي استطعنا الإطلاع عليها أن الظاهرة المسيطرة على نظام الأراضي الزراعية بالغابة بمنطقة مدغرة هي الملكية الفردية. وحسب ما يفيدنا به أحد تقارير المكتب الجهوي للإستثمار الفلاحي لتافيلالت أن الاستغلال الفردي ما زال حتى الوقت الحاضر يشكل ما يزيد عن 85٪ من الأراضي.(4) ولا يتعدى قطر الحيازة العائلية الواحدة هكتاراً واحداً، وينقسم إلى مجموعة من البقع المتفرقة داخل الغابة. ويعزى صغر الملكيات الزراعية الفردية بمنطقة مدغرة إلى عامل الإرث والشراء وقدم الاستغلال الفردي للأرض. دون طبعا أن نغفل محدودية الأراضي الزراعية، وقد سبق أن رأينا كيف أن التركيز السكاني يقوى على حوافي الوادي بمدغرة، ويقل في الهوامش.(5) ولهذا السبب نلاحظ أن ملكية الأسرة الواحدة من الأرض الزراعية تكون متفرقة في الغابة في أماكن متباعدة. رغم أن الشفعة أو المعاوضة يمكن أن تجمع ما تفرق.(6) كما يمكن أن نرجع كذلك تعدد البقع الزراعية الصغيرة إلى نظام الإرث الذي زاد في تصغير وتحجيم تقسيم الأرض، بحكم تعاقب الورثة على

3) والغابة هي أراضي الإستغلال الزراعي والمجال الذي تُحَدَّدُ داخله أنواع الملكيات العقارية.

4) تقرير منوغرافية إقليم الرشيدية لسنة 1986.

5) أنظر الباب الثاني الفصل الرابع.

6) وحق الشفعة مستمد من الشرع وهو استراتيجية العرف للمحافظة على الممتلكات الأرضية داخل الوحدة العائلية، ويخول هذا الحق للأفراد والعائلة حق استرجاع ممتلكاتها، بحيث يملك هذا الحق كل فرد بالغ ينتمي إلى العائلة، وذلك حسب مبدأ القرابة بالترتيب.

امتلاكها وتجزيئها. إذ كان كل فـرد من الأسرة الواحدة يصر على الإحتفاظ بنصيبه مـن الأرض مهما صغر حجمـه. وهذا ما نجـد له صـدى في المثل الشعبي القديم «هَـذِ طُوبْـةْ الْـوَالْـدِينْ». ونعتقد أن هـذه المأثورة الشعبية الشفوية تجوز على الدار داخل القصر، كما تجوز أيضا على الحقل الزراعي داخل الغابـة. وكان هـذا التشبث المفرط والأعمى للإحتفـاظ بالأرض عـاما وشاملاً - أي أنه لم يكن يخص فئة دون أخرى -.

إلا أن ما تجب الإشارة إليـه هو أن الفرد بمدغرة يمكن أن يكـون مالكاً للقطعة الأرضية دون أن يتمكن أحياناً مـن امتلاك أشجارها وحصتها من الماء. ذلك أن ملكية الأرض تنفصـل عن ملكية الأشجار وحصتهـا من الماء. وهي على العموم مسألة عامة بالمغرب.

وأمـام هذا التنظيم المعقـد في الممتلكـات كانت العقـود العـدلية المتعلقـة بملكية البقع الـزراعية بالمنطقـة تتحرى الدقـة والضبط، لأن أدنى ثغرة أو تعميم قـد يكون في كثير من الحالات مسـؤولاً عن النزاعـات والخصومـات التي كانت تقـوم بين السكان. وتفاديـاً للسقوط في مثل هذه المتاهـات كان كاتب الـوثيقة علاوة على علمه وفطنتـه وخبرته يضبط بدقة متنـاهية إسم ونسب المشتري والبـائع أو الوارث واسـم قصريهما واسم البقعـة الأرضية وتحديد مكـانها بالغـابة من جميع الجهـات، ومن مجرى الماء ومن القصر السكني. سيما وأن العديد من القطع الأرضية المتفرقـة بالغابة، قد يحصل أن تحمل إسمـاً واحداً.(7) كما يصر على ذكـر طبيعة هـذه الأرض هل هي

7) إن أسماء القطع الأرضية بغـابة مدغرة كما هـو الحال كذلك بالنسبة لأسماء القصـور والشعاب والممرات بالمنطقة تكتنز ماضي تاريخي طويل. إذ تشكل هذه الأسماء رصيداً تاريخياً ولغوياً يجب جمعه قبل أن ينقرض ودراسته بطرق علمية لا تقبل التعصب باعتماد أساليب المقارنة والنظريات العلمية المتطورة في علم اللسانيات لفك ألغازهـا الغنية بالمعلومات ومراحل الإستقرار البشري بهذه المناطق، سيما إذا علمنا أن هـذه الأسماء هي بمثابة سجل للملاكين الذين تعاقبـوا على ملكية هذه الأراضي. وأنه لا يعقل أن يطلق الإنسـان هذه الأسماء دون أن يعرف معناهـا ودون أن تكون لها دلالات ومفاهيم دقيقة، ترتبط بمـراحل تاريخية معلومة في سياق التطـور التاريخي العام لمنطقة مدغـرة. حقيقة أن أسماء الأماكن أو مـا يصطلح عليه بعلم «الطوبنيميـة» تعتبر من المشاكل التي يستعصي على المؤرخ في الغالب فك ألغازها ومعانيها لارتبـاطها بالمجموعات البشرية التي أوجدتها ولارتباطها كـذلك بقوانين لسانية معقـدة البنية، ونظراً كذلك لتحجـر الأسماء واستمرارها عبر =

بيضاء لا شجر فيها، أو سوداء إذا توفرت على الأشجار. وإن حصل يذكر عددها وأنواعها، وأحياناً يشير إلى طول البقعة وعرضها ونوع تربتها، ويختم الرسم بذكر إسم العدل الموثق، وخاتمه مغلوقاً ومفتوحاً، وأحياناً خاتم القاضي وتاريخ كتابة الرسم.

كان تملك الأفراد للأرض يتم بعدة طرق، على أن الحديث عن هذه الطرق والوسائل وطغيان أحدها عن الآخر لفترة تاريخية معينة، يفيد في تحديد جانب من تطور الملكية العقارية بمنطقة مدغرة. كما يمكن أن تكون له دلالة تاريخية هامة، قد تساعد الباحث على تحديد طبيعة النظام القانوني والعرفي اللذين تحكما إلى حد بعيد في انتقال الملكية من فرد إلى آخر. وذلك في سياق التطور التا ريخي لمنطقة مدغرة، وأثر الإضطرابات السياسية والهزات الإجتماعية وأثر الجفاف، ومجموع هذه العوامل ساهمت إلى حد ما في توجيه عملية تملك الأرض. وقد سبق لابن خلدون أن أكد أن: «العقار في آخر الدولة وأول الأخرى عند فناء الحامية وخرق السياج وتداعي المصر إلى الخراب تقل الغبطة به لقلة المنفعة فيها بتلاشي الأحوال فترخص قيمتها، وتتملك بالأثمان اليسيرة».(8) مما يعني أن طرق انتقال الأرض من فرد إلى آخر أو من مجموعة بشرية إلى أخرى كانت مرتبطة أشد الإرتباط بما كانت تعرفه المنطقة من غليان سياسي وخلخلة اجتماعية أو من سلم ورخاء. ويحملنا هذا على استنتاج مفاده أن معرفة تطور الملكية

= عصور طويلة دون تغيير في صيغتها القديمة. إلا أنها مع كل هذا، تشكل سجلاً أمينا لمعرفة جزء كبير ودفين من مراحل التطور الحضاري للمنطقة. كما تعتبر عنصراً مهمًا بالنسبة لمعرفة اللغات القديمة للمجموعات البشرية التي استوطنت المنطقة في أزمنة تاريخية غابرة. وهي على هذا الأساس تشكل مادة علمية خاصة، تكتنز العديد من مظاهر ومراحل التطورات التاريخية بشكل عام، ليس فقط بالنسبة لمنطقة مدغرة، بل لغيرها من المناطق المغربية الأخرى. وتساهم إذا ما تكاملت لها الأدوات العلمية والمنهجية للتحليل والتأويل وفك الألغاز للكشف عن ماضي مدغرة بمختلف مناحيه، وتساهم على إتمام وتوضيح المعلومات الواردة في المادة العلمية المكتوبة. وهذا مبرر الصرخات والدعوات الموجهة بهذا الصدد من طرف ثلة من الباحثين.

انظر العربي مزين: سجلماسة الإسم، ندوة سجلماسة تاريخياً وأثرياً جامعة مولاي علي الشريف الخريفية الريصاني مارس 1988 ص: 9.

8) ابن خلدون: المقدمة م س، ص: 459.

العقارية يعتبر مادة علمية هامة تبرز التطورات التاريخية العامة التي عرفتها المنطقة. ولتوضيح هذا الواقع نقف قليلاً عند أهم الوسائل التي كانت تنتقل بها ملكية الأرض.

* **الإرث :**

كان التوريث هو الظاهرة الأكثر شيوعاً وحضوراً بين السكان، وفي الوثائق المحلية الخاصة بالعقار، ولم تكن تتم مسألة انتقال الأرض من المالك إلى ورثته إلا بعد هلاك أبيهم، وهذا يعاكس ما نجده في مناطق مغربية أخرى.(9) أما في منطقة مدغرة على خلاف منطقة سوس، فلم يكن يتم انتقال الأرض من الأب إلى الأبناء إلا بعد وفاة الأول حينذاك يتم إحصاء أملاك الهالك، وتوزيعها بين ورثته ذكوراً وإناثاً، كما جاء في القواعد والأحكام الشرعية المنظمة لتفويت الأملاك عبر الإرث. مما يعني أن مسألة التفويت عبر الإرث لم تكن محكومة بالأعراف المحلية بقدر ما هي خاضعة ومطبقة للقوانين الشرعية الإسلامية، إذ خلافاً لما هو جاري به العمل في جملة من المناطق القروية المغربية الأخرى لم تكن الأنثى محرومة من الإرث، وهذا ما تؤكده كل الرسوم التي استطعنا الإطلاع عليها. ومما جاء في أحد هذه الرسوم نجد ما يلي :

«توفي عمار نيت سكو... من قصر تيغيورين ميدلت قبيلة أيت إزدكَ في سنة 1939م فأحاط بتركته ورثته :

1 - ارقية عمار بنته... وكذلك توفي أخاه - يعني أخوه - اهمون نيت سكو زايد من البلد المذكور في سنة 1930م، فأحاط بتركته ورثته: بنته

---

9) فقد ذكر أحد الباحثين أن انتقال الأرض من الأب إلى الأولاد كان يتم أحياناً خلال حياة أبيهم مستنداً في ذلك على ما جاء في نوازل السكتاني قال: «وقد جرت العادة في منطقة سوس على تشريك الرجل ذكور أولاده في ملكه بتجزئة معلومة، ويكون ذلك غالباً عند تزويج كبيرهم... فيقبض كل واحد حصته في حياة أبيه» أنظر عبد الرحيم بن حادة: النشاط الإقتصادي في سوس م. س، ص: 173.

وأبو مهدي عيسى السكتاني: أجوبة وفتاوي السكتاني، مخطوط الخزانة اليوسفية بمراكش رقم 349، ص: 58.

إيطـو اهمون وتـوفيت بعـد وفاة أبيهـا الهالك المذكـور... وبعـد التقـويم والتعديل اقتسموا – أي اقتسم – الورثة تركة الهالكين فصـار...».(10)

وفي رسم آخـر نجـد ما يلي: «تـوفي سيـدي محمـد بن أحمد من قصر تيغـورين قبيلة أيت إزدكَ في يـوم 10 جانفيـي – أي ينايـر – سنة 1923 فأحاط بتركته ورثته :

1 – مولاي الحسن بن محمد ولده.

2 – مولاي الصديق بن محمد ولده.

وبعد التقويم والتعـديل وضرب القرعة اقتسم الورثـة المذكورون ورثة الهالك، فصار لمولاي الحسن بن محمد...».(11)

يظهر من خلال هذين الرسمين أن عمليـة التفويت كانت تخضع للنظام الشرعي المعـروف في نظام الإرث. كما يظهـر كذلك أن عمليـة التقسيم عن طريق الإرث كانـت تتحرى الدقة والضبط، إذ يصر العدل الكـاتب على ذكر إسم الهالك وتـاريخ وفاته وعـدد أبنائه ذكـوراً وإناثاً مـع ذكر أسمائهم. وبعد عملية الإحصاء أو مـا يعبر عنه في الرسوم العدلية الخاصـة بالقسمة «بالتقويم» تضرب القرعة بين الـورثة، ويحدد نصيب كل واحد منهم سواء تعلق الأمر بـالأشجار أو بالأرض أو بكل ما خلفـه الهالك بما في ذلك أثاث المنزل. فقد جاء من نصيب مولاي الحسن السابق الذكر في الوثيقة أعلاه ما يلي :

«ومن قش الـدار حنبل مع بقـراش بمجمـره مع صينيـة مع بـراد»(12)

ويختم عقد القسمـة بالإشارة إلى الشهود الذين حضروا القسمـة، مع ذكر أسمائهم وتاريخ حدوث القسمـة باليوم والشهر والسنة. فقـد جاء في أحد عقود القسمة ما يلي: «حضر القسمة جماعة تيغيورين سيدي الكبير بن علي مع مـولاي عبد اللـه بن هاشم مع الـوزاني بن علي مع العربي بن محمـد وأعضاء المجلس العرفي عســوأمح وبيهي أوبشو بتاريخ 13 نفامبر – يعني نونبر – 1948».(13) وإذا كـانت المادة العلمية المتـوفـرة لا تسعفنا للجـزم

10) توجد هذه الوثيقة والتي تليها بخـزانة الأستاذ مولاي عبد الهادي امحمدي من قصر تيغيورين، مدغرة.

11) أنظر الوثيقة رقم: 52 بالملحق الوثائقي الخاص.

12) 13) أنظر الوثيقة رقم: 38 بالملحق الخاص بالوثائق.

بتـاريخ رسوخ هـذا النظـام فيما يخص الإرث، لأن كل الوثـائق التي بين أيدينا تعود إلى القرن 20م. إلا أن الغالب على الظن أن بـدايات نظام الإرث وتقسيم التركـات كان شرعياً على أقـل تقديـر منذ تمركز واستقـرار بعض الأسر الحسنية الشريفـة بمدغـرة، وشواهـدنا على ذلـك هو استمـراره منذ دخول الأشراف في رســوم الملكيات. ولكن هنـاك ملاحظـة أساسيـة في هذا المضمار وهي أن بعض الأسر بمدغرة لا سيما الفقيرة منهـا كانت لا توزع تركة أبـائها الهالكين، بل تلجأ إلى تكوين كـانون واحد يشرف على تسييره أكبرهم سنـا. لأن صغـر حجم ملكياتهم الـزراعيـة لا يمكن أن يحقق لهم المعاش إذا قسمت تلك الملكيات الـزراعية. وقد استمرت هـذه الظاهرة حتى الوقت الحالي، فقد استطعنـا عن طريق المعاينة الميدانيـة الوقوف على أسرة من فئة الحراطين تدعى «بَـاحَّـادْ» بقصر تـازناقت مازالت محافظة على هذا النظام العشائري. حيث يشرف على إدارة ممتلكاتها أكبرهـم سنا، ويكونون كانونا واحدا ويعملون جماعة في حقولهم الزراعية.

*** البيع والشراء :**

ومن بين الـوسائل الأخـرى التي كـانت تتم بها عمليـة تفويت الملكيـة الفـرديـة للأرض هنـاك البيع. وبهذا الخصـوص نتـوفر على العـديـد من الرســوم العدليـة تعكس الكيفية التي كـانت تتم بها هـذه العملية. وجـدير بـالإشـارة أن مسـألـة تفـويت الأرض بـواسطـة البيع والشراء لم تكن هي الظاهـرة الأكثر شيوعاً بين السكـان، فالغالب هو الإرث، لهذا لا غـرابة إذا وجدنا العلامة ابن خلدون يضـع التوريث في المرتبة الأولى قبل البيع والشراء في عملية تملك الأرض. قـال: «وإنما يكون ملكهم وتأثلهـم لها - أي العقار والضيـاع - تــدريجيـاً من آبـائه وذوي رحمة... أو أن يكـون بحــوالـة الأسواق...».(14) مما يؤكد أن مسـألـة بيع الأرض كانت تتم في الغالب إبان الأزمـات السياسيـة والإضطـرابات الإجتماعيـة، وذلك بنـاءا على نص ابن خلدون السالف الذكر.(15) هـذا من جهـة ومن جهـة أخـرى نشير إلى أن

14) ابن خلدون: المقدمة م س، ص: 459.

15) انظر ما قاله ابن خلدون في المقدمة م س، ص: 459 بخصوص أثر الأزمات السياسية على أثمنة العقار.

العقار والضيـاع، كان يتهافت عليها السكـان إبان الأزمات المناخيـة وتوالي دورات الجفاف التي غالباً مـا تكون مصحوبة بهجوم أسراب الجراد، الشيء الذي يمكن ذوي النفوذ المادي من شراء الأراضي بأثمنة بخسة بعدما يضطر أصحـابها الأصليـون للهجـرة، أو للعمل كمأجـورين تحت كنف مشتريها. وهذا لـه بالغ الأثر في تعميق الهوة بين المالكين والمستأجـرين، ويكرس إلى حد بعيـد «الفئويـة» في مجتمعات تـرتبط أشد الإرتبـاط بالأرض كـوحدة إنتاجيـة أساسيـــة. وهذا مـا حملنا على القـول، أن دراســة تـاريخ تطور الملكيـة العقارية يعتبر مصدراً أساسياً لمعرفة التطور التاريخي العام لمنطقة مدغـرة.

لقد أصبحت عملية بيع القطع الأرضية بمنطقـة مدغرة مع مطلع القرن 20م تقتضي من الشخص الذي يـود البيع أن يقدم طلبـاً، وغالباً مـا يكون شفاهياً للقـاضي، يوضح فيه أنه أراد أن يبيع البقعة الفـلانية. وننبه إلى أن استشـارة القاضي ظهـرت مع تغلغل الحمايـة الفرنسيـة بمـدغرة. ويقـوم القاضي بمكـاتبة القـائد باعتباره ممثـلاً للإدارة المخـزنية المدنيـة، وتكليفه بعملية تشبه إلى حد مـا ما يعبر عنه حاليا «بالخبرة»، لتـزويد القاضي بكل المعلومـات فيما يخص وضعية ملكية الأرض هل هي مشتركة أو خـاصة. وتحديد طبيعتهـا هل هي أرض بيضـاء أو سـوداء؟ ونوع تربيتهـا وقربها وبعدها عن مجرى الماء والقصر السكني، مع ضرورة ذكـر طولها وعرضها وجوارهـا، وهل هي سالمة من مـوانع البيع كأن يكـون للمخزن أو الحبس نصيب فيها أو هي محط نزاع بين الأفراد؟ ولا يـأذن القاضي بالبيع إلا بعد أن يتوصل بتقـرير واف عن خبرة أعوان القائد المخزني مصـادق عليه من طرف هذا الأخير. ولتوضيح هذا الواقع، نقف قليلاً عند بعض الرسوم التي تثبت بجلاء تـام دقة التحري ومتانـة التكوين القانـوني الشرعي لموثقيها، والمراحل التي تمر عبرها عملية البيع والشراء. على اعتبار أن هذه العملية لم تعد تتم بسهولة – كما قد يتبـادر إلى الذهن للمرة الأولى – وهذا مرتبط – على ما نعتقـد – بأهمية الأرض كـوحدة إنتاجيـة أساسيـة من جهة. ومن أخرى يبين مـدى رسوخ القـوانين الشرعية الإسلاميـة بمنطقة مـدغرة، لا

سيما بعد التعمير الجديد الذي شهدته المنطقة مع مطلع العصور الحديثة. ومن جهة ثالثة نعتقد أن هذه الدقة والضبط لا يمكن أن تفهم إلا في إطار كثرة الخصومات حول عملية بيع الأرض التي ظلت تعاني منها المنطقة، وكانت تزج بها في غليان اجتماعي حاد.

مكاتبة القاضي للقائد المخزني :

«الحمد لله وحده... حبيبنا في الله الأعز الأرضى الشريف الجليل المرتضى القائد سيدي محمد بن الشيخ سيدي محمد العربي وعلى سيادتكم السلام عن خير مولانا الإمام المنصور بالله.

وبعد،

فقد استأذن الشريف سيدي مولاي أحمد بن الغالي الحيبوسي القاطن وقته بمديونة الشرفاء المسماة سيدي بن الحسن في بيع نصفه من الحفرة مشاعاً مع أخيه سيدي... بن الأب المذكور وقدره طولاً ثلاثين ذراعاً وعرضه عشرين ذراعاً المجاور لما لورثة مولاي التهامي وما للسيد محمد بن علي ومجرى ماء وما لمولاي المهدي بن المختار. وذلك ببقعة الكديات مزرعة الحيبوس، بما اشتمل عليه من بياض وسواد. وباع له قسمين من خمسة أقسام من الولجة المجاورة للوادي وساقية المديونة... فنطلب منك أن تبحث هل المُسْتأذَن فيه ملك لِلْمُسْتَأذِنْ؟ وهل بأيالتكم من الأملاك القابلة للتفويت؟ وهل فيه حق لجانبي المخزن الشريف والحبس ؟ وهل تراب ذلك أرمل أو أصفر أو ترزا أم لا ؟ وهل قريب من واد أو قرية أو مركز أم لا؟ وإن كان قريباً لشيء فما مقدار القرب بالهكتار أو الساعة تقريبا؟ وتجيبني عن الفصول المذكورة خلال الأجل المضروب. لنأذن في البيع أو نمنعه وعلى المحبة والسلام. يوم 4 حجة عام 1352».(16).

16) توجد هذه الوثيقة والتي تليها بالخزانة العلمية الهامة لأستاذنا المشرف مولاي هاشم العلوي القاسمي، وسنثبت نسخاً منهما بالملحق الخاص بالوثائق. أنظر الوثيقة رقم: 2.

جواب القائد :

«الحمد لله وحده الشريف الأبر القاضي السيد مولاي المهدي بن هاشم(17) وعليك السلام على خير مولانا الإمام. وبعد :

فإنني بحثت فيما سطر حوله فألفيته - أي وجدته - ملكا سالما من الموانع كلها. وبين الأول وقرية الحيبوس 400 خطوة والثاني 300 ذراع والثالث 300 متر وترابهم أصفر معاد - أي ماعدا - الولجة ترابها أرمل. والسلام يوم 16 ذي الحجة عام 1352هـ».(18)

وبناء على هذين الرسمين المتعلقين بالتنظيم الجديد لضبط البيع والشراء بين المتبايعين، حيث ظهر إشراك السلطة القضائية الشرعية مع السلطة المدنية الجديدة التي أدخلها نظام الحماية الفرنسية بالمنطقة، يمكن أن نسجل الملاحظات التالية :

1 - إن بيع العقار كما هو واضح من خلال هذين الرسمين المنصوص عليهما أعلاه أنه كان يخضع لتدخل سلطة القاضي، باعتباره يمثل مؤسسة الإدارة المدنية المخزنية.

---

17) هو والد أستاذنا المشرف مولاي هاشم العلوي القاسمي من قصر زاوية تاوريرت مدغرة، وقد ترجم له والدنا ابا سيدي بن التهامي العلوي في مخطوط فتح القدوس قال: «أما سيدي مولاي المهدي بن هاشم بن قاسم، فكان فقيهاً علامة وقد قرأ بالقرويين العامرة بفاس مدة سنين، ولما رجع لبلاده مدغرة كان إماماً بمسجد أولاد أبي ناجي. وقد انتقل لبلاد جرامة بجير، وكان نائباً للقاضي سيدي أحمد بن المرابط أعلى وادي جير ومكث هناك سبع سنين. ولما اقتضى نظر الحكومة الفرنسية أن ترجع البلاد لحكم العرف البربري رجع سيدي مولاي المهدي لبلاده مدغرة، وسكن بزاوية تاوريرت نحو أربع سنين وتولى القضاء على أهالي بودنيب التي تجري عليهم الأحكام الشرعية، وكذلك على أولاد الناصر والحجوي وغيرهم ببوعنان. ومكث هناك نحو أربعة أعوام، وتولى القضاء على مدغرة وعرب تيلوين بكلميمة والمرابطين أهل زاوية سيدي حمزة وأند وتزروفت بالريش. ومكث قاضياً على هؤلاء نحو 23 سنة، ولما جاء بزوغ الحرية والاستقلال انتقل من زاوية تاوريرت مدغرة لمدينة فاس، واستوطنها نحو ثمانية سنين، ولما جاءه الأجل المحتوم الذي لابد منه كان عند ولده الفقيه السيد مولاي أحمد بن المهدي، وتوفي عنده بمدينة بن أحمد بنواحي الدار البيضاء ودفن هناك رحمه الله».

أنظر مخطوط فتح القدوس: م س، ص: 195 - 196.

18) انظر الوثيقة رقم: 2 بالملحق الوثائقي الخاص.

2 – إذا وضعنا هذين الرسمين في سياقهما التاريخي يظهر أن هذا التقنين حدث مع مطلع القرن 20م، الشيء الذي يحملنا على التساؤل حول طبيعة عملية البيع والشراء قبل هذا التاريخ، سيما وأننا نعلم أن مرحلة القرن 20م تعتبر الفترة التي توغلت فيها إدارة الشؤون الأهلية للحماية الفرنسية إلى أعماق المجتمع المغربي، ومدت دواليب حكمها إلى الحواضر، كما هو الحال بالنسبة للبوادي، وقننتها لكن مع الحفاظ على الموروث المغربي القديم. وبناء عليه نفترض أن تكون عملية البيع بهذه الطريقة المشروطة جاءت نتيجة لكثرة الخصومات والنزاعات الناجمة عن البيع والشراء العشوائي. الذي كان لا يتقيد بالشروط والقوانين المنصوص عليها في رسالة القاضي إلى القائد.

صحيح أننا لا نتوفر على المعلومات الكافية حول طبيعة عملية البيع والشراء للعقار قبل مطلع القرن 20م، الذي يؤرخ لغالبية الرسوم التي استطعنا جمعها. إلا أن الأكيد أن هذه الشروط والقوانين التي أصبحت تطبع عملية البيع والشراء مع مطلع القرن 20م، نعتبرها نتاجاً طبيعياً أفرزتها كثرة الخصومات والنزاعات التي كانت تعرض على قضاة مدغرة حول مسألة تملك الأرض. مما يعني أن هذه الصيغة النهائية هي حصيلة التفكير الجدي الذي جرى تعميقه على مدى مدد زمنية طويلة يصعب تحديدها بدقة، لاسيما في غياب المعلومات التاريخية الكافية لمراحل تطورها. مما يدل على أن مرحلة مطلع القرن 20م، تعتبر الحلقة الأخيرة من التطور الذي عرفه تاريخ الملكية العقارية بمنطقة مدغرة، وبالتالي سيج هذا التقنين إلى حد ما مجموعة من الأزمات والمشاكل التي ظلت تعاني منها عملية تفويت الملكية العقارية بواسطة البيع والشراء. من جراء الخصومات والنزاعات حول الأرض باعتبارها وحدة إنتاجية أساسية لا يمكن الإستغناء عنها بأية حال من الأحوال. سيما إذا علمنا أن هذه الأخيرة كانت تعتبر في نظر السكان وسيلة أساسية للإستقرار والإستمرار والبقاء بعد عنصر الماء. لهذا حظيت باهتمام كبير من قبل الإنسان بمنطقة مدغرة وأولاها عناية خاصة، وتجنب بكل الوسائل التفريط فيها حتى خلال أزمات الشدة

سياسياً ومناخياً، وما يتبع ذلك من هزات اجتماعية، ووظف كل إمكانياته المادية والمعنوية للحصول على مزيد منها. من هنا نفهم لماذا جاءت عملية البيع والشراء مقننة ومشروطة، وحتمت على البائع والمشتري ضرورة المرور عبر قنوات المؤسسة الشرعية والمؤسسة المخزنية المدنية لتفادي الوقوع في الخصام والنزاع، والذي كان يؤدي أحياناً إلى مواجهات دموية من جهة، ومن جهة أخرى لضمان ملكية شرعية مجردة من كل شائبة قد تبطل شرعيتها.(19)

3 – يظهر من خلال هذين الرسمين المنصوص عليهما سابقاً أن عملية بيع الأرض الزراعية لم تعد مباحة إلا إذا أثبتت خبرة القائد المخزني أنها خالية من موانع التفويت : كأن تكون محط نزاع وخصومات بين مجموعة من الأفراد، لهذا كانت الأعراف المحلية الخاصة بمنطقة مدغرة وما إليها تصر على كل من يود البيع أن يثبت ملكيته لها شرعاً بالرسم.(20) وأن يخبر الشيخ ومجتمع القصر عامة أنه عزم على البيع، حتى يتبين أن العقار المباع ليس فيه مشكل يمنع من بيعه. اتفادي المشاكل الخلافية بين البائع والمشتري. فقد جاء في الشرط 80 من إتفاق قصر الكَارة ما يلي :

«وأما من أراد البيع فيدلل ثلاثة أيام ويبيع، فإن شفع له أحد من قرابته في ثلاثة أيام أخر، فنعم وإلا فلا كلام له في ذلك...».(21) أو كأن يكون فيها حق لجانب المخزن أو الحبس، وهذا ما تؤكده رسالة القاضي إلى القائد المخزني. قال: «فنطلب منك أن تبحث هل المستأذن فيه – أي القطعة الأرضية – ملك للمستأذِن وهل بأيالتكم من الأملاك القابلة للتفويت، وهل

19) كثير ما نصادف في الرسوم العدلية المتعلقة بالشراء بمنطقة مدغرة ما نصه: «... بما ذكر من المنافع والمرافق وكافة الحقوق والحرم على الإطلاق داخلاً وخارجاً اشتراء صحيحاً تاما دون شرط فيه ولا ثنيا ولا خيار».

20) Mezzine (L): Le tafilalet, op cit, p: 170.

أنظر ما جاء في الشرط 135 من إتفاق قصر الكَارة.

21) Mezzine (L): Le tafilalet, op cit, p: 146.

فيه حق لجانب الحبس والمخزن الشريف».(22) ولا يقف البحث والتحري عند هذه المسألة، بل إن القاضي يصر على معرفة نوع تربة القطعة الأرضية وبعدها وقربها من المجاري المائية والقصور السكنية، مع ضرورة تحديد المسافة الفاصلة بينهما. وإيفائه بنتائج الخبرة التي يقوم بها القائد أو مساعدوه خلال مدة زمنية محددة، للفصل في موضوع البيع أومنعه. ويظهر ذلك عندما سأل القاضي القائد المخزني قائلا: «وهل تراب ذلك أرمل أو أصفر أو تارزا؟ وهل هو قريب من واد أو قرية أو مركز أم لا؟ وإن كان قريبا من شيء فما مقدار القرب بالهكتار والساعة تقريبا؟ وتجيبني عن الفصول المذكورة خلال الأجل المضروب لنأذن في البيع أو نمنعه».(23)

إن التدقيق في هذه الطلبات الإستعجالية من طرف القاضي للقائد، يحمل أكثر من دلالة. فعلاوة على تدخل سلطة أخرى تحجم من استقلالية القضاء الشرعي أو تتعامل معها، واستفسار القاضي عن وضعية القطعة الأرضية المراد بيعها عن طريق قيام القائد أو مساعديه بعملية خبرة تبين هل الفرد الذي يود بيع هذه القطعة يتمتع فعلاً بحق ملكيتها أم لا؟. وهذا يعني أنه حتى إذا توفر البائع على رسم عدلي أو شهود يؤكدون ملكيته لها، فإن القاضي لا يأبه بذلك. بل يطلب من القائد القيام بخبرة ميدانية لتأكيد أو نفي ملكيته لها. كما نلاحظ من خلال هذه الطلبات المسطرة في الرسم أعلاه أن القاضي يصر على ضرورة تحديد نوع تربة القطعة وموقعها من مجرى الماء والقصر بأية وسيلة من وسائل القياس المعتمدة محلياً في تحديد المسافات، مما يحملنا على الإعتقاد أن نوع التربة والبعد أو القرب من القصور السكنية والمجاري المائية، كلها مقاييس أساسية تحدد بها قيمة الأرض.

هذا من جهة ومن جهة أخرى، نلاحظ أن القاضي بمنطقة مدغرة تجاوزت صلاحياته الحسم في النزاعات والخصومات التي كانت تقوم بين الأفراد، وأخذ يتدخل في تحديد القيمة الفعلية لثمن البقع الأرضية المراد بيعها. كما نلاحظ من جهة ثالثة أن إلحاح القاضي على القائد بضرورة

---

22) 23) أنظر الوثيقة رقم: 2 في الملحق الوثائقي الخاص.

الإسراع في إنجاز الخبرة وموافاته بنتائجها في أجل محدد يرتبط بكثرة ملفات الخصومات التي كانت تطرح على القاضي، وهذا من شأنه أن يفسر كثرة النزاعات المختلفة المناحي التي كانت تشهدها منطقة مدغرة من جهة. ومن جهة أخرى تفسر إلى حد ما حزم قضاة مدغرة وتفانيهم في تصفية الملفات المطروحة عليهم. كما يمكن أن نستشف من ذلك أيضا أن إصرار القاضي على القائد بضرورة الإسراع بنتائج الخبرة مرتبط بأهمية المسألة أو بقرب موسم الحرث أو لقلة ذات اليد، وهذا من شأنه كذلك أن يكشف عن خبايا الحياة الإجتماعية والإقتصادية العامة بمنطقة مدغرة.

4 – وأخيراً نلاحظ أن هذا الرسم العدلي تنعدم فيه الفجوات القانونية، مما يعني أن قضاة مدغرة لم يكونوا يشتكون من ضعف التكوين القانوني والشرعي. سيما وأن اختبار القضاة كان يرتكز قبل كل شيء على أساس ثقافتهم الواسعة في الفقه والأحكام. الشيء الذي كان يمكنهم من مواجهة لمعضلات المطروحة بكل جدارة.(24) مما يعني أن منطقة مدغرة كانت تتبوء مكانة خاصة بين المناطق القروية المغربية الأخرى فيما يخص متانة الأحكام الشرعية، وهذا ما لا نلاحظه في مناطق قروية أخرى من بلاد المغرب. فقد أفضت جهود أحد الدارسين(25) إلى أن الرسوم العدلية بمنطقة سوس كانت تشكو من الفجوات القانونية المرتبطة من جهة بضعف التكوين القانوني لموثقيها. ومن جهة أخرى نتيجة لتصريح المتبايعان بمعلومات خاطئة أو السكوت على عناصر قد تؤدي إلى وجود خلل في الرسم العدلي. الشيء الذي أدى إلى ظهور كتابات حاولت تعليم أهل سوس علم التوثيق.(26) وما يشهد على متانة أحكام قضاة مدغرة أن أحكام هؤلاء

---

24) إبراهيم حركات: السياسة والمجتمع، م س، ص: 191.

25) عبد الرحيم بن حادة: النشاط الاقتصادي، م س، ص: 169.

26) فقد وقف الأستاذ محمد المختار السوسي على منظومة لبعض مدرري الْـوُلْدَانْ مع شرحها يبين فيه لطلبة القرآن من غير أن يعرفوا من العربية شيئاً ما يكتبون به رسوم الأشرية وعقود المعاملات «فصار هذا المؤلف يبين لهم بالعربية ثم بالشلحة كلمات عربية مفسرة بالشلحة كي يعلم بها المدررون علم التوثيق». أنظر محمد المختار السوسي، المعسول، ج: 3، م س، ص: 119 – 120.

كانت تجري على منطقة مدغرة، وما إليها. وقد سبق أن أشرنا في سياق ترجمة والد أستاذنا المشرف مولاي المهدي بن هاشم(27) الذي كان يشغل منصب قاضي مدغرة خلال مرحلة النصف الأول من القرن 20م أن أحكامه كانت تسري على أهل بودنيب وأولاد الناصر والحجوي وغيرهم ببوعنان، وعلى عرب تيلوين بكَلميمة والمرابطين أهل زاوية سيدي حمزة وأند وتزروفت بالريش.(28) علاوة على منطقة مدغرة.

وجدير بالإشارة أن عملية شراء العقار بمنطقة مدغرة لم تكن تقتصر على فئة دون أخرى، بل إن هذا الحق المدني كان في متناول كل الفئات المجتمعية التي يتكون منها مجتمع القصر. وهذا يعاكس ما نجده في بعض واحات الجنوب المغربي، حيث لم يكن بإمكان العنصر الحرطاني بقصر الكَارة بمنطقة الرتب شراء الأصول والعقار. فقد أشار أحد الدارسين أن الأعراف المحلية الخاصة بالقصر المذكور كانت تمنع منعاً كلياً العنصر الحرطاني من التمتع بهذا الحق المدني. وحجتنا في ذلك ما جاء في الشرطين. 370 و374 من إتفاق قصر الكَارة المذكور. قال: «وأما من اشترى من الحراطين شيئا من الأصول أو الديار، فنصافه مائة مثقال، وكذلك من باع له نصافه مائة مثقال».(29) وقال أيضا: «وكذلك الحرطاني إن شك فيه الشيخ أنه اشترى شيئا مما ذكر فعليه عشرة حلافة فيما ذكر بترمت».(30) أما في منطقة مدغرة فإن هذه الفئة الإجتماعية كانت تتمتع بهذا الحق المدني كاملاً، وحجتنا في ذلك توفرنا على مجموعة من الرسوم العدلية التي تؤكد ملكية الحراطين للأصول والعقار. فقد جاء في أحد هذه الرسوم ما يلي: «الحمد لله اشترى بحول الله التهامي بن علي بوبكر من حراطين توريرت من البائع له بلدية للشريف سيدي محمد بن علي جميع ما له معه شيوعاً ببقعة هلال من مزارع أولاد أبي ناجي مدغرة...».(31) هذا من جهة، ومن

27) أنظر ترجمته في الباب الثالث الفصل I، ص:

28) فتح القدوس: م س، ص: 195 – 196.

29) 30) Mezzine (L): Le tafilalet, op cit, p: 278.

31) أنظر الوثيقة رقم: 3 بالملحق الخاص بالوثائق.

جهة أخـرى سبقت الإشارة(32) إلى وجود معلمـة طوبنيميـة خاصـة بفئة الحراطين بمنطقة مـدغرة العليـا، ويتعلق الأمر بقصر الحراطين.(33) ومعلوم أن وجود هذا القصر الخاص بهذه الشريحة الإجتماعيـة لا يمكن فصله عن تملك العقار. إذ لا يعقل أن تستقر مجمـوعة بشرية بمعلمة سكنيـة خاصة بهم دون أن يكونوا ملاكين لوسائل الإنتاج الأساسية خاصة الأرض والماء. وبالفعل فقـد استطعنا عن طـريق المعاينـة الميدانية، وفحـص بعض عقود الملكية الخاصـة بغابة قصر الحراطين، ووجدنـا أن حقول غابـة هذا القصر يوجد جلهـا في ملكية هذه الشريحة الإجتماعية. وكل هذه الشـواهد وغيرها هي بمنزلة دليل محسـوس على تمتع فئة الحراطين بهذا الحق المدني. وهذا ما يميـز منطقة مدغـرة بخصوصية فـريدة من بين الواحـات السجلماسية الأخـرى، سيما وأنـه لم يكن يحد من حجم الملكيـات العقـاريـة الموجـودة بحوزة الحراطين أي قانون عرفي محلي.

كما لم تكن عملية تملك العقار وبيعه وشرائه، تقتصر على المسلمين فقط بل إن هذا الحق المدني طـال حتى الأقليات غير المسلمة، ويتعلق الأمـر هنا بأهل الـذمة. ممـا يحملنا على التشكيـك في بعض الكتابـات حول وضعيـة اليهود بالمغرب. ذلك أن هذه الشريحة الإجتماعيـة لم تبن وجودها على عقد الذمة المبني أساساً على الخضوع المطلق للمسلمين مقابل حمايتهم والسماح لهم بالعيش بين أظهرهم وممـارسة شعائرهم الدينيـة بكل حرية فقط. بل إن الفئـة اليهـوديـة عـلاوة على مـا منحهـا ولاة الأمـر من صـلاحيـات ومكتسبات. فقد شاركت المسلمين في حياتهم اليـومية والعامة، وتمكنت من وسائل الاستمرار والبقاء بما في ذلك حـق تملك العقار. وفي هذا الخصوص نشير إلى أننا عثـرنا على مجموعـة من الرسوم العـدلية منها مـا هو مثبت بسجل المحكمة الشرعية والبعض الآخر بـالمحكمة العرفية لقبائل أيت إزدكَ بقصر السوق.(34) فقد جاء في إحدى هذه الرسوم العدلية ما يلي: «الحمد لله اشترى الشريف سيدي مـولاي الطاهر بن عمار بن سيدي محمـد العربي

32) أنظر الباب الثاني الفصل الثاني.

33) أنظر تحديد هذا القصر بالجدول الخاص بالقصور المدغرية، الباب الثاني الفصل الثاني، ص: ؟

34) أنظر الوثائق رقم: 10 – 11 بالملحق الخاص بالوثائق.

سكناه بجاوز مدغرة من البائع له الذمي موشي بن عكرا من يهود تيعلالين زوج فـدادين الكـائنين عنده في الـوادي. الأول بين ملك أيت عشــور وملك إيدير بن عسو والطريق وســاقية أوليل، والثاني بين ملك عدي أوزنو وأيت المسعود والطريق، حــدوده ساقية أوليل بجميع مرافقهما ومنــافعهما وكافة الحقوق والحرم..». (35)

وجــاء في رسم آخر مثبـت بالمحكمــة العـرفية لقبـائل أيت إزدكَ بقصر الســوق والخنكَ والمسجل تحت رقم 442 ما يلي: «في 11 يوليوز من سنة 1932م من طرف وأمام أعضاء الجماعــة العرفية لأيت إزدكَ لقصر السوق والخنكَ تشهد أن المسمى موشي ولد دودو لهو من ملاح قصيرة أيت موحى أو علي بقصر السوق أنــه باع قطعتــه الأرضية الموجــودة بغابــة تسكَـدلت بالموضع المسمى أَكَـمُّـونْ. يحدها من جهة الشروق ملك حسن باعدي ومن الغروب الساقية وجنوباً الساقية كذلك، وشمالاً ملك حسن بن علي أو أحمد من قصر تاغزوت...». (36)

إذا كانت هذه الـرسوم العدلية المختلفة هي بمنـزلة دليل محسوس على تمتع أهل الذمــة بهذا الحق المدني بمدغـرة. إلا أنه لابـد من التأكيد على أن اشتغال اليهود بالزراعة لم يكن أمراً شـائعاً، هذا وإن كنا نلاحظ أنهم كانوا يشترون الغلات والقطع الأرضية على أن استغلالها لم يكن يتم إلا بواسطة شركــاء مسلمين، أو لإعادة بيعهــا لاستخلاص الـربح. هذا من جهــة ومن جهة أخـرى يظهر بعد مـواكبتنا ورصدنـا لمختلف الوثائق المتعلقـة بملكية اليهود للعقــار، أن هذا التمليك لم يكن يشمل كل أقسام مدغـرة. وقد سبق أن استنتجنا(37) أن وجود العنصر اليهودي بقسم مدغرة العليا له ما يبرره بحكم أن هــذا القسم كــان يـوجـد به ســوق تجاري تتـوقف بــه القــوافل التجاريــة المترددة بين الشمال والجنوب عبر وطن مـدغرة. وبحكـم أن هذا القسم من مـدغـرة طبع من حيث بنيتــه البشريــة بقلــة الـوجـود العـربي والحسني العلـوي الشريف خـــاصــة، ممــا مكنهم من الإستقـــرار وعـدم

35) أنظر الوثيقة رقم: 10 بالملحق الخاص بالوثائق.

36) أنظر الوثيقة رقم: 11 بالملحق الخاص بالوثائق.

37) أنظر الباب الثاني الفصل الثالث، ص:

الإقتصـار على ممارسـة النشـاط التجـاري فقط، بل شمل ذلك حتى تملك الأراضي الزراعية. والغالب على الظن أن امتـلاك اليهود للأراضي خاصة بهذا القسم من مدغـرة يرتبط بفترة الحماية الفرنسية. ومـا يشـهد على ذلك أن جميع الرسوم العدلية التي استطعنـا جمعها والمتعلقة بملكية اليهود للعقار تعود كلها لهذه المرحلة، وتتراوح تواريخ هذه الرسوم ما بين سنة 1932م، وسنـة 1950م. ومعلـوم أن هـذه الفترة تـوافق المرحلـة الإستعماريـة للمغـرب. وغني عن البيان أن إدارة الشـؤون الأهلية للحمايـة الفرنسيـة كـانت على وفاق تـام مع العنصر اليهـودي. من هنـا لا نستبعد أن تكـون الحمايـة الفرنسيـة قـد أقرت بضرورة تمتع اليهود بحق الملكيـة العقارية. وما يؤكـد ذلك أننا لم نعثر على أي رسم عدلي يثبت ملكيـة اليهود للأرض قبل هـذا التاريـخ. هـذا وإن كنـا نتوفـر علـى معلمـة سكنيـة، بقسم مدغرة العليا.(38) ويتعلق الأمـر هنـا بقصر مُـوشْـقَـلاَّلْ الـذي كـانت تستوطنـه غالبية يهوديـة منذ نهايـة القرن 19م أي قبل فـرض الحمايـة الفرنسية على المغرب.

فقد ذكر شـارل دوفوكو هذا القصر ضمن القصـور السكنية التي كان يتكون منها قصر السـوق. قال: «يتكون كَـصر السـوكَ من خمسة قصور هي: موشقلال قصيبة أيت موحى أو علي قصر الحراطين قصر أكوز، قصر أزرو، وتكون هذه القصور دائرة يتوسطها السوق والملاح».(39) ومعلوم أن وجـود الملاح بهذا القصر يعني الإستقرار، سـواء تعلق الأمر بشراء العقـار باعتباره أحـد وسائل الاستمرار والبقاء أو ممارسة النشـاط التجاري الذي برع فيه العنصر اليهودي.

وجـدير بـالملاحظـة أن مسألة بيـع الأرض تعتبر عند الأهـالي، وحتى الوقت الحاضر عيبـاً ووصمة عار - وهذا طبعـاً مع بعض الإستثناءات - حتى إن بيع الأرض اقترن عنـد الأهـالي بـالإفلاس. وفي هـذا الخصـوص، نتوفر على العديد من المأثورات الشعبية الشفوية القديمة التي تصب كلها في

38) أنظر الباب الثاني الفصل الثالث.

39) Faucauld (ch. de) : Reconnaissance, op cit, p: 351.

هذا الجانب، كقولهم عنـدما يسألون عن فرد باع أرضــه وغادر قصره أنه «انكَسَــرْ أُوخْـوَا الكَــصَـرْ». بمعنى أنــه لما باع أرضــه أصابـه الإفلاس وغادر قصره، ممــا يعني أن امتلاك الأرض مرتبط بالإستقــرار والإستمرار ولا غرو في ذلك، فــالأرض في مثل هذا المجتمع الواحي ذي اقتصــاد الكفاف تعتبر من أهم وســائل الإنتاج التي لا يمكن الإستغنــاء عنها بأية حــال من الأحوال، وأن التفريط فيها يعني الفناء والزوال. لهذا سوف لا نغالي إذا قلنا إن تاريخ الإنسان الـذي استوطن منطقة مدغـرة، كما هو الشـأن في غيرها من المناطق القروية المغربية الأخـرى هو تاريخ النضال في سبيل الحصول على قـوته اليـومي، من هنا كـان الإنتاج المادي القـائم على الأرض والعمل الزراعي هــو الذي حمل الإنسـان على الإفراط في تشبثــه بالأرض كـوحدة إنتاجيــة أساسية. وهذا يعني أن عمليــة البيوع التي كانت تعرفهـا المنطقة ترتبط في أغلبهـا بالأزمــات المختلفة التي كانت تتعــاقب على مدغـرة. وهذا يحملنا على استنتاج آخر وهو أن عمليــة ضبط تواريخ البيوع والأشرية من شأنها أن تفيد البـاحث في تتبع كرونــولوجيــة هذه الأزمــات المختلفة التي كانت تعرفها المنطقة، وانعكست بشكل بَـيِّـن على وضعية الأرض وانتقالها عبر البيع والشراء من فرد إلى آخر.

نعتقد أنــه لما كانـت الأرض بمثابة وسيلــة أساسيــة للإغتنــاء وتحقيق الأسس المادية الكـافية للثـروة والجاه. لا سيما في منطقة مثل مــدغرة التي كــانت تتهـددها الأزمــات المنــاخيــة، وتتأثــر إلى حــد كبير بالإضطـرابـات الإجتماعية، وعدم الإستقرار السيــاسي. مما كان يحتم على السكان وبشكل لزومي الإعداد لمواجهة مثل هذه الطوارئ ليس فقط لضمان القوت اليومي، وإنما تكون الغاية من الإكثار من هذه الوحدة الإنتاجية مهما اختلفت طرق الحصول عليهــا هو استمرار دوام الرخــاء والثروة حتى بالنسبة لــلأجيال القادمــة. وهذا ما نستشفــه من كلام ابن خلـدون عندما قــال إن: «القصد باقتنــاء الملك من العقار والضيــاع إنما هو الخشيــة على من يترك خلفه من الذرية الضعفاء ليكـون مرباهم به ورزقهم فيه ونشوئهم بفــائدته ماداموا عــاجزين عن الإكتســاب، فإذا اقتــدروا على تحصيل المكــاسب سعوا فيهــا

بأنفسهم، وربما يكون من الْوُلْدِ مـن يعجز عن التكسب لضعف في بدنه أو آفة في عقله المعاشي، فيكون ذلك العقار قواماً لحاله».(40)

إن عملية تفويت الملكيـة عن طريق البيع والشراء بمنطقة مـدغرة تتميز بالفصل بين شراء التراب وشراء الأشجار الموجودة بـالقطعة الأرضية، أو ما تعبر عنه الـرسوم بسواد الفدان. وفي هـذا الصدد نتوفر على مجمـوعة من الـرسوم العـدليـة التي تؤكـد على أن شراء تـراب الأرض ينفصل عن شراء الأشجار. فقـد يحدث أن يتم شراء سواد الفدان دون ترابـه. كما قد يحدث أيضا أن يتم شراء الفدان بيـاضا وسوادا.(41) وعلاوة على الفصل الموجود بغابـة مدغـرة بين ملكية الأرض وملكية الأشجـار. نلاحظ أن ملكيـة هذه الأخيرة قـد تكون في حـوزة أكثر من فـرد واحد، سيما إذا تعلق الأمـر بما يصطلح عليـه في الأوساط الـزراعية المحليـة «بِـعَـشْ النْـخَـلْ».(42) كما نـلاحظ كـذلك أن البيع والشراء قـد يشمل أحيـاناً نخلـة واحـدة في العش، وأحياناً يشترك فردان أو أكثر في نخلة واحدة، وذلك بناء على ما هو جاري به العمل بمنطقـة مدغـرة حتى الوقت الحالي، وأيضا حسب مـا تفيدنـا به الرسوم العـدلية المحلية. فقد جاء في إحدى هـذه الأخيرة ما يلي: «... الحمد لله اشترى الشريف سيدي مولاي عبد الله الشريف بن سيدنا محمد جميع ما سيـذكر من النخيل، فأولها فَكُوسَـةْ بِأَجْكَكْلْ في العش المشترك مع أيت بروش وغيرهم...».(43) هـذا بـالإضـافـة إلى أن كل عش إذا تعلق الأمـر بمجموعة من أشجار النخيل أو نخلة واحـدة تحمل اسمًا إضافياً إلى جانب طبيعة نوع التمر الـذي تنتجه النخلة أو العش. وقد كانت الـرسوم العدلية تتحرى الدقـة في تحديد حجم النخلة من حيث الكبر والصغر كـالقول هذه نخلة كبيرة، وتلك «فَـرْخَـةْ» إذا كـانت صغيرة. أما من حيث منتوجها فإن الرسوم العدلية بـالإضافة إلى تحديد نوعية التمر الذي تنتجـه النخلة تذكر

---

40) ابن خلدون: المقدمة، م س، ص: 460.

41) أنظر الوثائق رقم: 39 – 40 في الملحق الوثائقي الخاص.

42) وعش النخل هو عبارة عن مجموعة من أشجار النخيل التي تنمو جنباً إلى جنب في مكان واحد.

43) أنظر الوثيقة رقم: 39 في الملحق الوثائقي الخاص.

طبيعة وحجم النـوع الواحـد من التمر، وهـذا من شأنه أن يبين لنـا أنواع التمور التي كانت منطقة مدغرة تشتهر بها. هذا من جهة ومن جهة أخرى تساعد البـاحث على تحديد بعض أنواع التمور التي انقـرضت بفعل الأوبئة والأمراض الشجرية التي كانت تصيب نخلـة التمر، يأتي في مقدمتها مرض «البيـوض» الذي كـاد أن يقضي على أجود أصنـاف التمـور ببلاد المغـرب خاصة صنف المجهول. فقد ذكر أحد الباحثين أن صنف المجهول قد اختفى نسبياً منذ نهايـة النصف الأول من القرن 20م، على إثر ظهور هذا المرض بواحات وادي زيـز عام 1950م بعدمـا انتقل إليها من واحـات وادي درعة التي ظهر بها منذ سنة 1890م.(44)

لقد حـاولنا أن نـواكب ونتتبع بـدقة في سيـاق التعرض لتطـور الملكية العقارية بمنطقة مدغرة بوجه عام، نظام بيوع وأشرية العقار، وحاولنا جهد المستطاع في إطار عملية جمع الوثائق أن نحصل على عدة نماذج تبين كيفية انتقال الملكية العقارية من فرد إلى آخر عن طريق البيع الشراء. ومع الأسـف الشديد، لم نحصل على مرادنا. فكل الوثائق والرسوم العدلية التي استطعنا جمعها من جهات مختلفـة تؤكد كلها حقيقة واحـدة وهي أن عملية انتقال العقار الأرضي أو ملكيـة الأشجار كـانت صحيحة مـن الوجهـة القانـونية والشرعية، وحجتنـا في ذلك أن كل الرسوم العـدلية المتعلقة بعمليـة البيوع والأشرية نجـد الموثق العدلي عند الإنتهـاء من عملية ذكـر البائع والمشتري، وطبيعة البقعة الأرضية وحدودها ونوع شجرها وصنف منتوجها مع ذكر ثمنها، وكم قبض البائع وكم بقي على المشتري مع تحديد سكة الوقت نجده يشير إلى طبيعة ونوع الشراء كقوله :

«اشتراءاً صحيحاً تاما منبرمـا لا شرط فيه ولا ثنيا ولا خيار».(45) وإذا كانت هذه العبارة المنصوص عليها أعلاه تتكرر في مختلف الرسوم العدلية، وهـذا طبعاً مـع بعض الإختـلافـات الطفيفـة مـن حيث التعبير والتقـديم

44) عبد الجبار البكر: نخلة التمر، م س، ص: 486.

45) للتأكد من ذلك يكفي الرجوع إلى مختلف الرسوم العدليـة التي اعتمدناها. أنظر الوثائق رقم: 3 – 7 – 39 – 40 في الملحق الخاص بالوثائق.

والتأخير، فإن هذا يعني أنها بمنزلة دليل مادي ملموس حول نوعية الأشرية الغالبة بمنطقة مدغرة. وإن كان هذا لا يعني بالضرورة أنه النوع الوحيد الذي طبع عملية البيوع والأشرية بوجه عام، سيما وأن المنطقة كانت تتأثر إلى حد كبير بالأزمات المناخية والسياسية والإضطرابات الاجتماعية. مما كان ينعكس بشكل جلي على نظام تفويت الأرض من فرد إلى آخر. ولا نستبعد في هذا المقام أن تكون المنطقة قد عرفت أنواعاً أخرى من البيوع: كالبيع بالرهن أو البيع المشروط أو البيع بالثنيا(46) وإلا لا معنى لتلك القوانين والشروط والدقة في الخبرة والتحري التي أصبح قضاة مدغرة مع مطلع القرن 20م يصرون عليها. مما يعني وكما أسلفنا، أن عملية التقنين التي أصبحت خلال هذه المرحلة تطبع عملية الأشرية ماهي إلا نتاجاً طبيعياً أفرزتها كثرة الخصومات والنزاعات حول الأرض وشكل وطبيعة انتقالها من فرد إلى آخر، على أمل أن تكشف الوثائق المحلية استقبالاً عن أنواع أخرى من الأشرية.

* وسائل أخرى لتفويت الملكية الفردية :

إلى جانب هذه الطرق السالفة الذكر التي كانت تتم بها عملية تفويت الأرض بمدغرة، وجدت كذلك بحقل دراستنا ظاهرة تفويت الملكية عن طريق الهبات والصدقات، والملاحظ أن الهبات والصدقات كانت لا تخرج عن الإطار الأسروي في غالب الأحوال، وهو ما يحملنا على الإعتقاد كذلك أنها لا تخرج عن بنية اقتصادية ومجتمعية ميزت الوسط القروي الشبه الجاف المهدد ظرفياً بالجفاف وبنيوياً بضعف الإنتاج وأزمات البنيات الاجتماعية المفككة. مما يجعل منها ظاهرة تتسم بالرغبة في المحافظة على نمط معين داخل نظام الملكية الفردية – أي أن الأسرة – تعتبر دائماً الوحدة الإنتاجية الأساسية. كما سادت في منطقة مدغرة كذلك خصوصاً في المنطقة المعروفة

---

46) فقد عرف قاضي الحضرة الرودانية أبا مهدي عيسى السكتاني عندما سئل عن البيع بالثنيا فأجاب: «أنه رهن لا بيع... لأنهم يبيعون في يد من صار إليه ويستزيدون في الأثمان ونحو ذلك...» أنظر أجوبة وفتاوي السكتاني مخطوط الخزانة اليوسفية مراكش، م س، ص: 54.

«بتماسين» بعيداً عن المنطقة المزروعة بضفتي وادي زيز ظاهرة إحياء الأرض الميتة والإقطاع(47) والتنازل، حيث كانت قبائل أيت عطا الرحالة وأيت مرغاد تغير على قصور مدغرة، وكانت هذه الأخيرة تستنجد بقبائل أيت عطة المستقرين بالرتب لا سيما خلال الأزمات السياسية والإضطرابات الاجتماعية والفراغ السلطوي الذي كانت تعاني منه مدغرة في بعض الأحيان، لتقوم بالإغارة على المستقرين بقصور مدغرة والإستيلاء على أراضيهم الزراعية والرعوية بالقوة. وقد سبق أن أوضحنا(48) كيف أن منطقة مدغرة كانت عرضة لهجومات المغيرين من الغرب حيث المد المرغادي، والجنوب حيث المد المعقلي، وبعد حين الخطر العطاوي، ومن الشرق أعراب ذوي منيع. الأمر الذي كان يدفع المخزن المغربي إلى إرسال حركات تمشيطية لدفع الهجومات عن مدغرة. فقد ذكر أبو القاسم الزياني في ترجمانه أنه لما سلط أيت عطا على تافيلالت ومدغرة دفعهم السلطان سيدي محمد بن عبد الله عن مدغرة والرتب.(49)

هذه إذا أهم الطرق التي كانت تتم بها عملية تفويت الملكية الفردية. ورغم الصبغة الشرعية التي كانت تطبع أغلب هذه الطرق إلا أنها مع ذلك ظلت تطرح عدة مشاكل تؤكد كلها على ظاهرة واحدة، هي عدم استقرار نظام الملكية الفردية بمنطقة مدغرة الذي كان يتأثر إلى حد بعيد بالمناخ السياسي العام، وطبيعة عقلية السكان والنمط الاقتصادي السائد وسلطان الطبيعة. وكلها عوامل لها بالغ الأثر في توجيه تاريخ تطور الملكية الفردية بمنطقة مدغرة.

الملكية الجماعية :

لاشك أن منطقة مدغرة خلال مرحلة الدراسة عرفت نظام التملك الجماعي للأرض. وتنقسم أراضي الجموع بمنطقة مدغرة إلى زراعية

47) فقد أقطع السلطان العلوي مولاي سليمان مجموعة من الأراضي لبعض شرفاء القصبة الجديدة بجوار الخطارة المعروفة بخطارة سيدنا بن أحمد بن احفيد بحريم مدغرة الشرقي.

48) انظر الباب الثاني الفصل الأول.

49) أبو القاسم الزياني: الترجمان، م س، ص: 84.

ورعوية. إلا أن الغالب بحقل الدراسة هو أن أراضي الجموع كانت تتكون من المراعي والمحاطب الخاصة بمجتمع القصر. مما يعني أن المقصود بأراضي الجموع بمدغرة هي تلك الأراضي الجرداء الموجودة في حريمها والمخصصة بالأساس للمحتطب والمرعى، وكانت محل نزاع من جهة بين الكسابين من أهل الجبال والمرتفعات والسهوب الصحراوية، وبين سكان قصور مدغرة. وقد سبق أن أشرنا(50) كيف أن أهل مدغرة كانوا على خلاف مع أهل عين الشواطر بخصوص مد محتطب مدغرة الشرقي إلى عين الشواطر، ومن جهة ثانية كانت هذه الأراضي محط نزاع بين مجتمعات قصور مدغرة نفسها. لأن كل قصر كان يصر على المحافظة على محتطبه ومرعاه أو ما تعبر عنه بعض الوثائق المحلية بمنطقة مدغرة وما إليها «ببور البلد». فاعتماداً على بعض الوثائق المحلية الخاصة بمنطقة مدغرة وما إليها، نلاحظ أن أراضي الجموع أو البور حسب بعض الوثائق كانت تحد حدودها بالمعالم الجغرافية كالطرق والوديان والشعاب والقصور السكنية. وأحياناً أخرى بأكوام الحجر أو ما يعبر عنه في هذه الوثائق «بالْكَرْكُورْ». كما أن هذه القطع الأرضية الجماعية كانت تحمل أسماءاً خاصة بها. ولتأكيد كل هذا وغيره، نقف عند وثيقتين محليتن الأولى خاصة بواحة تيلوين،(51) والثانية بقسم مدغرة العليا(52) وكلاهما تبرز الخلاف والخصام بين المجموعات البشرية لمجتمعات القصور حول ملكية هذه الأراضي. فقد جاء في الوثيقة الأولى ما يلي: «الحمد لله لما تنازعوا – يعني تنازع الكراير(53) آل تيلوين مع آل وقة(54) على الحدود بينهم في البور الذي بينهم وبين غريس بتزورين قدموا جميعا لجماعة جلميمة، وجعلوا لهم

---

50) أنظر الباب الثاني الفصل الأول.

51) توجد هذه الوثيقة بخزانة الأستاذ حجامي محمد. ثانوية ابن طاهر الرشيدية.

52) توجد هذه الوثيقة بخزانة الأستاذ عمراوي مولاي عبد الرحمان عمالة الرشيدية، وسنثبتها في الملحق الوثائقي الخاص أنظر الوثيقة رقم: 41.

53) الكراير: هم عرب الصباح بواحة تيلوين وهي نسبة لقصر الكراير بالجرف.

54) آل وقة: سكان قرى واقة وتوجد على الضفة اليمنى لوادي غريس على بعد ستة كيلومترات من مركز كَلميمة في اتجاه الشرق، تابعين لفركلة.

يحلفون الكراير بعشرة حلافين - أي حلافة - على الحدود وحلفوا لهم على الكركور الذي بين العش الكبير مع العش الصغير الذي يولي - أي يوالي - غريس، يأتي مستقيما من وادي ارْجَلْ إلى واد غريس... وتفاصلوا وتبرؤوا بالإبراء التام المطلق العام فمهما قام أحد منهم على الآخر فلا عمل عليه ولا يلتفت إليه طال الزمان أو قصر. شهد عليهم بما فيه عرفهم بأتمه وبتاريخه أوائل ربيع الثاني عام 1325هـ عبيد ربه الجيلالي بن محمد الله وليه».(55) وجاء في الوثيقة الخاصة بقسم مدغرة العليا ما يلي: «الحمد لله لما استولى البرابرة أيت إزدكَ وهم المسمون بأيت عَتُّ وأيت إخْرَمْجِوَنْ على ربع المخزن المشاع مع ثلاثة أرباع من التراب الآتي للزاوية المنسوبة للولي الصالح والعلم الواضح سيدي عبد الله واعمرو بواو الفرق، التراب المشهور بالمسدور بمزارع قصر السوق أرضا بيضاء. الموالية لجبل دايت يمتد طولا من حرث أَرْكِوَنْ لقصر السوق لتنافعت وعرضا من أَرْكِوَن أزمور إلى الطريق الكبير. وكان البرابر - أي البرابرة - المذكورون يتصرفون من غير تمييز في الربع المذكور، وأدى ذلك إلى أن وقع بينهم وبين المقدم على الزاوية وهو البركة سيدي علال بن المرحوم بكرم الله سيدي محمد بن العربي... حتى أدى ذلك إلى رفع شكواه إلى الحكام بقصر السوق مراراً متعددة إلى وقت السيد القبطان حاكم بيرو قصر السوق المسمى «تيمرى». ودخل بينهم للصلح والخير قطعاً لشغبهم، فامتثلوا جميعاً أمره... فجعل بين تراب الزاوية وتراب البرابر حدا معلوماً وهو أربعة كراكر عرضاً حدا بين الفريقين، فتراب الزاوية من الكراكر إلى ناحية القبلة وتراب البرابر منها إلى فوق. وقبل كل واحد منهم ما فعل الحاكم المذكور، في 11 جمادى الأولى 1345هـ الموافق لنفمبر سنة 1946...».(56)

وعلى العموم فقد كانت الأراضي الجماعية لا تفوت ولا تحجز، فقد أشار أحد الباحثين أن هذه الأراضي لازالت لحد الآن تسير وفق مقتضيات ظهير 26 رجب 1337هـ الموافق لـ 27 أبريل 1919م بعد أن كانت الأعراف المحلية هي التي تضبط شؤونها.(57)

55) أنظر الوثيقة رقم: 42 في الملحق الخاص بالوثائق.
56) أنظر الوثيقة رقم: 41 في الملحق الخاص بالوثائق.
57) مصطفى بوشعراء، الإستيطان والحماية بالمغرب، ج: 1 ص: 330، المطبعة الملكية الرباط 1984.

لما كانت مجتمعات القصور بمنطقة مدغرة وما إليها تبدي نوعاً من التشبث المفرط للمحافظة على مسارحها ومحتطباتها، فإنها لم تكن تسمح لأي كان باستغلال حريم البلد حتى لو تعلق الأمر بالإمام، ففي نفس هذا الاتجاه حرمت الأحكام الفقهية على أي كان إحياء حريم البلد حتى لو تعلق الأمر بالإمام، لأنها ملك للجماعة وليس للفرد. فقد أجاب سيدي محمد بن سعيد عندما سئل عن رجل أراد أن يحيي أرضاً ميتة داخل حريم بلده قال: «فهي حريم عمارتهم ومرافقهم لا ينازعهم في ذلك أمير ولا غيره، فليس لأحد أن يملكها بالإحياء بوجه ولا بحال».(58) وأضاف الإمام ابن شاس: «حريم البلد ما كان قريبا منها تلحقه مواشيها في الرعي في غدوها ورواحها وهو لهم مسرح ومحتطب، فهو حريمها وليس لأحد إحياؤها».(59) وبنفس ما اختلف الفقهاء في مسألة إحياء حريم البلد باعتباره من الأراضي الجماعية اختلفوا كذلك في مسألة تقسيمه بين الأفراد. فمن الفقهاء من يراه ومنهم من لا يراه.(60)

كما عرفت منطقة مدغرة خلال مرحلة الدراسة نظام التملك الجماعي للأراضي الزراعية داخل الغابة بمنطقة مدغرة، وهذا ما توحي به قراءة سريعة لبعض الرسوم العدلية الخاصة بالملكية العقارية بالمنطقة كالحديث عن الأرض المشاعة أو شياعاً أو الربع أو النصف المشترك. ولتوضيح هذا نورد بعض ما جاء في بعض هذه الرسوم، فقد جاء في أحد هذه الرسوم ما يلي: الحمد لله اشترى بحول الله التهامي بن علي بوبكر من حراطين توريرت مدغرة من البائع له بلديه الشريف سيدي محمد بن علي بن محمد جميع ماله معه شيوعاً ببقعة هلال».(61) وجاء في رسم آخر ما يلي: «الحمد لله اشترى السيد مولود بن علي وأخوه – يعني أخاه – التهامي بن علي من حراطين توريرت مدغرة من البائع لهما مولاي علي بن المصطفى ثلاثة أربع

---

58) الشيخ عيسى بن علي الحسني العلمي: كتاب النوازل، تحقيق المجلس العلمي بفاس، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. مطبعة فضالة المحمدية 1983، ج: 2، ص: 282.

59) عيسى بن علي الحسني العلمي: النوازل، م س، ج: 2، ص: 182.

60) أنظر عيسى بن علي الحسني العلمي، م س، ج: 2، ص: 184.

61) أنظر الوثيقة رقم: 3 في الملحق الوثائقي الخاص.

– يعني أرباع – من الفردي المسمى هلال...».(62) إلا أن ما يلاحظ على هذا النوع من الملكية الجماعية الموجودة بغابة منطقة مدغرة أنها في الغالب ملكية جماعية أسروية عشائرية. حيث كانت العائلات المرتبطة فيما بينها دموياً تشترك في حيازة ما أو مجموعة من الحيازات تمنع دخول فرد غريب إلى الجماعة الأسروية للحيلولة دون انتقال جزء من الأرض إلى فرع أسروي أو عشائري آخر، وسخرت لذلك مبدأ الشفعة لمنع التفسخ والتجزئ والإنتقال.

أراضي المخزن أو الدولة :

وقد كان هذا الصنف من الأراضي خاضعاً للدولة، ولم تكن تنتفع به إلا القبائل التي كانت مشهورة بصفاتها الحربية وبولائها وخدماتها للسلطان. وبالرجوع إلى كرونولوجية أخبار مدغرة، نلاحظ أن هذه الأخيرة لم تكن تساهم في الحركات المخزنية والتجييش. مما يعني أن هذا النوع من الأراضي التي كانت تقطعها الدولة للقبائل الموالية لها كانت نادرة إلى منعدمة. هذا وإن كنا لا نستبعد أن تكون الدولة السعدية قد منحت بعض الأراضي لمجموعة أولاد بوحمو الذين كانوا بمثابة ممثلي الإدارة المخزنية خلال مرحلة حكم الأشراف السعديين، إذ كانت هذه الجماعة حسب ما يفيدنا به مخطوط فتح القدوس بمثابة عمال الدولة السعدية بقصر قلعة تاوريرت بمدغرة.(63) كما لا نستبعد أيضا أن تكون الدولة الوطاسية وبعدها الأسرة السعدية قد أقطعتا منطقة مدغرة للعلويين.

لقد حاولنا أن نتتبع نظام الملكية العقارية بمنطقة مدغرة لاسيما تلك المتعلقة بالمخزن، ومع الأسف الشديد لم تسعفنا المادة العلمية التي استطعنا الإطلاع عليها إلا بالقليل النادر جدا. ونفترض أن تكون إقطاعات الاستغلال التي قد تكون الدول التي تعاقبت على حكم المغرب قد منحتها للمجموعات البشرية أو لأفراد قد تحولت إلى ملك خاص لاسيما خلال

---

62) أنظر الوثيقة رقم: 7 في الملحق الوثائقي الخاص.

63) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م س، ص: 69 – 70.

الفترات العصيبة. هـذا وإن كان المخزن يسترجـع جزءا منها أو جلهـا بعد استعادة عافيته متى شاء.(64) مما يعني أن الهبة والتـوريث والبيع، وكذلك الإقطاع كانت من بين أهم العوامل التي ساعدت على تقلص الأراضي المخزنية بمدغرة. إذ بعد فحص دقيق لمختلف الرسوم والوثائق العدلية التي استطعنا جمعها لم نعثر إلا على إشارتين أو ثلاثـة تتعلق بأراضي المخزن داخل غابة قصور مدغرة. فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد في أحد هذه الرسوم ما يلي: «اشترى بحول الله الشريف سيـدي لحبيب بن محمد بن محمد ضما... بن العابد جميع الفدان بما اشتمل عليه من النخيل وأشجـار الزيتون سوى ما فيـه للغير. الكـائن بمـوضع يعـرف لـديهم بجنـان المخـزن قـرب تاوريرت...».(65)

ويغلب على الظن أنـه قبل مـرحلة مطلع القـرن 20م الذي يـوافق وكما سبق أن أسلفنا مـرحلة التطـور الحاصل في بنية الملكيـة العقاريـة بمنطقة مدغرة، كانت أراضي المخزن تباع وتتملك من طرف الخواص. لهذا نفهم لماذا أصبح قضاة مدغرة مع مطلع القرن 20م يصرون في الخبرة التي يكلف بها القائد المخزني على ضرورة معرفة الوضعية القانونية للقطعة الأرضية المراد بيعهـا وهل هـي خاليـة من موانع التفـويت كوجـود حق فيها للمخـزن أو الحبس، ويظهر ذلك من خلال مراسلة القاضي للقائد. قال: «فنطلب منك أن تبحث هل المستأذن فيـه ملـك للمستأذن يتصرف فيـه من غير نـزاع وهل بأيـالتك من الأملاك القـابلة للتفـويت، ولاحق فيه لجانب الحبس والمخـزن الشريف...».(66) ويمكن اعتبار هذا المنحى الجديـد الذي أصبح يطبع عملية البيع والشراء للقطع الأرضية بمنزلة دليل محسوس يؤكد كثرة الخصومات بين البائع والمشتري من جهة، ومن جهة ثانية نفترض أنه قبل هذا التاريخ كانت تفـوت أراضي المخزن من فـرد أو مجموعة أفـراد متسلطين عليها إلى

---

64) Lazarev (G): Les concessions fonciers au Maroc. in annales marocaines de sociologie, pp: 99-135 Rabat 1968.

65) أنظر الوثيقة رقم: 43 في الملحق الوثائقي الخاص.

66) أنظر الوثيقة رقم: 2 في الملحق الوثائقي الخاص.

آخر أو آخرين مشترين. وهذا من شأنه كذلك أن يفسر لماذا تقلصت أملاك المخزن بمنطقة مدغرة على الأقل حسب الوثائق التي بين أيدينا. ويؤكد من جهة أخرى أنه كانت توجد بمنطقة مدغرة أراضي الدولة التي غالباً ما كانت تنتفع بها المجموعات الموالية للسلطات القائمة. إما كممثلين مخزنيين أو كعساكر مخزنية لقاء الخدمة العسكرية أو الإدارية.

أراضي الأحباس :

تشكل أراضي الأحباس بمنطقة مدغرة حيزاً هاما في نظام الأراضي الزراعية، ويمكن أن نقف بحقل دراستنا على نوعين من أراضي الأحباس :

1 - أراضي الأحباس العامة :

وتشمل على الخصوص أراضي أحباس المساجد وأراضي أحباس الزوايا :

أ - أراضي أحباس المساجد :

لا يخلو أي قصر من قصور مدغرة من أحباس مسجد القصر (الجامع). ويعتبر ريع هذه الأراضي بمثابة الإعتمادات المادية لتسيير المساجد بمدغرة. وكانت تقسم هذه المداخل إلى قسمين، فبينما كان يصرف قسم خاص للنفقة على لوازم «الجامع» (كشراء الحصاير - الحلاليب - الدلاوه - أي الدلاء - زيت الإنارة وترميم المسجد وغيرها) كان القسم الآخر يصرف لأداء مرتبات الإمام والمؤذن والناظر، وغالباً ما كان مجتمع القصر يمكن الفقيه المشارط بمسجد القصر من استغلال هذه الأراضي بنفسه والتصرف فيها مدة مشارطته بمسجد القصر. ولم تكن الأحكام الفقهية تسمح لمجتمع القصر التدخل في غلات أراضي أحباس المساجد أو منع الإمام من إحدى غلاتها، بل إن الإمام كان ينتفع بها من جميع الوجوه، فقد سئل سيدي إبراهيم الجيلالي عن إمام قوم لازم في مسجد في وقت طيب الزيتون... وشرط عليه أهلها أن لا يأخذ الغلة المقبلة إن طابت وهو بها،

فأجاب لا شرط للجماعة فيها ولا ملك ولا تصرف لهم، إلا على مقتضى نية محبسها وهو تصريفها فيما جعل تصريفها فيه، واشتراطهم مما اشترطوا ظلم للمحبس وللإمام وخروج عن نية المحبس».(67)

ولما لم تكن هذه الأملاك أحياناً كافية لتغطية كل مصاريف المسجد وشرط الفقيه والمؤذن والمرتبين، فإن مجتمع القصر يعمد إلى كراء هذه الأراضي عن طريق المزاد العلني (الدلالة) - حسب التعبير الحالي -، ويظهر أن الأراضي المحبسة على المساجد إما أن تكون أوقافاً من أحباس الملوك(68) وإما من غيرهم من ذوي الثراء المادي والصلاح، ويندرج في هذا الأولياء وزعماء الزوايا، وكذلك أملاك الأسر المنقرضة، إما بفعل الهجرة أو نتيجة للكوارث الطبيعية التي كانت تجتاح المنطقة.

ب - أراضي أحباس الزوايا :

كان شيوخ الزوايا بمنطقة مدغرة يحبسون بعض الأراضي على زواياهم لضمان بقائها واستمرارها، ويخصص ريع هذه الأراضي للإنفاق على أبناء السبيل وطلاب العلم والغرباء. فقد جاء في مخطوط فتح القدوس أن «مولاي بن علي حبس على الزاوية - أي زاوية تاوريرت - والمسجد أوقافاً كثيرة ومدائن من النخيل عديدة، فقامت بها تلك الزاوية... ويحكى أنه حبس جنيناً له قرب المسجد مشتملاً على أراضي ونخيل وأشجار الفواكه على اختلافها، وكان من أحب أجنته إليه وجعله حبوساً على المسجد رضي الله عنه...».(69) وقد اهتدى أحد الدارسين إلى القول، بناءاً على ما جاء في مخطوط «المزايا بما أحدث بأم الزوايا» لمحمد بن عبد السلام الناصري أن الأملاك التي كانت تحبس على الزاوية كان يستغل ريعها للخدمات الاجتماعية والدينية، ولم يكن من حق شيخ أو رئيس الزاوية أن يتصرف

---

67) الشيخ عيسى بن علي الحسني العلمي: النوازل، م س، ج: 2، ص: 318 - 319.

68) فقد حبست السيدة عودة بنت أحمد بن عبد الله الوزكيتي والدة السلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي على مسجد باب دكالة أو مسجد الحرة أوقافاً لا تحصى. أنظر: التقي العلوي، مجلة كلية الشريعة عدد 1 السنة الأولى، م س 1976 ص: 54.

69) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م س، ص: 70.

فيها أو يحول بعض منافعها لخدمة أموره الخاصة،(70) وهذا يدل على أن الزوايا كانت تحاول المحافظة على أسسها المادية التي تضمن لها الدوام والإستمرار بجعلها تحت تصرف مؤسسة الزاوية، وتبعد تدخل أبناء الشيخ للإنتفاع بها والتصرف فيها، لئلا يكون ذلك فرصة للنزاع بين أبناء شيخ الزاوية. سيما إذا أصبح رؤساء الزاوية يتصرفون في هذه الأملاك وكأنها ملكهم الخاص.

ولا يقتصر انتفاع الزاوية ومسجدها فقط على الأملاك العقارية المحبسة عليها، بل نجد أن الزوايا تستفيد كذلك من الهبات والصدقات، وأيضا من التبرعات من عامة الناس ومن السلاطين. فقد ذكر شارل دفوكو أن تمثيلية الزاوية الدرقاوية بقصر كَاوز بمدغرة كانت تستفيد من هبات سلطانية كان يبعث بها سلاطين الوقت إلى زعيم الزاوية الشريف سيدي محمد العربي الدرقاوي: «ومنذ سنتين كان السلطان – يعني الحسن الأول – قد بعث إليه هبة مالية تقدر بحوالي أربعين قنطاراً، والقنطار يعادل بمنطقة مدغرة 125 فرنك».(71) واعتماداً على إحدى الوثائق المحلية، كان شرفاء القصابي بملوية يبعثون بتبرعاتهم إلى تمثيلية الزاوية الدرقاوية بجاوز مدغرة، فقد جاء في الرسالة الجوابية للشيخ سيدي محمد التقي بن محمد العربي الهاشمي الحسني إلى مقدم شرفاء القصابي ما يلي: «... الخير الأرضى البركة العظمى والد خيرة الأسنى المقدم المعظم الشريف الرباني سيدنا ومولانا علي بن الحسن بالأقصابي أيدك الله... أما بعد فقد وصلنا ما أرسلت للزاوية من الزرع مع المقدم المعظم سيدي مولاي المك – أي المكي – تقبل الله منك وقوى مددك وجعل البركة فيك... في آخر رجب الفرد عام 1310هـ».(72) وإذا كانت المادة العلمية المتوفرة لا تكشف عن دوافع هذه التبرعات سوى التأكيد على أنها مَـثْـوَبَـةٌ إلى شيخ الزاوية، كما يظهر ذلك من خلال الوثيقة المنصوص عليها أعلاه. إلا أن الدور الذي كانت تقوم

70) أحمد البوزيدي: درعة، م س، ص: 418 هامش 1.

71) Faucauld (ch. de) : Reconnaissance, op cit, p: 352.

72) أنظر الوثيقة رقم: 58 في الملحق الوثائقي الخاص.

بـه الـزوايا بمنطقـة مـدغـرة، وما إليهـا في حل عـدد كبير من المعضـلات الاجتماعية وعلى رأسهـا الإطعام زمن الجوع، قـد يكفي لإدراك دوافع هذه الهبات مهما كانت مصادرها. فقد كـان المخزن العلوي كما يظهر من خلال هبة السلطان الحسن الأول العلوي لشيخ تمثيلية الزاوية الدرقاوية بمدغرة يعمل على مكـافأة بعض الزوايـا لقـاء إيصال إشعـاع المخزن إلى الجهـات النائيـة. وذكر مولاي علي بن المصطفى أن مولاي البكـري بن علي بن عبد اللـه بن علي بن طـاهـر، انتقـل من زاويـة والـده سيـدي مـولاي بن علي بتاوريـرت إلى ضريح جده مـولاي عبد اللـه بن علي بن طاهـر وبنى هناك زاويته، وسكن بها وصار يقري الضيف ويكسب المعدوم ويعين على نوائب الظهر، والناس يأتون إليه أفواجاً للزيارة ويتبركون به».(73) وأن أحد أنجال مـولاي البكري ويتعلق الأمـر بمولاي عبـد الهادي، فهـو الذي بنى سـور الزاوية أيام السيبة وحبس على الزاويـة والمسجد أوقافاً كثيرة... وكان يقدم لقبيلـة أيت حمزة على عادة والـده لأنهم يخدمـونهم ويقدمـون لهم هديـة ثمينة، ويقدمون إليهم بوفـدهم مرة أو مرتين في السنة، ويأتون بخير كثير من دراهم وصـوف وسمن وغيرهـا...».(74) وهـذا يعني أن هـذه الزوايـا ومساجدها لم تكن تقتصر فقط في تسييرها على الإعتمادات المستخلصة من الأراضي المحبسـة عليهـا رغم كثـرتها، بل استفـادت أيضـا من الهبـات السلطانية ومن تبرعات عامـة الناس. ولا يستبعد في هذا المضمار أن تكون بعض الزوايا قد اهتمت بشراء الأصول وإلا كيف يمكن أن نفهم ذلك الثراء الذي كانت تتمتع به بعض الزوايا بمدغـرة. فالحافظة الشعبية المحلية تذكر أن مسجـد زاوية مـولاي بن علي – أي زاوية تـاوريرت – كـان من أغنى المسـاجد بمـدغرة على الأقل خـلال مـرحلة التأسيس. فعـلاوة على رواتب المؤذن والإمام والناظـر والمرتبين وما إلى ذلك، كانت الزاويـة تشتري للإمام حتى كبش أضحية العيد.

---

73) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م س، ص: 225 – 226،

74) نفس المصدر، ص: 251.

2 - أراضي الأحباس الخاصة :

والمقصود بها هي تلك البقع الأرضيــة التي يحبسها أشخـاص معينون على أبنائهم وحفدتهم من الذكـور وأحياناً على الإناث(75) ما تناسلوا، ويتم هذا التحبيـس عادة بمقتضى رسم عـدلي يحدد الأرض المحبسة ومـوقعها وجوارها. مع ذكر إسم المحبس والمحبس عليهم وشروط تحبيسه وإلا اعتبر هذا الحبس مبهما.

من خـلال فحص مختلف الرســوم المتعلقة بـالحبس في منطقة مـدغرة، يـلاحظ أن هـذه الأخيرة ســارت على ما أجمعـت عليه القـواعـد الشرعيـة الإسلاميـة والأحكام الفقهية. وأصبحنـا نميز مـا بين الحبس «الدَّايَـمْ» أي المستمر وهو الذي ينتفع به أولاد المحبس ما تناسلوا. والحبس «الميت» وهو الـذي ينتفع بـه بنـات المحبس فقط دون أن يستمـر أو ينتقل إلى أولادهن. ويعود هذا الحبس بمجرد وفاة المستفيدة منه إلى أقرب أقرباء المحبس. مما يعني أن الغرض من الحبس هو ضمان تمتع الأسرة الـواحدة بموارد أراضي الأسرة بصورة دائمة، ويكشف عن رغبة سكان المنطقة في الإحتفاظ بالأرض باعتبارها إحدى وسائل الإنتاج الأساسية في أعقابهم دون سواهم.

2 - نظام الماء :

سبق أن أشرنا(76) أن مشكلة الماء كانت ولا تزال وراء جملة من المشاكل التي كانت تعرقل السير العادي والطبيعي للنشـاط الزراعي بمنطقة مدغرة، كما كانت هذه المشكلة وراء جل المشاكل التي كانت تعصف بروح التعايش والتساكن بين مختلف العناصر التي كانت تتكـون منها مجتمعات القصور بمدغـرة وبين القصور نفسها، لاسيما عنـدما ينضب ماء النهـر، وتتسابق القصور بالفـوز بالأسبقية لري أراضيها. ويبلغ الصراع شأوه عنـدما تبدأ

---

75) ونشير ومن بـاب الملاحظة أن قصر أولاد امحمـد تـوجد بـه الأحبـاس الخاصة بكثـرة من بين مجموع قصور مدغرة الأخرى، لا سيما تلك التي حبسها مولاي بن السيد على أولاده وأحفاده. مما كان يطرح على قضاة مدغرة جملة من المشاكل المستعصية المتعلقة بها.

76) أنظر الباب الأول الفصل الثاني.

البوادر الأولى للفيضانات أو دورات الجفاف. مما جعل الماء بمثابة المحرك الأساسي لكل المجتمعات الصغيرة كما هو الحال بمنطقة مدغرة، لدرجة جعلت ملكية الماء لا تقل أهمية عن ملكية الأرض. باعتبارهما أهم وسائل الإنتاج الأساسية التي لا يمكن الإستغناء عنها بأية حال من الأحوال في مباشرة العملية الزراعية، وبالتالي البقاء والإستمرار. لهذا لا غرو إذا وجدنا «بروديل» ينعت قلة أو انعدام الماء بالموت،(77) لاسيما بالواحات الجنوبية المغربية. ولا غرو كذلك إذا كانت عملية بيع وشراء الأصول تؤكد على الماء والأرض معا في الأشرية والبيوع وقرب البقع الأرضية من المجاري المائية والقصور السكنية، وكأن الماء كان بمثابة محدد لسعر الأرض.

*** أنماط الري التقليدية :**

- السواقي «السواكَي» :

كان سكان مدغرة منذ القدم يستفيدون من مياه نهر زيز عن طريق إقامة مجموعة من السواقي على ضفتي النهر، ويتم ري الأراضي بطريقة تقليدية. تقضي بإنشاء سد منخفض من الحجارة والأعشاب، وهو ما يعرف في الأوساط الزراعية المحلية «بأكوك» في عرض وادي زيز. ينشأ عنه مسطح مائي تأخذ منه ساقية ترابية تختلف أبعادها حسب كميات المياه التي تنساب فيها، وحسب المساحة الزراعية التي تستفيد من مائها، ويصل طول السواقي في غالب الأحيان إلى عدة كيلومترات.(78) فمثلاً ساقية الحاجية(79) تنطلق من جنوب قصيرة تَزَمُّورِيتْ وتمتد إلى قصر أيت مسعود. وتتفرع عن هذه السواقي الكبيرة سواقي صغيرة، ومن هذه الأخيرة تتفرع المصارف التي تتخلل البساتين والحقول بالغابة.

يظهر من خلال جرد مختلف السواقي الترابية الكبيرة التي كانت موجودة بمدغرة أن ساقية ترابية كبيرة واحدة تسقي مزارع مجموعة من القصور، قد يصل عددها في الغالب إلى خمسة قصور. رغم أن اسمها

---

77) Breaudel (F) : la méditerannée et le monde méditerannen, op cit, p: 158.

78) Meunie (D - J) : Maghreb et sahara, société de géographie. Paris 1973 p: 180.

79) أنظر الجدول الخاص بالسواقي في الصفحات اللاحقة.

يقترن باسم أحد هذه القصور. مما يعني أن كل قصر لم يكن ينفرد بساقية كبيرة. فمثلاً نجد الساقية الحاجية نسبة لقصر أولاد الحاج تستفيد منها قصور: أولاد الحاج، أولاد أبي ناجي، القصر الدخلاني التحتاني - القصر الدخلاني الفوقاني - قصر أيت مسعود وزاوية مولاي البكري. والغالب على الظن أن السبب في ذلك هو أن حمولة الساقية الكبيرة قد لا تكفي لري مزارع قصور أخرى بصورة منتظمة وكافية. وهذا يعني أن القصور التي تستفيد مزارعها من ماء ساقية واحدة كانت تشكل «حلفا». فبقدر ما كانت هذه القصور تستفيد من ماء الساقية كان على سكان القصور المستفيدون من مائها حمايتها وصيانتها وتعهدها بالكنس «الْـفْـرِيسْ».(80) كلما تطلب الأمر ذلك. سيما وأنه غالباً ما كانت الفيضانات القوية تأتي على السدود الإعتراضية الترابية، ويتهدم معها فم الساقية. وتعتبر الساقية بمدغرة نموذجاً حيا للتآزر والتضامن الإجتماعيين الذي كان سائداً بين مجتمعات القصور المستفيدة من ماء الساقية الواحدة. فكان سكان هذه القصور يتكلفون جماعياً بكنسها وبناء السد الترابي وحفر الساقية ومجاريها من منبعها في عرض الوادي إلى مصبها في الحقول، وهو ما يسمى في الأوساط الزراعية المحلية «بالتويزة». وهذا النوع من التويزة يكون جماعياً وإجبارياً حتى إن النداء الذي يعلن عن بدايتها يحمل شعار الخروج عن «حد الصايم» - أي أن هذا العمل - يشمل جميع الذكور البالغين الراشدين. وكانت الأعراف المحلية لا تتورع في معاقبة كل من تخلف عن هذا العمل الجماعي الإلزامي، كأن يفرض عليه مجتمع القصر أو الجماعة إعداد وليمة يطعم فيها ثلة من رجال جماعته غالباً ما كانت تحدد في إثنى عشر فرداً يعينهم شيخ جماعة القصر. وهذا ما يعرف في الأوساط المحلية «بِـالنّْـزُولْ»، وحتى إذا، لم يكن بمقدور الفرد المساهمة في عملية «الفريس» لسبب ما فإنه كان يكلف من ينوب عنه، ونشير إلى أن عدداً من شرفاء مدغرة كانوا ينيبون عنهم في هذا العمل الجماعي الإلزامي مجموعة

80) الْفْـرِيسْ مفرده أَفْـرَاسْ وهي كلمة بربرية وتعني الكنس، وهي التنقية والتنظيف وإزالة ترسبات الحمولة النهرية من المجاري المائية.

من الحراطين مقابل أداء أجر مادي حتى ولو كانوا مرتبطين بهم بعقد الخماسة.

وكانت القصور المستفيدة من ماء ساقية ترابية كبيرة ما تعهد إلى خبير خاص مهمة الإشراف على تنظيم شؤون الساقية، إذ يكلف بتنظيم السقي وضبطه، ويعرف هذا الخبير بمدغرة وتافيلالت بشيخ الماء(81) وعامل الساقية بمنطقة درعة.(82) وهو غير السرايفي الذي كان يشرف على عملية توزيع مياه جميع الفجارات في القصر الذي ينتمي إليه بمنطقة فجيج.(83)

وتقتصر مهمة شيخ الماء على تنظيم وضبط السقي وكنس الساقية الأم، حيث كانت الفيضانات تهدم فمها، وترسب العشب والطمي في قعرها. ومثل هذه المهام كان لا يقوم بها إلا من له دراية واطلاع كبير ودقيق بكيفية توزيع مهام «فريس الساقية» على مختلف القصور المستفيدة من مائها. وأحيانا كانت مشيخات القصور المشتركة في ساقية واحدة هي التي تتكلف بالإشراف على الكنس بعد الاتفاق وتحديد اليوم، ويتم الإعلان عن فريس الساقية بواسطة «الْبَرَّاحْ» أو عن طريق شيوخ جماعة القصور.

*** طرق تنظيم السقي :**

- ملكية الماء :

خلافاً لما هو موجود بواحة فجيج حيث كان الماء من جملة الأملاك العقارية الخاصة، يخضع لما تخضع له الأرض من أشكال الإستغلال والإنتقال عن طريق البيع والشراء والإرث والرهن والكراء.(84) فإن وضعية الماء بمنطقة مدغرة وتافيلالت كانت ملكاً جماعياً لكل الفئات المتساكنة داخل القصور.(85) وتخضع الملكية الجماعية للماء لكل الإجراءات الشرعية والقانونية التي تخضع لها الممتلكات الجماعية، من حيث حق استفادة

81) Roché (P): L'irrigation dans le Sude du Maroc C.H.E.M. Paris 1946 p: 7.

82) أحمد البوزيدي: درعة، م س، ج: 2، ص: 430.

83) أحمد مزيان: فجيج، م س، ص: 143.

84) أحمد مزيان: فجيج، م، س، ص: 144 – 145.

85) Rass (E.D): resistance in the desert the university of wisconsin U.S.A. 1977 p: 94.

جميع مكونـات مجتمع القصر منها. لاسيما ميـاه النهر والعيون والسـاقية الأم التي هي ملك لمجتمع القصر أو مجمـوعة من القصور المستفيـدة منها. ويتم توزيع ماء السـاقية الترابية الكبيرة حسب قاعـدة متعارف عليها هي «النوبة» التي يمكن أن نحددها زمنياً بـ 12 ساعة. ويبدأ السقي من الأعلى إلى الأسفل بواسطـة نظام الـربطة، فالـربطة، وهـو عرف عـام سائد بكل مجتمعات الواحـات ببلاد المغرب الكبير. وجديـر بالإشارة أن هذه القـاعدة تطبق في فترات شح الأمطـار. أمـا خــلال الفترات الممطـرة، فإنها تنعـدم. وينتفع المستفيد من نوبتـه ويومه، وكلما انتهت دورة كاملـة يعود التناوب على السقي من الأعلى إلى الأسفل.

ولا تظهر الملكية الفردية للماء إلا عندما ينساب الماء من الساقية الأم إلى قنوات الصرف«المصارف». وإذا كان الماء لا يباع أو يشترى بقسمي مدغرة الوسطى والسفلى، فإن هذه المسألة كـانت وما زالت لحد الآن بقسم مدغرة العليـا لا سيما بساقيـة تَـمَــزَّاوْرُوتْ. بل الأكثر من ذلك أنـه بهذا القسم الأخير من مدغرة كـان الأهالي ومازالوا يفصلـون بين ملكية الأرض وملكية الماء. لهذا لا غرو إذا وجدنا الوثـائق الخاصة بهذا القسم الأعلى من مدغرة تتحدث على أن هناك من يبيع أرضــه دون حصتها من الماء. وهذا يدل على أن طرق تنظيـم السقي وتوزيعـه تعتبر أكثر غمـوضاً وتعقيداً مـن أشكال ملكية الماء والأرض. على اعتبار أن طـرق تنظيم السقي ما هي في الواقع إلا نتائج تجارب المجموعات البشريـة التي تعاقبت على سكنى المنطقة، بل هي إحـدى النتــائج التي تمخضت عن مشكل قلــة الماء والتهـافـت عليـه بين المجموعات البشرية المتســاكنة. وما يؤكد هذا هـو الاختلاف الكبير في طرق توزيع الماء من ساقيــة إلى أخرى داخل الواحة الواحدة، بـالإضافة إلى تعدد المصطلحات المعيارية المتداولة في هذا القسم أو ذاك، وفي هذه الواحة أو تلك.

صحيح أنــه سبق أن تحدثنـا أن تنظيم السقي بمنطقـة مـدغـرة كـان يخضع للنوبـة. إلا أن هذه الأخيرة لم تكن هي المحـدد الكمي لتوزيع الماء، بل هي محدد زمني فقط. على أن المحـدد الأسـاسي لهذا التوزيــع والذي ظل سارياً في منطقة مدغرة وإلى وقت قريب جدا منا، بل وإلى الوقت الحالي هو

نظـام الأمداد من الـزريعـة. فقد كـان الماء يـوزع حسب مـا هو مـزروع ومحروث من الـزريعة، لهذا نجـد الوثـائق المحليـة الخاصة بتـوزيع الماء تتحدث عن نوبة ونصف نوبة وربع نوبة. هذا على مستوى الأسر، أما على مستوى القصـور نجد هذه الوثـائق تتحدث عن يومين وأربعة أيـام ويوم ونصف اليـوم. مما يعني أن نظـام النـوبة لم يكن يخضع لحجم الملكيـات الزراعية، ولا للنفـوذ المادي للأسر بقدر ما يخضع لنظام «أمـداد الزريعة» هـذا من جهة. ومن جهـة أخرى كـان نظام تـوزيع الماء يخضع للأحكـام الفقهيـة التي حـددت الإستفـادة من الماء إبتـداءاً من الأعلى إلى الأسفل، وحجتنا في ذلك ما جـاء في بعض الوثائق المحلية الخاصـة بتوزيع وتقسيم الماء. قال: «الحمد لله يشـهد من يتسمى إثر تاريخه بأن العرف والعادة بأن أوديـة السفالات... بتقـديم الأعلى على من تحته فـلا يسقي الأسفل إلا بما فضل عن الأعلى...».(86) وهذه المسألـة مطبقة بتمامهـا بمدغـرة. كما نجد الوثائق المحليـة تتحدث عن توزيع وتقسيم «اَلحَمْلَةْ» أنصـافاً بين القصور المستفيدة من مـاء ساقيـة ما. فقـد جاء في إحدى الـوثائق المحليـة ما يلي: الحمـد لله حضر جماعـة الشرفاء أهل القصر الفـوقاني أهل الحل والـربط وجماعة الشرفـاء أهل الشقارنة أهـل الحل والربط... وتراضـوا على قسمة السـاقية الـوسطـانيـة، فصار لأهل القصر الفـوقـاني ومن معهم من ذلك يومين، وصار لأهل الشقارنة ومن معهم من أهل القصر وغيرهم ثلاثة أيام ولأهل مزجيـدة في طراشة في غـابتها ومن معهم يوم واحـد ولأهل الفيضة يـومين ولمن معهم. ومـا ذكـر في الماء الـرقيق(87) يوم الفيض يقتسمـونه أنصـافاً بينهم النصف الأول لأهـل القصر – أي القصر الفوقـاني – وأهل الفيضة ومن معها. والنصف الآخر لأهل الشقارنة وطراشة وغيرهم، وقدر الفيض ثلاثة أيام متصلة فقط...».(88)

---

86) أنظر الوثيقة رقم: 44 بالملحق الوثائقي الخاص.

87) والماء الـرقيق هو مـاء العيون أو الخطـارات، ولم يكن يوجـد بمدغـرة الماء الرقيق لأن العيـون الموجودة في مقدمتهـا ومؤخرتها لم تكن تستفيد منهـا كما أنها لا تستغل مياه الخطارات إلا في الحالات الإستثنائية.

88) أنظر الوثيقة رقم: 45 بالملحق الوثائقي الخاص.

أما بمنطقة مدغـرة، فقد كانت الحملة بدورها تخضع للنـوبة، فقد كان يستفيد من الحملـة القصور التي تصـادف فترة نوبتهـا في السقي حدوث الفيضان النهري بوادي زيز، ولا ينـازعهم فيها أحد حسب ما استقيناه من بعض الرواة.

إن مشكلة قلة المياه بالواحات كانت هي الثابت الحاضر في حياة السكان بوادي زيـز بمدغرة. وقـد كانت هذه المشـاكل تزداد حدة عنـدما ينخفض منسوب الميـاه في مجرى النهر، وتنضب المياه الجوفيـة، وغالباً مـا تتزامن مثل هـذه الحالات مع الفصل الحار الجاف. فقد أشـار الوزان أن القبـائل المتضررة كانت تقوم بعملية هدم السواقـي عندما تنشب بين هؤلاء شقاقات وخصومات «فيتلفون قنوات السقي المجلوبة من النهر، ويقطعون النخل من أسفل».(89) ممـا كان يـؤدي إلى حـروب دمويـة، لهذا لا غـرو إذا وجدنـا الأعراف المحليـة من خلال الـوثائق تصر على تقسيم أيـام السقي، وتحديد الإستفـادة من الحملة وتنظيمهـا، بل إن سعـر الأرض أحيـاناً كـان يحدد بنسبة الماء المتوفر.

والغالب على الظن أن التحـديد والتقنين الـذي تحدثت عنه الـوثائق من حيث توزيع الماء من خلال نظام «الأول فالأول»، وكـذلك نظام النوبة سواء تعلق الأمـر بالماء الـرقيق أو ماء الفيض مـاهو في حقيقـة الأمر إلا إحـدى النتـائج التي تمخضت عن كثرة النـزاع على المياه بـاعتبارهـا أحد وسـائل الإنتـاج الأساسيـة للمستقرين، كما هـو الشأن كذلك بـالنسبة للـرحل. إذ عليها – يعني الميـاه – مدار الإستقـرار وبفضلها عرفت الـواحات نشـاطاً زراعياً منـذ القديم. وكـان الصراع على الماء يؤدي إلى إنشـاء تحالفات ليس فقط على مستوى مجتمع القصر الواحد، بل كذلك على مستوى مجموعة من القصور، سيما إذا علمنا أن المجال الإيكولوجي والظرفية التاريخية سياسياً واجتماعيـاً كـانت لا تسمح لمجتمع القصر أن يعيش منعـزلاً، بل تتحـالف مجموعة قصور فيما بينها مكـونة بذلك وحدات تتحكم فيها، وتجمع فيما بينها وحـدة المصالح والروابـط المشتركة. وهذا مـا يبرر حتى على مستوى توزيع الماء بمدغرة أن مجموعة من القصور تستفيد من ماء ساقية واحدة.

---

89) الوزان: وصف، م س، ج: 2، ص: 126.

ولتوضيح هذا الواقع نقف قليلاً عند أهم السواقي الترابية التقليدية القديمة التي كانت موجودة بغابة قصـور مدغرة. مع تحديد مختلف القصور التي تشترك فيها، وتستفيد من مائها، وذلك من خلال الجدول الآتي :

جدول خاص بأسماء السواقي الترابية والقصور المستفيدة منها بمدغرة

إسم الساقية	القصور المستفيدة منها
1 - أَمَزَّاوْرُو	تيغيورين - أيت وراين ومنطقة إنغاطن* بأيت وراين
2 - التّـَازُوكْتِيِة	تازوكا - تكَـنيت
3 - تمزاوروت(90)	قصر الحراطين - تازوكا - تكَـنيت - تاغزوت - أزمور - تاركَـة تيغيورين - أيت وراين - الرحبة القديمة - الرحبة الجديدة - أيت عقة* - أيت الحاج حساين* - أيت تعرابت* - قصر جديد أيت حمو
4 - التِّسَكْدَلْتِيَّةْ(91)	تسكَـدلت - تاغزوت
5 - الزمورية	تسكَـدلت - تاغزوت - أزمور - تزموريت
6 - التركَـية	تاركَـة ـ تلات* - بوتلامين* - أزمور
7 - الحاجية	أولاد الحاج - أولاد أبي ناجي - القصر الدخلاني الفوقاني - القصر الدخلاني التحتاني - أيت مسعود - زاوية مولاي البكري
8 - الْهـلاَلـيَّـةْ(92)	أولاد الحاج - أولاد أبي ناجي - القصرر البراني التحتاني - القصر البراني الفوقاني ـ زاوية مولاي البكري - قصر هلال المندرس

90) تامزاوروت هو إسم الساقية الكبيرة الموجودة بقسم مدغرة العليا، وتستفيد منها كل قصور هذا القسم، ومنها تأخذ جل السواقي المنصوص عليها بقسم مـدغرة العليا وخاصة سواقي أمزاورو - التازوكتية - التسكَـدلتية ـ الزمورية التاركَـية.

91) تعتبر الساقية التسكَـدلتية نسبة لقصر تسكَـدلت الفوقاني الموجود بقسم مدغرة العليا الساقية الوحيدة بمدغرة التي تحتفظ بالماء حتى عندما ينضب ماء النهر (زيز). مما يعني أنها لا تتزود بالماء النهري فقط بل كذلك من العيون والفرشة المائية الجوفية.

92) لم تعد موجودة الآن وعوضـها توسـع ساقية الحاجية.

إسم الساقية	القصور المستفيدة منها
9 – الماكَـورية(93)	قصر جديد – جزء من قصر أيت مسعود – قصر قلعة تاوريرت – زاوية تاوريرت – الحوش ـ زاوية مولاي البكري ـ وجزء من قصر سيدي أبو عبد الله – أغلال : أغلال يسقي الجهات العليا التي تمر عبرها الساقية الماكَـورية – الوسطانية : تسقي الجزء الأسفل من المزارع التي تمر عبرها الساقية الماكَـورية
10 – الجير	سيدي أبو عبد الله – القصبة الجديدة – القصبة القديمة – تيطاف – أولاد امحمد – بني موسى ـ جاوز – كر أو الكَـاز – أمَّـاسْ(94) يسقى هذا المصرف المزارع الممتدة من غابة قصر سيدي أبو عبد الله إلى جاوز
11 – التازناقتية	بني موسى – جاوز – كر أو الكَـاز – تازناقت وجزء من غابة قصر مسكي على الضفة اليمنى
12 – المسكوية	تازناقت – مسكي وتمتد إلى قصور منطقة الرتب، التي تستفيد غابتها من مياه عين مسكي (طوطو جلف)
13 – المحلوية	أسرير – تسكَـدلت – بني محلي – الحيبوس
14 – المديونية	الحيبوس – مديونة الحدادة – مديونة سيدي ابن الحسن

وجدير بالإشارة أن المساحة الزراعية التي تسقيها هذه السواقي بمدغرة تقدر بحوالي 30 كلم من الشمال إلى الجنوب.

93) تعتبر الساقية الماكَـورية هي أكبر سواقي مدغـرة الوسطى إضافة إلى ساقيـة الحاجية ويستفيد منها ثلاثة عشر قصراً وتتفرع عنها ساقيتين صغيرتين هما أغلال والوسطانية.

94) أمَّـاسْ كلمة بـربرية وتعني ماء الغير. ونشير إلى «اللُّـوِّيدِي» الذي يمتد من شعبـة البياضة إلى قصر سيدي أبو عبـد الله يأخذ مياهه من شعبـة البياضة المكملة لـوادي زيز وليس من عرض النهر المذكور. ويطلق على هذا المجرى اسم اللويدي بمنطقة إِيُحوزَارْنْ. أما في الزاوية الفوقانية – أي زاوية مولاي البكري – فيسمى ماء البياضة.

صحيح أن تربة المنطقة ضعيفة هيكلياً بفعل افتقارها للمواد العضوية الكافية والاستغلال المكثف للأرض. إلا أن تعرض المنطقة للفيضان النهري لوادي زيز كان يجدد شباب هذه التربة بفعل ما كانت تحمله الحمولة النهرية من مواد غرينية مخصبة. لهذا نجد الوثائق المحلية الخاصة بتقسيم الماء تؤكد على تقسيم ماء الفيض نصافاً بين القصور. ولا يمكن أن يفهم هذا الإلحاح إلا في إطار أهمية مياه الفيضانات في تغذية التربة، وبالتالي الرفع من المردود الزراعي. فقد جاء في إحدى هذه الوثائق ما يلي: «ويوم الفيض يقتسمونه نصافاً بينهم...».(95) مما يعني أن الحمولات النهرية كانت تعتبر من المواد التخصيبية الأساسية التي كانت تساهم بضلع وافر في النهوض بالقطاع الزراعي بالمنطقة. وما يشهد على هذه الأهمية في الوقت الراهن هو أنه إذا كان سكان واحات إقليم سجلماسة بما في ذلك منطقة مدغرة قد استبشرت خيراً بإقامة سد الحسن الداخل عند مدخل مدغرة لأنه أراحهم من أهوال الآثار السلبية التي كان يخلفها الفيضان النهري من تدمير للقصور وإتلاف للمحصولات الزراعية بالغابة، وما يتبع ذلك من أهوال أخرى. إلا أنه مع ذلك حرم هذه الواحات من أهم عوامل التخصيب المتمثلة في الغرين الذي تحمله الحمولة النهرية وقت الفيضانات بالأساس. ورغم مد القنوات الجديدة التابعة للسد إلى أغلب واحات إقليم سجلماسة من قسم مدغرة العليا إلى سافلة واحة تافيلالت وتزويدها بما فيه الكفاية بماء السقي.(96) إلا أن المشكلة الأساسية التي أصبحت تعاني منها الحياة الزراعية بالمنطقة هو حرمانها من فائدة غرين الحمولة، لأن الماء المنساب بالقنوات الجديدة ONEP ينبعث صافي من سد الحسن الداخل. الشيء الذي ضاعف من مشاكل الزراعة والمردود، لأنه قبل إقامة السد ومد قنوات السقي الجديدة، كان الأهالي يستفيدون من حمولة النهر عن طريق

(*) أغلب هذه الأسماء هي تسميات لمناطق داخل المزارع بغابة قصور مدغرة وليست علما على القصور.

95) أنظر الوثيقة رقم: 45 بالملحق الوثائقي الخاص.

96) ومؤخرا تم تزويد أغلب قصور الواحات بالماء الشروب.

مجموعة من السدود الحجرية والسواقي الترابية. ولا تقف متاعب الفلاح المحلي عند هذا الحد، بل إن إقامة السد المذكور أصبح يكبس مياه النهر وتجميعها في عاليته. الشيء الذي أصبح يؤثر بشكل سلبي على الفرشة المائية الجوفية. وما يؤكد ذلك أنه خلال الفصل الحار يضطر الفلاح المحلي إلى كنس حاسي الغابة مرات متعددة للحصول على الماء لري البساتين، لاسيما البحاير منها مستعملاً في ذلك أحدث الوسائل التقنية المتطورة في الكنس (المتفجرات مثلا)، وأحدث وسائل جلب الماء من قاع البئر (المحركات).(97) أما عندما يكون الماء جارياً بالنهر، فإن عمق البئر لا يتجاوز في الغالب خمسة أمتار، الشيء الذي جعل الحيازة الزراعية بالمنطقة تساير الفترة التي تزود فيها الجهات المسؤولة عن تنظيم الري الواحات بالماء سواء عن طريق قنوات السقي الجديدة بالنسبة لمدغرة والرتب والخنكَ التحتاني أو عن طريق وادي زيز بالنسبة للواحات الأخرى لتافيلالت. أو إذا حدثت فيضانات جنوب سد الحسن الداخل خلال الفترتين المطرتين الخريفية والربيعية. وكل هذه العوامل مجتمعة كانت تضاعف من متاعب الفلاح المحلي رغم استعماله للأسمدة الكيماوية وبعض الأساليب العصرية المتطورة.

---

97) أما بخصوص التقنيات التقليدية لجلب الماء من البئر أو الخطارة، انظر الباب الأول، الفصل الثاني.

الباب الثالث :

الفصل الثاني :

التقنيات الزراعية وأشكال الاستغلال

1 – التقنيات الزراعية
2 – إعداد الأرض
3 – أنماط الاستغلال وأنواع المنتوجات

أولا : أنماط الاستغلال
أ – الاستغلال المباشر
ب – الاستغلال بواسطة الخماس
ج – الاستغلال بواسطة الشركة
د – الكراء

ثانيا : المنتوجات الزراعية
1 – النخيل
2 – الزيتون
3 – منتوجات فلاحية أخرى

II– الرعي :

الباب الثالث :

الفصل الثاني :

التقنيات الزراعية وأشكال الاستغلال

1 – التقنيات الزراعية :

لم تكن عوامل فقر التربة وقلة المياه وضعف وبدائية التقنيات المستعملة في النشـاط الزراعـي، تحول دون اهتمام فلاحي منطقـة مـدغـرة بالقطـاع الزراعي باعتباره أحد أهم ركائز الاستقـرار بالواحة. وقد شكلت الزراعة في تطورهـا التاريخي دعـامة أسـاسية، ونظـاماً إنتـاجياً ضمنـت الاستغلال الفـلاحي للمنطقـة. واستطاع الفـلاح المدغـري بتعـامله الطـويل مع هـذه السلبيات أن يقيم نظـاماً زراعياً يتـوافق مع كميات المياه النسبيـة الجارية والجوفية وفقر التربة وصغر الملكيات الـزراعية وبدائية التقنيات المستعملة في العملية الزراعية، مع ما ينتاب ذلك من جمود وكثافة سكانية.

وكل هـذا جعل تعدد المحـاصيل الزراعيـة خلال السنـة الواحـدة شيئاً ضرورياً واستراحـة الأرض من قبيـل المستحيل إلا في بعض الاستثنـاءات طبعاً. مما ولد استغلالاً مكثفاً للتربة الفقيرة أصلاً، وهذا ما جعلها في حاجة دائمة إلى مـواد التخصيب بشكل مستمر.(1) الشيء الذي جعل فـلاح منطقة مدغرة لايستغني عن أي عامل من عوامل الإنتاج الأساسية: الأرض – الماء.

---

1) محمد بلفقيه: أوليات في الجغرافية الزراعية، ص: 42 – 43.

لا يمكن أن نتحدث عن الأرض وعن طبيعة ممارسة النشاط الزراعي داخل الوحدات الإنتاجية بمنطقة مدغرة دون أن نتساءل عن طبيعة التقنيات الزراعية وعن تصور الفلاحين لها، فقد أفضت جهود الباحثة فالنسي Valensi إلى القول بأن التقنيات الزراعية في بلاد المغرب لم تعرف أي تطور أو تعديل منذ الفترة الرومانية.(2) وهو نفس الرأي الذي قال به الباحث ألبير عياش.(3) ولا يفهم هذا التقصير في تحديد عوامل هذا الجمود إلا في إطار غياب المعلومات الكافية المتعلقة بتطور التقنيات المستعملة في المجال الزراعي في مناطق الواحات الجنوبية من بلاد المغرب الكبير. مما يفرض علينا الاستعانة من جهة ببعض ما جاء في الكتابات المتأخرة والمتعلقة بمناطق محاذية وقريبة من حقل دراستنا، والتي تجتمع معه في العديد من الخصائص. سيما مع ندرة المادة العلمية في مصادرنا المغربية وهذا طبعاً مع بعض الاستثناءات.(4) ومن جهة ثانية ارتأينا الاعتماد على الذاكرة الشعبية المحلية التي مازالت تحتفظ بجملة من المعلومات حول التقنيات الزراعية المستعملة بحقل دراستنا. وذلك حتى لا نسقط في التعميمات، وننساق بالتالي وراء النظريات والأبحاث التصنيفية.

فعلى عكس مناطق عديدة من المغرب لم تكن أداة المحراث الخشبي هي الغالبة في مزاولة العملية الزراعية. إذ أن ملكية هذه الأداة الأخيرة كانت تعتبر من مظاهر الغنى، ولا يتجاوز ملاكوها بضع أسر بمجموع قصور مدغرة. بل إن فلاحي مدغرة يستعملون تقنية أخرى لقلب الأرض وإعدادها للحرث، ويتعلق الأمر بالفأس(5) والمسحة. وكانت مدغرة قبل نهاية القرن 19م تجلب الفؤوس والمساحي لقلب الأرض وكنس السواقي من بلاد تدغة

---

2) Valensi (L): Le Maghreb avant la prise d'Alger 1790-1830, question d'histoire p: 53 flamarion Paris 1969.

3) ألبير عياش: المغرب والاستعمار، م. س، ص: 42.

4) وأكد على هذه الملاحظة حتى المهتمون بالتاريخ الزراعي الأوُروبي انظر :

Duby (G): guerriers et paysans VIIe siecle, le premier essor de l'économie Europeene p: 22 ed, Ballimard Paris 1973.

5) والفأس الكبير نوعان: فأس بوتمة واحدة وفأس بوتومتين.

والمناجل والمحاش من منطقة إيمْـغِي قرب تدغة، قبل أن يصبح أحد قصور مدغرة خلال المراحل المتأخرة (مطلع القرن 20م) ينتج هذه الأدوات. ويتعلق الأمر بقصر سيدي أبو عبد اللـه، الذي أصبح خلال الفترة المنصوص عليها أعلاه ينتج الفؤوس والمساحي على اختلاف الأحجام.

وإذا كـان الفأس الكبير يخصص بالأسـاس للقلب، فإن الفأس الصغير كـان يخصص للتسـويـة أو مـا يعـرف في الأوسـاط الـزراعيـة المحليـة «بالْـمْـطَـارْحَـةْ». كما كـانت تخصص المسحة وهي جمع على مسـاحي لكنس وتنظيف السـواقي والمصـارف، أو لتحويل الماء سـواء من السـواقي والمصارف باتجاه الحقول أو داخل الحقل الزراعي نفسه. ويمكن أن نقارن هذه الأداة الأخيرة بمنطقـة درعة «بِالْعَـتْـلَـةْ». فقد ذكر أحـد الباحثين أن العتلة كـانت متداولة في درعـة وهي أصغر حجمًا من الفأس، وتستعمل في كنس السواقي وتنظيم السقي وتنظيف مصارف الماء.(6)

نعتقد أن اعتماد تقنيـة الفؤوس في مباشرة العمليـة الزراعيـة على نطاق واسع بمنطقة مـدغرة يرتبط بـالأساس بطبيعـة النظام الزراعي وعـلاقات الارتبـاط بين التـابعين والمتبوعين. وفي هـذا الخصـوص نشير إلى ارتبـاط مجموعة مـن الأسر من فئة الحراطين ذات المهارة الفائقـة في خدمة الأرض والبيوتات بالشرفاء.

وإلى جـانب هذه الأدوات المستعملـة في المجـال الزراعي هنـاك «المنجل» الذي كان يستعمـل في عملية الحصـاد. وهي أداة واسعة الانتشـار بالمغرب بمعنى أنها لا تقتصر على منطقـة مدغـرة بل نصادفهـا في مجموع بـوادي المغرب، وتستعمل لحصاد القمح والشعير خـاصة. كما تستعمل أداة أخرى لجمع حشيش الفصة، ويعبر عنها المحليون بلفظة «الْـمْـحَـشَّـةْ». وهو ما يمكن أن نقابله بمنطقة درعة «بالشاقورة».(7)

ولا تقتصر وظيفـة هـذه الأداة على حش الفصـة، بل إنها تستعمل في القطع الخفيف في العمليات الـزراعية ولنقش البحاير «النْـكَـيشْ». وعلاوة على ذلك تستعمل أداة أخرى لتشـذيب جريـد النخل «التَّـسْـكَـاطْ» وقطع

---

6) 7) أحمد البوزيدي: درعة، م س، ج 2 ص: 424.

أغصان الأشجار وخـاصة قطع التمر. ويتعلق الأمر هنـا بما يصطلح عليه محلياً «بالْـمْـزَبْـرَةْ» وحسب التعبير العربي الفصيح: الْـمِـزْبَـرَةْ. هذا طبعا دون إغفـال بعض الأدوات الأخرى كـالشـاقور المستعمل لقطع الأشجـار، وكذلك أداة الكَـادوم المستعملة أساساً للحفر.

إن جل هذه الأدوات يرتبط وجودها بحـرفة الحدادة. وقد كانت منطقة مـدغرة على غـرار باقي واحـات إقليم سجلماسـة الأخرى تقتني مثل هـذه الأدوات من منطقة تدغة،(8) قبل أن يتخصص أحد قصور حقل دراستنا في صناعتها.(9) مما يعني أن هذا القصر كـان يوفر لمدغرة ما كـانت في حاجة إليه من أدوات فـلاحية، هـذا من جهة ومن جهـة ثانيـة يفيد وجـود هذه الحرفة بالمنطقة أن مدغرة كانت تعرف حركة حرفية تضاهى إلى حد ما ما كان موجوداً بمنطقـة تدغة، ويفيد من جهة ثالثـة أن كثرة الطلب على هذه الأدوات يبين أهمية الزراعة في هـذا الشريط الواحي. فقد كانت كل أسرة من أسر قصور مـدغرة تتوفر في الغـالب على مجموع هذه الأدوات. وغالبـاً ما كانت بعض الأسر لاسيما الثريـة منها تتوفر على الفـائض منها، كما كانت هذه الأدوات الزراعيـة متوفرة لدى الخماسين باعتبـارها وسائل عملهم في حقول غيرهم. وهذا ما يؤكد أهمية هذه الأدوات رغم بساطتها وبدائيتها في مباشرة العملية الزراعية.

وفي نفس هـذا الاتجاه لا يقتصر الحديث فيما يخص التقنيات الـزراعية على أدوات قلب الأرض وتشـذيب أغصان الأشجـار وحش الفصة وغيرهـا من الأعمال الأخرى، بل هناك مجمـوعة أخرى من الوسـائل المساعدة التي تدخل في العملية الزراعية. فإلى جانب حيوانات العمل لاسيما الحمير والبغال التي تعتبر بمثابة معين للفلاحين بروثهـا وجهدها في أعمال الحرث الشاقة، وكأداة للتنقل وحمل الأحمال. والجديـر بالإشـارة في هـذا الخصوص أنـه بمنطقة مـدغرة كانت كل أسرة تتـوفر في الغالب على حيوان واحـد أو أكثر، ويشكل امتلاك حيـوان العمل مؤشراً آخـر يحدد نوعـاً من التمايز الطبقي.

---

8) Rosenberger (B): Les vieilles exploitations minières, op cit, p: 76.

9) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

فقد كانت بعض الأسر بمدغرة تتباهى بامتلاكها للدواب لاسيما من صنف البغال، وأحياناً من صنف الحمير القوية البنية، الشيء الذي يجعل هذه الأخيرة تقارب جهد وقوة البغال، ويعرف هذا الصنف من الحمير بمدغرة «بِحْمَارْ بَغَّالِي». وأحياناً أخرى تجمع بعض الأسر بين ملكية صنف واحد أو صنفين من حيوانات العمل. ويميز المحليون بين حيوانات العمل الخاصة بالخدمة والحيوان الخاص للتنقل ويسمى: «بَغْلَةْ السْرِيجَةْ». وقد تستعمل أيضاً لحمل الأثقال أو لنقل المحاصيل والبضائع.

وعلاوة على الاستغلال الفردي لهذه الحيوانات في مزاولة العمل الفلاحي عامة، كانت تستعمل أيضا في الأعمال الجماعية كالدرس والحصاد والاحتطاب والسفر الجماعي، وكانت الأعراف المحلية تنص على ضرورة «تَعْشِيَّةِ» حيوانات العمل من طرف الشخص أو الجماعة التي تستعيرها في أحد هذه الأعمال. ونظراً لأهمية هذه الأدوار التي كانت تقوم بها حيوانات العمل فقد نصت الأعراف المحلية لمنطقة مدغرة وما إليها على ضرورة رعايتها وتعهدها. فقد جاء في الشرط 77 من اتفاق قصر الكَارة ما يلي: «وأما من قطع شوالا لبهيمة كيف ما كانت نصافه ريالا».(10)

تتضح أهمية هذه الدواب فيما تقوم به من مهام لصالح الأسر المتوفرة عليها. إذ بواسطتها يتم التنقل ونقل السماد الحيواني أي «الغبار» وتعرف هذه العملية في الأوساط الزراعية المحلية باسم: «تَنْكَال الغْبَارْ» – أي نقل السماد – الحيواني، وتستغل في هذه العملية إلى جانب حيوان العمل أداة أخرى تعرف بالزنبيل. والزنبيل هو المكتل أو المحراب وقيل الوعاء.(11) مما يعني أن الزنابيل هي تلك الأوعية التي توضع على ظهر حيوان العمل وهي أداة مصنوعة من السعف(12) أو الخوص لحمل المواد المختلفة من تراب وسماد ومنتوجات شجرية وغير ذلك. ونظراً للوظائف المنوطة بها خاصة نقل السماد «الغبار». فقد كانت مناسبة لإثراء التراث الشعبي الشفوي المحلي. فقد كان الشخص يُعَيِّرُ الآخر بشكل ووظيفة هذه الأداة

10) Mezzine (L): le tafilalet, op cit, p: 145.

11) عبد الستار عثمان: الإعلان، م س، ص: 178.

12) وبالتعبير المحلي الزْعَفْ.

خاصة عندما يتعلق الأمر بنقل «الغبار»، لأنه لا يستعمل في مثل هذه الاستعمالات إلا عندما يقدم ويبلى. وفي هذا الخصوص، تشير الحافظة الشعبية المحلية إلى نوع من الشتم والسب الذي ينسجم إلى حد بعيد مع وظيفة هذه الأداة عندما تبلى، ومثال ذلك المثل الشعبي القديم الذي مازال يردد حتى الآن بمنطقة مدغرة ومؤداه «سِيْر أَزَنْبِيلْ الْغْبَارْ».

ومن بين الوسائل الأخرى التي كانت لها أهمية في ممارسة العمل الزراعي لاسيما عندما يتعلق الأمر بحش الفصة أو نقل التبن بعد الانتهاء من عملية الدرس إلى «الرْوَى» لتقديمه كعلف للماشية، هناك الشبكة. وهي مفرد شباك، وهي عبارة عن شبكة من الحبال على هيئة ما يشبه كيس كبير مستطيل الشكل، مفتوح من أحد جانبيه الطويلين، توضع فيه الحشائش وتحمل على ظهر حيوان العمل.(13) ولا يقتصر دور الشباك على نقل منتوج الفصة والتبن فقط، بل تستعمل كذلك لحمل بعض الخضروات بغرض تسويقها، ويزخر التراث الشعبي الشفوي المحلي بمجموعة من الأمثال الشعبية تصب كلها في تبيان طبيعة وشكل الشبكة المصنوعة من مجموعة من الحبال المتقاطعة مكونة مجموعة من العيون. ومثال ذلك المثل الشعبي القديم الذي مازال يذكر حتى الوقت الحاضر وهو :

«الشبكة تتعاير الغربال(14) تتكَولوا أبو عيون كبار».

وإلى جانب هذه الأدوات، يمكن أن ندرج كذلك وسيلة أخرى كانت تلعب دور الشبكة، ويتعلق الأمر هنا بِالْحْمَلْ، ويستعمل هذا الأخير لحمل السنابل بعد عملية الحصاد وبقايا أغصان وأوراق شجر الزيتون

---

13) إبراهيم الفائز: المعجم الوسيط، م س، ج 1 ص: 523.

14) والغربال هي وسيلة أخرى تستعملها المرأة في الأعمال المنزلية. ونشير إلى أن هناك نوعين من الغرابيل: 1. غربال الحبوب ويعرف أيضا بغربال الزرع، ويستعمل لغربلة وتنقية الحبوب وخاصة القمح والشعير من الفضالات والأحجار الصغيرة. 2. غربال الدقيق ويستعمل لغربلة وتنقية الدقيق وعزل الطحين الصالح للعجين عن النخالة. وتعرف هذه الأخيرة في الاصطلاح المحلي «بِالدْشِيشَةْ» التي غالبا ما كانت تقدم كعلف للماشية والدواجن وأحيانا لتهييء نوع من الخبز.

«الطهطوه» بعد الانتهاء من عمليـة «خْـرِيطْ الزَّيْتُـونْ» كما يستعمل الحمل كذلك لنقل الكَـرط.(15)

كما كان الفلاح المحلي يستعمل مجموعة أخرى من الوسائل المساعدة في الأعمال الزراعية مثل «الشْـوَارِي» الذي يشبـه إلى حد ما المحمل الذي ورد في المعاجم العربية. فقد ذكـر المقريزي أن «المحمل هو الهودج والعدلان على جانب الـدابة، يحمل فيهما، جمعها محامل وهـو موضع لشيء يحمل».(16) وكـان الشواري يستعمل لحمل منتـوج التمـر وحب الـزيتون بعـد الجني، ويصنع الشواري من سعف النخل، ولا يوضع فوق ظهـر الدابة مباشرة إلا بعد وضع كساء على ظهر حيوان العمل. وهو ما يعرف في الأوساط المحلية «بِـالْـبَـرْدْعَـةْ». وهي عبارة عن كسـاء محشـو بالتبن، وتخاط بـالقنب والمخيط، ويراعى في عمليـة تهييء البردعة حجم ظهر الـدابة، وذلك لضمان توازن الشواري، وحتى لا يسبب وضع الشواري على ظهر الدابة جرحاً أو ضرراً لها.

ثم هناك القفة وبالنطق المحلي «الْـكُـفَّـةْ»، هذا وإن كنا نلاحظ أن هذه الأداة الأخيرة لا تتصل مباشرة في الغالب بـالعملية الزراعية، وإنما تستعمل القفة لحمل التراب ومـواد البناء والـزرع والتمر وغيرهـا من المواد الأخرى، كما تستعمل لرش التراب والزرع.

إذا تفحصنا هذه الأدوات المسـاعدة في العملية الزراعيـة، يتبين بوضوح أن مـادتها الخام المعتمدة في صنـاعتها متـوفـرة بكثرة في المنطقـة. فسعف النخل والخوص تنتجه المنطقة بكثرة. إن هذه الأدوات التي استعملها الفلاح المدغري في مزاولة نشاطه الـزراعي، يمكن وصفها بأنها بدائية لكنها كانت من غير أدنى شك أنسب الأدوات للزراعة ولظـروف البيئة ولمجتمع الزراعة التقليـدية المحليـة. مما يبعث على الاعتقـاد أن هـذه الأدوات هي استجابـة لظروف البيئة. وهـذا من شأنه أن يوضح جانبـاً مهما من الحياة الحرفية التي عرفتها المنطقة وتشهد على المستوى التقني والحرفي بمنطقة مدغرة.

---

15) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

16) المقريزي: المغرب في ترتيب المعرب، م س، ج 1 ص: 193.

2 – إعداد الأرض :

كان الفلاحون بمدغرة يميزون بين الترب الجيدة والتربات الفقيرة، وقد سبق أن أشرنا(17) كيف أن المشهد الزراعي بغابة مدغرة، كان يتدرج حسب القرب أو البعد من المجرى المائي وحسب نوع التربة، فكانوا يحرثون الأولى – أي التربات الجيدة أو الحلوة –(18) بكيفية متوالية، بينما كانوا يحرثون الثانية – أي التربات الفقيرة – سنة ويدعونها مراحة سنة أخرى. وتعرف هذه العملية في الأوساط الزراعية المحلية «بِالْمْسَاكِيَةْ» وهي مشتقة من الكلمة البربرية «إيسكي».(19) والجدير بالإشارة أن الفلاح المحلي قلما كان يريح أرضه، بل كان يتركها لتنبت بها بعض الأعشاب التي يستغلها كعلف إضافي للماشية. وحرصاً منه على إراحة أرضه والاستفادة منها بنفس الآن غالباً ما كان يعمد إلى تنويع زراعتها من سنة إلى أخرى أو زرع غير منتوج واحد بها. فترى الفدان منقسمًا إلى عدة خانات منها ما هو خاص بالفصة ومنها ما هو خاص بالبقول والخضروات. مما يجعل المشهد الزراعي بمنطقة غابة مدغرة، وكأنه عبارة عن فسيفساء تكونه البقع الزراعية المختلفة الأحجام والمنتوج. وكان الفلاح المحلي في كل هذه الحالات يبدي حرصاً شديداً على تسميد أرضه بالسماد الحيواني والبشري المستخرج من الحظائر داخل المنازل (الروى) أو من أمكنة قضاء الحاجة البشرية (شيخ الدار – المِحَاطْ).

يبدأ الموسم الفلاحي بمنطقة مدغرة مع شهري شتنبر وأكتوبر، وتزامن هذه الفترة فصل حملات وادي زيز. حقيقة أن كمية الأمطار التي كانت تستقبلها المناطق الجنوبية الشرقية بما في ذلك منطقة مدغرة.(20) كانت لاتفي بممارسة نشاط زراعي دائم. إلا أن الفيضانات التي كانت تعرفها أودية الجنوب الصحراوي بما في ذلك وادي زيز خلال الفترتين المطرتين

---

17) انظر الباب الأول الفصل الثاني.

18) وترابها رقيق ولونها حمراني.

19) أحمد التوفيق: إينولتان، م س، ج 1 ص: 227.

20) انظر الباب الأول الفصل الثاني.

الخريفية والـربيعية، هو ما كـان يساعد المزارع المحلي على القيام بنشـاطه الفلاحي بعيداً عـن أخطار الجفاف، مادام هناك تطـابق بين موسم الحرث وموسم الفيضانـات. وخلال هذه المرحلة تبدأ عمليـة إعداد الأرض بسقيها وتركهـا مدة ثـلاثة أيـام أو أربعة. وتعـرف عملية سقي الأرض قبـل بدء القليب والحرث في الأوسـاط الزراعيـة المحلية بـاسم «التّــلْــزْيَـــةْ» وتنطق محلياً بتضخيم اللام والزاي،(21) حتى تسـهل عمليـة القلب - أي القليب - ولكن شريطة أن لا تيبس الأرض وتجف. فالأســاس من عملية السقي هذه هو تـرطيب التربة والاحتفـاظ بشيء من الندى، آنـذاك يقوم الفـلاح بشقها وقلبها. والأداة الفعالة في هذه العملية هي الفأس، حيث كان الفلاح المدغري يعمل على تعميق الحفر والشق أو ما يعـرف «بِـفَـمْ أَمُـودْ». يتراوح العمق في الغالب ما بين 50 إلى 70 سنتمتر، وهو ما يعرف في الأوســاط الزراعية المحلية بعملية «فَـــاسَايْنْ». أي ضرورة نفاد حجم الفأس مرتين في الأرض. وكانت الغايـة من هذه العملية هو تهوية أعماق التربـة وتشميسها. والأكثر من ذلك تسرب الماء والسماد إلى أعماق التربـة لحفظ المزروعات من ديـدان الأرض «شَـحْـمَـةْ الأرْضْ» وغيرهـا من الحشرات الضارة. سيما إذا علمنا أن الأهالي كانوا يذرون الرماد فوق أكوام «الغبار» بعد إخراجه من الحظائر لتحصل فيه فائدة العتق. وبهذا الخصـوص ينصح ابن بصـال أن: «تفرش الأرض بعد القلب بالرماد أولا ثم يوضع فوقه الزبل ثم تزرع الأرض، فإن ذلك الرماد يكون حجاباً بين النبات وبين الحيوان المضر».(22) مما يعني أن هذه التقنيـة المستعملة في مـدغرة جاءت من تأثير أنـدلسي باعتبـار المنطقة معبراً لقوافل الأنـدلسيين إلى إفريقيا جنوب الصحـراء عبر سجلماسة. كما

21) نعتقـد أن مصطلح «التْلَــزِيَــةْ» يرتبط بتعـاقب المجموعـات البشريـة المختلفة التي استقـرت بـالمنطقة. ولم تترك لنـا هذه المجمـوعـات فقط بصمات أقدامهـا على مستوى أسماء القصـور والمزارع بالغـابة فقط، بل حتى على مستـوى المعايير والألفاظ الاصطـلاحية للمراحل الإعـدادية للحقل ومباشرة العملية الـزراعية. وهذا مبرر إصرارنا على ضرورة جمع هذا الـرصيد التاريخي واللغوي قبل أن ينقرض، ودراسته بطرق علمية تعتمد النظـريات المقارنة في علم اللسانيات لفك ألغازهـا الغنية بالمعلـومات. مما قـد يساعد البـاحث على رصد وتتبع مختلف أشكـال ومناحي الحياة اليومية والعامة، ليس فقط بمنطقة مدغرة، بل في مجموع البوادي المغربية.

22) ابن بصال: كتاب الفلاحة. م س، ص: 49 وما بعدها.

كانت تفالات المراحض «شيخ الدار - المِحَاطْ» مخلطة برماد الكانون. وقد سبق أن أوضحنا(23) أن النساء كن يقدفن بالرماد المتجمع لهن على الزبل المتجمع «بشيخ الدار». مما يعني أن الفلاح المحلي كان على دراية كبيرة بالأنظمة والتقنيات الزراعية المتبعة في مناطق مغربية وأندلسية. وبخصوص هذه المنطقة الأخيرة نشير إلى أن منطقة مدغرة استفادت من مجموعة من التقنيات والأساليب المعتمدة في العملية الزراعية بالأندلس. وما يؤكد ذلك رواية ابن بصال حول أهمية الرماد في الحفاظ على النبات من الحشرات المضرة والمستعمل كذلك بمدغرة. ومن جهة أخرى وجود عينة من شجر الليمون الرقيق يحمل اسماً واحداً بالأندلس ومدغرة معاً، ويتعلق الأمر هنا «بالزَّنْبُوغْ».(23م) مما يعني من جهة أن كثرة الأشجار الموجودة بمدغرة يؤكد أن هذه الأخيرة أكثر بستنة من تافيلالت. وهذا ما يفسر لماذا كانت تافيلالت تستفيد من أشجار الفواكه بمدغرة وأهل هذه الأخيرة يستفيدون من زرع تافيلالت. ومن جهة ثانية يدل هذا في عمقه أن مدغرة حتى على مستوى النشاط الزراعي لم تكن معزولة عن باقي المناطق الأخرى مهما تباعدت جغرافياً بل استفادت وأفادت.

وبعد عملية القليب يتم تزبيل الحقل أو ما يعبر عنه محلياً «بالتغبار» أو مدها «بالقوام»، ثم تزرع الأرض وتسمى مجموع هذه العمليات «بالخدمة»، وتلي عملية«الخدمة» عملية التسوية أو «الـمْطَارْحَةْ» تسهيلاً لجري الماء عليها عن طريق كسر الطوب «بقاع المسحة» أو «تومة المسحة».(24) ومتى انتهى الفلاح المحلي من التسوية يهتم ببناء الحقول وتشييد الصرائم، وتعرف هذه الأخيرة في الأوساط الزراعية المحلية «بالْوِسَايِدْ»، وتكمن أهمية «الوسايد» في الفصل بين خانات الحقل الزراعي الواحد أو لتسوير البساتين حياطة عليها ولفصلها عن حقول زراعية أخرى في ملك الغير، وعلاوة على ذلك يعمد الفلاح المحلي إلى إقامة مجموعة من الخطوط المستقيمة والمقابلة

23) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

23م) وهي مشتقة من الكلمة البربرية «أَزَنْبُوغْ» أي الحلو.

24) وهو الجزء الذي تشد فيه الأداة الحديدية بالعمود المسمى: «إيدْ الْمَسْحَةْ».

للريح من كل جهة وسط الحقل الزراعي، وداخل هذه الخطوط المستقيمة أو ما يعـرف محلياً «بـتِـمَـسْـوِيتْ» تنمو النباتـات والمزروعات، ويتحكم في تباعدها أو تقاربها طبيعة النباتات والمنتوج الزراعي.

يحـرص الـفلاح المحلي على أن تتم هـذه العمليات المشـار إليها أعـلاه بدقـة متناهيـة. إذ يراعى فيهـا ضبط الحيز الزمنـي بهدف الاستفادة من الدورة السقـوية والفيضـان النهري. ذلـك أنـه بمجرد الانتهـاء من عملية الحرث والتسوية تأتي عملية السقي الأول بعـد الحـرث. وهـو ما يعرف في الأوسـاط الزراعيـة المحليـة بعملية «الطْـفِـي» وهو السقي بعـد رمي الزريعة. ومع كل هذا لابد من الإشـارة إلى أن طريقة إعداد الحقل الزراعي تختلف من منتـوج إلى آخر. فإذا كـانت عملية إعـداد الحقل لزراعـة القمح تتطلب سقي الأرض وتركهـا حتى تجف من الماء قبل قلبها وحـرثها. فإن المسألة تختلف بالنسبـة لمنتوج الذرة، هذا الأخير الذي كـان يحرث في تربة مبللة وتعـرف هذه العمليـة في الأوساط الـزراعية المحليـة «الْـحَـرْثْ على أدَمْـكَالْ».

لقد عمد الفلاح المحلي في عملية إعداد الأرض للحرث إلى اتباع واستعمال تقنيات مـلائمة لظروف البيئـة الجافة. فكان يهتم اهتمامـاً بالغاً بـالتزبيل الذي كان يتخذه من روث البهائم، علاوة على زبل الآدمي. وكان يعرف أي نوع من هـذه الزبول يـواقف أنواع تـربات أرضه ونبـاتها. فكان يستعمل روث البهائم – إذا تـوفر – للحقـول التي كان يخصصهـا للقمح والشعير والفصة والأشجار. ولم يكن يستعمله إلا مع بداية الفصل البارد الذي غالباً ما يوافق موسم الحرث. ومن المستحب ألا يستعمل هذا الزبل إلا بعد مضي عـام أو أكثـر وهـو خـاضع للتشميس، لأن ذلك كـان يـزكـي حـرارتـه ورطوبته.(25) لهذا لا غرو إذا كنـا نجد بجـوار القصور السكنيـة بمدغـرة العـديد من أكـوام الزبل المغطـاة بـالتراب أو الرمـاد لتحقيق هذا الغـرض الـوظيفي. بمعنى تحقيق الحرارة والـرطـوبـة. أمـا زبل الآدمي فقـد كـان يستعمل في الغالب بالبحاير الخاصة بزراعة البقول والخضروات لأنه ملائم

25) ابن بصال: كتاب الفلاحة، م س، ص: 49.

لها، ويوافق النبات، ويصلحه لأنه رطب لا حرارة ولا يبوسة فيه. قال ابن بصال: «فينبغي أن يعرف قدره وعظيم فائدته وأن يعد للأغراض التي تدخل على ورقات الصيف مثل القرع والباذنجان والبصل وغيرها من الخضر».(26)

وبناء على كلام ابن بصال يظهر أن هذا النوع من الزبول - أي زبول الآدمي - يصلح للبحاير ويحمي الخضر من حرارة الشمس. ويقترح ابن بصال في هذا الصدد طريقة لحماية الخضروات من لفح حرارة الشمس بتبليل زبل الآدمي ووضعه في مصارف مجرى الماء. قال: «ذلك أنها إذا احترقت - أي الخضروات - أخذ من هذا الزبل - أي زبل الآدمي - ويرش ذلك الزبل بالماء حتى يرجع في هيئة الطين ويحلل في جري الماء، ويسقي ذلك النبات المحترق فيحيى عن قريب ويصلح».(27) وقد كانت هذه الأنماط مطبقة إلى حد كبير بواحة مدغرة. ومن عادة السكان أن يجمعوا «الغبار أو القوام» بأماكن البراح لأجل تشميسه ودر الرماد أو التراب فوقه، وكانت هذه المسألة منسجمة إلى حد كبير مع ما هو مطبق في غير ما من منطقة بالمغرب. ويستجيب كذلك لما ذكر في المصادر المتخصصة في هذا المجال. فقد ذكر ابن بصال أن: «الزبل إذا مكث عاماً وكثرت حرارته وتمكنت رطوبته واعتدلت مع الحرارة، فعند ذاك يصلح استعماله في كل شيء من النبات، وإذا ترك عامين كان أحسن وأفضل ما بعد ثلاثة أعوام، فعندذاك يصلح لكل أرض ويجود به كل نبات».(28) مما يعني أن الفلاح المدغري كان يستعمل التقنيات الزراعية التي تحدثت عنها كتب الفلاحة.

ولا يظهر أن البذور كانت منتقاة، إلا أنه يحتمل جدا أن يكون الفلاحون المهرة على دراية كبيرة ودقيقة بالبذور الصالحة لهذه التربة دون تلك. فمع

26) ابن بصال: كتاب الفلاحة، م س، ص: 50.

27) ابن بصال: كتاب الفلاحة، م س، ص: 50.

28) ابن بصال: كتاب الفلاحة، م س، ص: 49.

نهاية كل دراية زراعية كان الفلاح المحلي يترك جزءا من المحصول «للزريعة» للموسم الفلاحي القادم. ولا نستبعد في هذا المقام أن يكون الفلاح المحلي ينتقي أفضل هذه البذور لا سيما إذا كان الموسم الفلاحي جيدا. ولا نعتقد أن فلاحي مدغرة كانوا يستعملون البذور القديمة لأن طبيعة الإنتاج الفلاحي كانت لا تحقق إلا الاكتفاء الذاتي الغذائي في أحسن الأحوال.

هذه إذ هي أهم الخطوات التي كانت تتطلبها عملية إعداد الأرض للحرث. إلا أنه لابد من التذكير أن هذه الخطوات تختلف باختلاف أنواع التربة واختلاف المنتوجات، على اعتبار أن هناك منتوجات تزرع كل سنة كالقمح والشعير والذرة والفول والخضروات على اختلاف أنواعها. هذا وإن كنا نلاحظ اختلافاً من حيث فترات زراعاتها، بينما نجد منتوج الفصة مثلا – الذي كان يخصص بالأساس كعلف أساسي للماشية التي تعيش مع الإنسان داخل منزله بالقصر – لا تزرع كل سنة، بل إن زراعتها تكون على رأس كل أربع أو ست سنوات أو متى أحس الفلاح بهرمها.

كان العمل الزراعي عند أهل مدغرة موزعاً على أيام السنة الشمسية، ممايعني أن عمل المزارع المدغري يستغرق العام بأكمله. سيما وأنه كان يقوم خلال الموسم الواحد بغراسة الأشجار والخضروات وزراعة الحبوب، وكان أحياناً لاينتهي من إعداد الحقل وزراعته وسقيه حتى يبدأ في مباشرة عمل زراعي آخر. وغالباً ما كان يتخلل هذه المراحل جني بعض المنتوجات سواء كانت زراعية أو شجرية. وعلى سبيل المثال لا الحصر يكفي التذكير أنه بعيد وأحيانا أثناء إعداد الحقول للزراعة خلال شهري شتنبر وأكتوبر كان يقوم بعملية جني التمور. ولتوضيح واقع الدورة الزراعية بمنطقة مدغرة نقف قليلاً عند الجدول التالي :

جدول الدورة الزراعية بمدغرة

الشهور	نوع النشاط الزراعي
شتنبر	
أكتوبر	إعداد الأرض للحرث وجني
نونبر	محصول الذرة والتمر
دجنبر	خريط الزيتون
يناير	طحن الزيتون
فبراير	غرس الأشجار، تنقية المزروعات من الطفيليات
مارس	تذكار النخل - جمع الحشائش للأغنام
أبريل	زرع البحاير - طرد الطيور من حقول القمح - بداية جني محصول الفول - إخراج الغبار من الحظائر
ماي	موت الأرض، حصاد القمح، درس محصول الفول والشعير
يونيو	درس الشعير، جني محصول الذرة
يوليوز	موسم البحاير، تهييء وخزن علف الحيوانات (التبن)
غشت	(الكَـرط) وما في حكمهما

وهكذا يظهـر أن الأرض وما كـانت تنتجه كـانت بمثابـة عصب الحياة الأساسي لحيـاة سكان الـواحة. لـذلك عمـد الفلاح المدغـري إلى استغلالـها استغـلالاً مكثفاً، من خـلال تنويـع محصولاتها الـزراعية خـلال الموسم الفـلاحي الـواحـد. إذ كـانـت هـذه المحصـولات تتنـوع مـا بين الحبـوب والخضروات دون - طبعاً - إهمال تزويد الماشية بالعلف، من خلال زراعة منتوج الفصة خاصة. هذا إلى جانب ما كان يهبه المنتوج الشجري من تمر وزيتون ومختلف أنواع الفـاكهة، وهكذا كانت الحيـاة الاجتماعية تعتمد في منطقة مدغرة على الزراعة كمـورد رئيسي للعيش للأغلبية الساحقة للسكان.

أما الخدمات الأخرى فلا يظهر أنها كانت تحتـل إلا مكانة ثانوية في أنشطة السكان. ممـا يحمل على الاعتقاد أن اقتصاد مـدغرة كان اقتصاداً فـلاحياً مبسطا، فهو يقـوم على زراعة المحصولات التي هي بمثابـة الغذاء الأساسي للسكان وما تـدره عليه تربية الماشية من خيرات رغم بساطتهـا. هذا طبعا إذا لم يتأثر الموسم الفلاحي بأزمات الإنتاج من فيضان أو جفاف أو جراد أوهـزات اجتماعية. لهذا نفهم لماذا كـانت الأرض بـاعتبارهـا أحد وسـائل الإنتاج الأساسية عصب الحياة بالمنطقـة. إذ علاوة على ما كانت توفره من غذاء لسكان المنطقة، فإنها إلى جانب ذلك، كانت تساهم في تلاحم وتضامن الوحدات العائلية، ومن ورائها وحـدة المجتمع. وكونت الأرض أساساً مادياً لإيديـولوجية الوحـدة والتلاحم، لذلك أحيطت بكل القيود العـرفية حتى لا تخرج عن نطاق العائلة وعن مجتمع القصر بشكل عـام، وهذا التصور هو الـذي رفعها إلى مستـوى «القـداسة» بـاعتبـارها عنصراً مـاديـاً أساسيـاً للاستقرار والاستمرار. ونفهم لماذا كان كذلك الصراع والنزاع على أشده على ملكية الأرض والماء، باعتبـارهما أهم وسائل الإنتاج الأساسيـة بالمجتمعات الواحية بوجه عام.

3 – أنماط الاستغلال وأنواع المنتوجات :

أولا : أنماط الاستغلال :

على غرار باقي المناطق الواحيـة الأخرى، كانت أنماط الاستغلال بمنطقة مدغرة تتوزع ما بين الاستغلال المبـاشر والغير المباشر، كالخماسة والشركة والكراء.

أ – الاستغلال المباشر :

فقد كان هذا النوع من الاستغلال هـو الأكثر شيوعاً بين سكان قصـور مـدغرة. فقـد كـانت الأسر المتـوفـرة على أملاك تغطيهـا سـواعـد أبنائهـا بـالاستثمار المبـاشر. ولكنهـا كـانت في بعض الأحيـان تستعين بخماسين مدجنين سكنـا ومعيشـة، عـزابا كـانوا أو متـزوجين، وذلك في إطـار عملية

ارتباط الأسر وظيفياً أو من حيث الولاء. حيث كانت الأسر الثرية تستعين ببعض العبيد المملوكين قديمًا، وكانوا يكونون طاقة بشرية تعتمد عليها الأسرة إلى جانب سواعد أبنائها وخماسيها من أجل تنمية الثروة القائمة أساساً على الفلاحة (زراعة وتربية الماشية).

ب - الاستغلال بواسطة الخماس :

يظهر من مختلف الإشارات التي تزخر بها كتب النوازل الفقهية والرسوم المختلفة الخاصة بحقل الدراسة أن نظام الاستغلال بواسطة الخماس كان سائداً بمنطقة مدغرة، منذ أزمنة بعيدة. ويعتبر الاستغلال بواسطة الخماس من بين الطرق التقليدية المطبقة في غير ما من منطقة بالمغرب. وقد أثارت هذه الطريقة جدلاً فقهياً عميقاً بين الفقهاء. فمن الفقهاء من اعتبرها إجارة، ومنهم من اعتبرها شركة مع ما يتخلل ذلك من التساؤلات النظرية والعلمية التي أفرزها الاستغلال بهذه الطريقة. وقد لخص الفقيه أبو الحسن علي بن رحال المكنى بالمعداني من رجالات القرن 12هـ/18م مختلف الآراء التي قيلت في هذا الموضوع في مؤلفه الهام: «رفع الالتباس عن شركة الخماس».(29) وفعلاً كان عقد تخماست في مجموع واحات الجنوب الشرقي المغربي يتم بطريقة شفوية عرفية بين صاحب الأرض والخماس. مما يعني أن علاقة الخماس بصاحب الأرض هي علاقة تعهدية لا ترتبط بعقد ولا بحدود. وغالباً ما كان التعاقد يتم في شهر أكتوبر أي في بداية الموسم الفلاحي، وكانت الأعراف المحلية تمنع على الخماسين التخلي عن العمل أو فسخ العقد الشفوي العرفي خلال عرض السنة. وإذا ما رغب الخماس في فسخ العقد، فعليه أن يخبر صاحب الأرض قبل بداية موسم الحرث الموالي. مما يدل على ارتباط الخماس بالأرض بشكل مستمر حتى لو حصل أو انتقلت ملكية الأرض من مالك إلى آخر.

ولم يكن يتعاطى لتخماست بمنطقة مدغرة إلا الحراطين خاصة أولئك الذين يملكون قطعاً أرضية صغيرة أو لا يملكون، مما كان لا يفي

---

29) المعداني أبو علي الحسن بن رحال: رفع الالتباس عن شركة الخماس: طبعة حجرية فاس د. ت.

بحاجياتهم المعيشية. وهذا عكس ما هو موجود بمنطقة فجيج. فقد ذكر الأستاذ أحمد مزيان أن حرفة الخماسة بفجيج لم تكن خاصة بفئة معينة من المجتمع كفئة الحراطين كما هو الحال بتوات وتافيلالت، بل كان يقوم بها كل شخص يرغب في زيادة موارده المعيشية.(30) وجدير بالإشارة أن هذا الخماس الثاني يختلف عن الخماس الأول المشار إليه أعلاه، والمندمج في أسرة المالك والساكن مع رب الأرض أو بجواره. فالنوع الأول كان يعمل في البيت كما يعمل في الأرض، ويتشكل هذا النوع في الغالب من بعض الأسر الحرطانية المرتبطة ببعض الأسر الشريفة في إطار علاقة التابعين بالمتبوعين أو من العبيد المملوكين. فإلى جانب اشتغال هؤلاء الخماسين بالزراعة يقومون بالاحتطاب والنيابة عن رب الأسرة في الأشغال الجماعية المفروضة ككنس السواقي مثلا أو الحرث الجماعي. بينما كانت النساء الحرطانيات تقمن كذلك بالنيابة عن ربة البيت في الطهي والطبخ وسقي الماء للبيت، وغيرها من الأعمال الأخرى. مما يعني أن عقد الخماسة هذا يتعدى العمل في الأرض إلى العمل في البيوتات. أما النوع الثاني من الخماسين فهم لا يندمجون في الأسرة صاحبة الأرض، بل يكتفون بالخدمة في الأرض في إطار عقد الخماسة. ولكن هناك ملاحظة أساسية في هذا المضمار وهو تقسيم الأسر الحرطانية من حيث ارتباطهم بعقد الخماسة على الأسر الشريفة. وأصبحنا نلمس بصورة بارزة أن الأسرة الحرطانية الفلانية هم خماسة الأسرة الشريفة الفلانية، واستمرت هذه الارتباطات تتوارث من الآباء إلى الأبناء.

ج – الاستغلال بواسطة الشركة :

يتم الاستغلال بواسطة الشركة بين مالك الأرض والفلاح، بمقتضى عقد كتابي، إذا كانت المدة طويلة. وتصل في الغالب إلى ست سنوات، وعقد شفوي إذا كانت المدة قصيرة (سنة أو سنتين). يقدم الأول الأرض ويقدم الثاني البذور والعمل. ونادراً ما كانت الشركة مطبقة ومستعملة بمنطقة مدغرة.

30) أحمد مزيان: فجيج، م س، ص: 168.

د – الكراء :

ومن بين الطرق الأخرى التي كان يتم بها استثمار الأرض هناك طريقة كراء أرض الغير، وتكشف لنا هذه الطريقة على أن عدداً من السكان كانوا لا يملكون أراضي زراعية، أو أن ما كانوا يملكونه لم يكن يفي لحاجياتهم الغذائية. ولتدارك هذا النقص الحاصل كانوا يلجأون إلى اكتراء أراضي الغير سواء تعلق الأمر بأراضي الأشخاص الذاتيين أو أراضي أحباس بعض المساجد، وتتم عملية اكتراء مثل هذه الأراضي بطريقتين :

– طريقة قصيرة الأمد لا تتعدى في الغالب سنة أو سنتين، وتؤدى قيمة الكراء بالحبوب.

– طريقة طويلة الأمد قد تصل إلى 4 أو 6 سنوات على أساس دفع قيمة الكراء نقوداً، وهذه الطريقة الأخيرة هي التي مازالت شائعة لحد الآن بمنطقة مدغرة. ولكن هناك ملاحظة أساسية في هذا المضمار وهي أن الكراء يشمل الأرض دون أشجارها. إذ تعود فائدة المنتوج الشجري إن وجد إلى صاحب الأرض. وغالباً ما كان المكتري يطلب حصته من المنتوج الشجري لاسيما الزيتون، قدرته الأعراف المحلية بعشر الإنتاج لقاء قيام المكتري بسقي الزيتون أثناء سقيه لما زرع بتلك البقعة.

وبناء على ما سبق، يظهر من خلال أشكال وأنماط الاستغلال وجود عدد من الملاكين الذين يدخلون وبطرق متعددة، تستجيب في الغالب للتنظيمات العقارية المعمول بها في مدغرة. باعتبارها نموذجاً للتنظيمات العقارية الواحية المغربية. ويصور إلى جانب ذلك جانباً من التفاوت في الثروة التي كانت تشكلها الأرض، باعتبارها إحدى وسائل الإنتاج الأساسية. وهذا من شأنه أن يكشف لنا عن نوع من «الفئوية» المبنية أساساً على الثروة داخل مجتمع القصر الواحد.

ثانيا : المنتوجات الزراعية :

لا جدال في أن أوضاع الفلاحين وشكل التنظيمات العقارية وأنماط الاستغلال، كلها عوامل كانت تؤثر على نوعية الإنتاج وكميته. هذا طبعاً

دون إغفال ما كانـت تعرفه منطقة مدغرة من هـزات واضطرابات اجتماعية وأزمات مناخية وكوارث طبيعيـة مختلفة. وقد سبق أن أوضحنا أن منطقة مدغرة كانت تحتل موقعاً فريداً ومتميزاً في سلسلة الواحات الصحراوية(31) المتناثرة على طول وادي زيـز من الشمال إلى الجنوب. مما جعل منها همزة وصل بين المناطق الصحراوية لقـاء الجنوب، والمناطق الجبلية لقاء الشمال. مما كـان له بالغ الأثر ليس فقـط على البنية البشرية وما انطـوت عليه من تقاليد مختلفـة، بل كذلك حتى على مستوى البنية الـزراعية التي استفادت بدورها من هذا الانفتاح. مما طبعها بالتنوع والتعدد، وجمعت في نفس الآن بين منتوجات اشتهرت بها المناطق الشبه الصحراوية والصحراوية (النخيل – الطـرفـاء «العدبـة») ومنتـوجـات المنـاطق السهلية والجبليـة الشماليـة (الزيتون – الزنبوع...). وهذا مـا طبع المنطقة بميزة خاصة من جهة. ومن جهة أخرى نعتقـد أن التأريخ لمختلف المنتوجات الزراعية للمنطقـة له بالغ الأهميـة في الكشف عن جـانب من التطـور التـاريخي للمنطقـة، من حيث التنـوع والتعدد للمنتـوجات، ومن حيث أصل هـذه التأثيرات أو تلك. وهي على العمـوم تـرتبط بـالمجموعـات البشريـة التي استقـرت بها في زمن من الأزمان كما أوضحنا ذلك في الباب الأول.

إن أصحاب كتب الجغـرافية والـرحلات الذين مـروا بمنطقة مـدغرة لا سيما خـلال المرحلة الحديثـة، لم يشيروا البتة إلى طبيعـة البنيـة النباتيـة، ومعلـوم أن هـذه الأخيرة تعتبر على قـدر كبير من الأهميـة لأنها جـزء من البيئة الكلية، ولأن معظم النشاط الفلاحي بمنطقة مدغرة يعتبر مرآة للحياة النباتية. ممـا كان له بالغ الأثـر على كمية المعلومات حول أنـواع المنتوجات التي كانت تزخر بها المنطقـة خلال مرحلة الدراسة. إلا أنـه وبالرجوع إلى المصادر الوسطوية وعقود الملكية العقارية الخاصة بمنطقة مدغرة وأدبيات الـرحلات الأجنبيـة المتأخرة عن مـرحلة الـدراسة ومـا أفضت إليه جهـود الدراسات الحديثة المحلية،(32) وما نلمســه بارزاً إلى الوقت الحاضر بغـابة

31) انظر الباب الأول الفصل الأول.

32) انظر على سبيل المثال التصاميم التي أنجزها المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لتافيلالت.

منطقة مـدغرة مدعومـاً بما لازالت الذاكرة الشعبية المحليـة تحتفظ به لحد الآن من معلـومات. يمكننـا فعـلاً من تدارك هـذا النقص الحاصل في المادة العلمية المتعلقة بالمنتوجات الزراعية للمنطقة.

لقد حاولنا أن نواكب ونتابع أهم المنتوجات الفلاحية التي كانت تنتجها منطقـة مدغـرة، وصنفنـاها حسب أهميتهـا في المعـاش وحسب أقدميتهـا بالمنطقة، وعليه يمكن الحديث عما يلي :

أ – النخيل :

سبق أن أشرنا أن النخل(33) قديم قدم استقرار الإنسان بالمنطقة تعرض لتعديلات تقنية، طوره العرب عنـدما استقروا بواحات إقليم سجلماسة بما في ذلك مدغرة. وحجتنا على ذلك ما جـاء عند ابن خلدون الذي أشار إلى أن قبيلة مدغرة مارست غراسـة النخيل منذ استيطانهم بصحراء المغرب. قال: «ومن قبـائل مـدغرة أيضـا بصحـراء المغـرب كثيرون نـزلوا بقصـورهـا واغترسوا شجرة النخل على طريقة العرب».(34) إلا أنه لا يجب اعتبـار هذا التاريخ بداية لهذا النشـاط بهذه الأصقاع. سيما إذا علمنا وكما أسلفنا، أن تاريخ ظهور هذه الشجـرة بهذه المجالات أقدم من ذلك بكثير. إذ تعود أولى الإشارات التاريخية عنه إلى الألف الأولى قبل الميلاد.(35)

إن الأهمية التي كانت تلعبهـا هذه الشجرة في حياة السكـان، وما كانت توفره لهم من غـذاء وحطب وخشب، كان له الأثر البـالغ في اهتمام سكان هذه الأصقاع بها. مما يفسر الانتشـار الواسع لها بهذه الأصقاع من جهة، ومن جهة أخرى لأنها مصدر عيشهم اليـومي. حيث كان يحتل التمر أكبر قسط من مواد الاستهلاك المتناولة يومياً، ويتوفر على عناصر ملائمة تقريباً لغذاء كامل. لهذا لا غرو إذا وجدنا بعض الباحثين يعتبر أن النخلة والجمل يشكـلان صورة واحـدة لمخلوق عنيـد وصبـور لا يتضرران بسهولـة من

---

33) انظر تاريخ وأصل النخل في الباب الأول الفصل الثاني.

34) ابن خلدون: العبر، م س، ج 6 ص: 158.

35) OtmaniAbdelkader: entreprise dattier au Maroc, institut de commerce Casablanca 1982 p; 7.

قساوة المناخ الصحراوي الجاف، وفقر التربة والدرجات الحرارية المرتفعة صيفاً، وأحياناً الصقيع أثناء الفصل البارد.(36)

كانت غراسة النخل تتطلب من المزارع المحلي وقتاً طويلاً وعناية كبيرة. لأن النخلة كان لا يستفاد من منتوجها بمجرد غراستها، وإنما يتطلب وصولها لسن العطاء مدة زمنية تتراوح ما بين 6إلى 15 سنة، غير أن هذه الشجرة تستطيع أن تعمر طويلاً وأن تستمر في العطاء أزيد من مائة سنة، دون أن يصيب إنتاجها ضعف أو نقص في جودته.(37)

كانت عملية جني التمور تكتسي أهمية بالغة يتجند لها جميع السكان في إطار من التعاون المتبادل، وكانت الأعراف المحلية لا تسمح بالشروع في هذه العملية إلا بعد الإعلان عنها، وتستمر من الصباح إلى حدود صلاة العصر. وكانت تعاقب كل من بدأ في هذه العملية قبل اتفاق مجتمع القصر على ذلك. فقد جاء في الشرط 202 من اتفاق قصر الكَارة ما يلي: «وأما القطيع للخريف فإنهم يبدؤونه في اليوم الأول من أكتوبر إلا المجهول فحدوده سبعة عشر يوماً من شتنبرو – أي شتنبر – وإن قطع واحد قبل ما ذكر في المجهول أو في غيره فنصافه مثقالين – أي مثقالان – لكل نخلة قطعها».(38) كما جاء في الشرط 345 من اتفاق نفس القصر المذكور ما يشير إلى أن الأعراف المحلية كانت تحدد بدقة الحيز الزمني لقطيع التمر، وكانت تعاقب كل من تهاون في هذه العملية أو تأخر عن الموعد المحدد، وهذا طبعاً مع بعض الاستثناءات. قال: «وأما من أتى الشيخ في وقت القطيع بعد أن بَلَّغَ مجهوده ببهيمته وخدامه، وبات له التمر في الغابة وشهد الشيخ أنه بلغ مجهوده بما ذكر، فإن الشيخ يربط له الناس في الغد لكي يكمل تمره».(39) وعلى العموم يمكن إجمال أهم المراحل التي يقطعها التمر من

36) أحمد مزيان: فجيج، م س، ص: 157 – 158.

37) لحسن حافظي علوي: سجلماسة، م س، ص: 287 وذلك اعتمادا على ما ذكره Fauré تافيلالت، م س، ص: 97.

38) Mezzine (L): le tafilalet, op cit, p: 159.

39) Mezzine (L): le tafilalet op cit p: 175.

التذكار إلى النضج فيما يلي: الطلع – الفتق – الـوصل – الذكار – الركم – البلح – الصفار – النقار – التمر.

يظهـر من خلال فحص مختلف عقـود الملكية العقـارية لا سيما ملكيـة شجر النخيل بمـدغرة، أن جل أنواع التمور التي اشتهـرت بها منطقة إقليم سجلماسة، كانت تـوجد بمنطقة مدغرة، وهـذا طبعا مع بعض الاستثناءات من حيث تسميات بعض الأصناف هذا من جهـة، ومن جهة أخرى نجد أن المصادر التي تحدثـت عن تمور سجلماسة كانت تعنـي بسجلماسة الإقليم الممتـد من الخنكَ من المضيق القريب مـن مدينـة غارسلـوان ونزولاً نحـو الجنوب على مسافة مائة وعشرين ميلا».(40) مما يعني من جهة أن منطقة مدغـرة كانت تمثل إحدى مقـاطعات الإقليم السجلماسي القـديم. ومن جهة أخرى وكما نلمس ذلك بـارزاً من خلال أنواع المنتوجـات النخيلية الموجودة بمنطقة مـدغرة أن أغلبها يتطـابق من حيث التسمية مع أنـواع التمور التي تزخر بها منطقـة تافيلالت في الوقت الحالي، والتي كانت موجـودة بمدغرة، وأخذت حـالياً في الانقـراض. وعليه يمكن تصنيـف التمور بمدغـرة حسب جودتها بناء على ما هو منصوص عليه في الوثائق والرسوم العدلية الخاصة بمدغرة إلى ما يلي: «المجهول – الْـفَـكُّـــوس أو بوفَـقُّـوسْ – بُوسْـلِـخَـنْ – الْــخَـلْـطْ – الَحْفْصْ – صْـبَـعْ السَّـلْـطَـانْ – رَاسْ الْـحْـمَــارْ – أَحْـمْـرَايْ – الدُّودْ – بُـوسَـكْـرِي – كَرْنَــةْ بُـوكْـشِـيَرَةْ وغيرها». وهناك أنواع أخـرى أقل جودة، إلا أنها رديئـة الطعم وصغيرة الحجم تخصص في الغالب كعلف للماشيـة. وما يشهد على تعدد أصناف التمـور بمنطقة إقليم سجلماسة بمختلف واحـاته ما نجده في درة الحجـال. فقد كتب الشيخ ابن غازي يوماً إلى صاحبه الفقيه إبراهيم بن هلال مفتي سجلماسة يسأله عن أصناف التمور، فما كان من ابن هلال إلا أن بعث له بحمل فيه تمرتان من كل صنف، وكتب له مع ذلك: «سألتني عن أصنـاف التمور وهاهي تصلك **﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾**».(41)

40) الوزان: وصف إفريقيا، م س، ج 2 ص: 120 – 121.

41) أحمد بن القاضي المكناسي: درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ج 1 ص: 196، القاهرة 1971.

لقد مثلت التمور الغذاء الأساسي للسكان بمجموع مناطق الجنوب المغربي. فقد أشار الوزان: «أن أهل هذه البلاد يتخذون من مثل هذا التمر لا سيما في الأيام التي لا يأكلون غيره، ويقتاتون بحساء الشعير وغيره من الأشياء البسيطة. أما الخبز فلا يأكلونه إلا في الأعياد والولائم».(42) مما يعني أن التمر كان مصدراً أساسياً في الغذاء حتى في حالة توفر الحبوب. وهذا ما نستشفه أيضا من إشارة الوزان. قال: «ويفضل النوميديون كثيراً غلة التمر على غلة القمح لأن هذه الأخيرة مهما كثرت لا تكفي لنصف السنة».(43).

لا تقتصر حسنات شجرة النخيل على إعالة سكان المناطق شبه الجافة والصحراوية، بل تتعدى ذلك إلى توفير أغلب متطلبات حياتهم اليومية في مناحي متعددة. فقد دخل خشب النخيل في سكن أهل مدغرة، كما يستعمل خشب النخيل كذلك في العديد من التقنيات كأغرور مثلا لجلب الماء والشماش لطحن الزيتون. كما يستعمل خشبها وجريدها في تسقيف المنازل، سيما وأن الجريدة كان يصل طولها في المتوسط ما بين 2 و6 أمتار. وهذا طبعا مع بعض الاختلافات من حيث طبيعة وحجم النخلة. وعلاوة على ذلك كان جريد النخل يستعمل كوقود للطبخ والتدفئة بالمناطق القارية خلال الفصل البارد. وكان الأهالي يعلنون عن أفراحهم بتزيين مداخل بيوتاتهم بجريد وسعف النخل. وبهذا الأخير كان الإنسان المدغري يصنع ثلة من الأدوات المستعملة في العملية الفلاحية بوجه عام، كالحبال والحصير والقفاف وغيرها.

وحتى في حالة اقتلاع شجرة النخيل سواء بواسطة الرياح الهوجاء أو بواسطة الإنسان نفسه، فإن عطاءها لا يتوقف، إذ يستفاد من خشبها وجذوعها وجريدها وحتى شوكها في جميع أشكال الاستغلال. فقد ذكر بيرو لوري Pero Loroy(44) أن الأهالي كانوا يصنعون بردعة الجمل من الجزء

---

42) الوزان: وصف، م س، ج 2 ص: 119.

43) الوزان: وصف، م س، ج 1 ص: 65.

– مارمول: إفريقيا، م س، ج 1 ص: 45.

44) Pero Leroy: le palmier, op cit, p: 60.

الأسفل للجريدة أو ما يصطلح عليه «الْكَرْنَفَةْ». كما أن اللحاء الذي كان يلفف الكرنفة كان الأهالي يستعملونه كرداء على فم «الكُلَّةْ» أي القلة – لصيانة ما بداخلها من ماء وللتصفية أيضا. وأحياناً أخرى كانوا يستعملونه لتلفيف القلة لا سيما في جزئها الأسفل لضمان ثباتها ورسوها. كما كان الإنسان المحلي يستغل ما يوجد بقلب النخلة للتغذية وهو ما يعرف محليا «بِالْجَمَّارْ»،(45) ويستعمل نوى التمر(46) بعد دقه وتهشيمه كعلف إضافي للماشية. فقد أشار السجستاني إلى أهمية نوى التمر (العلف) في تغذية الماشية لأنه يسمنها ويكثر من شحمها.(47) وهو نفس ما أكده الوزان بالنسبة لماعز منطقة درعة. قال: «إن الماعز بمنطقة درعة كانت تعلف بنواة التمر المكسرة التي تساعد على سمنها وإعطائها ألبانا أكثر».(48)

إن أهمية النبات النخيلي بالمنطقة الشبه الجافة كان لا يقتصر على الاستعمالات المختلفة لكل أجزائها من الجذوع إلى الشوك. هذا الأخير الذي كان يستعمله الأهالي لسل الأشواك التي كانت تصيب الفلاحين أثناء مزاولة مختلف العمليات الزراعية، لا سيما وقت تذكار النخل أو «التَّسْكَاطْ»(49) أو قطيع التمر. كما كانت تستعمل الأشواك كذلك لترويض حيوانات العمل على الإسراع في المشي، وهو ما يعرف في الأوساط الزراعية المحلية «النْغِيزْ». كما كانت النساء تستعملن الأشواك كذلك لثقب الخبز بغرض التنفس أثناء عملية طهيه في الفرن «الفران»، بل إن أهمية التمور طالت حتى الجانب التجاري. فقد أجمعت المصادر على اختلاف المراحل التاريخية التي تعالجها أهمية التمور في المبادلات التجارية. وقد كان إقليم سجلماسة بمختلف واحاته من أشهر المناطق المغربية المعروفة بجودة تمورها، فحسب معهد الغلال والفواكه للمستعمرات(50) أن مساحة الأراضي المغربية المغروسة نخلاً

---

45) السجستاني: النخلة، م س، ص: 23.

46) النوى هي الْعَلْفَةْ.

47) السجستاني: النخلة، م س، ص: 23.

48) الوزان: وصف، م س، ج 2 ص: 120.

49) التَّسْكَاطْ هو تشذيب النخل من جريده.

50) تقرير معهد الغلال والفواكه للمستعمرات: «شجرة النخل في العالم» مجلة الديوان التونسي لتوحيد الإنتاج عدد 28 الجزء الأول تونس 1950.

كانت تقدر بحوالي 65 ألف هكتار خلال سنة 1947م وقدر عدد النخل بحوالي 3.972.000 نخلة حسب إحصاء سنة 1948. لكن مع ملاحظة أن النخيل بمدغرة عوضه الزيتون، ولم تعد أشجار النخيل بنفس الحجم التي تحدثت عنه المصادر قديماً بمدغرة بل كاد ينقرض. ولم يكن هذا المنتوج النخيلي يصل إلى المناطق المغربية المختلفة فقط،(51) وإنما تعهدى ذلك واخترق المحيطين البحري والرملي فوصل إلى تغازى والسودان منذ زمن ابن بطوطة على الأقل(52) وإلى أروبا.(53)

ونظراً لأهمية التمور في اكتساب العيش والتبادل فقد حظيت النخلة بمكانة خاصة لدى السكان وأحاطوها بعناية خاصة. فقد جاء في الشرط 210 من اتفاق قصر الكَارة ما يلي: «وأما من ضرب النخلة أو الشجرة أو خَسَّرَ الغلة فنصافه خمسة مثاقيل إن بلغ، وإن لم يبلغ فنصافه مثقال»،(54) وهذا العرف مطبق أيضا في منطقة مدغرة. كما كانت الأعراف المحلية صارمة في الحفاظ على جريد النخل، فقد جاء في الشرط 17 من اتفاق قصر أيت عثمان ما يلي: «وأما من قطع الجريد في نخيل غيره بريال ويفتشه الشيخ إن شك فيه. وكذلك زعف – أي سعف – القلب ويثبت بالشهادة المكتوبة سرا وعلانية».(55) كما جاء في الشرط 19 من اتفاق نفس القصر المذكور ما يلي: «وأما من أراد أن يصنع له شيء من مسائل الزعف – يعني السعف – كالزنبيل وغيره، فيقدم مع الصانع حتى يقطع في نخيله ما أراد».(56)

---

51) Ibn Fadel Allah Alomari: Kitab Al Filaha, op cit, p: 201.

52) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، م س، ج 2 ص: 773.

53) Latrie (Mass): traités et documents divers consernant les relations des chretiens et des arabes au moyen âge p: 99 Paris 1868.

– مارمول: إفريقيا، م س، ج 1 ص: 45.

– روجي لوطورنو: فاس قبل الحماية، م س، ج 2 ص: 621.

54) Mezzine (L): le tafilalet, op cit, p: 160.

55) Mezzine (L): taqquit de Ait Atman, op cit, p: 102.

56) Mezzine (L): taqquit de Ait Atman, op cit, p: 102.

إلا أن هذه الأهميــة التي كانت تحتلهــا التمور والنخيل بمعظم المنــاطق الشبه الجافة كانت تقلل من أهمية مردودها وكمية إنتاجها، ما كانت تعرفه المناطق الواحية الجنوبية من صراعات وحروب وهزات سياسية واجتماعية. فقد ذكر الوزان أن: «سكان القصور بالواحات كانت تنشب بينهم شقاقات ونزاعــات، فيتلفون قنوات السقــي ويقطعون النخل من أسفل»،(57) غير أن مسـألة الحروب والنزاعات بين القصــور لم تكن دائمة ومستمرة. مما يعني أن ما كان يأتي على هذا المنتوج الشجري هو ما كان يعرفه هذا الأخير من أمراض وآفات.

لقـد شغلت مسـألة الأمـراض والآفـات التي تصيب النخل والتمر فئـات عـريضــة من المهتمين، غير أن محاولـــة التأريخ لهذه الأمــراض تصطـدم بمجموعــة من الصعوبات. يأتي في مقـدمتها ندرة المادة العلمية وعمـومية المتوفر منها. فإلى حدود اليوم – حسب علمنا – لا نتوفر على دراسة دقيقة عن أمــراض النخيل، وكل ما كتــب ونشر من بحوث ودراســات فيما يتعلق بهذا الجانب يعتبر قليلاً ولا يتناول إلا مناطق محدودة.

لقـد كـان مـرض البيـوض من بين أخطـر الأمـراض التي كـانت تفتك بالمنتوج النخيلي بـالمناطق الجنوبية الشرقية، لدرجـة أن هناك من الباحثين من يعتبر مـرض البيـوض بـالنسبـة للنخلـة بمثابـة السرطـان بـالنسبـة للإنسان.(58) وذكر فوست Fawcett أنه لم ير مرضاً فتاكاً على أي نبات مثلما رأى من فظاعــة فتك مرض البيـوض بنخل التمر.(59) وكلام كهذا خـاصة وأنه صادر عـن شخصية عالمة بأمراض النبات، لابـد وأن يكون مبني على حقائق يقـدرها من عـرف المرض، وله اطـلاع كبير على الفتك السريع الذي ألحقه ببلاد المغرب.

تعتبر منطقة جنوب بـلاد درعة هي أول المناطق المغربيـة التي ظهر بها هــذا المرض، وذلك قبل سنــة 1890م. ومع بدايــة القرن 20م أخذ المرض

57) الوزان: وصف، م س، ج 2 ص: 126.

58) أحمد البوزيدي: درعة، م س، ج 2 ص: 427.

59) Fawacett (H.S): observation on the cultures and the diseases of date palms in north Africa date growers, inst R.P.T n° 8 p: 18-23.

ينتشر شمالاً وشرقـاً، ولم تطل سنـة 1930م حتى عم المرض كل واحـات إقليم سجلماسة المتنـاثرة على طول وادي زيز. ولم تمضي إلا سنـوات قليلة عن هـذا الاجتيـاح حتى أصـاب المرض أغلب المنـاطق المغربيـة المعـروفـة بغراسته، ولم تنج منه إلا منطقة مراكش إلى غاية سنة 1956م.(60)

أكدت الدراسـات التي أنجزت حول أمراض النخيـل أن مرض البيوض كـاد أن يقضي على نسبـة مهمـة من أنـواع النخيل التي كـانت تشتهـر بها المنطقة الجنـوبية الشرقية، كمادة غـذائية أسـاسية لحياة السكـان وسلعة تجارية هـامة تصدر كميات منهـا إلى الخارج لا سيما من صنف المجهول. ومعلوم أن المنطقة الممتدة على طول وادي زيز من مدينة الرشيدية إلى مركز أرفود – يقول نيكسن – كانت مهـد الصنف المسمى مجهول. وكانت نسبة هذا الصنف من التمور بهذه المنطقـة تقدر بحوالي 25٪ خلال سنة 1920م وهو ما يعادل $\frac{1}{4}$ النخيل الموجود بالمنطقة. ويضيف نيكسن أنه عندما زار المنطقة خلال سنة 1950م في رحلة استمـرت ستة أيـام من أعلى إلى أسفل وادي زيز لم ير هذا الرحالة سوى 12 نخلة من هذا الصنف.(61)

ونسجل بدورنا أن هذا المرض قد أصاب أنواع النخيل التي تنتج التمور الجيـدة، ولعل ذلك هـو الـذي أدى أو كـاد أن يـؤدي إلى انقـراض النخيل بمدغـرة ميدان بحثنا في وقتنا الحالي نهايـة القرن 20م. ومن الطـريف أن نسجل أن نخيل الـولايـات المتحـدة الأمريكيـة حـالياً لا سيما من صنف «مجهول» قد أدخل إليهـا عن طريق سجلماسة ومدغرة. فقـد ذكر الباحث الزراعي العراقي عبـد الجبار البكر أن الرحالة والبـاحث الزراعي الأمريكي سونجل خلال سنة 1927م قد نقل بعض فسـائل النخيل من هذا الصنف من بلدة بودنيب بحوض كَـير بالمغرب. وغرس جنوب ولاية نيفادا Nivada في محل منفرد، ولما ثبت خلـوه من أي مرض أو آفـة نقل إلى مدينة أنـديو بولايـة كاليفورنيـا عام 1936م. وعنـد مـرور عبد الجبـار البكـر بـوادي

---

60) عبد الجبار البكر: نخلة التمر، م س، ص: 482.

61) Nixon (R.W): date culture in french north Africa and Spain, date growers, inst R.P.T n° 27 p: 15-21.

الكوجللا بكاليفـورنيا عام 1957 وجـد أن محطـة تجارب النخيل مهتمـة بتكثير هذا الصنف لما له من صفات تجارية ممتازة.(62)

ب - الزيتون :

سبق أن أشرنا(63) أن الغطاء الشجري الموجود حاليـا بمنطقة مدغرة لا يقتصر على شجرة النخيـل. فإلى جانب هـذه الفصيلة النبـاتية نجـد شجر الزيتـون. هذا الأخير الذي يغطي حاليـاً حوالي 72٪ مقابل 15٪ من شجر النخيل بمدغرة والخنك. وهذا عكس ما نجده في واحة تافيلالت، إذ أن نسبة شجر النخيل تقدر فيها حالياً بحوالي 96٪. مما يطبع الغطاء النباتي بمدغرة بميزة خـاصة، ومن جهة أخـرى ومن خلال المادة العلمية المصـدرية التي استطعنـا الاطلاع عليهـا، يظهر أن شجـر الـزيتون لم يكن يستحـوذ على الغطاء الشجري كما هو الحال الآن بمـدغرة. وحجتنا على ذلك غياب المادة العلميـة فيما يخص هـذا الجانب، فبـاستثنـاء مـا أورده ابن الخطيب عن إشارات تتعلق بوجود شجر الزيتون بمدينة غارسلوان، قال: «فما تقول في أقرسلـوين قال واد عجيب... كثير الجوز والـزيتون»(64) لا نعثـر على أيـة إشارة أخرى تؤرخ لوجود هـذه الشجرة بهذه الأصقاع. وهذا ما دفع جاك مونيي - على مـا نعتقد - إلى القول بأن: «شجـر الزيتون كان منـذ القرن 11م إلى 16م لا يحتل إلا مكانـة بسيطة على مـا يظهر في اقتصـاد المغرب الجنوبي».(65) وقد سبق أن افترضنـا أن يكون العرب هم الـذين عملوا على توسيع غراستها بهذه الجهات.(66)

تعتبر شجرة الزيتون من الصنـف الشجري الذي لا يستغل محصولها إلا بعد سنـوات من غرسها، ولكنهـا بعد ذلك تستمر في العطـاء لمدة أجيال

62) عبد الجبار البكر: نخلة التمر، م س، ص: 763.

63) انظر الباب الأول الفصل الثاني.

64) ابن الخطيب: معيار الاختيار، م س، ص: 179.

65) Meunie (D.J): le Maroc saharien, op cit, p: 379.

66) انظر مراحل انتقال هذه الشجرة إلى منطقة مدغرة الباب الأول الفصل الثاني. والباب الثاني الفصل الثاني.

عـديدة. ويُــلَـقَّــح الزيتـون بصــورة طبيعية من عينـة أخرى من شجـر الزيتون، تعـرف في الأوساط الزراعية المحليـة «بِـالـجَّــبُّـوجْ»، وهي ذكر الزيتــون. وينتج هذا الأخير حبا رقيقاً لا يصلح لعمليـة الطحن، بل الفائدة الكبرى منه هو تلقيح الأنثى من الـزيتون. ونظراً للأهميـة التي كان يلعبها «الجبوج» فقد نصت الأعراف المحلية على تعهده والاحتفاظ عليه بعدم قطعه أخضر أو بيعه. فقد جاء في الشرط 240 من اتفاق قصر الكَـارة ما يلي :

«وأما الـزيتون والجبـوج الخضر، فإنه لا يبيعه أحـد، ومن باعـه فعليه خمسة مثاقيل».(67) وقد كان شجر الجبوج متناثراً في غابة مدغرة.

يبـدأ الـزيتـون في الإزهـار خـلال فصل الصيف، وأحيـانـاً كـان ريح الشركَـي خلال الفصـل المذكور يعمل على إسقاط الأزهار المتفتحـة. مما له بالغ الأثر على مردوده. كما أن العنكبوت ينســج خيوطه خلال هذا الفصل بين أغصان هـذه الشجرة، إلا أن الريـاح الصيفية ورخات المطـر الخريفية خاصة، كانت تقضي على هذه الحشرة المضرة بهذه الغلة.

تحتاج شجـرة الزيتـون إلى العنايـة بها من خلال تسميـدها وقلـب ما حولها من تـراب وتشذيبهـا وهو مـا يعرف في الأوســاط الزراعيـة المحلية «بالزْبِــيْر» حتى تتمكن من إعطـاء منتـوج جيـد في الموسم الموالي. ويميـز الفـلاح المحلي فيما يخص شجر الـزيتـون بين الزيتـونـة «الفَـرْخَــةْ» أي الصغيرة والزيتونـة «الشَّــخْـشَـةْ». ويعـول كثيرا على هذا النوع الأخير، إذ بإمكانه – حسـب ما أمدنا به بعض الـرواة – أن يعطي ما بين 100 و150 مداً(68) من الزيتون.

لم يكن يشرع في عملية إسقاط حب الـزيتون «خْـرِيطْ الزِّيتُـونْ» إلا مع نهاية شـهر دجنبر وبداية شـهر ينايـر بعد الإعلان عنها من طرف الجماعة الكلية لأهل مدغرة. فالموسم على قياس موسم قطيع التمر يبدأ في يوم واحد بكل قصــور مدغـرة. وقد كـانت الأعـراف المحلية تمنع بـدأ عملية خـريط الزيتون قبل الإعلان عنها من طرف الجماعة الكلية لمنطقة مدغرة. فقد جاء

---

67) Mezzine (L): Le tafilalet, op cit, p: 164.

68) الْـمُـدْ مقياس عبار محلي يساوي أحيانا ما بين 8 إلى 10 كلغ، مع العلم أن هناك فـرق بين مد الزرع ومد الزيتون فالأول ممسوح والثاني مقبب.

في الشرط 159 من اتفـاق قصر الكَـارة مـا يلي: «وأما من خـرط الزيتـون فنصافـه عشرون مثقالاً»(69) أي بـدون إذن جماعي. ومـن بين المسـائل المعمول بها في الأوسـاط الزراعية المحليـة أن جماعة كل قصر كـانت تسند مهمة حراسة الغلل داخل الغابة ومراقبة المخالفين الذين لا يلتزمون بأوقات الجني والـزرع، ويعــرف هـذا الحارس في الأوسـاط الـزراعيـة المحليـة «بِـالْـحَـضَّـايْ».

بمجرد الإعـلان عن بدأ عملية خـريط الزيتون تتجـه مجموع الأسر إلى الغابـة من الصباح الباكر إلى المسـاء للمساهمة في هذه العمليـة. حيث كان الذكور يتسلقـون الأشجار وينفضون حب الزيتـون بالقصب، بينما كانت الإناث يتـولين عملية جمع الـزيتون المتنـاثر على الأرض. وهـو ما يعـرف بعمليـة «الْلَـقِـيط»، ويستعملـون في ذلك القفـاف.(70) وهـذه المسـاهمة الجماعية لـلأسرة تعتبر صورة من صـور التكافل والتضـامن. ونشير بهذا الصدد إلى أن الأسر الحرطانية التي كانت مرتبطة بعقد الخماسة مع بعض الأسر الشريفـة أو غيرهـا من الأسر الأخـرى كانـت ملزمـة عـرفيـاً بجمع الـزيتون. ونـود أن نسجل بهذا الخصـوص أن الأعـراف المحلية الخاصـة بمنطقة مدغرة وما إليها اختلفت بخصوص الحصة التي يتقاضاها الخماس لقاء مسـاهمته في هذه العمليـة. فإذا كانت الأعراف المحليـة الخاصة بقصر أيت عثمان قد نصت على أن خريط الـزيتون يتقاضـى عليه الخماس نصف خمس الإنتـاج، وذلك بنـاء على ما جـاء في الشرط 95 من اتفـاق قصر أيت عثمان. قال: «وكذا مما اتفقت عليه القبيلة بأن الزيتون لا يخرط إلا بنصف الخماسة»(71) أي العشر. فإن الأعراف المحلية الخاصـة بقصر الكَارة حددت للخماس ثمن الإنتاج، فقد جاء في الشرط 270 من اتفاق قصر الكَارة ما يلي: «وأما الزيتـون، فليس للخماس إلا الثامنة».(72) ولكنـه تغير وأصبح يعمل الثلث أو الربع أو الأجرة اليومية في الوقت الحالي.

---

69) Mezzine (L): le tafilalet, op cit, p: 155.

70) سنثبت في الملحق الخاص بـاللـوحات مجمـوعـة من الصور التي تشير إلى أهـم مراحل عمليـة «خريط الزيتون» انظر اللوحات رقم: 5 – 6 – 7 – 8 – 9 – 10 في الملحق الخاص بالصور.

71) Mezzine (L): taqquit de Ait Atman, op cit, p: 106.

72) Mezzine (L): taqquit de Ait Atman, op cit, p: 167.

وكلما اجتمعت كمية من حب الـزيتون، كانوا يكلفون أحـدهم لنقله عبر الدواب إلى المعصرة، إذ كان لكل أسرة مكان خاص بها لوضع زيتونها داخل ساحتها وهـو ما يعرف «بِالْـمَتْــفَـلْ»،(73) وكلما انتهـوا من إسقــاط حب الزيتـون لفدان مًّـا كانوا يجمعـون ما تسـاقط من أغصان صغيرة وأوراق الزيتـون، وتعرف هـذه العملية في الأوســاط الزراعيـة المحلية «حُـــوشَــانْ الطَّـهْـطُـوهْ». وينقلون «الطَّــهْــطُـوهْ» إلى المنازل لاستعماله كحطب ووقود منـزلي. وجديـر بـالإشارة أن إسقـاط الزيتـون بهذه الطـريقة كـان يضر بالشجرة وأغصانها، مما كان يسبب في تفاوت الإنتاج من سنة إلى أخرى.

وأثناء عملية «خــريط الزيتون» تظهر القصور وكأنها فـارغة من أهلها. لأن كل السكان يقصدون الغـابة للمساهمة في هذه العمليـة كباراً وصغاراً، ولولا رؤية دواب الخدمة التي تنقل حب الـزيتون من الغابة إلى المعصرة أو «الطهطوه» إلى المنازل، أو النسـاء اللائي يحملن الطعام والشاي إلى الغابة. لما حكمنا على هــذه القصور أنها خاليـة من السكان. وبعد الانتهـاء من عملية إسقاط حب الزيتون وجمعه ونقله إلى المعصرة، كان يسمح للأطفال خاصة بعملية «التَّـــغْــلاَلْ» وهي عمليـة إلتقاط مـا تبقى من الزيتـون سواء أبقي عالقا بالأشجار أو متناثراً بالفدادين بالغابة، وجمعه وبيعه لشيخ المعصرة.

إن أهميـة شجـرة الـزيتـون أصبحت بعـــد هــلاك شجـر النخيل أهم المنتـوجات الشجـريـة بمنطقة مـدغـرة، وذلك اعتبـاراً لما تقدمــه من زيت «وَعَـــصَّــارْ» وخشب. فـالـزيت كـانت مادة أســاسيـة للتغـذية والتبـادل التجاري. وقـد سبق أن رأينا(74) كيف أن منطقة مـدغرة وإلى عهـد قريب كانت تصــدر هذه المادة إلى تافيـلالت وإلى قبائل أقدام الجبـال. كما كانت الزيت كذلك تلعب دوراً هــاما في الإضـاءة. وكان «الْـفِـــيتُـورْ أو العَـصَّـارْ» وهي المواد الناتجة عن الطحن تستغل كوقـود إلى جانب «الطهطوه». وبقدر ما كان عود الزيتون يستغل في عـدد كبير من التقنيات الزراعية «كَـأَغْـرْورْ – الشَّـمَّــاسْ»، كانت تستغل الأشجار الكبيرة من الزيتون التي شاخت ولم

73) انظر شكل «المتفل» باللوحة رقم: 14 في الملحق الخاص بالصور.

74) انظر الباب الأول الفصل الثاني، ص: والباب الثاني الفصل الأول.

يعد بإمكانها أن تعطي منتوجا جيدا كأداة فعالة ضمن أجزاء المعصرة، إذ بها كان يصنع «المثقل». مما يعني أن كل أجـزاء هذه الشجرة كانت تستغل في الأغراض العامة واليومية للسكان. لهذا لا غرو إذا وجدنا الأعراف المحلية الخاصة بمدغـرة، وما إليها تمنع منعاً كليـاً قطع هذه الشجرة. اللهم إلا في حالة الضرر. فقد جاء في الشرط 233 من اتفاق قصر الكَـارة ما يلي: «وأما من شكـا بِـالضْــرُورَةْ من أجل شجرة أو زيتـونة أو نخلـة أو غيره، فإن الشيخ يرسل له أربعة رجال فإن قالوا يضر ذلك تزول وإلا لا تزول».(75) وهـذا يرتبط كـذلك بـالظل والشمس والجوار في المزروعات. ولا يفهم هـذا الارتباط والتشبث بشجر الزيتون إلا في إطار الفضائل والخيرات التي كانت تدرها على السكان، سواء على مستوى معـاشهم اليومي أو باعتبارها تقدم مادة هامة في العملية التجاريـة، أو على مستوى استفادة الأهالي من عودها في التقنيات الزراعية والأعمال المنزلية المختلفة.

وإلى جانب هذه المنتوجات الشجرية نجد منتوج شجرة الطرفاء المسمى محليا «الْـعَـدْبَـةْ» الذي كـان يستغل في الدباغة. وقد سبق أن أشرنا(76) أن هذه الشجرة كانت منتشرة بكل المناطق الشبه الجافة، وتكثر بشكل ملحوظ بحـوضي زيز كَـير. وتنمو هـذه الشجرة بشكل عشـوائي دون حاجـة إلى مبـاشرتها بعمل مـا. لأنها تستحمل التربة المالحة، وتقـاوم الجفـاف بفعل توفرها على جدور طويلة تمكنها من البحث عن الماء الجوفي في أعماق التربة، كما أنها تخفف من أهوال العـواصف الرملية والزوابع الغبـارية، علاوة على استغلال أغصانها في العديد من التقنيات الزراعية «كأغرور» و«الشماش».

تنتج هذه الشجرة كميات كبيرة مما يسميه المحليون «العدبة» وكان هذا المنتوج يستغل في الدباغة منذ القـديم. وقد تحدث عنه البكري خلال القرن 5هـ/11م، قـال: «وبدرعـة شجر التكـاوت يشبه شجـر الطرفـاء، وبهذه التكاوت يدبـغ الجلد الغدامسي».(77) إن وجـود هذا المنتـوج بإقليم مدغـرة

75) Mezzine (L): le tafilalet, op cit, p: 163.

76) انظر الباب الأول الفصل الثاني.

77) البكري: المغرب، م س، ص: 152.

يسمح لنـا بأن نتصـور دوره الفعـال في النشـاط التجـاري بين مـدغـرة والعواصم المغربية الكبرى المعروفة بالـدباغة، لا سيما فاس ومراكش. وهذا من شأنه أن يكشف لنا عن بعض المنتوجات التي كانت تحملها القوافل من مدغرة باتجاه هذه المدن وغيرها هذا من جهة. ومن جهة أخرى يبين أن هذا المنتوج كان له دور في إقامة حرف مـزدهرة للدباغة. لأنه لا يعقل أن تنتج منطقة مـدغرة «العـدبة» وتقتصر على تصديـرها دون استغـلالها محليا في دباغة الجلـود، سيما وأن مجال مدغرة كان يوفر لها المادة الجلـدية سواء عن طـريق تربيـة الأغنـام داخل القصور أو مـا كـانت تمدهم به قطعـان الرحل، التي كـانت تتنقل بحريم مدغـرة والحمادات المجاورة وتختلف على الأسواق المحلية بمدغرة. سيما وأن موقع منطقـة مدغرة يقع ما بين المناطق الجبلية التي يتعاطـى سكانها للرعي بمختلف أنواعـه والصحراء. وهذا من شأنه كذلك أن يكشف لنا عن جـانب من الحرف التي كان يحترفها الأهالي بالمنطقة وبقيت قابعة في الظل دون أن يؤرخ لها.

وعلاوة على هـذه المنتوجـات الشجرية المنصـوص عليها أعـلاه، عرفت المنطقة إنتـاج بعض أشجار الفـواكه التي كانـت تستغل للمعاش، وتخضع لقواعد وقـوانين البستنة. ولا يظهر أنها كانت تحتل مكـانة كبيرة في الإنتاج الزراعي. وقد أرجع مارمول ضعف إنتاجها إلى عدم معرفة الأهالي بتقنيات فلاحتهـا. قال: «... أنـه يوجد بهذه الأرض الـواقعة بين هـذا النخيل بقرب الميـاه أشجار مثمـرة وخضر، ولكنها أقل خصبـاً وفائدة من التي في بـلاد البربر لأنهم لا يحسنون فـلاحتها».(78) ونـرد عليه بأن الأهـالي ثبت أنهم يعرفون قواعد زراعتهـا وخبراء في ذلك، ولكن أهمية زراعة النخيل كانت في الدرجة الأولى بالنسبـة لشيء آخر، فالمسألة خاضعة لـلأولويات، وليس إلى الجهل بالتقنيات الزراعية كما ذهب إلى ذلك مارمول.

كما عـرفت منطقة مـدغرة إنتـاج بعض النباتـات المساعـدة على تربيـة الماشيـة، ويتعلق الأمـر هنـا بنبـات الفصـة. فقـد أفضت جهـود أحـد الدارسين(79) بناء على ما جاء عند ابن الزيـات أن نبات الفصة كان معروفاً

---

78) مارمول: إفريقيا، م س، ج 1 ص: 44.

79) الحسن حافظي علوي: سجلماسة، م س، ص: 303.

بإقليم سجلماسة على الأقل منذ القرن 7هـ/13م بدليل ما أورده ابن الزيات وهو يترجم لأبي القاسم ابن أبي الفضل المتوفى بسجلماسة عام 601هـ/1205م قال: «حدثني أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي القاسم بن ميمون، وكان رجلا فاضلاً من أهل للبيت قال، خرج إلي أبو القاسم فبات عندي في الرابطة فأحيى ليله صلاة فاحتاج بالغداة إلى تجديد الوضوء، فدخل في كَمون الفصفصة...».(80)

لقد كانت زراعة الفصة ملائمة لطبيعة التربة الفقيرة بمدغرة. وكانت زراعتها تشغل عدة بقع أرضية داخل الغابة بمدغرة. وتستمر الفصة في العطاء لمدة تتراوح ما بين 4 إلى 6 سنوات دون انقطاع.(81) وخلال السنة الواحدة كان هذا النبات يستمر في العطاء لمدة عشرة أشهر، ولا يعرف إنتاجه تراجعاً إلا مع شهري دجنبر ويناير.(82) وخلال هذه المرحلة يقدم للماشية العلف المخزون من فصل الصيف.

لقد تأقلم هذا النبات مع طبيعة البيئة والمناخ الجاف، وأصبحت له خصائص ومميزات. منها الحفاظ على نسيج التربة بفعل عروقه الطويلة التي تنفذ داخل التربة بشكل عمودي واستمراره لمدة طويلة، وهذا ما لا يلاحظ مع أنواع الفصة الأروبية. فقد ذكر جوانيط Jouannet أن الفصة الأروبية لا تستمر في هذا المجال لأكثر من سنة فلاحية واحدة، إذ غالباً ما كانت تموت بمجرد جني المحصول الأول منها.(83)

إذا كان نبات الفصة يحتاج إلى مداومة السقي خلال كل فصول السنة، فإن حاجته للماء تكون أشد خلال الفصل الحار. إذ يحتاج خلال فصل الصيف إلى الإرواء المستمر على الأقل مرة واحدة في الأسبوع.

إن ما يفسر أهمية هذا المنتوج بمدغرة هو البقع الأرضية المتعددة داخل الغابة المخصصة له، وهذا يرجع إلى النقص الكبير الذي يعرفه الغطاء

---

80) ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، م س، ص: 379.

Plan directeur: volume n° 7, op cit, p: 39. (81

82) الحسن حافظي علوي: سجلماسة، م س، ص: 304.

Jouannet (G.P): vie au tafilalet, op cit, p: 10. (83

النباتي بهذه المناطق. مما يجعل من منتوج الفصة الغذاء الأساسي للماشية بالنسبة للمستقرين خلال كل فصول السنة، فقد كان الأهالي يقدمونه لها أخضراً خلال فصل الصيف ويابساً «الكُرْطْ» خلال الفصل البارد. وحسب ما أمدنا به بعض الرواة، فإن فلاحي مدغرة في الوقت الحالي يفضلون منتوج الفصة في عملية تسمين ماشيتهم على غيرها من المنتوجات الأخرى، بما في ذلك منتوج الشمندر. ولم يكن فلاحو مدغرة يفرطون في أي جزء من أجزاء نبات الفصة، فالحافظة الشعبية المحلية تذكر أنه عندما تشيخ الفصة، كان الفلاح المحلي يقتلع جدورها ويهشمها ويقدمها كعلف للماشية.

إلى جانب هذه المنتوجات، كانت منطقة مدغرة تنتج كميات من الحبوب لا سيما القمح والشعير والذرة. وكانت تحتل قطعا استغلالية لا تختلف في معظمها عن شكل الحقول الأخرى كتلك المخصصة لمنتوج الفصة مثلا. إلا أن ما يلاحظ على هذه الحقول بناء على ما تمدنا به الوثائق المحلية لا سيما تلك الخاصة بعقود الملكية الفردية وعقود القسمة، هو أن البقع الزراعية تخصص لإنتاج الحبوب والفصة وبنفس الآن تحيط بها أشجار النخيل أو الزيتون. إذ قلما نصادف فداناً مخصصاً لأحد المنتوجات فقط، وهذه المسألة مازلنا نلمسها بارزة حتى الوقت الحاضر بغابة مدغرة. وهذا ما تعبر عنه الوثائق كذلك ببياض وسواد الفدان. ونجد ما يعاكس هذه الظاهرة بواحة فجيج، ذلك أن الحقول المعدة للحرث تتميز باستقلالها عن البساتين المغروسة بالنخيل والأشجار الأخرى،(84) ولكن هناك ملاحظة أساسية في هذا الخصوص هي وجود نوع من القطع الأرضية المحاطة بأسوار، وتتوفر على أبواب تعرف محلياً بالجنانات.(85) وكانت تخصص هذه الأخيرة عادة لأشجار الفواكه، أما الحقول الزراعية الأخرى من غير الجنانات فقد كان يتم الفصل فيما بينها بواسطة «الوسايد» أي الصرائم الترابية.

---

84) أحمد مزيان: فجيج، م س، ص: 164.

85) الجنانات هي تلك الحقول المسورة والمتوفرة على باب، وتخصص أساسا لأشجار الفواكه وقديماً لزراعة الزعفران والنافع.

كانت كميات الحبوب التي تنتجها المنطقة تتأثر إلى حد كبير بظروف البيئة والمناخ، وأيضا حسب القرب أو البعد من المجاري المائية، لا سيما وادي زيز. الذي لا يوفر فقط لغابة مدغرة الماء، بل وأيضا الغرين الذي كان يضمن تجدد شباب التربة. من هنا كانت تتدرج المنتوجات لا سيما الحبوبية منها حسب البعد أو القرب من المجرى المائي، وحسب ملائمتها لأنواع التربة. وكانت زراعة الحبوب (القمح - الشعير - الذرة) تحتل بقعاً وسط الغابة وبعيداً عن ظل الأشجار. لأن هذه الحبوب لا سيما الشعير منها يتلاءم مع ظروف البيئة الصحراوية. ولا يتطلب كغيره من الحبوب كثيراً من الماء.(86) كما أن تكيفه مع التربة الفقيرة ونضجه المبكر جعله لا يكلف الفلاح المحلي أتعاب زراعة القمح. مما جعل الإقبال على زراعته لا تقل أهمية عن زراعة القمح. خصوصاً إذا علمنا أن الشعير علاوة على كونه مادة غذائية هامة لسكان الواحات. فقد كان يقدم كعلف للماشية، لا سيما من قبل الرحل. وأحياناً أخرى كان الأهالي يقطعونه أخضراً بعد الإنبات خلال فصل الربيع ويقدمونه كعلف للماشية. وهو ما يصطلح عليه في الأوساط الزراعية المحلية «السْقِيلْ».

كما كانت المنطقة تعرف زراعة نوع آخر من الذرة لا سيما على حوافي الوادي، لأن هذا المنتوج يحتاج إلى كثرة الماء. وكان يزرع وقت المصيف لِيُجْنَى مع بداية الخريف، ويستهلكونه بأشكال مختلفة: خبز - كسكس - «بَلْبُولْ الذْرَةْ».

إن نوع القمح الذي كان يزرع بمنطقة مدغرة كان من نوع «الشْكِيَرةْ» وهو من القمح الصلب، ويشبه إلى حد ما القمح الصلب الذي يزرع في السهول الأطلسية، وفي سفوح الجبال وواحات درعة وتافيلالت.(87) وكان القمح من المزروعات البكرية بالجنوب والزراعات المازوزية بالشمال.(88) ويحتاج على الأقل إلى ثلاثة مرات من السقي في السنة. وعليه كان يعول في التغذية إلى جانب الشعير والتمر وغيرها.

86) Valensi (L): Fellahs tunisiens, op cit, p: 171.

87) 88) Rosenberger (B): cultures complementaires de substitution au Maroc (XV - XVIII)e siècles. in A.E.S.C mai - août 1980 p: 483-484 et p: 484-485.

ورغم كل ذلك، فإن إنتـاج الحبوب بما فيهـا القمح – الشعير – الذرة، كان ضعيفـاً ولم يكن يغطي حاجيات السكـان، فيعمدون إلى استيراده من خارج الـواحة، لا سيما من شمال المغرب. فقـد ذكر الوزان أن النـوميديين يفضلون كثيرا غلـة التمر على غلـة القمح، لأن هـذه الأخيرة مهما كثرت لا تكفي لنصف السنة.(89) وأشار مارمول من جهته: «أن التمر بهذه البلاد – يعني نوميديـا – يكون محصوله جيدا – وأضاف – وهـذا ما يفضله أهل هذه البلاد، إذ مهما كان محصول القمح كثيرا، فإنه لا يكفي لأكثر من ستة أشهر. بينما تمكن وفرة التمـر من المبادلة مع بلاد البربـر والحصول منها على الكميـة المرغوب فيهـا من القمح والشعير.(90) إن نوميـديا التي تحدث عنها الوزان، ومارمول تدل على مجال واسع، وتدخل ضمنها منطقة مدغرة وإقليم سجلماسة القديم بوجـه عام. وتؤكد هاتان الشهـادتان فقر المنطقة من حيث محصول الحبـوب على اختلاف أنواعها. إلا أن تـوفر المنطقة على الفائض من منتوج التمر والزيتـون، ولو تعلق هذا الأخير بالمراحل المتأخرة، كان يمكنها من تعويض النقص الحاصل في هـذه المادة الغذائية، عن طريق التبادل التجـاري مع المناطق الغربيـة والشمالية من المغرب ومنـاطق أقدام الجبـال وتافيـلالت. وكان يتكلف بهذه العمليـة تجار المنطقة الـذين كانـوا يسـاهمون إلى جانب قبـائل الـرحل وتجار منطقتـا سجلماسة وفـاس، في القـوافل المترددة بين الشمال والجنوب. ويـزودون الأهالي بمنطقـة مدغـرة بالحبوب، وذلك في إطار التبادل القائم بين الشمال والجنوب من جهة. وبين الرحل وسكان الـواحة من جهة ثانيـة. ولم يكن الأمر يقتصر على الحبوب فقط، بل كـان يشمل أحيـاناً منتـوجـات سكـان الجبال لا سيما الصـوف والسمن. والغالب على الظن أن هذه الحبوب وغيرهـا من المنتوجات الأخرى التي تنقلها القوافل والرحل، كانت تباع بالأسواق المحلية بمدغرة، أو بداخل ساحـات ورحاب بعض القصور. ممـا يعني أن حاجـة منطقة مدغـرة وما إليها من واحات الجنوب إلى الحبوب كـانت كبيرة ودائمة. وقد استمرت إلى نهاية القرن 19م بل وإلى الـوقت الحالي. وحجتنـا على ذلك مـا جـاء عنـد

89) الوزان: وصف، م س، ج 1 ص: 65.

90) مارمول: إفريقيا، م س، ج 1 ص: 45.

روجي لوطورنــو قال: «... وبالنسبة لسكان هذه البــلاد – يعني تافيلالت بمعناهــا الواسع – الفقيرة فإن فاســا هي مطمح أنظارهم، لا سيما عنــدما تكون السنة سيئة ولا تغــذي الواحة سكانها».(91) وتشتد هــذه الحاجة أو تخف تبعا للظروف المنــاخية المحلية ولظروف الاستقــرار والسكينة ووفرة الماء الجاري بنهــر زيــز. ففي أحسن الأحــوال التــي تضمن لأهل مــدغــرة محصولاً كــافياً مــن الحبوب، كانــوا لا يضطرون إلى الإستيراد وحتــى لو فعلوا فبنسبــة قليلة. وهــذا ما تؤكــده إحدى المأثــورات الشعبية الشفــوية ومثال ذلك المقطع القــديم من الأنشودة الشعبية المحلية التي مــازالت تردد حتى الــوقت الحاضر وهــو: «أَوْ الصَّــحْـرَا ارْوَاتْ ارْوَاتْ الَّلــهْ إِهَــنِّــيكْ أَلْــغَــرْبْ». أما في حالة الأزمات المناخية والهزات الاجتماعية سواء بمدغرة أو بأماكن الإستيراد أو حتى بين القبائل المنتشرة على خطوط المواصلات، فإن الطرق المؤدية منها وإليها تتعطل، فيــؤثر ذلك على الأحوال المعيشية. وتنتج عنها أحياناً مجاعة محققــة أو على الأقل ضيق شديد. وأدى ضعف الإنتاج إلى تقتير في العيش ونتج عن هذا النظــام أن السيدة المسنــة هي التي كانت تتولى في الغــالب توزيع الغذاء، ويظهــر هذا من خلال جملــة من الخلافات والشكاوي التي كانت تــرفع إلى قضاة مدغرة. حيث كــان الشبان يشتكون من قلــة الطعام واللبــاس. وبــالفعل وبــالرجــوع إلى المعلــومات الــواردة في المصــادر حول منطقة مدغــرة خلال العصر الحديث، نلاحظ أن هذه الأخيرة كانت تتأثر بمجمــوع هذه الأزمات(92) لا سيما على مستوى إقتصــادياتها. لهذا نفهم لماذا وصفها الوزان ومارمول بالبؤس.(93)

وتحتل زراعة الخضورات والبقوليات مكانة مهمة بغابة مدغرة إلى جانب الحبــوب والمنتوجــات الشجــرية الأخــرى، وذلك بهدف تنــويع المنتوجــات الغذائية المستهلكة. وكانت تخصص لهذا الصنف من المزروعات بقع خاصة محاطــة بــزرب من القصب أو جــريد النخل لحمايــة منتــوجهــا من النهب

---

91) روجي لوطورنو: فاس قبل الحماية، م س، ج 1 ص: 286.
92) انظــر أثر الأزمــات المناخيــة والهزات الاجتماعيــة بمدغــرة في مــواضــع متعددة من البــاب الأول والثاني.
93) انظر ما جاء عند الوزان: وصف، م س، ج 2 ص: 123.
– مارمول: إفريقيا، م س، ج 3 ص: 155.

والسرقة. وتعرف هذه البقع الأرضية في الأوساط الزراعية المحلية «بِالْبْحِيرَةْ» وتستغل أساساً لزراعة الخضروات الضرورية للمعاش بمنطقة مدغرة وما إليها. لا سيما زراعة الطماطم – البصل – الملوخية – القرع – البدنجال – الفلفل بنوعيه الحار والحلو – البطيخ أو ما يصطلح عليه محليا «بِالَمْنُونْ» الكَروم – أي الفقوس – وغيرها من الخضر الأخرى. وكانت الأعراف المحلية تعاقب كل من تطاول على منتوج البحيرة. فقد جاء في الشرط 7 من إتفاق قصر أيت عثمان ما يلي: «ومن سرق البحيرة في المزرعة بعشرة مثاقيل إن حدها بالزرب».(94)

يبتدأ نظام البحاير من أبريل إلى أكتوبر، ويذكرنا هذا بنظام البحاير بمراكش وأحوازها. هذا وإن كنا نلاحظ أن بعض الأنواع من الخضر يبدأ إنتاجها في شهر أكتوبر لا سيما الجزر «الْخِزُّو» واللَّفْتْ، ويبدو أن هذين النوعين الأخيرين (الجزر واللَّفْتْ) كانا يستهلكان بكثرة خلال المرحلة الخريفية والشتوية، على قياس منتوج الملوخية خلال مرحلة المصيف. وكان اللفت بنوعيه اللفت الطويل «الْبَلْدِي» واللفت المدور «الْعَبُّوزْ» يلعب دوراً كبيراً في التغذية بالمناطق الجنوبية لا سيما خلال المجاعات. وحجتنا في ذلك ما جاء في الإحياء والإنتعاش خلال مجاعة 1072هـ/1662م. قال في الإحياء: «وكان أهل بلاد الصحراء بل وغيرهم من أهل الآفاق القريبة إليها يمتارون... من تدغوت اللفت والشعير».(95) ونظراً لكثرة الإقبال عليها فقد بلغت في أواخر السنة «زريعة اللفت في وقتها ثلاثة مثاقيل في بعض المواطن للمد، وإما بمثقال ونصف أو بمثقال فنفدت... في بلادنا وغيره».(96)

إن الخضر التي تنتجها البحيرة كانت تستهلك في المعاش. كما كانت تدر بعض الأرباح من خلال تسويقها، وكانت بعض الأصناف منها لا سيما القرع والملوخية تجفف في الشمس لاستهلاكها خلال الفصل البارد.

---

94) Mezzine (L): taqquit de Ait Atman, op cit, p: 101.

95) عبد الله بن عمر العياشي: الإحياء والانتعاش، م ص: 251.

96) عبد الله بن عمر العياشي: الإحياء والانتعاش، م ص: 259.

نستنتج من كل مـا سبق أن البسـاتين بمنطقة مـدغـرة تكون مشـهـداً زراعياً متنوعـاً ومتدرجاً من اليمين إلى الشمال ومن الأعلى إلى الأسفل، على مستـويـات ثـلاث. حيث يمثل النخيل في التحـديـد الأخير المستـوى الأعلى وتحتل الأشجار المثمـرة وشجر الزيتون المستـوى المتوسط في حين تغطي المستـوى الأدنى مزروعـات الخضر والحبوب والفصـة. هذا النبـات الأخير يعتبر ثاني منتوج بعد الحبوب في الأهميـة. ويظهر من خلال هذا التنوع في المزروعات والمغـروسات مع اختـلاف توطينها الجغـرافي داخل الغابـة تبعاً لحاجتها من الماء، أن الأرض بمنطقة مدغـرة كانت تستغل بصفة دائمة ولا تعرف الراحة إلا نسبياً.

إن فحص المعلـومات الواردة عـن المنتوجات الـزراعية، يكشف عـن قلة الإنتـاج. لأن ممارسـة الفلاحـة بالنسبـة لغـالبية السكـان، تتميز بكـونها ممارسـة معيشية ولا تسمح بتوفير الفائض والإدخـار إلا نادراً وفي بعض المنتوجات فقط. وبـالنسبة لبعض الفئات الثريـة دون غيرها، مما يعني أن الزراعة بمدغرة كانت هـي المصدر الأساسي لعيش السكان، هذا طبعا إذا لم تتأثر بإحدى عوامل أزمات الإنتاج وموسم القحط.

لم تكن أزمات الإنتـاج التي كانت تنتـاب منطقة مـدغرة مـرتبطة فقط بـالمتغيرات المنـاخيـة والكـوارث الطبيعيـة المختلفـة، بل وأيضـا بـالهزات والإضطرابات الإجتماعيـة وطرق الاستغلال المعتمدة في حقـل دراستنا. لقد كـان للأزمـات التي عرفتهـا المنطقة أكثـر من دلالة، فهي تعني من جهـة إرتفـاع الأسعار وغـلاء المعيشة، وفـراغ المخازن، مع مـا يصحب ذلك من مظاهر الخوف والنهب. فقد جاء في إحـدى الوثائق المحلية الخاصة بمنطقة مدغرة(97) التي تـؤرخ لبعض السنوات العجـاف وتؤكد بنفـس الآن وقوع الغلاء بالمنطقـة وارتفاع أسعار المواد الغذائية الأساسيـة، مع ما يرافق ذلك من وفيات وانتشار بعض الأمـراض وارتفاع قيمة العملات المتـداولة أنذاك. ما يلي: «وفي سنة 1281هـ وقع غـلاء في الشرق والغرب والحوز حتى بلغ

---

97) توجد هذه الوثيقة بخزانة أستاذنا المشرف مولاي هاشم العلوي القاسمي وسنثبت نسخة منها بالملحق الوثائقي الخاص.

المد الفاسي 19 مثقالاً وقيل 18 ومات خلق كثير بالجوع ومات فيها – أي في مدينة فاس – وما حولها وفي سائر البلدان كالحوز وتلمسان خلق كثير أيضا بوجع بوقليب... ووقع غلاء أيضا ببلد مدغرة – أي سنة 1322هـ – حتى بلغ المد 26 أوقية... وبلغ المد أيضا بالبلدة المذكورة – بلد مدغرة – 36 أوقية سنة 1323هـ، ستة وثلاثين أوقية وقد لطف الله بعباده. ومن خط الفقيه ما نصه: «وفي سنة 1272هـ كان الريال الرومي بمثقلين – أي بمثقالين – وستة موزونات وبه دفعنا لأهل الجرامنة في إقامة أصولهم. قلت وقبل سنة 1323هـ بأزيد من عشرين والريال بخمسة مثاقيل في بلد الصحراء وفي فاس بأربعة عشر مثقالا...».(98) وذكر الضعيف الرباطي من جهته أن الطاعون الذي ظهر بالمغرب خلال سنة 1089هـ الموافق لسنة 1679م: «... أفنى من مدغرة وتافيلالت ما لا يحصى...».(99) مما يعني أن تتبع هذه الأزمات قد يفيد في الكشف عن الإنهيارات الديمغرافية وأثر ذلك على الهياكل السياسية والإقتصادية بمنطقة مدغرة، سيما عندما تتلاحق السنوات العجاف.

لقد كان انحباس الأمطار لا سيما بالمرتفعات بجبال الأطلس يؤثر بشكل سلبي على السير العادي والطبيعي للعمليات الزراعية. مما كان يفرض أن لا زراعة بدون سقي، لأن معظم الزراعات بهذه الجهات تعتمد على فيضانات الأودية. وهذا ما قد يتعذر في حالة عدم سقوط الأمطار في المرتفعات المجاورة التي يتغذى منها نهر زيز، والتي تمده بمياه السقي والغرين.(100) وينتج عن هذه الحالة (تأخر أو عدم سقوط الأمطار) عادة تقلص في المساحات الزراعية، وبالتالي الضعف من حيث المنتوج الزراعي. إلا أن الفلاح المحلي واجه هذه السلبيات الطبيعية بنوع من الذكاء والفطنة، فقام بتنويع مصادر عيشه، حتى إذا نضب مصدر من تلك المصادر وجد البديل في الوقت المناسب. فكان فلاحو مدغرة على غرار ما هو موجود بمجمل

98) انظر الوثيقة رقم: 46 في الملحق الخاص بالوثائق.

99) الضعيف الرباطي: تاريخ الدولة السعيدة، م س، ص: 63.

100) الوزان: وصف، م س، ج 1 ص: 65.

مناطق الجنوب المغربي ينوعون المنتوجات فكانوا يزرعون المواد البكرية خلال الفصل الممطر من قمح وشعير وفول... وخلال شهري فبراير ومارس عندما تنمو المزروعات البكرية... يقومون بحرث المزروعات التي تتطلب حرارة أعلى وكمية أقل من الماء.(101) وبالإضافة إلى هذه المزايا اهتم فلاحو مدغرة بأشجار الفاكهة وبـ «البحاير» والخضر. مما زاد من تنوع الإنتاج الزراعي. وهذا ما كان يخفف من حدة المجاعات ويطور ويدعم بنفس الآن حجم التبادل التجاري بين الجهات المختلفة ويخلق نوعاً من التكامل. فقد كان سكان الواحات المتناثرة على وادي زيز يستبدلون التمر بقمح مملكة فاس.(102) ويدخرون ما يمكن إدخاره. وقد سبق أن رأينا كيف أن القصور بمدغرة كانت تخصص بها حجرات في الطابق الأرضي لخزن الفائض من المنتوجات الزراعية إستعداداً لموسم الشتاء، حيث تقل المنتوجات أو لمواجهة قحط السنوات العجاف.(103) ولا تقع المجاعة المحققة إلا عندما كانت تتلاحق سنتان جافتان أو ثلاث سنوات أو أكثر.

إن تعاقب سنوات جافة كان يؤدي إلى نفاد القوت من المخازن وهلاك الحيوانات والأنعام وارتفاع في الأثمان إلى درجات قصوى. حتى أن الناس كانوا يضطرون أحياناً إلى أكل النباتات الشوكية، وأحياناً أخرى اللحوم المكروهة شرعاً والجيف. وكان سكان المناطق الفقيرة وشبه الصحراوية بوجه خاص يتخذون من الثمار والنباتات البرية مواداً إحتياطية لتدعيم مخزونهم الغذائي. ويكون الإقبال عليها كثيرا، لا سيما في سنوات المجاعات والإضطرابات. فقد جاء في نشر المثاني أن النبق الذي يمكن اعتباره بمثابة فاكهة نبات السدرة والواسع الإنتشار بحريم منطقة مدغرة شرقاً وغرباً، كان أيضا من المواد التي يقبل عليها الناس في أيام الجوع و: «كان يظهر عليهم الشبع وحمرة اللون، لأن النبق من خاصيته إنارة الوجه للمداوم على أكله... ولازال يظهر في أبدانهم جودة اللون والصحة حتى يظن أنهم ممن

(101 Rosenberger (B): cultures op cit p: 482.

102) الوزان:وصف،م س، ج 1 ص: 65.

103) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

يتمتعون في الأكل غاية التمتع».(104) كما جاء في الإحياء والإنتعاش أنه خلال مجاعة 1071 و1072هـ/1660 – 1662م كان سكان ضواحي جبل العياشي لا يأكلون طيلة تلك الأزمة: «إلا الربيع. إلا من كان منهم بخير، يصنع لأولاده الصغار حساءا، ويأكل هو وباقي داره الربيع. فترى القوافل إلى الربيع في كل يوم غادية رائحة... إلى جهة بلاد زيز وجرسلوين بموضع يقال له تَصْفَنْتْ. فيمتارون منه أنواعاً من الربيع، لا يقتصرون على نوع واحد منه فيطبخون تلك الأنواع جميعاً في قدر واحد حتى تطيب، فيعصرونه من الماء فيجعلون له شيئا من الملح فيأكلونه، وكان هذا أشد في البطن وأثقل، وبه صاموا رمضان أجمع».(105) بينما كانت أسراب أخرى من الناس تمتار من موضع يعرف بِتَغَغْتْ غير أنها لا تمتار إلا نوعاً واحداً من أنواع الربيع وهو المعروف «بِأَوْجْطَعْ» وكان أشد ما يأكلون في الحلاوة.(106) وبمنطقة مدغرة تذكر الحافظة الشعبية الهلية أن الأهالي خلال السنوات العجاف كانوا يأكلون النبق وبعض النباتات التي تنمو مع الفصة وخاصة النوع المعروف «بِالتَّالْمْ» و«الكَجْطَمْ» مع شيء من الفلفل الحار المسحوق والملح وأيضا نبات الفصة.

وهكذا يتبين أن وطأة الجفاف بسبب قلة الأمطار وتدبدب صبيب جريان وادي زيز كان لها بالغ الأثر على المنتوج الزراعي بالمناطق الفقيرة عامة، ومدغرة بوجه خاص. ذلك أن الاستغلال الفلاحي وازدهاره كان رهيناً بالظروف المناخية المتدبدبة بين العطاء والشح، وأن المجاعات الخطيرة هي تلك التي يتعاقب فيها الجفاف لفترة تزيد عن سنتين. إلا أن دورات الجفاف الحادة التي كانت تنتاب المنطقة لا تفسر بمفردها الضعف الذي كان يميز المحصول الزراعي بين الفينة والأخرى، سيما وأن مشكل عدم إنتظام الأمطار ومشكل الجفاف تعتبر ظاهرة من مميزات المناخ

---

104) محمد بن الطيب القادري: نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج 2 ص: 360، تحقيق محمد حجي أحمد التوفيق، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مكتبة الطالب الرباط 1982.

105) عبد الله بن عمر العياشي: الإحياء والإنتعاش، م س، ص: 253.

106) نفس المصدر السابق، ص: 253.

المتوسطي(107) لـذلك فهي ظاهـرة مألـوفة وولـدت لديهم خبرة واسعـة بـالأحوال الجويـة. وقد وظـف الناس من غير أدنى شك مثل هـذه المدارك وقسمـوا السنة الفـلاحيـة بشكل محكم، وهـي على العموم ظـاهـرة عامـة بالمغرب وربما يكون هذا النظام مقتبسا من تقويم قرطبة.(108) مما كان له بالغ الأثر في مـواجهة ظروف مثل الجفاف. ممـا يدل على أن الجفاف رغم حـدتـه لم يكن في مستوى أزمـات أخـرى تبـدو أكثر شراسـة وعنفـاً على المحصولات الزراعيـة وعلى الحياة العامة بمنطقة مدغـرة. يأتي في مقدمتها الفيضـان النهري الذي كان ينتاب المنطقة بين الفينة والأخرى. وقد سبق أن أوضحنا خطورة الفيضـان النهـري على القصور السكنية وعلى المحصولات الزراعيـة بوجه عـام أي على الاستقرار.(109) وكثيرا مـا كانت تسمح هـذه الأحوال الطبيعية بخلق ظروف ملائمة لانتشار بعض الأنواع من الحيوانات القارضـة والحشرات الضارة، لا سيما الفئـران والجردان. ومعلوم أن هـذه المخلـوقـات الصغيرة تستطيع أن تتلف المحصـولات النبـاتيـة والبضـائع المخـزونة والكتب والأقمشـة والجلـود، وتفتك بالبيض والـدواجن. كما أنها تقرض الخشب وتضر بالمباني.(110) وكل ذلك كون في مدغرة تقاليد زراعية تضرب جذورها في أعماق التاريخ. ويظهر من تلك التقاليد أنها تأثرت بعدة نماذج من الحضـارات الزراعيـة للمناطق الجافة والواحـات. فقد إقتبسوا من المؤثرات العـربية القـديمة التي جـاءت مع الهجرات الهلاليـة والمعقلية، كما تأثروا بالمؤثرات الأندلسية فضلا عن المؤثرات الحضـارية المحلية. مما يؤكد أن مدغرة كانت معبراً لكل قوافل الشمال والجنوب، خصـوصا وقت ازدهار سجلماسة تجاريا واقتصـاديا خلال العصور الإسلاميـة الوسطى. فكانت مدغرة هي مطبخ هـذه التقاليد المتنوعة وبلـورتها محليا، فأصبحت نكهتها المدغرية ذات خصوصية محلية متفردة.

---

107) انظر الباب الأول الفصل الأول.

108) Dosy (R): le calendrier de cordoue, Leiden E.J Brill 1961.

109) انظر الباب الأول الفصل الأول.

110) هانـز زينسر: التيفوس والتاريخ، تـرجمة أحمد بدران، دار الهناء للطبـاعة والنشر، د. ت، ص: 182 - 183.

وكان الجراد هو الآخر من أخطر الآفات التي كانت تأتي على المنتوجات الزراعية بوجه عام بمدغرة من وقت لآخر، حيث كانت تشاهد منه أسراب عديدة كلما أغار على المنطقة. فقد ذكر الوزان أن «أسرابه تحجب ضوء الشمس عندما تطير مثلما يفعل السحاب، تأكل من الأشجار الفواكه والأوراق، وتترك عند ذهابها بيضا يتولد عنه جراد آخر لا يطير لكنه أسوء من أمهاته، يلتهم حتى لحاء الأشجار وحيثما فر يترك مجاعة كبيرة».(111) ويعرف الجراد الصغير محليا «بِـأَمَـرْدْ». قال الناصري: «وفي سنة ثلاثة وثمانين ومائتين وألف كان بالمغرب جراد سد الأفق في ربيع الأول لشهر مارس العجمي فأكل النْـجَـمْ(112) والشجر تم عقبه فرخه المعروف بأمرد فأكل كل خضراء على وجه الأرض واستلب الأعواد من أوراقها وقشرها من لحائها وفاض في الأمصار حتى دخل على الناس في بيوتهم».(113) ونظراً للخسائر الفادحة التي كانت تترتب عن هجوم الجراد على المنتوجات الشجرية والنباتية مثلما حدث خلال عام 1541م. حيث قضى على المحاصيل الزراعية التي كانت قد أفلتت من الجفاف بفضل السقي لا سيما بالمناطق الجنوبية.(114) فقد كانت الأعراف المحلية الخاصة بمنطقة مدغرة وما إليها تعاقب بصرامة كل من رَحَّلَ الجراد إلى غلال الجار. فقد جاء في الشرط 382 من إتفاق قصر الكَارة ما يلي: «وأما من رَحَّلَ الجراد في أحد الغلال – يعني الغلل – أو الأشجار فلا نصاف عليه إلا إذا قلع شيئا، فعليه نصاف ما قَلَّعَ».(115) وحسب ما استقيناه من بعض الشيوخ المسنين أن من بين الطرق التقليدية التي كانت تتم بها عملية طرد الجراد وقتله، تتلخص في إيقاد النار خاصة في روث البقر للحصول على ما يسمى في الأوساط المحلية «دْخَّانْ لْغْبَارْ» الذي يزعجه ويضطره إلى الفرار. أو إزعاجه بأصوات بشرية غريبة مما يحمله على الفرار نحو مناطق أخرى.

---

111) الوزان: وصف، م س، ج 2 ص: 278 – 279.

112) نوع من الحشائش المحلية.

113) الناصري: الإستقصا، م س، ج 9 ص: 119.

114) S.I.H.M Portugais, op cit, III p; 316.

115) Mezzine (L): letafilalet, op cit, p; 179.

وإذا كان الجراد كلما هاجم الحقول الزراعية يحدث أضراراً بالغة بالمحصولات الزراعية، فإنه متى تم قتل الجراد بهذه الطرق التقليدية، فإن الأهالي كانوا يجمعونه لا سيما كبير الحجم ويصنعون منه طعاما. فقد ذكر ابن رزين التجيبي أنه كان: «يؤخذ الجراد الكبير الذي يهب في بعض السنين فيغلى في قدر على النار بماء مقدار غليتين، ثم تزال أجنحته وأرجله ويقلى في الزيت في مقلات حتى تجف رطوبته، ويوضع عليه مرعة وقرفة وفلفل ويستعمل». (116) وكانت هذه الطريقة بكل مواصفاتها مطبقة بمنطقة مدغرة وما إليها إلى حد كبير.

كما يعتبر الطير بدوره من الآفات التي تتلف جزءا كبيراً من المحصول لا سيما وقت تفتح السنابل – أي خلال النصف الثاني من فصل الربيع – وقبيل موسم الحصاد. وجدير بالإشارة أن الطيور التي كانت تضر بالمحصولات الزراعية. لا سيما منتوج القمح والشعير تحمل أسماء مختلفة حسب اختلاف المناطق بالمغرب، فإذا كان سكان المناطق الشمالية والغربية يطلقون على هذا النوع من الطير أسماء «البرطال – أو الجاوج أو الزرزور» فإن الأهالي بمنطقة مدغرة وما إليها يطلقون عليه إسم «الْبُوشَامْ». وكان المحليون بمنطقة مدغرة يحاربونه عن طريق إحداث أصوات بشرية غريبة لإزعاجه وطرده، أو يرجمونه بالطوب بواسطة القلاع داخل الفدادين المخصصة للقمح. وأحيانا أخرى كانوا يضعون أثوابا بالية على قصبة على هيئة جسم بشري ويغرزونها وسط الفدادين لحمايتها من إذايته.

إن هذه الظواهر يترتب عنها أحيانا نتائج خطيرة لا يفطن بها الإخباريون المغاربة وغيرهم دائما، إذ كانوا يوجهون عنايتهم إلى الوقائع الحربية والتقلبات السياسية معتبرينها جوهر الماضي. (117) مع العلم أن بعض هذه الظواهر ظل موجوداً باستمرار، فهلاك المواشي من جراء

---

116) ابن رزين التجيبي: فن الطبخ في الأندلس والمغرب في بداية عصر بني مرين أو «فضالات الخوان في طيبات الطعام والألوان» تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن شقرون، ص: 185، مطبعة الرسالة الرباط 1981.

117) محمد الأمين البزاز: تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب، م س، ص: 11.

جفاف أو طـاعون أو من جـراء كوارث أخرى مختلفـة لم يكن يخلف فقط نقصـا في مـادة اللحوم والألبان وغير ذلك مما تتـوقف عليه الحياة اليومية للسكـان. لأن وفـــاة النـاس تحجب عنهم التفصيل في الحديـث عن أزمـة الأنعـام.

كما أن النقص في وسائل النقل والجر كانت تضاعف من متاعب الأفراد والجماعات خاصـة حمل الأثقال والتزود بالمؤن من منـاطق نائية والحرث، لضمان محصول في نهايـة الموسم الفلاحي. ولم يكن النـاس يتغلبون على مشكل النقص في حيوانات الجر أو الدرس إلا بمشقة كبيرة. فقد ذهب أحد الـدارسين أن النقص في مثل هـذه الـوسـائل لا يكـون خطيراً خـلال سنـة الكارثـة فقط، بل أن هذا النقص كان يمتـد في الغالب إلى عدة سنـوات بعد الكارثـة، لأن الدواب التي تكـون قد أفلتت من الكارثـة تكون قليلـة العدد، وضعيفة البنية، ولا تقوى على العمل الشاق مثلها في ذلك مثل الإنسان، بل تحتاج إلى فترة إعادة البناء التي غالبا ما تتطلب مضاعفة الجهود لتعويض ما أتت عليـه الكارثة.(118) ممـا كان يعـرقل السير العادي للعمل الـزراعي القائم في الغالب على مثل هذه الوسـائل.

وإلى جانب كل هـذه العوامل التي يظهر أنها سـاهمت بشكل مباشر في التأثير على أهميـة المردود الـزراعي، لابـد من الإشـارة إلى دور الصراعـات والتوترات الاجتماعية التي كانت تؤثر على الإنتاج والمبادلات معا. وقد سبق أن رأينا واعتماداً على ما جاء عند الوزان كيف كان الصراع دائمًا بين سكان بعض قصـور سجلماسـة إذ كانوا يتلفون قنـوات السقي، ويقطعون النخل من أسفل وينهب بعضـهم بعضـا».(119) كما أصبحت واحات زيـز الأوسط (الخنَك – مـدغرة – الـرتب) بسبب مثل هـذه الصراعات أو بسبب انعـدام الأمن منعزلـة عن بعضـها البعض، ولم يعـد الإنتقال بينهـا سهلا لا سيما خلال مرحلـة السيطرة المعقلية إلا برخص مرور تمنحهـا القبائل المسيطرة على التجـار والقـوافل، وأحيـانـا أخـرى للـرحل الجبليين مقـابل أداء حق

118) محمد استيتو: الكوارث الطبيعية في مغرب القرن السادس عشر، م س، ص: 291.

119) الوزان: وصف، م س، ج 1 ص: 126.

المرور.(120) كما أن القبائل التي كانت تغير على هذه المناطق كانت تفرض على الأهالي حق الحماية من التمر والزرع.(121) وكلما رفضوا ذلك أضروا بمحصولاتهم الزراعية. مما جعل المنطقة تعيش دوما على هاجس عدم الإستقرار والعيش على حافة المجاعات الدائمة. مما طبع اقتصادها بالتقشف المستمر، وانعكس بشكل جلي على الإستقرار والإستمرار. وهذا ما يفسر التجدد الذي ظل يطبع البنية البشرية لمنطقة مدغرة على مر مراحل التاريخ. على اعتبار أن المنطقة ظلت تتأثر إلى حد كبير بالإضطرابات والهزات الاجتماعية وطغيان سلطان الطبيعة. وعلى العموم فقد عاش الفلاح المحلي بمدغرة جامعاً بين الزراعة وتربية الماشية.

II – الرعي :

سبق أن أشرنا(122) أن الظروف المناخية كانت لها انعكاسات سلبية على الحياة النباتية وعلى الزراعة بوجه عام. مما جعل هذه المناطق فقيرة من حيث الغطاء النباتي الطبيعي لا سيما بحريم المنطقة. فنحن إذا نتعامل مع بيئة شبه صحراوية لا تقوم للزراعة قائمة بها إلا بواسطة السقي. فباستثناء الشريط المخضر الذي تشمله المساحات المسقية وغابات النخيل والزيتون المنتشرة على حوافي وادي زيز بمنطقة مدغرة، فإن ما تبقى من أراضي الواحة المحيطة بها عارية من كل نبات طبيعي باستثناء بعض النباتات الشوكية (كالسدرة) أو النباتات القصيرة الموسمية (النكَير – الحميضة – الحرمل – الحدج – الصَّلاَّع وغيرها) التي تنمو على الحواشي الشرقية والغربية للسهل الفيضي. مما كان له بالغ الأثر على فقر التربة نباتيا وبالتالي على مزاولة الأنشطة الرعوية بمختلف أنواعها. ولا يفسر فقر الحياة النباتية بأثر الظروف المناخية فقط، بل تتداخل في ذلك عوامل أخرى ساهمت إلى حد ما في تزكية هذه الوضعية، يأتي على رأسها عامل الترحال. فتحرك القبائل المحترفة لهذا النشاط بكل مجالات إقليم مدغرة وهوامشها

120) الوزان: وصف، م س، ج 2 ص: 122.

121) انظر الباب الثاني الفصل الأول.

122) انظر الباب الأول الفصل الأول.

جعل المنطقة لا تستريح من زحف قبائل الرحل سـواء من المناطق الجنوبية في اتجاه الشمال أو من المنـاطق الجبليـــة في اتجاه الصحـراء. وذلك بسبب إنعدام التوازن في المعطيات البيئية بين المناطق الجبلية والواحية أكثر تعرضاً لسلبيات التصحر وجعله عاريا من الغطاء النباتي أو يكاد.

إن ضعف الغطاء النباتي الغير المساعد على ممارسة النشاط الرعوي في رقعـة ضيقة، هـو مـا يفسر تنقل قبـائل الرحل عبر كل منـاطق الجنـوب المغربي، حيث كان هؤلاء خاصة يتنقلـون بين سـهل تافيلالت جنوبا وأعالي جبال الأطلس شمالاً وما بين كَـير وغـريس من الشرق إلى الغرب. كما كان لضعف الغطاء النبـاتي بهذه المناطق أثـره البين في ظهور نوعين من تـربية الماشية: نوع يقوم على الترحـال ويتكون من قطعان كبيرة من الإبل والماعز، وأحيانـاً الغنم وهو النشاط الأسـاسي بالنسبـة للرحل. ونوع آخـر خاص بالمستقرين ويقوم على تربية بعض رؤوس الأغنام داخل المنازل بالقصور، حيث كان تصميم هذه الأخيرة مـوجها لخدمة هذا الغـرض الوظيفي. وقد سبق أن رأينا(123) كيف أن المنازل بقصور مدغرة كانت تخصص بها غرفة أو غرفتين في الطـابق الأرضي تدعى «الـروى» وتخصص كمربـض للبهائم ووضع أدوات الإنتـاج وخزن العلف. ممـا يعني أن هذا النـوع من تربيـة الماشية يندمج مع الإنتاج الفلاحي. ويعتمد المحليون في تغذية هذه الدواجن على ما تنتجـه الحقول من فصـة وتبن و«كَـــرط»، وما يقدم لها مـن نوى التمر المهشم المدقوق وبعض الأصناف الغير الجيدة من التمور. وقلما نجد داراً لا تتـوفـر على شاتين أو ثـلاثـة أو أكثـر وخاصـة من النـوع المحلي المعروف بالدَّمَّـانْ أو الماعز البلدي الحلوب.

إذا كان الرحل يعتمدون في قطعانهم على صنف الماعز خاصة فإن لذلك علاقة بما لهذا الحيـوان من قدرات على المشي وتحمل المشاق، والإعتماد على نفسه في كسب قـوته اليومي. والماعز المغـربي بوجه عام ينحـدر من العنز الموجود ببلاد البحر الأبيض المتوسط.

فهو متوسط القـامة مختلف في حجمه تبعا لغنى أو فقـر التربة. والبيئة التي تحيط به. أما جلده فناعم وليس لـه شعر طويل. واللون المنتشر بكثرة

123) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

بالمغـرب عامة وسفوح جبـال الأطلس الكبير خاصة هو اللـون الأسود ثم اللـون الضارب إلى الحمـرة. ويتميز بضرع كبير وحلـوب وإنجاب متعـدد حيث تلد العنزة في بطن واحد توئمين أو ثلاثة. وتعد تربية الماعز من أسـهل أنواع التربية مقارنة مع بـاقي أنواع الماشية الأخرى.(124) فهو يكاد يعتمد على نفسـه في البحث عن أمـاكن الـرعي الصـالحة لـه، فيتسلق الأشجـار ويقتحم الأشـواك الكثيفـة، ويعبر الـوديـان في الحمادات للبحث عن المأكل. وهذه الحسنـات الخاصة بهذا الصنف من الماشية نجد لها صـدى في أحد المأثورات الشعبية الشفـوية الخاصة بمنطقة مدغرة ومـا إليها، ومثال ذلك المثل الشعبي القديم الذي مازال يـردد حتى الآن في أوساط القبائل الرحلية خـاصة، ومـؤداه أن الماعز تخاطب الـراعي قـائلة لـه: «مْـشِّـــيـنِــي وُلاَ تْـعْـشِّــــيـنِــي». بمعنى دعني أرعى ولا تكلف نفسك عناء البحث عن علفي. ممـا يعني أن هذا النـوع من الماشية كـان ينسجم إلى حد كبير مع طبيعـة الترحال التي تميز الجموع القبلية المتعاطية لهذا النوع من التربية. إذ علاوة على ما كان يوفره هذا النوع من الأغنام من لحوم وأدام وألبان وجلود، فإن لشعره أهمية بالغة بالنسبة للرحل، وذلك لمتانته. لأنه إذا نسج مع الصوف لا تتسرب إليه السوائل ولا تخترقـه، لذلك كان البدو الـرحل يصنعون منه خيامهم وبرانسـهم.(125)

في حين كان المستقرون يقبلون على تربية نوع آخر من الماشية لا سيما تلك الأنواع المنسجمة وطبيعة الاستقرار، علاوة على ما كانت تقدمه لهم من ذهنيـات وجلود وألبـان. وفي هـذا الخصوص نشير إلى صنف «الدَّمَّـــانْ». ونستشف من إشارة مجهول الإستبصار أن هـذا الصنف من الماشية كان واسع الإنتشـار بالمنـاطق الجنـوبية المغـربيـة، ويختلف عن أنواع الأغنـام الأخرى المرباة بشمال المغـرب قال: «وببلادهم الكباش الـدمانية وهي على خلقتـه - يعني الغنم - إلا أنها أعظم وشعـرهـا كشعر الماعـز لا صـوف عليها، وهي أحسن الغنم خلقا وألوانا».(126) ومعلوم أن الدمان على حد رأي

124) محيي الدين المشرفي: جغرافية المغرب، م س، ص: 102.

125) نفس المصدر السابق، ص: 102.

126) مجهول: الإستبصار، م س، ص: 214.

أحد الدارسين(127) كلمة بـربرية مفردهـا أَدَّمَّـانْ وجمعها إِدَمَّـانِــيْن وهو خروف صحراوي وصفه الحسن الوزان خلال القرن 10هـ/16م. قال هو: «حيوان داجن شكله شكل الخروف إلا أن قامته قامة حمار وأذناه طويلتان متدليتـان. يملك أهل ليبيا قطعـان أغنام من هذا النـوع يستخرجـون منها كميـة من اللبن يصنعون منـه الزبـد والجبن وصوفهـا جيد، لكنـه قصير وللإناث وحدها قرون بخلاف الذكور(128) والدمان هادئ جدا... ولا يوجد الـدمان بكثـرة إلا في صحاري ليبيـا، وَيُــرَى القليل منه مع ذلك في بـلاد نوميديا، لكنه يعتبر هناك كأشياء غير عادية.(129)

وأظهـرت الدراســة التي قـام بها كل من بويكس وآخـرون Bouix et all بمنطقة مراكـش خلال سنة 1977م أن صنف كبـاش الدمـان تزن في تمام نموها وكبرها ما بين 40 إلى 45 كيلوغرام بالنسبة للأنثى وما بين 65 و85 كيلوغرام بـالنسبة للفحل. ومن حيث الشكل تتفق الدراســة المذكورة أعلاه مع وصف الحسن الـوزان للـدمان بخصـوص تـوفر الأنثى على القـرون وغيابها عند الفحل. وسواء تعلق الأمـر بالفحل أو الأنثى من صنف ماشية الدمـان، تلاحظ الـدراسة أن الـدمان يتوفـر على رأس رقيق وعنق رشيق وممدود وهيكل عظمي رقيق أيضـا.(130)

ولا زال الدمان يعـرف إلى اليوم بمنطقة مدغـرة وما إليها بنفس الإسم. ويذهب أحـد الدارسين أن الأهالي بإقليم سجلماسة يميـزونه عن غيره من الأغنـام باســم «السْــلاَلَــةْ» لأن فصيلـة الدمـان لم تختلط مع الفصـائل الأخرى.(131)

---

127) لحسن حافظي علوي: سجلماسة، م س، ص: 309.

128) وتعرف هـذه الأنواع من الأغنـام التي تفتقد إلى القـرون في الأوساط الفـلاحية المحليـة باسم «الْـقَـرْطَـاسْ».

129) الوزان: وصف، م س، ج 2 ص: 264 – 265.

130) Bouix (J) et all: fiche signalitique de la race "D'amane" (1977) in I.N.R.A station centrale d'agronomie saharienne D.R.A. Marrakech.

131) حسن حافظي علوي، سجلماسة، م س، ص: 309، هامش 2.

إذا كـان الوزان قـد أشار إلى أن قطعـان ليبيـا تتشكل في غالبيتهـا من الدمان. إلا أنه بواحات إقليم سجلماسة المتناثرة على طول وادي زيز بما في ذلك منطقة مدغرة، فإن وجـوده اقتصر على عدد محدود، إذ كانت كل أسرة تقوم بتربيته داخل المنازل. لأن الدمان وحتى الوقت الحاضر لا تقوم تربيته على الـرعي مثلما لاحظنـا ذلك مـع الماعـز «الـــجْـــدِي»، ولكن على العلف، إعتماداً على الفصـــة والتبن ونـوى التمـــر المهشم. وهي على العمـوم المواد الغذائيـة التي ينصح بها حاليا المعهد الـوطني للبحث الزراعي I.N.R.A(132) وذلك بناء على التجارب العلمية الرصينة التي أجريت ومازالت تجرى حول سلالة الدمان.

وحسب التجـارب التي اضطلع بإجرائهـا المعهد المذكـور (I.N.R.A) بكل المنـاطق التي تشتهر بتربيـة هذا الصنف من الغنم بكل واحـات تافيـلالت ودرعة ومراكش، أكدت التجارب المختلفـة أن سلالة الدمان يمكن أن تنجب مرتين في السنة، ويتراوح عدد الخرفـان التي يمكن أن تنجبها ما بين 4 إلى 5.(133) كما يمكن لأنثى الـدمــان أن تحبل بعـد مضي 40 يومـا فقط من الوضع(134) ويكـون الدمـان قابـلاً للإنجـاب بعد مضي ثـلاثة أشهـر من عمره.(135) وبمجرد الـوضـع يزيد وزن الدمـان بنسبة 250 غرام في اليوم خلال ثـلاثة أشـهر الأولى إذا تعلق الأمر بمـولود واحد وفي حالـة التوئمين، فيزيد الـوزن خلال نفس الفترة - أي ثلاثـة أشـهر - بنسبة 200 غرام في اليوم وفي حالة ثلاثة توائم بنسبة 150 غرام في اليوم.(136) وعلاوة على هذه الأهمية من حيث التناسل يشتهر الدمان بإنتاجه الكبير مقارنة مع أصناف الأغنام الأخـرى، من حيث ما يقدمـه من ألبان ولحوم وغيرهـا. إلا أنه مع ذلك يبقى حيوان لا يتحمل الـرعي والمشي بحثا عن الكلأ، عـلاوة على تأثره البالغ بالتقلبات المناخية، وضعف إنتاجه من حيث الأصواف. وهذا يعني أن

---

132) Bouix et all: communication aux journees de l'élevage ovin des palmiers in I.N.R.A.

133) Kerfal (M): situation et perspective de la recherche ovin "d'amane" dans les régions du sud du Maroc. séminaire national sur l'agronomie saharienne 6 mai 1985 in I.N.R.A.

134) Bouix et all: perfermance de la race "d'amane" des palmeraies du sud du Maroc, in I.N.R.A.

135) Bouix et all: perfermance op cit.

الفلاح المحلي بتربيته لهذا الصنف من الماشية وبإمكانياته المحلية المتواضعة تدارك النقص الذي تعرفه المنطقة من حيث العشب والنباتات.

لم تكن تربية الماشيـة داخل القصور تقتصر على بعض رؤوس الأغنام، بل أن تدجين الماشية شمل حتى بعض الدواجن الأخـرى كالدجاج والأرانب «الْـقْـنُـونْ». كما كانت تتشكل «القطعان» المربـاة داخل المنازل على بعض رؤوس البقـر لا سيما بـالنسبـة للفئـات الثـريـة، ممـا طبعهـا بـالقلـة والخصوصية. لأن ضعـف وقلة الغطاء النباتي لم تكن تسـاعد على وجود قطعان كبيرة من الأبقـار، ولأن ما سوف تستهلكه بقرة واحـدة كان يكفي لتغذية ما بين 4 إلى 5 أغنام خلال السنـة الواحدة، مما جعل تـربية الأبقار نادرة.

يظهر من خلال ما جاء في الأعراف المحليـة الخاصة بمنطقة مدغرة وما إليها أن سكـان هذه الأصقـاع إلى جانب تلك القطعـان الصغيرة التي كانت تتم تـربيتها داخل المنـازل كانوا يـرعون بعض أغنـامهم لا سيما الصنف القابل للرعي، والمتحمل لمشاق المشي بطريقة جماعية بواسطة ما كان يسميه المحليـون «بِـالدُّولَــة»، والدولـة هي القطيع المكون من أغنـام وماعـز أهل القصر. ويسير العمل بـالدولة بـأن يقوم أهل القصر بـرعيها بـالتناوب أو تعيين راعي لذلك مقابل قسط من التمـر أو الحبوب لكل شـهر أو فصل من السنة. ويتميز هـؤلاء الرعاة بدرجة كبيرة من الفطنة والنبـاهة للتمييز بين شياه المتعاقدين معهم. مما كان يقلل من حالات الضياع أثناء عودة المواشي إلى مآويها داخل القصر.(137)

وإذا كانت جماعات القصور تعمل بنظام الدولة في رعي أغنامها إلا أنها مع ذلك كانت تعين للراعي الموضع الذي يسمح لـه فيه برعي هذه الأنعام، فقد منعت الأعراف المحلية الخاصة بمنطقة مدغـرة وما إليها رعيها بالمقابر والأنادر، لا سيما عندما يبـدأ وضع المحاصيل الزراعية بهذه الأخيرة.(138)

Kadiri (M) et Bouix (J): la race ovin "d'amane" des palmeraies du sud marocaine in I.N.R.A. (136

137) أحمد مزيان: فجيج، م س، ص: 173.

Mezzine (L): le tafilalet, op cit, p: 153. (138

انظر الشرط رقم 146 من اتفاق قصر الكَـارة.

كما منعت نفس هــذه الأعراف كل راع لا ينتمي إلى جماعــة القصر أو يعمل لصالح أفراده من استعمال حريم البلد لغرض الرعي أو الدخول إلى القصر. اللهم إلا إذا تعلق الأمــر بــالتــزود بــالماء أو غير ذلك.(139) كما منعت هــذه الأعراف على الرعاة سرح الأغنام بالغابة.(140)

نعتقد أن هــذه الشواهــد وغيرها هي بمنزلــة دليل محسوس يــؤكد أن العمل بالدولة كان موجوداً بمنطقة مدغرة وما إليها، والدولة نشاط جماعي يعبر عن تضــامن أهل القصر اتجاه المصالح الخاصــة بهم، غير أنها ليست فــريدة من نــوعها في هــذا الخصــوص. الشيء الذي كــان يترجم نوعــا من التكافل والتضــامن الاجتماعيين بمجتمع الواحات بــوجه عام. فهي تذكــرنا بأعمال جماعيــة أخرى،(141) كــان السكان ومــازالوا يمارســونها من أجل القيام بمصالح مشتركة. مما يعني أن العمل الجماعي كانت تمليه الظروف الإيكولوجية الصعبة بوجه عام.

ومع كل هذا، فالماشية لم تكن تلعب إلا دورا ثانويا لا سيما تلك المرباة داخل القصو في مجال الإنتاج الفلاحي بمدغــرة، وذلك لقلة إنتاجها المرتبط بضعف التغذية وقلة أعدادها. إذ ينحصر مردودها في الغالب على توفير شيء من الحليب وكبش عيــد الأضحى من سنــة إلى أخــرى في أحسن الأحــوال. وكانت قطعان الــرحل هي التي يعول عليها في مد المنطقــة باللحوم وبعض الذهنيات وغيرها من المواد المتصلة بــالعمل الرعوي. سيما وأن الرحل وكما سبقت الإشــــارة إلى ذلك بنــاءاً على مــا أورده الحســن الــوزان(142) كانوا يترددون على أسواق المنطقــة، وتزويــد أهاليها بــالصوف والأدام. وهــذا ما

---

139) Mezzine (L): le tafilalet, op cit, p: 154.

انظر الشرط 136 من اتفاق قصر الكَــارة.

140) Mezzine (L): le tafilalet, op cit, p: 153.

انظر الشرط 141 من التفاق القصر المذكور.

انظر الشرط 13 من اتفاق قصر آيت عثمان.

141) على غرار «التويزة» وفريس الساقية وغيرها.

142) الوزان: وصف، م س، ج 1 ص: 287 – 288.

يفسر لماذا لم تكن الأعـراف المحليـة الخاصة ببعض الجهـات التي تـلامس المنطقة تمنع الرحل من استعمال مجالاتهم سواء بغرض الرعي، أو للتبادل بالأسواق.(143) ممـا كان يحقق للمنطقـة بنفس الآن الإستفـادة من خيرات رحل الجبـال والسهوب، وَيُـقَـوِّمُ النقص الحاصل في الاقتصاد الفـلاحي بوجـه عام، هذا بـالطبع إذا لم تتأثر المنطقـة بإحدى الأزمات الاستثنـائية مناخياً وسياسياً.

(143 Mezzine (L): taqquit de Ait Atman, op cit, p: 106.
انظر الشرط 90 من اتفاق قصر آيت عثمان.

الباب الثالث :

الفصل الثالث :

الحياة التجارية بمنطقة مدغرة

1 – مدغرة في محور تجارة القوافل :

إن محورية مـدغرة المكانيـة كموقع استراتيجي هـام على ملتقى الطرق الرئيسية في منطقة الجنوب الشرقي المغربي. ما بين تافيلالت جنوباً ومملكة فاس شمالاً ومـا بين كَـير شرقـاً وغريس غـربا، هـو ما خـول لها وظيفة الربط بين مختلف الجهات التي تلامسها عبر مجموعة من المضايق سبق أن أشرنا إليها.(1) هي التي جعلت منها مركزا عبوريـا وتجاريا باعتبارها ممراً إجباريـاً للقوافل المترددة بين الشمال والجنوب خاصـة ومن شرق إلى غرب مدغـرة أحياناً، وسوقـا محليا تقصده قبائل الـرحل المنتشرة حولها. وهي أيضا مـركزاً دينياً ثقـافياً استقطبت عدداً من العلماء والطـلاب من مناطق بعيدة للاستفادة والإفادة. وقد ساعـدت هذه الأهمية الثقافية والاقتصادية على خلق حياة تجارية بالمنطقة، تستجيب لموقعها البرزخي ولخصوصياتها البيئية المتميزة كمركز واحي هـام. فكان على القوافل العابرة لهذا المسلك أن تتوقف بمدغـرة إما كمحطة نهائية في الأسواق المحلية التي كـانت موجودة بها لاستبدال سلعة بأخرى، أو كمرحلـة من مراحل التيارات القوافلية التي كـانت تعبر المنطقة، سـواء من الجنـوب في اتجاه الشمال أو العكس أو من الشرق إلى الغرب منها. هذا وإن كان من الجنوب إلى الشمال هو الغالب.

---

1) انظر الباب الثاني الفصل الأول.

نعتقد أن اختيار هـذه الطرق واستمرار استعمالها هما أمران خـاضعان لعدد من العوامل: يأتي في مقدمتها مـلائمة الظروف الطبيعية، حيث جاءت المنطقـة في نهاية المضـايق الجبليـة الأطلسية الكبرى مـن جهة. ومن جهـة أخرى من حيث سهولتها في الاستعمال والابتعاد عن الوحدات التضاريسية الوعـرة، والاقتصادية من حيث إمكانيـة الربح. مما كان يسمح بـاستمرار عدد من الطرق على مدى قرون عديدة.

ونشير إلى أن طريق فاس سجلماسة عبر مدغرة ظل مستعملاً قبل عهد ابن حوقل(2) إلى نهاية القـرن 19م ومطلع القرن 20م. هذا وإن كـان هذا الطريق أصابه شيء من الفتور مع مطلع العصـور الحديثة المغربية على إثر تحول الطرق نحـو الغرب والمحيـط الأطلسي، لما اتجه اهتمام المغاربـة نحو معرفـة أهمية البحر، مما أدى إلى تهميش منطقـة تافيلالت وبالتـالي طريق فاس سجلماسة. لأن مركز الثقل انتقل إلى منطقة الجنوب الغربي المغربي. ولن يستعيـد هذا الطريق مكـانته إلا مع مطلـع القرن 17م لما انطلقت من منطقة تافيلالت الحركة العلويـة الحسنية، في سياق إعادة التوازن الذي تلا مرحلة مطلع القرن 11هـ/17م. مما يـدل على أن هذه الطـرق والممرات لم تعرف تغيراً كبيراً بين بداية القرن 10هـ/16م والقرن الذي يليه، سوى ما كـانت تعرفـه هـذه المحاور من أهميـة وكثـرة الاستعمال نتيجة للظـروف السياسية العـامة لبلاد المغرب الأقصى. وهذا – على مـا نعتقد – ما حمل بعض الباحثين على القول أن مسالك هذه الطـرق كان له الأثر الكبير في مد كثير من الطرق العصرية الحالية.(3)

وعلى العموم، فقد انتظمت هذه الطرق على ثلاثة محاور أساسية: محور شمالي جنـوبي، ومحور شمالي شرقي، ومحور جنـوبي غـربي. وإذا كـان المحور الجنوبي الشمالي يربط إقليم سجلماسة(4) بالبحر الأبيض المتوسط

---

2) لم يسمى ابن حوقل مدغـرة باسمها، ولكنها سماها بقبيلة مطـارة. كما أنه لم يعتبرها إلا كقبيلة مضافة وملحقة بزناتة. انظر ابن حوقل: صورة الأرض، م س، ص: 103.

3) زهرة إخـوان: من مظاهر التطـور الاقتصادي والعمراني في مغـرب القرن 16م. د. د ع التـاريخ الرباط 1984، ص: 110.

4) المقصود من إقليم سجلماسة كل الواحات المتناثـرة على طور وادي زيز انطلاقا من مضيق الخنگ إلى سافلة سهل تافيلالت.

عبر مدن فاس وسبتة، فإن المحـور الشمـالي الشرقي ظل يربط واحات إقليم سجلماســة القـديم بـالمغرب الأوسط عبر تلمســان وتــاهـرت، في حين ظل المحور الجنوبي الغـربي يربطها بأغمات ومراكش عبر درعـة. كما تربطها بالسودان الغربي ثلاثة طرق رئيسية.(5) على أن الطريق المفضل من طرف التجار رغم طـول مسافتــه ما بين (10 و15 يوماً تقريبـا)، هو الذي كان يربط سجلماسة بالسودان الغربي عبر أودغشت.

وإذا كـان للممرات الطبيعيــة الموجـودة بـالمناطـق الواقعـة إلى الشمال والغرب من منطقة مـدغرة، دورها في ربط الاتصال والتـواصل بين مدغرة والمناطق المغربية الأخرى. إلا أن أهمية هذه المحاور تختلف من محور لآخر ومن مرحلة زمنية لأخرى، تبعا لتموجـات وتوجهات سياسات الدول التي تعاقبت على حكم المغرب. وما لذلك أيضا من عـلاقات سببية وطيدة بالمناخ الذي كـان يطبع المحيط الإقليمي والجهوي والـدولي. وما كـان يعرفـه هذا الأخير من تغيرات. الشيء الـذي أثر بشكل واضح على استمـرار أهمية هــذا المحور وضعف ذاك.

فإذا كـان محور فاس سجلماســة عبر مدغـرة قد عـرف ازدهاراً كبيراً خلال المراحل الوسطى من التـاريخ الإسلامي بالمغرب، نظراً لما كـان يوفره من ربح له بــالغ الأهمية في تبريـر اختيارات الدول التي تعـاقبت على سدة الحكم بالمغرب خلال المرحلة المنصوص عليها أعلاه، سيما وأن المغرب كان يلعب خلال هذه المرحلة دور الوســاطة بين السودان الغربي وأوروبا. وكان طريق فــاس سجلماسة عبر مدغـرة يضمن ريعاً ماديـا هاما للـدولة. لهذا كانت الدول المغـربية خلال هذه المرحلة الوسطـوية تولي أهمية كبيرة لهذا الطريـق، بل لم تكن تعتبر نفسها قـد أحكمت القبضة على مجمـوع أطراف بلاد المغـرب إلا بعد السيطرة على سجلماســة وسبتة، باعتبـارهما منفذين أساسيين لتنامي تجارة القوافل. إلا أنه مع مطلع العصور الحديثة سيعتري هذا الطـريق الضعف والفتـور نتيجة للتحولات التــي شهدها المغـرب، من حيث التحول الكبير الذي شهدته بنيته البشرية، والذي انتهى بسيادة عرب

---

5) انظر الخرائط رقم: 8 – 9 – 10 – 11 بالملحق الخاص بالخرائط.

بني معقل وسيطرتهم على الطرق الصحراوية والواحية، وما تلا ورافق ذلك من صراع وتنافس بين الأحلاف القبلية بالجنوب المغربي. مما أدى إلى عمليات دفع داخلي كبرى للمجموعات البشرية واستقرارها على أحواض الوديان وطرق المواصلات، وانتقل مركز الثقل إلى سوس ومنطقة الجنوب الغربي المغربي. على إثر التحولات التي شهدتها الخريطة السياسية وانتقال سدة الحكم من حكام فاس بني وطاس إلى الحركة الجهادية السعدية.

صحيح أن السيطرة التي فرضها عرب بني معقل على الطرق التجارية الجنوبية لا سيما محور فاس سجلماسة عبر مدغرة، كان له الأثر البالغ في شل الحركة التجارية بهذا المحور، سيما وأن السيطرة المعقلية كانت تمتد من الصحراء إلى أعالي جبال الأطلس الكبير،(6) وتفرض على التجار والرائدين ضرائب المرور، وأحياناً كانت تجردها من أمتعتها. وذلك بشهادة الوزان. قال: «وله – أي رئيس القبيلة المعقلية – فخذ من قبيلته تعيش في البادية تحت الخيام وأخرى كذلك بالقصر – يعني قصر هلال بمدغرة – مع بعض الجنود. لا يستطيع أحد أن يخترق إقليمه دون إذنه الصريح، فإذا لقي هؤلاء الجنود قافلة بدون رخصة مرور(7) نهبوها فوراً وجردوا التجار والرائدين».(8) إلا أن هذا لا يكفي لتفسير تراجع المحاور الجنوبية المغربية ومنها محور فاس سجلماسة عبر مدغرة، بل إن المسألة تقتضي الرجوع إلى أبعد وأعمق من ذلك. أي إلى التحولات العميقة التي عرفتها مرحلة القرنين 16 و17. حيث تم اختفاء النفوذ البربري على هذه الجهات، وأصبحت السيادة للمعقل، وهذا ما حول البربر إلى تابعين. كما أن هذا الصراع الطويل الذي امتد من نهر السينغال إلى مصب نهر درعة عبر المنطقة في الداخل إلى منطقة الحمادات انتهى بقيام مجموعة من الإمارات المعقلية بالصحراء. وهذا العامل هو الذي عرب بلاد لمتونة لغوياً وسلالياً وتجارياً. هذا طبعا دون إغفال أهمية الآثار التي خلفتها حركة الكشوف الجغرافية، لأن اكتشاف

---

6) انظر الباب الثاني الفصل الثالث.

7) أي الزطاطة.

8) الوزان: وصف، م س، ج 2 ص: 123.

أهمية البحر غَـيَّـرَ أماكن الصراع. وكل هذه العوامل مجتمعة بما في ذلك عامل التصحر تشرح إلى حدما أسباب تحول الطرق البرية. مما كان يدفع التجار والقوافل إلى استعمال طرق أخرى أكثر أمناً ودعة. من هنا كان التوجه نحو المحور الجنوبي الغربي المغربي بعدما تم تهميش منطقة تافيلالت وظهور القوة السعدية بالجنوب الغربي المغربي التي كانت تُـؤَمِّن جزءاً من هذا الطريق. وهذا ما يوضح انتقال مركز الثقل إلى الجنوب الغربي المغربي وانعكاس ذلك على استعمال هذا المحور دون محور فاس تافيلالت. فقد ذكرت دوزي جاك مونيي أنه خلال القرنين 15 و16م أصبحت القوافل التجارية لا تمر عبر طريق سجلماسة، ولكنها أصبحت تمر عبر طرق أخرى أكثر استعمالاً عبر درعة الشرقية وتكاوست ووادي نون، وذلك بفعل سيطرة عرب المعقل على المحور الجنوبي الشرقي الرابط بين سجلماسة والسودان.(9) ومعلوم أنه خلال مرحلة نهاية القرن 15 وبداية 16م كان المغرب بوجه عام يعرف شتاتاً سلطوياً من حيث تعدد الإمارات والوعاءات السياسية، حيث كانت الواحات تسير ذاتها بذاتها على شكل مراكز مستقلة، ولم تكن تعترف بسلطة الوطاسيين إلا إسمياً. ولما كانت هذه الأخيرة - أي السلطة الوطاسية - تدرك أهمية موارد هذا المحور وأخطار سيطرة المعقل عليه، فإنها كانت أحياناً تقوم ببعض الحركات التمشيطية والخاطفة على هذه الجهات. لضمان استمرار التواصل التجاري ولحماية الأهالي من سطوة الأعراب.(10) مما أثر بشكل كبير ليس فقط على تذبذب وفتور انتعاش هذا المحور بفعل المراقبة الصارمة لقبائل المنبات والمنابهة المعقليين على طريق فاس سجلماسة خاصة بمنطقة مدغرة والخنكَ والرتب، بل وعلى مختلف أوجه النشاط الاقتصادي بهذه المناطق. بفعل سطوة المعقل على مجموع هذه المجالات من حيث فرض ضريبة الزطاطة(11) على القوافل لقاء اجتيازها لهذه الأصقاع، التي أصبحت تحت رحمة

9) Meunie (D-J): Le Maroc saharien, op cit, t 1 p: 363.

10) مارمول: إفريقيا، ج 3، ص: 155.

11) والزطاطة آتية من الكلمة الأمازيغية «تَازَطَّاطْ» شرحها الرباطي شارح العمل الفاسي بأنها القيمة التي تؤخذ على رؤوس المسافرين أو حسب دوابهم أو حسب ما يحملون من السلع. =

السيطرة المعقلية. لهذا لا غرو إذا وجدنا الوزان يصف قصور منطقة مدغرة باستثناء قصر هلال السابق الذكر، الذي كان مقراً لقيادة بني معقل في مدغرة بالبؤس. قال: «... وهناك – أي بمدغرة – أيضا قصور ومداشر أخرى كما شاهدت ذلك بنفسي لكنها كلها بائسة». (12)

مما يعني أن مدغرة وكما ذهبنا إلى ذلك سابقا(13) كانت تتأثر بالهزات والاضطرابات الاجتماعية والأزمات السياسية والمناخية. حقيقة أن المنطقة كانت تتوفر على موارد اقتصادية متعددة ومتنوعة، إلا أنها كانت لا تفي بحاجات سكانها إلا في أحسن الأحوال. وهذه الاستثناءات جعلتها تعتمد دوماً على ما كانت تستفيده من الحركة التجارية القوافلية، ومما كانت قبائل الرحل تمدها به من موارد أساسية لتحقيق الاكتفاء المعيشي، ولتنشيط التبادل التجاري. وهذا ما لم يكن يتحقق إلا في فترات الاستقرار السياسي والاجتماعي والمناخي. مما يعني أن تتبع النشاط التجاري بالمنطقة خلال مرحلة الدراسة ينبع من اقتناعنا بأهمية التجارة في تاريخ هذا المسلك العبوري، كعصب اقتصادي أساسي ينسجم إلى حد بعيد ووظيفة الربط التي كانت تقوم بها المنطقة بين الشمال والجنوب ومن الشرق إلى الغرب، وإن كانت الصفة الغالبة هي من الجنوب إلى الشمال.

إن المصادر التي تطرقت لذكر طريق سجلماسة فاس عبر مدغرة، لم تشر بكثير من التفصيل إلى مختلف المحطات التي كانت تتوقف بها القوافل، لا سيما عندما تدخل القافلة منطقة إقليم سجلماسة. وتكتفي فقط بالإشارة إلى المدة التي تفصل المدينة سجلماسة عن مدخل إقليمها لقاء الشمال. فقد وصف البكري هذا الطريق قائلا: «ومن مدينة فاس إلى مدينة صفروى وهي مدينة مسورة ذات أنهار وأشجار ومنها إلى الأصنام مرحلة، ومنها

= ويحمل الشخص الذي يقوم بحماية المسافرين بقبيلته أو بالقبائل المجاورة مقابل أجرة معينة اسم «الزطاط» أو الخفير.

انظر: عمر أفا: مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن 19 (سوس 1822 – 1906) معجم الألفاظ والمصطلحات، ص: 404، وص: 418. جامعة القاضي عياض، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، أطروحات ورسائل، 1 مطبعة النجاح الجديدة البيضاء 1988.

12) الوزان: وصف، م س، ج 2، ص: 123.

13) انظر الباب الثالث الفصل الثاني.

إلى موضع يقال له ألمزي مرحلة وهو بلد مكَلاثة. ومنها إلى تاسغمرت مرحلة وهي قرية على نهر، ومنها إلى موضع يقال له أمغاك مرحلة كبيرة نحو الستين ميلا، ومنها تدخل في عمل سجلماسة بين أنهار وثمار ثلاثة مراحل إلى مدينة سجلماسة». (14)

إن عدد المراحل التي ذكرها هذا المؤلف على هذا الطريق من فاس إلى سجلماسة هي تسعة مراحل، وهو ما يناهز حوالي 300 كلم. وهو نفس الرأي الذي ذكره صاحب الاستبصار حين عَدَّدَ المحطات التي تتوقف بها القوافل التجارية المترددة بين فاس وسجلماسة. (15)

إن أغلب هذه الأماكن التي ذكرها البكري يظل مجهولاً وغامضاً في ضوء معلوماتنا الحالية، وذلك بسبب التحريف الذي حدث في نطق تسميات بعض الأماكن عند البكري، وتسميتها بأسماء جديدة بالمناطق المختلفة على طريق فاس سجلماسة. لقد اقتصر فهمنا لكلام البكري على تحديد بعض المواقع فقط. فبعد خروج القوافل من مدينة فاس، كانت تمر بمدينة صفرو ومنها إلى الأصنام التي يمكن أن يكون المقصود بها أحد الأماكن الواقعة بين صفرو وألميس، إذا سلمنا بأن هذا الأخير هو ألمزي عند البكري. (16) رغم أن ليسار Lessard يشير إلى أن المقصود بألميس هو ألميس مرموشة وليس بألميس كَيكَو. (17)

---

14) البكري: المغرب، م س، ص: 147.

15) مجهول: الاستبصار، م س، ص: 193.

16) حسن حافظي علوي: سجلماسة، م س، ص: 335 هامش 1.

17) Lessard (J-M): sijilmassa, op cit, p: 17.

ويرى الأستاذ مولاي هاشم العلوي القاسمي بخصوص منطقة الأصنام أنها هو ما يعرف اليوم «بسبع رواضي» بين صفرو وألميس كَيكَو. أما ألمزي فأقوى الاحتمالات هو ألميس كَيكَو على أساس أن مكَلاثة هي من قبائل إمارة بني توالي الزناتية الرعوية التي كان مركزها في قلعة مهدي «تمحضيت الحالية» أما الباحث ليسار Lessard فيعتبر أن ألمزي هي ألميس مرموشة، ولعل تفسيره هذا مبني على موقع مكَلاثة الحالية، وليس على مواقعها القديمة بحكم أن مكَلاثة الحالية أبعدتها إليه قبائل أيت يوسي.

وبعد مسيرة يوم تصل القافلة إلى تاسغمرت، التي يحتمل أن تكون هي مناطق زايدة أوبو لعجول الحاليـة. ومنها إلى أمغاك التي يظهر من وصف البكري أنها تمكن من الـوصول إلى عمل إقليم سجلماسـة، ولا يستبعد أن يكون المقصود بها ما يسمـى اليوم النزالة، الكائنة في قـدم السفوح الغربية للأطس الكبير إلى الشمال من ممر تيزي - ن - تلغمت.

إذا كـان البكري قـد حدد المحطـات التي كـانت تتوقف بها القـوافل في الطريق التي يربط سجلماسة بفاس عبر مدغرة. إلا أنه مع ذلك نلاحظ أنه أغفل ذكر أسماء المحطـات التي كانت تتـوقف بها القوافل عنـد دخولها إلى عمل سجلماسة، ويقتصر على عَـدٍّ هذه المحطـات دون ذكرها. ممـا يطرح عـدة مشاكل تتعلق بأسماء الأمـاكن التي كانت تتـوقف بها هذه القـوافل. والغـالب على الظن أن سبب هـذا التقصير يـرجع إلى أن البكـري دون معلوماته في كتابه القيم «المغـرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب» اعتماداً على ما استقـاه من محمد بن يوسف الـوراق السابق الذكـر. الذي لم يقف على حقيقة الأمر على مـا يظهر. وهذا ما يـدفع الباحث إلى ضرورة التعتماد على بعض الكتابات الأخـرى، منها ما عاصر مرحلـة الدراسة (العصر الحديث) ومنها ما هـو متأخر عنها. وذلك لأجل إكمال المعلومات الخاصـة بالمحطات التي كانت تتـوقف بها القوافل على طريق فاس سجلماسـة، لا سيما عندما تدخل القوافل عمل إقليم سجلماسة القديم. وفي هذا الخصوص نشير إلى ما أورده روجي لـوطورنـو بخصـوص أسماء الأمـاكن التي كانـت تتخذهـا القـوافل كمحطات في طـريقهـا من فاس إلى سجلماسـة عبر مـدغرة. قـال: «وكانت صفرو على بعد ست ساعات مـن فاس كمحطة أولى نحو تافيلالت ونقطـة انطلاق الطـريق المدعو طـريق السلطـان، كان الـوقوف بعـد ذلك بتاغزوت عنـد أيت مكَـيلد وبالنجيل فيما وراء مضايـق رصيفة وبقصابي الشرفاء بوادي ملوية وبنزالة بعد اجتياز ممر تالغومت - يعني تيزي - ن - تـالغمت -. وبجرس في نـاحيـة الـريش وبتعلالين شمالي قصر السـوق وبقصر سيدي أبـو عبد اللـه بمدغـرة وبالـدويرة في الـرتب وتحت أسوار المعاضيد، وهـو أكبر مركز نخيل، ويكون الـوصول أخيرا إلى أبو عم أي -

أبو عام – عاصمة تـافيلالت بعد مسيرة عشرة أيام، وكان المرور في بعض الأحيان بمضيق تونفيت بدلاً من تالغومت». (18)

يظهر من كـلام لوطورنـو أنه يتفق مع البكـري في أغلب المحطات التي ذكرهـا هذا الأخير. هذا وإن كنـا نلاحظ أن هناك اختـلافا في بعض أسماء أماكن هذه المحطات، وذلك راجع وكما أسلفنا إلى كون كل واحد منهما، كان يتكمل بروح عصره. ممـا يؤكـد التغييرات الكبيرة التي لحقت بأسماء هذه الأماكن منذ القرن 5هـ/11م تاريخ تدوين البكري لكتـابه: «المغرب في ذكر بلاد إفريقيـة والمغرب» إلى الفترة المعاصرة التي دون فيها روجي لـوطرنو كتابـه عن مدينة فـاس (مطلع القرن 20م). واعتماداً على إحـدى الوثـائق المحلية(19) التي تؤرخ للحيـز الزمني التي تستغـرقها الرحلـة من فاس إلى مدغـرة يمكن الوقوف على المدة الزمنيـة التي تقطعها القافلـة من فاس إلى سجلماسة عبر مدغرة. ومما جاء فيها على الخصوص: «... فخرجت من بلد فـاس يـوم الإثنين سادس رمضـان المعظم عـام 1322هـ ووصلت لبلـدنا مدغرة يـوم الخميس ثامن عشر منه». (20) وهذه المدة الزمنية تـزيد بحوالي ثلاثة أيام عما ذكـره لوطورنو. إلا أننا إذا وضعنا هذه الـرحلة في سياقها التاريخي، إذ أنها تمت في شـهر رمضـان كما تنص على ذلـك الوثيقة أعلاه، نفهم لماذا حـدث هذا التأخـر في الـوصول. سيما وأن الإنسـان لا يستطيع تحمل مشاق متابعة السير دفعة واحدة وهو صائم، مما يبعث على الاعتقاد أنه حدث هناك توقف في محطة أو أكثر.

إن قصر سيدي أبو عبد اللـه بمدغرة الذي ذكره لوطـورنو كواحدة من المحطات التي كانت القوافل تتـوقف بها في طريقها من فاس إلى سجلماسة عبر مدغرة، لا ينطبق إلا على الفترة المتأخرة (مطلع القرن 20م). وذلك على إثر التحولات التي عرفها هـذا القصر، بعدما أصبح قصراً مخزنياً وإدارياً.

---

18) روجي لوطـورنو: فـاس قبل الحماية، م س، ج 1 ص: 599. لكن مع مـلاحظة أن تـونفيت لا تعوض تيزي – ن –تالغمت.

19) توجد هذه الوثيقـة بخزانة أستاذنا المشرف مولاي هاشم العلوي القـاسمي. انظر الوثيقة رقم: 47 بالملحق الوثائقي الخاص.

20) وتحكي عن طالب علم غادر فاس بعد إتمام دراسته بجامعة القرويين قاصداً بلده مدغرة.

وقد سبق أن أشرنا(21) أن هذا القصر أخذ طابعه الإداري مع العهد العلوي المتأخر، وتشهد على ذلك الوثائق المخزنية، وكذلك مورفولوجية البناء، الشيء الذي لم يتحقق عملياً إلا مع نهاية القرن 19م ومطلع القرن 20م. أما قبل هذه المرحلة، فقد كان قصر سيدي أبو عبد الله قصراً عادياً على غرار باقي القصور الصغيرة والمتواضعة الأخرى. وهذا ما حملنا على استنتاج أن لوطورنو كان يتكلم بروح عصره. أما قبل هذه الفترة، فالمصادر لا تؤكد استئثار هذا القصر بهذه الوظيفة. لأن مركز القرار السياسي بمنطقة مدغرة كان خلال القرن 10هـ/16م، بقصر قلعة تاوريرت. وحجتنا في ذلك ما جاء في مخطوط فتح القدوس. قال: «وكانت - يعني قلعة تاوريرت - محل عمال الملوك السعديين».(22) وقبيل هذه المرحلة القرن 10هـ/16م كانت عاصمة إقليم مدغرة هي قصر هلال المندرس(23) الذي كان يقيم فيه زعيم أعراب بني معقل، لا سيما المنبات والعمارنة والمنابهة التي كانت تسيطر خلال هذه المرحلة على منطقة مدغرة وما إليها.(24) ولن يأخذ قصر سيدي أبو عبد الله أهميته كمقر لنيابة دار المخزن العلوي إلا بعد اختفاء أهمية تاوريرت هذا من جهة. ومن جهة ثانية وبالرجوع إلى ما جاء في مصادر الحجيج المغربي خلال مطلع القرن 11هـ/17م نجد أن الرحالة أبا سالم العياشي في طريقه إلى الحج لم يتوقف بقصر سيدي أبو عبد الله، ولكنه توقف بزاوية مولاي ابن علي بن عبد الله بن علي بن طاهر.(25)

ومعلوم أن الحجيج المغربي كان يسلك الطريق الذي تستعمله القوافل، وإن كان هذا لا يعني بالضرورة أن تكون زاوية تاوريرت أو قلعة تاوريرت نفسها محطة لتوقف القوافل التجارية المترددة بين الشمال والجنوب. وكل

---

21) انظر الباب الثاني الفصل الثاني، ص:

22) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م س، ص: 69.

23) انظر تحديده بالجدول الخاص بالقصور القديمة المندرسة. انظر الباب الثاني الفصل الثاني، ص:

24) الوزان: وصف، م س، ج 2 ص: 123.

25) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م س، ص: 72.

- أبو سالم العياشي: الرحلة، م س، ج 1 ص: 15.

هذه الشواهد وغيرها تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن قصر سيدي أبو عبد الله لن يصبح محطة لتوقف القوافل إلا خلال نهاية القرن التاسع عشر. ونعتقد أن السوق الذي ورد في أدبيات الرحلات الأجنبية(26) بجانب قصر سيدي أبو عبد الله في الموضع المعروف «بِالدَّبَازْ» ويعرف حالياً بالبياضة لم يشيد إلا خلال المرحلة المذكورة أعلاه. بل إن هناك بعض الوثائق الخاصة بمنطقة مدغرة(27) التي تؤكد أن هذا السوق لم يبنى إلا خلال سنة 1334هـ الموافق لسنة 1915م، على إثر الصلح الذي تلا نزاع أهل شرفاء تعرمت وسكان قصر سيدي أبو عبد الله بموضع «الدباز». ومما جاء فيها على الخصوص: «... ثم لما وقع الصلح بين أهل تعرمت حولوا السوق المذكور من الموضع الذي تحول إليه إلى الموضع المسمى الدباز الذي بين سيدي أبو عبد الله والسوق المهدوم، وبدأوا بركزه صبيحة يوم السبت 13 وزعموا يوم الخميس 19 ربيع الثاني 1334».(28) مما يعني أن قصر سيدي أبو عبد الله سلب من قصر قلعة تاوريرت الأهمية الإدارية، ومن قصري القصبة القديمة وتيطاف الأهمية التجارية. لأنه بهذين القصرين الأخيرين كانت توجد أقدم أسواق منطقة مدغرة الوسطى والسفلى.

لقد حاولنا أن نواكب ونتابع بدقة كل ما جادت به المصادر من معلومات وإشارات متناثرة هنا وهناك، وذلك بهدف محاولة رسم الخريطة الطرقية للقوافل التجارية المترددة بين فاس وسجلماسة عبر مدغرة. ومحاولة الوقوف على أهم المحطات التي كانت تتخذها القوافل كمحطات للاستراحة والتوقف، لا سيما بمنطقة مدغرة. ومع الأسف الشديد، لم تسعفنا المادة العلمية التي استطعنا الاطلاع عليها إلا بالنزر القليل. ذلك أن أصحاب كتب الجغرافية والرحلات خلال مرحلة العصر الحديث الذين مروا بالمنطقة لا يشيرون البتة إلى المحطات التي كانت تتوقف بها القوافل بحقل دراستنا، ولا يؤكدون سوى على سيطرة عرب بني معقل على هذه الأصقاع

(26 Faucauld (ch. de): reconnaissancc, op cit, p: 352.

27) توجد هذه الوثيقة بخزانة الأستاذ مولاي هاشم العلوي القاسمي، وسنثبت نسخة منها في الملحق الوثائقي الخاص.

28) انظر الوثيقة رقم: 48 في الملحق الخاص بالوثائق.

واستخــلاص واجب المرور من القــوافل التجــاريــة. هذا الأخير الــذي كــان يتذبذب حسب مناطق العبور والظـرفية العامة للمنطقة.(29) هذا وإن كانت المادة العلميــة لا سيما تلك المتعلقة بــرحلات الحجيج المغــربي وبالأعــراف المحلية الخاصة بمنطقة مدغرة وما إليها، وأيضا بما لازالت الذاكرة الشعبية المحلية تحتفظ به لحد الآن من معلـومات قيمة وهامة. وكل هــذه المظان قد تســاهم إذا مــا تكاملت لها الأدوات العلميــة والمنهجيــة في التحليل والتأويل للكشف عن بعض المحطات التي كانت تتوقف بها القوافل التجارية بمنطقة مدغــرة. وذلك لإتمام المعلومات التي استنتجنــاها من مــورفولوجيــة البناء ووظائف القصــور السكنية المتنــاثرة على طــول وادي زيز بحقــل دراستنا. وفي هذا الخصوص نذكر وبناء على ما ورد في فصول سابقة(30) أن ثلة من القصور بمــدغرة كــانت بمثابــة محطة للقــوافل أو كمكان لأخــذ الزطــاطة بمنطقــة مــدغــرة، وعلى سبيل المثــال لا الحصر تكفي الإشــارة إلى أن قصر السوق أي كَصر الســوكَ وما إليه بقسم مدغــرة العليا كان محطــة للقوافل التجاريــة. وما يشهــد على ذلك مورفولــوجيته السكنيــة، حيث كان القصر المذكور مكوناً من خمســة قصور يتوسطها السوق والملاح.(31) ومعلوم أن وجود الســوق والملاح كلها شواهــد تؤكد على أهميــة هذا القسم، من حيث كينونته في أعلى مدغرة على طريق القوافل. وهذا ما حملنا على عدم استبعاد كونه محطة لاستراحة القوافل القــادمة من الشمال بعد الإرهاق الذي يكون قد أصابها أثناء اجتيازها لمضايق الجبال واستعداداً للدخول في عمل مدغرة وسجلماســة. وهذا ينطبق كــذلك على قوافل الجنــوب التي تتأهب لاختراق مضايق الجبــال لا سيما مضايق منطقة الخنــكَ، التي كانت خلال مــرحلة القرن 10هــ/16م خاضعة لسيطرة الأعراب الذين كانوا يُــرْغِــمُــونْ التجار على أداء مبــالغ ماليــة لتأمين عمليــة المرور.(32) ومن الطبيعي أن تتخـــذه القوافل التجارية كمكان للاستراحــة والتزود بالسلع لاستبدالها بمنتوجات

---

29) الوزان: وصف، م س، ج 2 ص: 123 / ج 1 ص: 287 – 288.

30) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

31) Faucauld (ch. de): reconnaissance, op cit, p: 351.

32) الوزان: وصف، م س، ج 2 ص: 122.

أسـواق الشمال المغـربي، ومـا يشـهد على ذلك مـن جهة ثـانيـة أن قـوافل الحجيج كانت هي الأخرى تتوقف ببعض المحطـات التي كانت موجودة في المنطقة الممتدة من حـدود مدغرة العليا إلى مـدخل الخنك - أي جنوب جبل تاغيا -، ويتعلق الأمر بمحطة قصر أيت عثمان. ومـا يؤكد ذلك أن الرحالة أبا سالم العياشي توقف بقصر أيت عثمان وهو في طريقه إلى الحج ماراً عبر مدغرة. قـال في الرحلة: «... ثم سرنا يومنـا ذلك إلى الليل وبتنا في تيعلالين ومن الغد ارتحلنا وهو أول يوم من الشتاء ودخلنا الخنك ونزلنا بقصر بني عثمان - أي أيت عثمان - وبتنا فيه... ثم ارتحلنـا وزرنا عشية ذلك اليوم بمدغـرة قبر الإمام الحسيب النسيب الحافظ اللافظ... مولاي عبـد الله بن علي بن طـاهر الحسني نفعنـا الله بـه وبتنا تلك الليلـة عند ولـده الذريـة الطاهرة والسلالة الطيبة الباهرة مولاي محمد المدعو بن علي...».(33) كما أنه ليس من بـاب الصدفـة أن تكـون منطقة قصر أيت عثمان واحـدة من تلك المحطات والممرات التي فرض محمـد الحاج الدلائي على مولاي محمد أن لا يحرك لـه فيها سـاكنـاً، وذلك في إطار الصلـح الذي تـلا معـركة الكَـارة بتافيلالت. مما يدل على أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية على طريق فاس سجلماسة. كما أنه إذا مـا تفحصنا بدقة بعض ما جـاء في الأعراف المحلية الخاصة بقصر أيـت عثمان، يتأكد أن هـذا القصر الأخير كان بمثـابة محل لأخـذ الزطـاطة. وحجتنـا في ذلك ما جـاء في الشرط 62 من اتفـاق القصر المذكور قال: «ومن قطع في طريق المخزن من تبوزمت(34) إلى الميزان(35) أو تابعه ليـأخذ منه الزطاطـة فيعطي خمسين مثقالاً».(36) وكل هذه الشـواهد وغيرها تـؤكد بما لا يـدع مجالاً للشك أن المنطقة المتـدة من قصر السوق «كَصر السـوك» إلى قصر أيت عثمان كانت بمثـابة محطـة لتوقف القـوافل التجارية ولرحلات الحجيج المغربي أو على الأقل محطة لأخذ الزطاطة، لأنه كان في ملتقى مجال قبائل متعددة (أيت إزدكَ - أيت حديدو - أيت عيسى

33) أبو سالم العياشي: الرحلة، م س، ج 1 ص: 15.

34) اسم مكان جنوب قصر أيت عثمان.

35) اسم مكان شمال قصر أيت عثمان.

36) Mezzine (L): taqquit de Ait Atman op cit p: 104.

وغيرهم). ونفترض أن يكـون قصر أيت عثمان بناء على مـا جاء في الشرط 62 من اتفاق القصر المذكـور بمثابـة ديوانـة تستخلص بها «الزطـاطة» لا سيما من القوافل القادمة من فاس أو الذاهبة إليه من الجنوب، وللاستراحة والاستعداد للـدخول إما لوطن مـدغرة أو لاختراق مضايق الجبـال بمنطقة الخنكَ.

ولا يقتصر أداء ضريبة «الزطاطة» على قصر أيت عثمان فقط، بل إن أحد قصور مدغـرة السفلى كان يستأثر أيضا بهذه الوظيفـة. ويتعلق الأمر هنا بقصر مسكي في مـؤخـرة مـدغرة. لأن القـوافل لا سيما تلك القـادمـة من سجلماسة إلى فاس بعدما تكون قد اجتازت واحة الرتب فإنها - على غالب الظن - كـانت تتـوقف بقصر مسكي لأداء «الـزطـاطة»، لتأمين مـرورهـا بمنطقة مدغرة في اتجاه الشمال. وما يؤكد هذا الافتراض هو ما استنتجناه عند تطـرقنا للأهمية الاستراتيجيـة لموقع هذا القصر - أي قصر مسكي - وبنيته المورفـولوجيـة من حيث البناء.(37) هـذا وإن كـانت مسألـة تتبع المسـالك التي تتبعهـا القوافل وهـي تجتاز منطقـة مـدغرة تبقـى في غايـة الصعوبة، وذلك راجع لانعدام المادة العلمية المتعلقة بهذا الجانب. ويمكن أن نتدارك هذا النقص بالاعتماد على ما لازالت الحافظـة الشعبية المحلية تذكره لحد الآن بخصوص المسالك والمشـارع التي كانت تتبعها القوافـل بمدغرة. لكن مع ضرورة تعديل وتنقيح معلومـات الرواة. سيما إذا علمنا أن الأهالي بمنطقـة مـدغرة يعتبرون أن هـذه الأخيرة تبتـدئ من قصر أولاد الحاج إلى قصر مسكي من الشمال إلى الجنوب على مسـافة 16 كلم. ومعلوم أن هذا التحديد هـو تحديد إداري لما يعرف اليوم «بجماعة شرفـاء مدغرة» وليس بتحديد تاريخي.(38) وعلى طول هذا التحديد الإداري تشير الرواية الشفوية المحلية أن القـافلة تقطع 25 مشرعـاً وهو مـا لا يمكن أن يتحقق على هـذا الحيـز المسافي القصير، سيما وأن إمكـانية المرور كـانت سهلة على إحـدى ضفتي الوادي. وعليه نفترض أن تكون القافلة تسير على ضفة واحدة سواء

37) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

38) انظر التحديد التاريخي لمنطقة مدغرة في الباب الثاني الفصل الأول.

اتجاه اليمين أو اليسار من وادي زيز بمدغرة، ولا تقطع مشرع الوادي إلا عندما تكون قاصدة أحد القصور بمدغرة التي كانت تؤدى بها الزطاطة بقسم مدغرة الوسطى، كقصر هلال خلال مطلع القرن 10هـ/16م أي خلال مرحلة السيطرة المعقلية على مدغرة على اعتبار أن هذا القصر كان بمثابة عاصمة الإقليم المدغري. وبعد حين نفترض أن تكون القافلة تتوقف بقصر قلعة تاوريرت باعتبار هذه الأخيرة بمثابة إقامة لممثلي المخزن السعدي بمدغرة. وفي المراحل المتأخرة كانت تتوقف القافلة بقصر سيدي أبو عبد الله باعتبار هذا الأخير محلا لنيابة المخزن العلوي.

إذا كان البكري خلال القرن 5هـ/11م لا يشير إلى المحطات التي كانت تتوقف بها القوافل عند دخولها عمل سجلماسة لا سيما بمدغرة وما والاها شمالاً وجنوبا. فمرد ذلك على ما – نعتقد – علاوة على نسخ معلومات محمد بن يوسف الوراق، أن مدغرة خلال زمن البكري لم تكن لها تلك الأهمية السياسية التي أصبحت تميزها خلال العصور الحديثة المغربية بفعل استفادتها من مجموعة من المتغيرات. فعلاوة على وظيفة الربط البرزخي الذي كانت تقوم به بين الشمال والجنوب هناك مساهمتها الفعالة في بناء صرح الدولة السعدية في مرحلة أولى والمشروع العلوي الحسني في مرحلة ثانية. وذلك في سياق تحول البنية البشرية، وما يرتبط بذلك من تحولات اقتصادية واجتماعية وسياسية وروحية. وقد سبق أن رأينا كيف أن منطقة مدغرة تحولت بفعل انتقال بعض الأسر الحسنية الشريفة من بعض قصور وادي إفلي مع مطلع القرن 10هـ/16م إلى إحدى المراكز الهامة في تاريخ المغرب الجنوبي. ليس فقط من حيث تطعيم البنية البشرية بعنصر جديد، بل وأيضا فيما أصبحت تضطلع به المنطقة من أدوار سياسية من حيث مساهمتها الفعالة على هذا المستوى في الإعداد وتدعيم جملة من المشاريع السياسية المرتبطة بمرحلة الدراسة (العصر الحديث). وقد سبق أن رأينا كيف كانت مساهمة مولاي عبد الله بن عمر المدغري وأبنائه في الدعاية للمشروع السعدي،(39) وبعد حين للمشروع العلوي.(40)

---

39) 40) انظر الباب الثاني الفصل الرابع.

وأيضا مساهمة مولاي عبد الله بن علي بن طاهر الذي جعل منها مركزاً محورياً للمشروع العلوي. وما قدمه من ضمانات لاستمرار الرواج التجاري بمنطقة مدغرة، وما إليها خلال مرحلة انتقال الحكم من البيت السعدي إلى البيت العلوي، من حيث قيامه بتنظيم الاتصال والتواصل بين الشمال والجنوب، بفعل قوته الروحية وشفوفه الديني وموروثه الأسري والنسبي. مما أكسبه تقديراً اعتبارياً بمدغرة وما إليها ولدى المجموعات القبلية التي كانت تتنافس على المضايق الجبلية الأساسية في تجارة العبور المنتشرة على طريق المخزن، والتي كانت بمثابة مجمع للتمثيل القبلي. ويظهر ذلك من خلال التأويل التاريخي الذي افترضناه للكرامة المنسوبة لمولاي عبد الله بن علي بن طاهر بمنطقة الخنَك والتي أوردها العباس بن إبراهيم التعارجي.(41)

ويندرج في هذا السياق ما أشرنا إليه سابقاً بخصوص انتقال بعض الأسر الحسنية الشريفة أو على الأقل بعض الفروع أو البيوتات منهم إلى مضيق الخنَك وقسم مدغرة العليا. وذلك بهدف إشعار القوة الدلائية بمدى انتشار العنصر العلوي الحسني الشريف بمناطق التماس، ولضمان مراقبة الطرق التجارية، والضمان هنا ليس بقوتهم العسكرية، ولكن بنفوذهم الروحي. وقد استمر أنجال مولاي عبد الله بن علي بن طاهر يقومون بوظيفة التأمين والضمان لاستمرار التبادل التجاري بين الشمال والجنوب عبر هذه المضايق الجبلية، وذلك من خلال ما كانت تعقده أسرة أهل حم داوود الشريفة من معاهدات وعقود أخوة مع القبائل المنتشرة على حوافيها، لا سيما قبائل أيت حديدو وأيت إزدكَ وأيت مرغاد وأيت يحيى وأيت علي أوبراهيم وغيرها من القبائل الأخرى التي كانت تشكل اتحادية أيت يفلمان، وحجتنا في ذلك ما جاء في إحدى الوثائق المحلية المهمة والنادرة.(42) تقول الوثيقة: «الحمد لله هذا عقد أخوة بين سادتنا الشرفاء أهل حم داوود ومن

41) انظر التأويل التاريخي لهذه الكرامة بالباب الثاني الفصل الأول.

42) توجد هذه الوثيقة بالخزانة العلمية الهامة لأستاذنا المشرف مولاي هاشم العلوي القاسمي، وسنثبت منها نسخة بالملحق الوثائقي.

انضاف إليهم من عـوام وأصحابهم ومن انتسب إليهم مع أيت يفلمان أيت حديدو وأيت مرغاد وأيت يحيى ومن انضاف إليهم. تبقى على طول الزمان يقف فيها الآباء على الأولاد والأولاد عن أولادهم وأولاد بناتهم إن انقطعوا ما تعاقبـوا وامتدت فروعهم. ومن لم يحضر أخـوه في موضعه وأولاد إخـوانه وأعمامه حتى يـرجع إلى القبيلة كلها ولا يقـول حتى يجيء الآخر، واشترط عليهم الشرفاء أن لا يقبضوا منهم شيئا، وإنما ذلك لوجه الله العظيم والدار الآخرة. ومـن أراد أن يقبض منهم شيئا أخـذه عار اللـه وأخذه اللـه أخذاً، وينتقم الله منه ويعجل له العقوبة في الدنيا ويموت أولاده وتخلى خيمته ولا تقبل كلمته في قبيلتـه. ومن أراد أن يأكل عاره، فيقف إخوانـه ومن معه في التحمل حتى تقف القبيلـة كلها، ومن وجد منهم لا يَـلْـتَـوِ ولا يقبل منه عذر ولا يقول حتى يحضر غيره، وحيث وجد الواحد منهم يقف ولو بالقتل ولا يدعي العجـز. وتحمل لهم الشرفاء الـدار الآخرة والنجاة والسـلامة من الأعـداء، فمن المتحملين من أيت حـديـدو الشيـخ عَـتٌّ بن حسين من الْـهَـرْهُـرْ والشيخ السعيد ابريك من أيت إبراهيم والشيخ احساين من أيت زَنُّـو والشيخ أقستفيح (كذا) من أيت مـوسى أوحدو والشيخ أصبـان من أيت سعيـد أوحـدو ومن أيت مـرغـاد الشيخ مُوجَّـانْ من أيت عمـر أكج والشيخ غانم من أيت البشير من أيت محمد والشيخ سـام من أيت أَعْـنَّـاوْ من أيت أيوب والشيخ مـزوارا من أيت محمد أمـرغاد من أربيبن ومن أيت يحيى والشيخ الجيـلالي من أيت مـوسى أعثمان والشيخ أحمد امحمـد من أيت أشْـمَـرُو والشيخ بَزِيَّـانْ والشيخ بَـسَـتٍّ ومحمـد بن سعيد من أيت عيسى إيشُّ والشيخ احساين من أيت علي أوبـراهيم من أيت أمغار والطالب علي من أمْـتَـشْـمَـدْ. وجميع الحمـلاء من كل قبيلة كل واحـد تحمل عن فخذه وقبيلته مادام الزمان ومن انقطع نسله رجع لمن يليه من قبيلته حتى لا يبقى أحد حيثما وصلت كلمتهم وانتشرت بـلادهم وخيامهم. ومن ضاع له شيء يعطيه المتحمل مـن ماله ومن لم يقف فقد غـدر وأخذه على القبائل ولا تتزوج بنته وشاشية اليهودي على رأسه ولا تسمع كلمته، ويعمي عينه بيده علامة على أنه أخذه عار الشرفاء والشرفاء مصدقون... أضاع لهم ولا

يحلفون... في رجعتهم ولــو يهوديـا يجوز بجـواز... داخـل في حـرمتهم وتحملهم ومن ضاع له شيء... مضمون... هذا كله وقع العهد بينهم...».(43)

يظهر من خـلال فحص المعلومات الـواردة في هذه الوثيقـة التي أوردنا نصها كـاملاً لأهميتهـا في سياق بحثنـا، والتي يرجع تـاريخها إلى أواسط القرن 18م. ورغم أنها لا تحمل تاريخاً في آخرهانظراً للخروم التي أصابتها الغير المتعمدة لقدمها، فإن التحريات أكدت رجوعها إلى الزمن الذي حددناه لها. والوثيقـة عبارة عـن عقد أخوة بين غـالبية القبـائل التي تتكـون منها اتحاديـة أيت يفلمان وأسرة شرفـاء آل حم داوود المنتقلـة إلى مدغـرة منـذ القرن 10هـ/16م. وتبين أهميـة هذا الطـريق ليس فقط في ربط الاتصـال والتواصل بين فـاس وسجلماسة عبر مدغرة لأنـه مباشر ويخترق مجالات خضراء، وتتدفق على حوافيها الميـاه، سيما إذا علمنا أن التزود بالماء والمأكل كانت واحدة من المشاكل التي كانت تعترض التجـار والمسافرين خصوصاً في فترات الأزمات السياسية والمناخية. وتعتبر مرحلة العصر الحديث أحسن معبر عن هذه الحقيقـة، من حيث تعاقب دورات الجفاف والفـراغ السلطوي الذي طبع هذه الفترة. وتتضـح كذلك أهمية هذا الطريق مـن حيث ما كان يوفره من أرباح للمجموعات البشريـة القبلية المنتشرة على حوافيه. مما كان يؤدي حتما إلى صراع وتنافس هذه المجموعـات القبلية على المضايق الجبلية بوجه خاص، لأخذ واجب المرور «الزطاطة» المستخلص من القوافل التجارية المستعملـة لهذه المضايق على طـريق فاس سجلماسـة. وهذا من شأنـه أن يكشف عن أهميـة هـذه المضـايق في تجارة العبـور باعتبـار هـذه الأخيرة مَـجْـمَـعاً للتمثيل القبلي من جهة، وباعتبار واجب المرور كان بمثابة مورد هام وأساسي يضمن للأهالي بـالمضايق عصب حياتهم الأساسي. لأن الموارد الفلاحية كانت لا تكفي لسد حاجياتهم المعيشية.(44)

ومعلوم أن واجب المرور «الزطاطة» كان يتذبذب حسب ما كانت تعرفه الظروف الإقليميـة والوطنية من متغيرات، ذلك أنه خـلال فترات الاستقرار

43) انظر الوثيقة رقم: 36 بالملحق الخاص بالوثائق.

44) انظر الباب الثاني الفصل الأول.

السياسي والاجتماعي كانت عملية أخذ الزطـاطة مطبوعة بالنظام والانتظام. حيث كانت تتناوب القبـائل على أخذ حصتها منها. أمـا خلال فترات الفراغ والشتات السلطـوي وما يتبع ذلك من اضطرابات وهـزات اجتماعية، سيما وأن هذه الأخيرة غالباً ما كانت تتزامن مع الاستثناءات المناخية التي طبعت التاريخ المغربي بوجه عام والواحي بـوجه خاص. مما كان يخلق نوعاً من التنافس والصراع بين القبـائل المنتشرة حول هذه المضايق لـلاستحواذ على هذه المغـانم. وكان ينتج عن هذا الـوضع سيادة النهب واللصوصيـة الأمر الـذي كان يستـدعي تـدخل الأشراف ورجال الصـلاح والتقـوى والتقديـر والاعتبـار الاجتماعيين لإصـلاح ذات البين بين القبــائل لضمان استمـرار التواصل بين الشمال والجنـوب. وقد سبق أن رأينا كيف أن منطقة مـدغرة بعدما انتقلت إليها بعض الأسر الحسنيـة الشريفة أصبحت تلعب هذا الدور ليس فقط داخل قصـور مدغرة من حيث تسييجهـا لمجموعـة من الأزمات التي كـانت تنشب بين الفئات المتســاكنة داخل القصور. ولكـن أيضا لحل النـزاعـات التي كـانت تنشب بين المجمـوعات القبليـة المنتشرة على حـوافي المضايق الجبلية على طريق فـاس سجلماسة. معتمدة في ذلك على موروثها النسبي وشفـوفها الـديني والتقـدير الاعتبـاري لدى القبـائل(45) ومنزلة الشرفاء في المعتقـد الشعبي الديني المغربي. ففي هـذا الإطار إذا يمكن فهم ووضع مسألـة «عقـد الأخـوة» الــذي تم إبـرامـه بين أسرة آل حم داوود الشريفة، واتحاديـة أيت يفلمان. وبناء عليه، وانطـلاقا من عقد الأخـوة هذا نسجل الملاحظات التالية :

1 – نعتقد أن إقـدام أسرة آل حم داوود الشريفـة على إبرام هـذا العقد، ينسجم إلى حد بعيد مع الوظائف الاجتماعية لهذه الأسرة منذ أن انتقلت إلى مـدغرة، ومـا إليها مع مطلع القـرن 10هـ/16م مستغلـة في ذلك مكانتهـا المتميـزة بين مجموع الأسر الشريفـة الأخـرى بنـاء على موروثهـا الـديني والنسبي ومكانتها التقديرية الاعتبارية داخل المجتمع المدغري ولدى القبائل

45) انظـر الباب الثـاني الفصل الرابع، ص: وهـو مـا سنحاول معـالجته كـذلك في الفصل الخاص بالحياة الاجتماعية بمنطقة مدغرة.

المجاورة. وقد سبق أن رأينا كيف أن زعيم هذه الأسرة، ويتعلق الأمر هنا بمولاي عبد الله بن علي بن طاهر استدعي للتحكيم من طرف قبائل مضيق الخنكَ لتنظيم وضمان استمرار التواصل التجاري والبشري بين الشمال والجنوب خلال فترة انتقال الحكم من السعديين إلى العلويين، وذلك بناء على التأويل التاريخي الذي سقناه لتفسير مدلول الكرامة التي حدثت له بمنطقة الخنكَ.(46) مما يعني أن استدعاء مولاي عبد الله بن علي بن طاهر للتحكيم بين القبائل المتنافسة لا يفهم إلا في إطار ثقل الرجل الروحي واعتباره التقديري عندهم وشفوفه الديني والنسبي. وقد استمر أحفاده مولاي عبد الله بن علي بن طاهر يتوارثون مسألة إصلاح ذات البين بين القبائل والتحكيم بين المجموعات البشرية المتنافسة على المضايق الجبلية لأخذ ضريبة المرور إلى عهد قريب جدا منا. وما يشهد على ذلك من جهة عقد الأخوة السالف الذكر، هذا وإن كانت مسألة ضبط تاريخه تبقى من الأمور الصعبة، وذلك راجع للبتر الموجود في آخر الوثيقة (47) ومن جهة أخرى ما جاء في عقد الصلح الذي أشرف عليه آل مولاي عبد الله بن علي ابن طاهر على إثر الخلاف الذي اندلع بين أيت عثمان وأيت منزو المؤرخ بتاريخ 12 جمادى الأولى 1333هـ/28 مارس 1915م.(48) ومما جاء فيه على الخصوص: «الحمد لله لما وقع الخلاف بين أيت منز – أي أيت منزو – وأيت عثمان دخلوا – أي دخل – بينهم الشرفاء آل سيدنا ومولانا عبد الله ابن علي بن طاهر نفعنا الله ببركته أمين فاصطلحوا على أيديهم ودخلوا – أي دخل – أيت منزو مع أيت عثمان ومزوج – أي أمزوج – وأهل إفري الفوقانيين وأهل إنجبي وأمزورا وجددوا العهد والأخوة».(44)

وإذا كان سبب نزاع أيت منزو(50) وأيت عثمان(51) يبدو غامضاً للوهلة الأولى. إلا أنه وبالعودة إلى ما تضمنه عقد الصلح، هذا يمكن أن نفترض أنه

46) انظر الباب الثاني الفصل الأول.
47) انظر الوثيقة رقم: 36 بالملحق الوثائقي الخاص.
48) Mezzine (L): taqquit de Ait Atman, op cit, p: 90.
49) Mezzine (L): taqquit de Ait Atman, op cit, p: 107.
50) 51) يوجد قصر أيت منزو على الضفة اليمنى من وادي زيز جنوب أيت عثمان، وهذا الأخير إلى الشمال منه.

تمحور حول حدود مجال كل من قصر أيت منزو وأيت عثمان، ويظهر ذلك من خلال ما جاء في الصلح. قال: «وإن وقعت منازعة في اللف المذكور فثلث منهم يوافق الثلثان ولا يدخلون في كلام أهل تيعلالين، وحدودهم من زعبل إلى صرغين».(52) ومعلـوم أن الحدود التي وردت في عقـد الصلح بين أيت عثمان وأيت منـزو والمحددة من زعبل إلى صرغين تشمل قسمـاً مهما من مضيق منطقـة الخنكَ التي كـانت تتنافس وتتصـارع عليـه مجموعـة من القبـائل من أجل السيطرة عليـه والاستفادة من واجب المرور كما أسلفنـا. وعلى سبيل المثـال لا الحصر نشير إلى أن قصر زعبل، وبناء على مـا أورده الحسن الـوزان كان واحـداً من بين أهم المواقع التي كـان يستخلص فيهـا واجب المرور، وهذا نص كلامه: «وبهذا الخنكَ ثـلاثة قصور رئيسية الأول يسمى زعبل، ويقع على أعلى صخرة كأنها تبلغ السماء طولاً لشـدة علوها ويقف في أسفل الصخـرة الحرس الذي يستخلص واجب المرور وهـو ربع مثقال للحمل».(53) والظاهـر أن سكان القصور المنتشرة على حـوافي الوادي بهذه المنطقة كانوا يتنافســون على هذه المضايق من أجل استخلاص واجب المرور، وكان التنافس والصراع عليها يؤثر على السير العادي لمرور القوافل، الأمر الذي كان يستدعي تـدخل السلطـات الحاكمة خلال فترات الاستقرار السيـاسي. ورجـال الصـلاح والتقديـر الاعتبـاري خـلال فترات الفـوضى والشتات السلطـوي لإعادة تنظيم العبور وحل مسألة التنـافس عن طريق تقسيم مناطق النفوذ والاستفادة بين المجموعات القبلية المتصارعة على هذه المضايـق، باعتبارٍ هـذه الأخيرة مجمعاً للتمثيـل القبلي. وقد كانـت الأعراف المحلية التي سُـطـِّرَتْ عقب الصلح المذكـور تعاقب بشدة كل من حاول أن يتجاوز حـدود قصره لأخذ واجب المرور. وهـذا ما يمكن أن نستشفـه من الشرط 62 من اتفـاق قصر أيت عثمان المؤرخ في أواســط ربيع الأول عـام 1332هـ الموافق لـ 11 فبراير 1914م.(54) ومما جاء فيـه على الخصوص:

(52 Mezzine (L): taqquit de Ait Atman, op cit, p: 107.

53) الوزان: وصف، م س، ج 2 ص: 122.

(54 Mezzine (L): taqquit de Ait Atman, op cit, p: 90.

«ومن قطع في طريق المخزن من تبوزمت(55) إلى الميزان(56) أو تابعه ليأخذ منه الزطاطة فيعطي خمسين مثقالا».(57)

2 – إذا كانت المصادر بما في ذلك كتب الجغرافية والرحلات لا سيما تلك المتعلقة بالمرحلة الحديثة ذكرت أهمية هذه المضايق في تجارة العبور بين الشمال والجنوب، إلا أنها لم تشر مع ذلك إلى أسماء القبائل التي كانت منتشرة على هذه المضايق. ومعلوم أن الإشارة إلى أسماء المجموعات البشرية المتنافسة على هذه المضايق، قد يفيد في الكشف عن جوانب هامة من حيث التطور الذي عرفته البنية البشرية لهذه المناطق. مما قد يساعد أيضا على محاولة التعرف على المرحلة الزمنية التي أبرم فيها عقد الأخوة بين أسرة آل حم داوود وأغلبية القبائل المشكلة لاتحادية أيت يفلمان، سيما إذا استطعنا تحديد تاريخ استقرار هذه المجموعات البشرية بهذه الأصقاع. ومثل هذه المعلومات وغيرها نستشفها بالعودة إلى عقد الأخوة الذي نحن بصدده.

إذا كان العقد المذكور يشير إلى القبائل الكبرى التي أبرمت العقد مع أسرة آل حم داوود الشريفة والذي حصرها في «أيت مرغاد وأيت حديدو وأيت يحيى ومن انضاف إليهم»،(58) فإنه علاوة على ذلك يشير إلى مجموعة من الأفخاذ والبطون المرتبطة بهذه القبائل الكبرى عن طريق اللحمة الدموية السلالية أو عن طريق الولاء. وهذا ما يمكن أن نقف عليه بالعقد المذكور عندما تطرق إلى الأشياخ الذين حضروا عقده وتحملوا نيابة عن القبائل والبطون شروطه قال: «فمن المتحملين من أيت حديدو الشيخ عتو بن حسين من الهرهر والشيخ سعيد بريك من أيت إبراهيم والشيخ احساين من أيت زنو والشيخ أقستفيح (كذا) من أيت موسى أوحدوا والشيخ أصبان من أيت سعيد أحدوا ومن أيت مرغاد الشيخ موجان من أيت عمر أكج والشيخ غانم من أيت البشير من أيت محمد الشيخ سام من أيت أعنا ومن أيت أيوب والشيخ مزوارا من أيت محمد أمرغاد من أربيين ومن أيت

55) مكان جنوب قصر أيت عثمان.

56) مكان شمال قصر أيت عثمان.

57) Mezzine (L): taqquit de Ait Atman op cit p: 104.

58) انظر الوثيقة رقم: 36 بالملحق الوثائقي الخاص.

يحيى الشيخ الجيلالي من أيت موسى أعثمان والشيخ أحمد امحمد من أيت أشمرو والشيخ بزيان والشيخ بست ومحمد بن سعيد عن أيت عيسى إيش والشيخ احساين من أيت علي أبراهيم من أيت أمغار والطالب علي من أمتشد».(59) ومجموع هذه العظام والأفخاذ هي التي كانت تتشكل منها قبائل اتحادية أيت يفلمان. مما قد يفيد في الكشف عن مجموعة أخرى من الأفخاذ والبطون ذات الولاء اليفلماني، وهو الأمر الذي لم تشر إليه الدراسات الحديثة حول القبائل المكونة لهذا الحلف.(60)

3 – نعتقد أن عقد الأخوة هذا، هو الصيغة النهائية لمجموعة عقود أخوة أخرى سابقة عنه، أو على الأقل يمكن أن نعتبره حلقة من سلسلة العقود التي كانت تبرم بين الطرفين منذ أن استقرت أسرة آل حم داوود الشريفة بمدغرة منذ مطلع القرن 10هـ/16م إلى الفترة المعاصرة. مما يدل على أن هذه العقود كانت تتجدد كلما دعت الضرورة إلى ذلك، وحجتنا على ذلك ما جاء في آخر العقد الأخوي قال: «... وجميع الحملاء من كل قبيلة كل واحد تحمل عن فخذه وقبيلته مادام الزمان ومن انقطع نسله رجع لمن يليه من قبيلته حتى لا يبقى أحد حيثما وصلت كلمتهم وانتشرت بلادهم وخيامهم»(61) ولا نستبعد في هذا الخصوص أن يكون مولاي عبد الله بن علي بن طاهر قد أسس هذا النوع من العقود والاتفاقيات بين شرفاء مدغرة منذ أن أصبحوا القادة الفعليين لهذه الأخيرة منذ القرن 10هـ/16م، والقبائل البربرية خاصة تلك المنتشرة على حوافي وادي زيز بمنطقة الخنك وما إليها. واستمر الطرفان يجددان هذه العقود والإتفاقيات كلما دعت الضروة إلى ذلك. والجدير بالإشارة أن هذه العقود والإتفاقيات لم تكن فقط تحل مشكل التنافس بين القبائل على المضايق من خلال تقريب وجهات

---

59) انظر الوثيقة رقم: 36 بالملحق الوثائقي الخاص.

60) انظر على الخصوص ما كتبه مؤرخ الأحلاف القبلية المغربية مولاي التقي العلوي بمجلة البحث العلمي عدد 23 – 1974، ص: 121 – 134.

Mezzine (L): le tafilalet, op cit, p: 56.

هامش 77 وبمواضع متفرقة بنفس المؤلف.

61) انظر الوثيقة رقم: 36 بالملحق الوثائقي الخاص.

النظر وتقسيم الريع، بل أنها تزجر كل من نقض عقد الأخوة بتعرضه للقوافل التجارية المترددة بين فاس وسجلماسة والمضمونة من طرف شرفاء أسرة آل حم داوود. والزجر هنا نوعان من العقوبات: زجر مادي دنيوي مباشر وهو الذي تمثله العقوبات المادية. وزجر روحي ديني أخروي ويمثله النفوذ الروحي والرابطة الدينية التي يمثلها الشرفاء ضد القبائل المنتفعة من مداخيل المرور أو التي كانت تغتصب تلك القوافل، وهو ما جرى على لسان العامة «أكل القافلة» أو قطع الطريق عليها إذا لم تؤد «الزطاطة». وما يشهد على ذلك ما اتفق عليه المتعاقدون. فقد جاء في شروط العقد أو الإتفاق ما يلي: «ومن ضاع له شيء يعطيه المتحمل من ماله ومن لم يقف، فقد غدر وأخذه على القبائل ولا تتزوج بنته وشاشية اليهودي على رأسه ولا تسمع كلمته ويعمي عينه بيده علامة على أنه أخذه عار الشرفاء، والشرفاء مصدقون».(62) ويعني هذا أن شرفاء آل حم داوود، ونظراً لمكانتهم التقديرية الإعتبارية وشفوفهم الديني والنسبي لدى القبائل كانوا يقومون بمهمة تأمين الطرق التجارية خلال فترات الإستقرار السياسي، كما في حالات الفوضى وانعدام الأمن. ونعتقد أن القيام بمهمة حماية وضمان الطرق ما هو في حقيقة الأمر إلا تقليدا كان يسنه بعض ملوك الأسر الحاكمة المتعاقبة على سدة الحكم بالمغرب. فقد ذكر ابن القاضي المكناسي أن السلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي كان يقوم: «بتمهيد الطرق على المسافرين بمنازل وخيام أمر بسكناها على الطريق بين المنزلة والمنزلة... يسكنها أهل البادية وأجرى لهم من إقطاع الأرض ما يكفيهم ثوابا لهم على سكناهم هناك وأمرهم ببيع الشعير والطعام واللحم والعسل، وغير ذلك مما يحتاج إليه المسافر... وإن باتت لهم قافلة يحرسونهم طول الليل ويحوطون أمتعتهم، وإن ضاع منهم شيء ضمنوه لربه».(63) وهذا يعني أن مبدأ الشرف كان يتدخل في حياة القبائل، فعلى يد الشريف تجد بعض

---

62) انظر الوثيقة رقم: 36 بالملحق الوثائقي الخاص.

63) أحمد ابن القاضي: المنتقى المقصور في مآثر الخليفة المنصور. تحقيق محمد رزوق، دار الثقافة البيضاء 1988، ج 2 ص: 36.

النزاعات التي تحدث بين القبائل أو بين هـذه الأخيرة والمخزن حلا لها، هذا من جهة. ومن جهة أخرى وبناء على عقد الأخوة المشار إليه أعلاه، نشير إلى أن شرفاء آل حم داوود كـانوا يقومـون بمهمة «الشريف الـزطاط» لتمكين القوافل من الحمايـة والعبور التي يكون لهم فيهـا نفوذ بغية الـوصول إلى الأسواق للتبادل. مما يضفي على أسرة آل حم داوود ميزة خاصة، إذ علاوة على كونهم ورثة علم أضافوا إلى رصيـدهم المعرفي والسياسي والروحي كما سبق أن فصلنـا ذلك.(64) مهمـة إصـــلاح ذات البين بين القبـائل وتأمين وضمان سلامة الطرق التجاريـة الرابطة بين المغرب الشمالي والجنوبي عبر مدغـرة وما إليهـا، وما لهذه الأخيرة من مكـانة محوريـة في ربط الإتصال والتواصل. وهـذا ما يحملنا على استنتاج آخـر وهو أن أسرة آل حم داوود علاوة على مكانتها الروحية والعلمية والسياسية من خلال ما تبوئه أفرادها من مكانة خاصة لدى الطبقات المجتمعية العامة، وأيضا لدى أولي الأمر.(65) كان لأسرة آل حم داوود الشريفة تقدير اعتبـاري من لدن القبائل البربرية، ولو لم تكن مرتبطـة بهم دموياً. وأن هذا التقـدير والإعتبار لم يكن يشمل مرحلـة دون أخرى، بل كـان متلاحقا. ومـا يشهد على ذلك استمـرار هذا التقدير والإعتبار والرابطة الروحية بوجه عام، وامتدادها منذ مرحلة مولاي عبـد الله بـن علي بن طاهـر إلى المرحلـة المعاصرة. حيـث استمرت القبـائل البربرية المنتشرة على حـوافي طريق المخزن من قسم مدغـرة العليا ومنطقة الخنكَ إلى حدود بـلاد أيت يوسي تستـدعي آل مولاي عبـد الله بن علي بن طاهر لإصـــلاح ذات البين بينهم وإبرام عقود الأخوة. ومـازالت هذه القبائل المرتبطة روحياً بأسرة آل حم داوود لا سيما قبائل أيت عيسى وأيت يوسي يزورون ضريح مولاي عبـد الله بن علي بن طاهر، ويـؤدون واجب السنة الـذي يطلق عليه إسم «الـزيـارة» تبركاً وتـرحماً، ومـا يترتب عن ذلك من رعايـة وإكرام للشرفـاء بالهدايـا إذا ما حلـوا بالقبيلـة أو الدشر. وفي هـذا الخصوص نشير إلى أن شرفـاء آل حم داوود لا سيما من فـرع آل مولاي

64) انظر الباب الثاني الفصل الرابع.

65) بالنسبة لأهمية ومكانة الأسرة انظر الباب الثاني الفصل الرابع.

البكري بن مولاي بن علي بن عبد اللـه بن علي بن طاهر استمروا يترددون على قبيلة أيت يوسي حتى الوقت الحاضر. وكانت ومـا تزال أحد بطون هذه القبيلة الأخيرة، لا سيما قبيلة أيت حمزة لا تقـوم بتغيير شيخ القبيلة الذي يتم عادة كل سنـة، إلا بحضور أحـد شرفاء آل مولاي البكـري تبركاً بهم وتعظيمـاً لهم.

4 – يظهر من خلال عقـد الأخوة السالف الذكـر أن تأمين هذا الطريق كان من أبرز اهتمامات أسرة آل حـم داوود والقبائل المنتشرة على حوافيه لا سيما بـالمضايق الجبليـة، وأفضى هـذا العقـد فيما أفضى إليه إلى تنـامي استعمال هـذا الطريق الحيـوي الـرابط بين الشمال والجنوب. ممـا انعكس بشكل مبـاشر على تجاوز بعض المشـاكل التي كـان يعـاني منهـا التجـار والقـوافل المترددة عليه، خـاصة زمـن السيطرة المعقليـة عليه خـلال مطلع القرن 10هـ/16م، وعلى إيصال إشعـاع الدولة العلـوية إلى المناطق النـائية والـوعرة المسـالك. لأن الطـرق كانـت تلعب دوراً مزدوجـاً يتمثل الأول في استتباب الأمن وإيصـال إشعاع الدولـة إلى المناطق النائيـة، ويتمثل الثاني فيما يمكن أن تجنيه المجموعات البشرية المنتشرة حوله من جهة. ومن جهة أخـرى لضمان الإستقـرار والسلم الاجتماعيـة التي تعتبر بمثـابـة عصب أسـاسي لـلإستقرار السياسي والتنـامي الاقتصادي. لهذا لا غرو إذا وجـدنا أحد المؤرخين البرتغاليين ينعت الطرق «بروح الدولة»(66) إدراكاً منه بأهمية الطـرق سياسيـاً واقتصاديـاً واجتماعيـاً. ويحملنا هـذا على استنتاج آخـر وانطـلاقـاً من عقد الأخـوة المبرم بين أسرة آل حم داوود الشريفـة وقبـائل اتحادية أيت يفلمان، أنه نظـراً لحيوية هذا الطريق التجاري ومـا كان يدره من أرباح على هذه القبـائل، هو الذي دفعها إلى سن مجمـوعة من القوانين والشروط العرفيـة. وإن كانت مسيجـة برداء شريفـي من خلال استـدعاء أسرة آل حم داوود لـلإشراف عليـه والمشـاركـة فيه. ممـا يـؤكـد أن هـذه الإجراءات العرفيـة كانت نابعة من حرص القبائل نفسهـا على أمن وسلامة هذا الطريق الحيوي.

---

(66) Magalhaes godinho (V): Le tournant mondiale de 1517 à 1524 et l'empire portugais, in studia I Lisbone 1958 p: 191.

لم تكن منطقة مدغرة ترتبط بفاس فقط عبر طريق الخنكَ أمليس كَـيكَـو وصفرو، بل ارتبطت المنطقـة كذلك بفاس عبر طريق آخـر إلا أنه أطول من الأول ويمـر عبر تـادلا، وصفـه الإدريسي خـلال القـرن 6هـ/12م قائلا: «ومنها - أي من مـدينة فاس - إلى تـادلا إلى داي إلى شعب الصفا ويشق الجبل الكبير - يعني جبل دْرْنْ - إلى جنوبه ومن هناك إلى سجلماسة».(67) والملاحظ على وصف الإدريسي هـذا أنـه يعـدد المحطـات التي تتـوقف بها القوافل شمال جبال درن، بينما يغفل ذكر المحطات جنوب جبال الأطلس في اتجاه سجلماسـة مـروراً عبر مـدغـرة. ممـا يعني أن الإدريسي اعتمـد على الطريق الوسطى الرابطة بين سبتة وفاس ومراكش وسجلماسة.

وقد فصل Louis Massignon بكثير من التدقيق المحطات التي كانت تتوقف بها القـوافل شمال جبـال درن. قال: «كـانت القـوافل تمر بأغمات وفـزاز وكَـريكَـرة(68) بالقرب من أزرو الحاليـة ومنه إلى أدخسان وتادلا».(69) إن هذه المسافة الطويلة التي تقطعهـا القوافل باستعمالها هذا الطريق لا يمكن أن تفهم إلا في إطار أثـر العوامل السياسية وعدم الإستقـرار وانعدام الأمن وسيـادة النهب واللصوصيـة. مما يـدل على أن سهـولة الاتصـال لضعف التضـاريس، وتوفـر نقط الماء لا يمكنها أن تفسر لـوحدهـا في كل الحالات استعمال هذا الطريق دون ذلك. فقد ذكر دوفوكـو الطريقان معا، ونبه أنه إذا كان الطـريق المباشر القصير لا يطـرح مشاكل متعلقـة بالأمن في غـالب الأحيان. فإن الطـريق الطويل الغير المبـاشر يطرح مع ذلك مشـاكل أخرى تتعلق بـالفيضان النهـري. لأنه يسير بمحـاذات الـوادي ويعاني من كثـرة تسـاقط الثلـوج لا سيما خـلال الفصل البـارد.(70) وهـذا الطريق المبـاشر السريع هو الـذي اتبعه ابن بطوطـة في رحلته من فاس إلى بـلاد السودان، وهو الذي سماه بطريق جُـنَـيْـبَـةْ،(71) الذي يصعب التنقل عبره في فصل

67) الإدريسي: وصف، م س، ص: 51.

68) كَـريكَـرة هي مريرت الحالية.

69) Massignon (L): Le Maroc, op cit, p: 110.

70) Faucauld (ch. de): connaissance, op cit, p: 228.

71) وإسمه أم جنيبة ويقع شرق مركز بولمان حاليا.

الشتاء، بسبب كثرة الثلـوج. حتى أنه شبهه بطرق أخـرى في بلاد بخارى وسمرقند وخرسان وبلاد الأتراك، وسجل أنه لم ير أصعب منه.(72) وعلى هذا الطـريق أيضا عـانى الوزان خـلال القرن 10هـ/16م مصاعب كثيرة بسبب كثرة الثلج الذي غالباً ما كان يدفن القوافل.(73)

سبق أن أشرنا أنــه مع مطلع العصور الحديثة بالمغـرب، تحولت الطرق التجارية نحو الجنوب الغربي المغـربي، وذلك نتيجة للتحولات التي عرفها المجتمع المغـربي، من حيث بنيته البشريــة وأسسه الاقتصــادية وخـريطته السياسية. ممــا أدى إلى إضعاف وتهميش طريق فـاس سجلماسة وانتقال مركـز الثقل إلى درعة وسوس. بفعل اتجاه المغـاربة نحو المحيط ومعـرفة أهمية البحـر في العلاقـات التجارية الـدولية. وجديـر بالإشــارة أن اتصال مدغـرة بدرعــة ومنها بـالسوس، كـان يتم عبر الحافات الشرقيــة للأطلس الكبير الشرقي عبر واحات بومالن دادس تنغير وممر أكَـدز.(74)

وإذا كان المحور الجنوبي الغـربي قد عرف نشاطا متنامياً طيلة القرن 16م بفعل استفادتــه من مجموعة من المتغيرات، يأتي في مقدمتهـا اختناق الحركة التجاريــة بالمحور الجنوبي الشرقي بفعل سيطـرة عرب بني معقل على المحــاور الجنوبيــة الشرقيــة، وذلك في سيــاق تنافس وصراع الأحــلاف القبلية. وانتقال مـركز الثقل إلى سوس وتهميش منطقة تـافيلالت. كما أن العامل السياسي لعب دوراً كبيراً في تدعيم هذا المحور بفعل الإنتصارات التي حققها السعديون على الإيبريين المحتلين للشواطئ الجنوبية المغربية وتحرير أهمها، وكذا كبح جماح القوات الداخلية المغـربية، وتحقيق الوحدة الوطنية. إلا أنــه مع مطلع القـرن 11هـ/17م وبسبب الأحـداث التي أعقبت وفـاة السلطــان أحمد المنصــور، ومــا تلى ذلك من حـروب وتنـافس بين أبنـائه وحفدتــه على السلطة. مما أدى إلى خلق مجموعــة من الوعاءات والـوحدات السياسية المتصارعة فيما بينها. مما أثر بشكل مباشر على مستورد المغرب

72) ابن بطوطة: رحل، م س، ج 2 ص: 802.

73) الوزان: وصف، م س، ج 1 ص: 60.

74) Lessard (J.M): Sijilmassa, op cit, p: 20.

من تبر إفريقيا نتيجة عدة عوامل منها: انهيار نظام التبادل الذي أقره السعديون وتحكمهم في سعر الذهب. ومنها ما يتعلق بتغير الطرق التجارية المعتادة وسطوة أبي حسون على تارودانت ودرعة.(75) ذلك أن هذا الأخير بعد استيلائه على تارودانت سنة 1927م ووفاة منافسه في السوس أبي زكريا يحيى الحاحي شرع في غزو السفح الصحراوي للأطلس، ثم بعد ذلك درعة ودادس وأخذ يطمع في تافيلالت.(76) الشيء الذي مكنه من لعب دور الوساطة على حساب شمال الأطلس الكبير بين إفريقيا وأروبا، وذلك من خلال محاولته ربط المحاور الشرقية والغربية وإتمام السيطرة على التجارة الصحراوية، إلا أن هذه المحاولة ستنتهي إلى الفشل بفعل مجموعة من المتغيرات. يأتي في مقدمتها قيام الإمارة العلوية الحسنية بتافيلالت ووصول القوة الدلائية إلى المنطقة، مما كان بالغ الأثر في إحياء هذا المحور الشرقي. وإذا كانت هذه المعطيات الداخلية تفسر إلى حد ما ركود التجارة الخارجية للمحور الغربي لا سيما مع السودان الغربي، فإنها مع ذلك لا تكفي لتبرير توجه السملاليين نحو درعة وتافيلالت، لهذا لابد من الإشارة إلى ما كان يعرفه المحيط الجهوي والدولي من مستجدات. إن تجارة الطريق الساحلي التي كانت تنتهي إلى تازروالت عاصمة السملاليين كانت تعرف في تلك الفترة تأزماً في رواجها، نظراً للمنافسة الأروبية خاصةالفرنسية منها الذين استقروا بالرأس الأخضر بالسينغال منذ سنة 1635م وتأسيسهم لمدينة سان لوي سنة 1641م، مما أضر بالأرباح التي كانت تذرها التجارة القوافلية المستعملة لهذا الطريق. سيما وأنه قبل استقرار الأروبيين بالسينغال كانت العلاقات المغربية السودانية تعرف تحولات جذرية نتيجة نزوع سكان إفريقيا الغربية إلى الإستقلال وتضايقهم من الوجود المغربي(77) بالسودان، وأصبحوا يستبدلون تبر الذهب بالأسلحة النارية الأروبية انطلاقا من هذه الموانئ الإفريقية. مما أدى إلى تسرب جزء كبير من

75) عبد اللطيف الشاذلي: الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17م. ص: 50 مطبعة النجاح الجديدة البيضاء 1982.

76) العربي مزين: مذكرات، م س، مجلد 4 ص: 20.

77) Brignon et autres: histoire du Maroc, op cit, p: 222.

الذهب نحو الغرب عوضا عن الشمال هذا في الوقت الذي كان فيه جزء آخر من التبر يتجه نحـو توات والأيالات التركية شرقـاً، وأيضا نحو الشمال إلى البحـر الأبيض المتـوسط، بفعل الطلب الـوارد من ولايتي وهـران والجزائر التركيتين، ومن فاس وشمال المغرب وإن كان هـذا الأخير أقل أهمية. فكان في هذا الـوضع ما يغري أبا حسـون لمد نفوذه لدرعة وتـافيلالت. وتحيين فـرصـة استنجـاد مـولاي الشريف بـن علي بـه ضـدا على استنجـاد أهل تابوعصامت آل بنـو الزبير بالقوة الدلائية، فتـدخل في تافيلالت. وسيعرف المحور الجنـوبي الشرقي المغربي نشاطـاً متنامياً وحيوية ملمـوسة بفعل المتغيرات التي عرفتها المنطقة السجلماسية إبان ظهور القوة العلوية بالمنطقة ظهوراً سياسيـاً، على إثر الأحداث التي أعقبت الإنقلاب في الأحـلاف. فأمام الحصـار الـذي أصبحت تمارســه القوة الـدلائيـة من جهـة الشمال بفعل مراقتبهـا لخمسة أمـاكن داخل نفوذ الإمارة العلـوية على إثـر الصلح الذي أعقب معركة الكَـارة وهي: قصر السوق بمدغرة، وقصر أيت عثمان بالخنكَ، وقصر أولاد عيسى بالرتب، وقصرا أسريـر وكَـلميمة بفركلة. وكلهـا توجد في مدخل الشعاب التي تمر بها القوافل، مما يدل على كبير أهميتها التجارية والاقتصـادية. والقـوة السمـلالية من جهـة الغـرب، لم يكن بيد السـلاطين الأوائل للإمارة العلويـة إلا قلب وجهتهم نحو الجنوب معتمدين في تحركهم هذا على القبـائل العربية المعقليـة جنوب منطقة تـافيلالت. فاستعـانوا بهم لبسط نفوذهم على تـوات وأقروا أسعـاراً عادت بـالنفع على التجار. وبفعل هذه الأربـاح وهذه العصبية الجديدة، وتغير المنـاخ السياسي الإقليمي بفعل ضعف زاويـة تـازروالت والطـابع السياسي المحـض الذي أصبح للـزاويـة الدلائية عنـدما أصبح على رأسها محمد الحاج الدلائي. ممـا اضطر مولاي محمـد بن الشريف إلى التطلع للمنـاطق الشماليـة لأنها نهايـةخط تجاري ومنطلق نحو البحر لتصريف البضاعة السـودانية المجلوبة عبر محور توات تافيـلالت. إلا أنه سيصطـدم بوجود القـوة الدلائية بأعـالي منطقة مـدغرة والخنكَ مما اضطـره إلى غزو المنـاطق الشرقية في محاولـة للبحث عن منفذ على البحر لترويج البضـاعة السودانيـة، والإستفادة من أرباح هـذا الرواج

والتعامل مع ممثلي التجارة الأروبية على البحـر الأبيض المتوسط، ولتطويق القوة الدلائية من الجنوب والشمال الشرقي. وهذا ما حاول السلطان مولاي رشيد توسيع تنفيذه، وكأن سلاطين الدولـة العلوية الأوائل كانوا يحاولون أن يجدوا أسباب الإستمـرار لدولـة جذورهـا في الصحراء، ومقـدمتها على البحر، وذلك من خلال تنمية هذا المحور الجنوبي الشرقي.

هذه بصورة إجماليـة أهم المحاور التجـارية التي كـانت تربـط منطقة مدغرة بالشمال والجنوب(78) والجنوب الغربي، والجدير بالإشارة أن منطقة مدغرة لم تكن فقط محطة لعبور القوافل المترددة بين الشمال والجنوب، بل أن المنطقة كانت تسـاهم بدورها في تدعيم هذا الـرواج التجاري. بفضل ما كانت تنتجه المنطقة من منتـوجات شجرية بوجه خاص، ومـا كان يزودها به الـرحل من سمن وصوف وجلـود. مما كان لـه بالغ الأثـر على العملية التجارية. وما يشهد على ذلك أن مدغرة كانت متوفرة على قافلة خاصة بها، تتردد بين فـاس وتـافيلالت من جهـة، ومن جهـة أخـرى كان لـلأسـواق الموجـودة بمدغـرة الدور الكبير في تـدعيم التبادل والاتجار بين المستقـرين وبين هؤلاء والرحل.

2 - الأسواق والسلع المتبادلة :

كانت منطقـة مـدغرة تتـوفـر على مجمـوعة من الأسـواق المبنيـة بكل أقسامها، منها ما استمر وجوده إلى نهاية القرن 19م، بل وإلى مطلع القرن 20م ومنها ما اندثر. فقد ذكر شـارل دوفوكو أن مدغرة الوسطى والسفلى كان يوجـد بها سوقان يعمران مـرتين في الأسبوع، في كل من قصر سيدي أبو عبـد الله وقصر القصبة القـديمة.(79) وذكـر من جهة أخـرى أن قصر السوق بـأعلى مدغرة كـان يتكون مـن خمسة قصور هـي قصر السوق – مـوشقـلال – أكـوز – قصر الحراطين وقصر أزرو ويتـوسطهـا السـوق

---

78) انظر الخريطة الخاصة بالطرق التجارية في الملحق الخاص بالخرائط.

79) Faucauld (ch. de): reconnaissance, op cit, p: 352.

والملاح.(80) واعتماداً على إحدى الوثـائق المحلية الخاصة بمنطقة مـدغرة(81) يمكن أن نسجل أن مدغرة الوسطى والسفلى كانت تتوفر على ثلاثة أسواق: أولها يعود بناؤه حسب ما نتوفر عليه من وثائق إلى سنة 1301هـ/1883م ويوجد بين قصري سيدي أبو عبد الله وتيطاف، والغالب على الظن أنه يوجد بقصر القصبة الجديدة. وسوق ثاني يوجد بين قصري تيطاف وأولاد امحمد وهو أقدم من السوق الأول بدليل ما جاء في الوثيقة. وسوق ثالث يوجد بموضع يعرف بالدباز قرابة قصر سيدي أبو عبد الله، وهو أحدث الأسواق، إذ يعود تاريخ بنائه إلى سنة 1334هـ/1915م. ومما جاء في هذه الوثيقة على الخصوص: «... وذكر من أثق به واعتمد عليه أن القتال الأول الذي بين الشرفاء آل مدغرة كان في شهر ذي الحجة الحرام عام 1290هـ والثاني في شعبان 1301هـ. وفي عام 1301هـ بني السوق الذي بين سيدي أبو عبد الله وتيطاف وفي 1322هـ حولوا السوق من الموضع المذكور إلى السوق القديم بين تيطاف وأولاد امحمد... ثم لما وقع الصلح بين أهل تعرمت حولوا السوق من الموضع الذي تحول إليه إلى الموضع المسمى الدباز الذي بسيدي أبو عبد الله والسوق المهدوم، وبدأوا في ركزه صبيحة يوم السبت 13 وزعموا يوم الخميس 19 ربيع النبوي عام 1334».(82) مما يعني أن السوق كان يتأثر إلى حد بعيد بالاضطرابات والهزات الاجتماعية، وهذا مبرر تحول الأسواق من موضع إلى آخر، وإلى عهد قريب جدا كان قصر الشعبة المستحدث على إثر فيضان وادي زيز لسنة 1965 يعرف بالسوق القديم (بالكاف المعقودة). وهذا يدل على أن كل قسم من أقسام مدغرة كان يحتوي على سوق واحد على الأقل، باعتبار السوق مؤسسة اقتصادية لها أهميتها السياسية والاجتماعية الكبيرة.

إن وجود هذه الأسواق بمدغرة يدل على أن هذه الأخيرة لم تكن تعيش في عزلة اقتصادية وثقافية، فوجود الأسواق دليل على وجود المبادلات

80) Faucauld (ch. de): reconnaissance, op cit, p: 351.

81) توجد هذه الوثيقة بخزانة الأستاذ مولاي هاشم العلوي القاسمي، وسنثبت نسخة منها في الملحق الوثائقي الخاص.

82) انظر الوثيقة رقم: 48 بالملحق الخاص بالوثائق.

الاقتصاديــة والثقافيــة المنتظمة، سيما مع غيــاب مراكــز تموينية وتبــادلية داخل القصـور.(83) مما يجعل من الأسواق الأسبـوعية تلعب أدواراً هامة في الحياة الاقتصاديــة ليس فقط بالنسبة لقصور مــدغرة، بل بمختلف القبائل المغربية بصفة عامة على حد رأي أحد الباحثين.(84) ومن جهة ثانية نلاحظ أن وجود هذه الأسواق لا يعبر عن اقتصاد مغلق، وإنما عن وجود اقتصاد منفتح على العــالم الخارجي – أي على القبــائل المجاورة وبعض الــواحــات المنتشرة على طول أوديــة زيز وغــريس كَــير، بل وحتى على بعــض المراكز الحضريــة كمــراكش وأغمات وفــاس –. وهــذا الإنفتــاح سبق أن شرحتــه الوضعية البيئية الفريدة المفتوحة الأبواب.(85)

وجدير بــالإشارة أنه بمنطقة مدغرة قليل هي القصــور التي تتوفر على دكاكين وما يرتبط بذلك من أعمال تجارية. لأن مثل هذه الأعمال التجارية تــرتبط بالعنصر اليهــودي. ومعلوم أن اليهــود كــان محرماً عليهم دخــول القصور بمدغــرة. مما يعني أن الاقتصاد المعيشي الذي يعتمــد عليه السكان كــان لا يدعــو إلى وجود متطلبــات تفــرض تعامل يــومي في مواد تجاريــة يحتاجها السكان. مما يلزم أن الأســواق بمدغرة كانت لا تباع فيها إلا المواد الضروريــة التي تحتــاج من حين لآخر، وهــذا مــا كــانت توفــره الأســواق الموجودة خارج القصور، وهو نظام محلي خــاص بمدغرة. بالإضافة إلى أن النساء المحتجبــات كن لا يخرجن إلى الأسواق نهائيــاً، وكأنه ســوق خاص بالرجال، لأن نظام الحجاب هو جوهر الحياة في المجتمع المدغري. وكثيراً ما كانت تفصل القضايا المطروحة بين سكان إقليــم مدغرة من خلافات ثنائية أو جماعيــة بــالأســواق. وقــد كــانــت هــذه الأســواق تعقــد أسبــوعيــاً أو شهرياً،ولكن مع ملاحظة أنه لا توجد سوق سنوية بمدغرة، كما هو الحال بتافيــلالت. ونشير في هذا المقام إلى أن إســم قصر الريصاني يعــرف كذلك

---

83) باستثناء قصر سيدي أبو عبد الله الـذي كان يتوفر على بعض الحوانيت. وكذلك اختلاف بعض التجار المتجولين على القصور (العطارة)، لا سيما خلال فترات جني المحاصيل الفلاحية.

84) Ben Ali (Driss): Le Maroc precapitaliste formation économique et sociale, Rabat 1983 p: 101.

85) انظر الباب الأول الفصل الأول.

«بأبو عام أو سوق عام». وهذا النـوع من التسميات للأسواق لا نجدها في مدغرة كما هو الحال بتافيلالت.

على عكس مناطق مغربية أخرى لا سيما تلك التي يمتهن سكانها حرفة الرعي كنشاط أساسي. حيث يخضع السوق في هذه الأوساط لنفس الحركة التي تقوم بها القبيلة، من هنا جـاء مصطلح سوق الصيف وسوق الشتاء، لأن محل السوق كان غير مبني. أما في مدغرة ونظراً لعامل الإستقرار، فقد كانت الأسواق مبنية على غرار القصور السكنية. وإلى الوقت الحاضر لازالت بقايا أسوار الأسواق بكل من قصري القصبة القـديمة وسيدي أبو عبد الله وهو ما تؤكده كذلك الوثيقة المنصوص عليها أعلاه.

وإذا كان السوق يعقد بصفة دورية في مكانه المحدد والمعتاد(86) إلا أنه بمـدغـرة لا سيما بجـوار بعض القصـــور التي احتضنت هـذه المؤسسـة السياسية والاقتصادية والاجتماعية كانت تعقد مرتين في الأسبوع. فقد ذكر شـارل دوفوكـو أن سوقي قصر القصبـة القديمـة وسيدي أبـو عبد اللـه يعمـران كل يوم إثنين وخميس من كل أسبـوع.(87) ممـا يكشف عن حجم وكثافة العـلاقات التجارية التبـادلية التي كانت تتم بهذه الأســواق بمدغرة ليس فقط بين سـاكنة القصـور بمدغـرة، على اعتبار أن هـذه الأخيرة قلما وجدت بداخلها مراكز تموينية ماعدا ما كان يقوم به بعض التجار المتجولين (العطارة)، الذين كانوا يترددون على القصـور موسمياً فقط، بل وأيضا بين المستقرين والرحل. وقد سبق أن أوضحنا كيف كان البدو الرحل يختلفون على هذه الأســواق محملين بصوفهم وسمنهم وجلود مـاشيتهم لاستبدالها بمصادر التموين الأخرى. صحيح أن تردد الرحل على أسواق المنطقة، كان يخضع لتذبذب الأحوال السياسية العامة التي كانت تؤثر بشكل مباشر على استمـرار وتنظيم التبادل التجـاري بالأســواق، غير أن هذا الاتصـال بهذه المراكز الاقتصادية لم يكن ليتوقف في أي وقت من الأوقات. فإذا كانت هذه العملية تبدو سهلـة خاصة وقت الاستقرار السيـاسي من حيث توفر شرط

86) Guennoun (S): "La mantagne berbère" renseignement coloniaux 1929 p: 38.

87) Faucauld (ch. de): reconnaissance, op cit, p: 352.

الأمن. مما كان يكثف من الصلات بين الرحل والمستقرين دون الرجوع إلى طلب الهدنة، أو الحصول على رخصة المرور. فإن الأمر لم يكن كذلك خلال فترات الفوضى السياسية والإضطرابات والهزات الاجتماعية، حيث يضطر الرحل إلى تحيين فرصة مغادرة المغيرين – على مدغرة – أو يطلبون رخصة مرور من هؤلاء للإتجار بأمان في هذه الأصقاع. وهذا ما كان حاصل خلال مرحلة السيطرة المعقلية على منطقة مدغرة، وما إليها مع مطلع القرن 10هـ/16م، وذلك بشهادة الوزان، قال: «ويذهب هؤلاء الناس – يعني السكان الجبليين الرحل – أحياناً إلى سجلماسة التي هي من عمل نوميديا... يحملون إليها صوفهم وسمنهم، ولكنهم لا يذهبون إليها إلا عندما يكون الأعراب في الصحراء»،(88) وأضاف: «وقد إعتاد الجبليون في أيامنا هذه أن يطلبوا من الأعراب رخصة مرور، وهكذا يمكنهم الاتجار في أمان».(89) مما يدل على أن السوق كان بمثابة مركز يجمع في آن واحد جموع الرحل والمستقرين للتبادل والاتجار والاستفادة معا، مما كانت تنقله القوافل التجارية المترددة بين فاس وسجلماسة، وتلك أبرز أوجه التكامل الاقتصادي بين نمط الرعي والترحال ونمط الاستقرار وممارسة الزراعة الذي كانت تفرضه طبيعة هذا المجال الإيكولوجي.

ولم تكن تنحصر مهمة السوق في التبادل التجاري والتموين فحسب، بل كان كذلك محلا لتبادل الأخبار السياسية وإطلاع مجتمعات القصور على المستجد الذي كانت تعرفه المنطقة بواسطة ما يسمى محليا «بالْبَرَّاحْ». وقد لخص دوتي Doutté وظائف السوق قائلا: «إن حياة القبيلة تجري تقريباً في السوق الأسبوعي، ففي السوق يلتقي الأهالي الذين لا يقضون حاجاتهم الاقتصادية – أي يبيعون ويشترون – فقط، وإنما يكون السوق بالنسبة لهم المحل الذي يتم فيه تبادل الأخبار السياسية، وتصدر فيه الأوامر والسلط. وفي السوق أيضا يتكون الرأي العام، وتتخذ القرارات فيما يخص الحرب والسلم».(90) واعْتُبِرَتْ الأسواق من جهة أخرى فرصة

88) الوزان: وصف، م س، ج 1 ص: 287.

89) نفس المصدر السابق، ج 1 ص: 288.

90) Doutté (E): "Marrakech" Paris 1905 p: 144.

لانعقاد بعض المواسم السنوية حول بعض الأضرحة والزوايا، وتكون مناسبة مهمة لتنشيط العمليات التجارية. وفي هذا الخصوص نشير إلى موسم منطقة «إِمِيلْ شِيلْ»(91) حيث كان ومازال هذا الموسم يعقد كل سنة للخطوبة والزواج بين أفراد قبائل أيت حديدو وأيت إزدكَ وغيرهم بزيز الأعلى. وكان بعض الأجانب عن هذه القبائل المغربية يرتادون هذا السوق، ويتعلق الأمر باليهود، حيث توجد هناك بعض أضرحتهم «أَعَبَّارْ» وكانوا يلعبون دوراً كبيراً في تكسير الحواجز الاقتصادية بين المراكز والمناطق بفعل صلاتهم بالمراكز الحضرية والقروية على السواء.

ولعل ما كان يدعم الحركة التجارية بمنطقة مدغرة علاوة على ما كانت تنتجه المنطقة من تمور وزيوت ومواد الدباغة (منتوج العدبة) وخضروات وبقول من جهة، ومن جهة أخرى ما كان يأتي به الرحل إلى أسواق مدغرة من سمن وصوف وأغنام وجلود وحطب وفحم. كانت لمنطقة مدغرة قافلة خاصة بها تتردد بين سجلماسة وفاس. فقد ذكر شارل دوفوكو أنه رافق قافلة تنتمي لمنطقة مدغرة من منطقة تيعلالين إلى منطقة قصابي الشرفاء بملوية، وهذا نص كلامه: «ومنذ صباح هذا اليوم، كنت أسير مع قافلة... من مدغرة وقد إلتقيت بهم بمنطقة تيعلالين وسوف يسيرون معي إلى قصابي الشرفاء، وتتمثل مهمتهم في نقل البضائع ما بين فاس وتافيلالت...».(92) وتذكر الرواية الشفوية المحلية من جهتها أن غالبية قصور مدغرة كانت تساهم فيها. فقد كانت كل من قصور القصبتين القديمة والجديدة وأسرير وتاوريرت وتازناقت وأزمور وكَصر السوكَ من بين أهم القصور التي كانت تُكَوِّنُ قافلة مدغرة. هذا وإن اختلفت الأعداد من قصر إلى آخر. وعلاوة على ما كان يقوم به العنصر اليهودي من تنشيط للعمليات التجارية بحكم وجوده بمحطات توقف القوافل بمدغرة.(93) فإنه إلى جانب ذلك ساهم بشكل فعال في القوافل المترددة بين فاس وسجلماسة.

---

91) إميلشيل هي كلمة بربرية وتعني فم السوق وتوجد منطقة إميلشيل بأحواز مركز الريش في اتجاه مركز كَرامة عمالة الرشيدية.

92) Faucauld (ch. de): reconnaissance, op cit, p: 232.

93) انظر الباب الثاني الفصل الثالث.

ففي مـواضـع متعددة من مـؤلفه «استعمالات حـول المغرب» يشير شـارل دوفوكـو إلى مرافقـة اليهود للقـوافل رغم ما كـان يتعرض لـه اليهود من متاعب سيما حينما تتعـرض القوافل للنهب أو لاستخـلاص ضريبة المرور «الزطـاطة». التي كان يؤديها اليهـود على أنفسهم، وهو ما يعادل مـا كان يؤديه المسلمون على حمل البغل أو الجمل الـواحد. قال: «إن مقدار الخفارة التي كانت تؤديها القافلة بمحطـة تيعلالين هو خمس فرنكات لحمل الجمل والبغل واليهـودي. ونصف ذلـك لحمل الحمار، والمسلمـون لا يـؤدون على أنفسـهم شيء».(94) وهذا يـدل على أن دوفوكـو يهتم بالعنصر الغير المسلم، مع أن ضريبة المرور كانـت عامة وشاملة يـؤديها المسلم وغيره، مما يعني أن هذه الإشارة تؤكد تحيز شارل دوفوكو رغم أهميتها.

وكـان اليهـود يرتـادون الأسـواق المحليـة بمـدغرة سـواء تعلق الأمـر بالمستقرين بالملاح بجانب بعـض تلك القصور بمدغرة، أو المرافقين للقوافل، ويعملون على تنمية العمليات التجارية بين المراكز القروية والحضرية. حيث اعتبروا كوسطـاء ضروريين لتكسير الحصار الاقتصـادي الذي كـان يمليه أحيانا تطور الأوضاع الداخلية العامة للبلاد. وكانت تجارتهم لا تعتمد فقط على تـزويد الأسـواق المحليـة بمـواد التموين المختلفـة، بل وأيضـا في شراء المحصول قبل نضجـه، أو من خلال ما كـانوا يستخلصـونه من أراضيهم الزراعية.(95) هذا وإن كانت مـزاولة النشاط الزراعي تتم بـواسطة شركاء مسلمين.

إن مجموع هذه العمليـات التجارية كانت تتم بمختلـف الأسواق المحلية المنتشرة بكل أقسام مدغرة ومختلف مراكز التموين الأخرى. مما يترجم إلى حـد ما حجم المبـادلات ليس فقط بين المستقـرين والرحل، بل وأيضـا مع مناطق حضرية وقـروية أخرى. وما يشهـد على ذلك أن جملة من البضائع التي كـان يتم فيهـا الاتجار والتبـادل بمدغـرة، كـانت تأتي من جهـة من

---

(94) Faucauld (ch. de): reconnaissance, op cit., p: 232.

(95) فقد كان اليهود بمدغرة لا سيما خلال الفترة المعاصرة يملكون العقار. انظر الباب الثالث الفصل الأول.

سجلماسة ودرعة والصحراء. فقد ذكر أحد الباحثين أن منتوج الحناء كان من بين أهم المواد الذي تنتجه سجلماسة ودرعة، وذلك بناء على ما جاء عند الإدريسي(96) ومجهول الإستبصار(97) وكانت القوافل تحمله إلى سائر بلاد المغرب بما في ذلك منطقة مدغرة، وكانت تستعمل الحناء لصباغة المنسوجات باللون الأحمر.(98) علاوة على أهميتها كزينة لليدين والشعر،(99) ومن جهة أخرى من الحواضر الشمالية المغربية لا سيما من مدينة فاس. فقد ذكر روجي لوطورنو أن من بين أهم المواد التي كانت تدعم النشاط التجاري بين تافيلالت وفاس وتطلبها منطقة تافيلالت من فاس هي: «الشاي والتوابل والشموع والخردوات والكتب والنعال والأقمشة القطنية والأقمشة الحريرية والسكر ولوازم أسراج الخيل».(100) ولقاء هذه المواد التي كانت تغرق الأسواق المحلية والمجلوبة من فاس ودرعة وسجلماسة، وما إليها كانت المنطقة تروج ما كانت تنتجه بيئتها من منتوجات يأتي في مقدمتها التمور ومنتوج «العدبة» المستغل في الدباغة. وجلود الماشية لا سيما تلك التي يزودها بها الرحل، وما كانت تنقله قوافل سجلماسة ودرعة وبودنيب لأسواق الشمال. فقد عدد روجي لوطورنو أهم البضائع التي كانت تنقلها القوافل من منطقة تافيلالت بوجه عام إلى فاس. قال: «... ومن جهة أخرى التمر والتكاوت والجلود المدبوغة والرقيق والمنتوجات السودانية كالعنبر وريش النعام والتبر والصمغ التي كانت تستوردها فاس من تافيلالت».(101)

إن الاستنتاجات التي يمكن أن نستخلصها عن هذه المبادلات التجارية المتنوعة والمستمرة بين حقل الدراسة وما يواليه من مجالات رعوية وواحية

---

96) 97) انظر خاصة ما نقله الإدريسي حول وجود بنات الحناء بسجلماسة انظر: الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية م س، ص: 98، وأيضا ما نقله مجهول الاستبصار حول وجوده بدرعة، ص: 206 – 207.

98) عبد العزيز العلوي: صناعة النسيج في العصر الوسيط، مجلة كلية الآداب فاس رقم [2] عدد خاص السنة 1985. ص: 50.

99) حسن حافظي علوي: سجلماسة، م س، ص: 297 – 299.

100) روجي لوطورنو: فاس، م س، ج 1 ص: 610.

101) روجي لوطورنو: فاس قبل الحماية، م س، ج 1 ص: 610.

وبينه وبين المناطق الحضرية الأخـرى، أنها كانت تكسر عدم التوازن البيئي بين المناطق السهلية والرعوية من جهة، وبين المناطق الحضرية والقروية من جهة أخرى.

وجدير بالإشارة أن بعض المنتوجات الشجرية التي كانت تنتجها منطقة مدغرة، كانت تستغل محليا في بعض الحرف التي عرفتها المنطقة. فقد كانت شجرة الطرفاء المنتشرة بكثرة بالمنطقة(102) تنتج مادة تسمى «الْـــعَـدْبَــةْ» يستغلها المحليون في الـدباغة. وهذا في اعتقادنــا ما يبرر ما قاله لــوطورنو بخصوص تصدير تافيلالت للجلود المدبوغة ضمن مجموعة بضائع أخرى ضمنها منتوج «العدبة» التكاوت حسب لوطورنو.

إن وجـود هـذا المنتوج بإقليـم سجلماسة يبيح لنــا أن نتصــور دوره الفعال في النشــاط التجاري بين إقليم سجلماسة بما في ذلك منطقة مـدغرة وبعض المدن المغربية الكبرى من جهة. ومن جهة أخرى دوره الفعال كمادة خام تحتاج إليها حرفة الدبــاغة، لأنه في نظر أحد الباحثين لا يعقل أن تنتج منطقــة إقليم سجلماســة مــادة «العـدبــة» وتقتصر على تصــديـرهــا دون استغلالها محلياً في دبغ الجلود، مادام مجال الإقليم يكفل وفرة الجلود. إما اعتماداً على قطعان الرحل المتنقلة في الحمادات المجاورة،(103) أو اعتماداً على ما كانت تذره الماشية المرباة داخل المنازل بالقصور.

كما أن شجـرة النخيل عــلاوة على ما كـانت تقـدمــه من تمور وخشب وعلف للماشية، فقـد كان الأهالي يستغلــون سعفها لصنــاعة بعض أدوات ووسائل الإنتاج الأساسية في الحياة الفلاحية والحياة العامة، ويتعلق الأمر بالـزنابيل والقفــاف والحصير والشوامي وغيرهــا من الأدوات الأخرى التي كانت سلعة معروضة بالأسواق التــي ذكرناها. إن صناعة هذه الأدوات مع العلم أنها صنــاعة محليـة يدويـة كـانت موجـودة بكثرة بحقل دراستنــا، وحجتنا في ذلك ما نجده مسطراً في بعـض الأعراف المحلية الخاصة بمنطقة مدغرة وما إليها. وكانــت هذه الأعراف تحدد القوانين المنظمة لهذه الصنائع

---

102) انظر الباب الأول الفصل الأول.

103) حسن حافظي علوي: سجلماسة، م س، ص: 297 هامش 3.

من حيث الثمن الذي يجب أداؤه للحرفي، وكيفية جلب المادة الخام المستعملة في مثل هذه الحرف. فقد جاء في الشرط 19 من اتفاق قصر أيت عثمان ما يلي: «ومن أراد أن يصنع لـه شيء من مسائل الزعف - أي السعف - كالزنبيل وغيره فيقدم مع الصانع حتى يقطع في نخيله ما أراد».(104) كما جاء في الشرط 71 من اتفاق نفس القصر المذكور ما يلي: «وأما أهل صنعة الزعف - يعني السعف - خمسة موزونات للقفة وخمسة أواق للزنبيل متع الحمار - أي الخاص بالحمار - وسبعة أواق وموزنتين لمتع البغلة - أي الخاص بالبغلة - وأسكل (كذا) متع ثلاثين مدا بثمانية أواق والأقل فأقل والأكثر فأكثر».(105) والظاهر من خلال فحص ما نصت عليه بعض الأعراف أن أهل الصنائع لم يكونوا في الغالب مستقرين بالقصور وإنما كانوا يترددون عليها من حين لآخر، كما هو الحال بالنسبة للعطارة. وحجتنا على ذلك ما نستخلصه من بعض الشروط الخاصة بقصر الكَارة. فقد جاء في الشرط 152 ما يلي: «وأما أهل الفخار والحدادة أو غيرهم من أهل الصنائع، فإن الشيخ يختار لهم أربعة رجال ويزيد عليهم فيتكلمون معهم في جميع أمورهم، هذه الحاجة كذا وهذه كذا إلى أن يمروا على جميع ما احتوت عليه صنعتهم فلا يصيب - أي لا يجد - أن يزيد على القدر الذي اتفقوا عليه وأهل البلد...».(106) كما جاء في الشرط 123 من إتفاق نفس القصر المذكور أعلاه ما يلي: «وأما من ضرب أحد من أهل الصنائع نصافه خمسة أواق»(107) وهذه الأدلة التي سقناها هي بمنزلة دليل محسوس على أن سكان القصور قلما كانوا يمتهنون هذه الحرفة، بل كانوا يعتمدون في ذلك على مجموعة من أهل الصنائع المتجولين كالحدادين والسكاكين و«الرَّبَّـاطِـيْن». هذا وإن كانت بعض قصور مدغرة لا سيما خلال المراحل المتأخرة قد أحدثت بها مرافق خاصة بمثل هذه الحرف الأخيرة كالحدادة وتسمير الدواب وإصلاح وصناعة النعال. وفي هذا الخصوص نشير إلى أن

(104) Mezzine (L): taqquit de Ait Atman, op cit, p: 102.

(105) Mezzine (L): taqquit de Ait Atman, op cit, p: 105.

(106) Mezzine (L): le tafilalet, op cit, p: 154.

(107) Mezzine (L): le tafilalet, op cit, p: 151.

قصر سيدي أبو عبد الله كان يوجد به مرفق خاص بحرفة الحدادة، وهو المكان المعروف بالقصر المذكور بفندق الحدادة.(108) كما أنه من بين المأثورات الشعبية الشفوية التي مازالت تتردد حتى الآن بمدغرة أن سبب تسمية قصر مديونة بمديونة الحدادة أنه كان يوجد بهذا القصر حوالي 100 حداد.(109) وعلاوة على كل هذا لازالت بمنطقة مدغرة بعض الأسر لا سيما من فئة الحراطين تحمل إسم حداد أو حدادي إشارة إلى المهنة التي كان يمارسها أسلافهم – إفتراضا –.(110) وكل هذه الأدلة التي سقناها تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن حرفة الحدادة كانت موجودة بمدغرة تطورت من صناع مجلوبين إلى صناع مستقرين محليين. ولا يمكن أن نفهم هذا التطور الحاصل في حرفة الحدادة خاصة إلا إذا ربطناه من جهة بكثرة الطلب من طرف المحليين، مما حتم خلق بعض المؤسسات الإنتاجية لهذه الحرفة. ومحاولة جلب المادة الخام (الحديد) من بعض المناطق القريبة من المنطقة. وقد سبق أن أشرنا اعتماداً على ما أورده بعض الباحثين(111) أن قرى أيت أوبسري التي تقع على وادي أيت عيسى والتي تضم مناجم حديد كانت تغطي حاجات إقليم سجلماسة برمته من الحديد. مما كان يوفر بعض المنتوجات الحديدية (المناجل – المحاش – الفؤوس – المساحي – الشاقور الكَادوم...) التي يحتاجها المزارع والحطاب المحلي في عملهما بوجه عام. ومن جهة أخرى يمكن أن نربطه بما يمكن أن تكون منطقة تدغة التي كانت تزود كل إقليم سجلماسة بهذه الأدوات، قد عرفته من تعثر من حيث كميات وجودة الإنتاج، وبعد المسافة نسبياً بين المنطقتين. وهذا من شأنه أن يفسر إلى حد ما الشهرة التي أصبحت للفؤوس البوعبدلاوية نسبة لقصر سيدي أبو عبد الله خلال المراحل المتأخرة. وما يشهد على ذلك ما تذكره الرواية الشفوية المحلية بهذا الخصوص، ومفاده أن أهل تيعلالين كانوا لا

---

108) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

109) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

110) انظر الباب الثاني الفصل الثاني، ص: هامش

111) حسن حافظي علوي: سجلماسة، م س، ص: 20.

يفضلون إلا الفؤوس البوعبدالاوية أي المصنوعة بقصر سيدي أبو عبد الله. مما يعني أن قصر سيدي أبو عبد الله لا سيما بعدما أضحى قصراً مخزنياً في المراحل المتأخرة(112) نافس منطقة تدغة في هذه الصناعة الحديدية. ولضمان نجاح هذه المنافسة لجأ ولاة أمر هذا القصر إلى جلب الصناع المهرة من مختلف المناطق بما في ذلك تدغة، وقد سبق أن أشرنا أن الشخص الذي كان يشرف على هذه الصناعات الحديدية ينحدر من منطقة تدغة.(113) ولا نستبعد في هذا الخصوص أن لا يكون النشاط الحرفي الذي احتضنه هذا القصر مقتصراً على الأدوات الحديدية المستعملة في المجال الفلاحي بوجه عام، بل نفترض أن يكون هذا القصر كذلك قد عرف بعض الصناعات النحاسية، سيما وأن مناجم النحاس التي تحدثت عنها المصادر(114) والدراسات الحديثة(115) كانت قريبة من حقل دراستنا. ويتعلق الأمر بمناجم النحاس التي كانت ومازالت موجودة بمنطقة المعيدر، فقد ذكر أحد الباحثين أن منجم النحاس الموجود بمنطقة المعيدر المستغل منذ القديم يحمل اسم بونحاس. أما المناجم التي تستغل حتى اليوم فتعرف بمنجم مجران وبوكزرية(116) ومن جهة ثالثة سبق أن افترضنا أن يكون قصر سيدي أبو عبد الله قد عرف صناعة السلاح الناري وإلا لا معنى لتلك التحصينات الدفاعية التي طبعت مورفولوجية بنائه وميزته عن سائر القصور الأخرى بمدغرة.(117)

---

112) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

113) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

114) فقد ذكر البكري أنه يوجد معدن نحاس على الطريق التجاري الرابط بين سجلماسة ودرعة بالقرب من تنودادن وبينه وبين مدينة سجلماسة مسيرة 3 مراحل. انظر البكري: المغرب، م س، ص: 156.

115) Rosenberger (B): exploitation minière, op cit, p: 872.

116) حسن حافظي علوي: سجلماسة، م س، ص: 366.

117) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

هذه صورة تكـاد تكون إجمالية لأهم الأنشطة الاقتصــادية التي كانت تعرفهـا منطقة مدغـرة. ويمكن أن نعتبرها على هذا الأســاس بمثابة لـوحة عامة لجغرافيـة اقتصاد مدغرة. هذه اللوحة التي كـانت تتأثر إلى حد بعيد بـالأزمـات المناخيـة، من حيث تعـاقب دورات الجفـاف الحادة والفيضــان النهري وهجـوم الجراد وغيره من الحيـوانات القـارضة الأخـرى وانتشار الأمـراض. وبالأزمـات السيـاسية ومـا يتبع ذلك من اضطـرابات وهـزات اجتماعية. الشيء الـذي كان يـؤثر باستمـرار على ممارســة العمل الفلاحي واستمرار النشاط التجاري بوجه عام. سيما وأن المنطقة لم تكن تنتهي من إحدى هـذه الأزمات حتى تستقبل أخـرى، مما طبع هـذه المنطقة الـواحية باستمـرار التقشف، خاصـــة إذا ركبنا عناصر هـذه الظرفيـات. الشيء الذي انعكس بشكل مباشر على الأوضاع العـامة اقتصادياً واجتماعيـاً وسياسياً، ومع ذلك لا يجب إنكار مثـابرة وعمل الإنسان المحلي الـذؤوب رغم أدواته العتيقة والظروف الإيكولوجية الصعبـة، أن يقاوم على قدر استطاعته بحزم وكد مختلف هذه الصعوبات ويحقق في السنوات العادية أكبر غلة ممكنة.

الباب الرابع :

مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية بمدغرة :

تمهيد :

الفصل الأول :

مظاهر الحياة الاجتماعية بمدغرة

الفصل الثاني :

ملامح الحياة الفكرية بمدغرة خلال عصر الدراسة

الباب الرابع :

مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية بمدغرة

تمهيد :

سبق أن أشرنا(1) أن البنية البشرية لمجتمعات قصور مدغرة ترتبط أشد الإرتباط بجملة من التطورات التاريخية العامة التي شهدتها المنطقة، وانعكس ذلك على الخريطة البشرية. وهذا ما يشرح تعدد الفئات البشرية المختلفة الأصول التي استقرت خلال مراحل متباينة بحقل دراستنا. وعلى العموم تنتظم المجموعات البشرية المستقرة بالمنطقة بمجتمع القصر. هذا الأخير الذي يعتبر بمثابة مؤسسة سكنية تجمع في نفس الآن جميع الشرائح السكانية التي تعاقبت على سكنى منطقة مدغرة. وقد سبق أن نبهنا فيما سبق من فصول(2) إلى الفروق الواضحة من حيث بنية مجتمعات القصور بكل أقسام مدغرة: العليا ـ الوسطى ـ والسفلى. وبين قصور الضفة اليمنى واليسرى من وادي زيز بمدغرة. وهذا ما سنحاول معالجته في هذا الباب الذي قسمناه إلى فصلين بناء على ما توفرنا عليه من مادة علمية. فخصصنا الفصل الأول للكشف عن ملامح الحياة الاجتماعية والعامة للمجموعات البشرية سواء داخل القصر الواحد أو بين مجموعة من القصور. وأفردنا الفصل الثاني لتتبع بعض مظاهر الحياة العلمية بالمنطقة.

---

1) انظر الباب الثاني الفصل الثالث.

2) انظر الباب الثاني الفصل الثالث.

تمهيد :

الفصل الأول :

مظاهر الحياة الاجتماعية بمدغرة

1 – التراتب الاجتماعي داخل القصور بمدغرة :

* الشرفاء
* الأحرار
* الحراطين
* العبيد
* اليهود

2 – القصر مؤسسة سياسية اجتماعية :

* الأسس التنظيمية لمجتمع القصر
– الجانب الاجتماعي والاقتصادي
– الجانب السياسي والعرفي

3 – بعض مظاهر علاقات النزاع والتضامن بين القصور :

أ – علاقات النزاع
ب – علاقات التضامن

الفصل الأول :

مظاهر الحياة الاجتماعية بمدغرة

1 – التراتب الاجتماعي داخل القصور بمدغرة :

يذهب أحد الدارسين(3) أن التفاوت في الثـروات الاقتصاديـة والدخل – هذا وإن كنا لا نستطيع ضبطه بدقـة لا سيما مع غياب القوائم الإحصائية لمستـويات الثـروة الموزعة بين الفئـات الاجتماعيـة – لم تكن دائما عامـلاً حاسمًا في تعيين التفـاوت الإجتماعي في المجتمع المغربي ككل. ولكنـه كان مع ذلك من أهم العـوامل الرئيسيـة التي تحدد العلاقـات بين الناس. ممـا يعني أن محاولة التأريخ للمنظر العام للخريطة الإجتماعية التي تظهر عليها المجتمعات الواحية بـوجه عام ومجتمع قصور مدغرة بـوجه خاص تتحكم فيه إلى جانب التفاوت في امتلاك وسائل الإنتاج، استفحال ظاهرة النسب في مثل هـذه المجتمعات. ففي التقسيـم الأول تكون الخطـوط التي تفصل بين الطبقات واضحة، وأهمها الدخل ومستوى المعيشة، وهذا لا يكفي في التمييز بين عنـاصر السكـان وانتماءاتهم الطبقيـة، لأن التشكيل الاجتماعي ديني، وهذا ما جعـل أحد الدارسين(4) يعتمـد التقسيم الثـاني للمجتمع رغم أن الخطوط التي تفصل بين الطبقات، لم تكـن واضحة تماما، كما أنها لم تكن جامدة، كما يمكن أن نلاحظ ذلك في أروبـا خلال العصور الوسطى. الشيء الذي يجعل عـامل النسب تشخيصاً للإنقسـام ومطية للإنقسـام السياسي والإجتماعي.(5) فمن بين الحالات التي كانت مـوجودة بمدغرة أن مجمـوعة من الأسر الشريفـة كانت لا تمتلك وسـائل الإنتاج بما فيـه الكفايـة لتعتبر غنية، ولكنها مع ذلك تحتل مكانة خـاصة داخل مجتمعات القصور بمدغرة

---

3) أحمد التوفيق: إينولتان. م. س، ج 2 ص: 7.

4) مولاي هاشم العلوي القاسمي: مقدمة تحقيق كتاب التقاط الدرر. م. س، ص: 77.

5) أحمد مزيان: فجيج. م. س، ص: 159.

بحكم إنتمائها للبيت العلوي الشريف ومكـانتها العلمية والروحيـة وأحيانا القضائية، وهذه العوامل على العموم تمكـن الفرد من إكتسـاب مكانة متميزة داخل المجتمع. ومعلوم أن عامل النسب كمحدد للتراتب داخل قصور مدغرة لم يظهر إلا مع بـداية القرن 10هـ/16م. وهذا التاريخ يوافق وكما سبقت الإشارة إلى ذلك(6) بداية انتقال العنصر العلوي الحسني الشريف إلى مدغرة وما إليهـا. مما يعني أن هـذا العامل يمكن أن نغيبـه كعامل محدد للتراتب و«الفئويـة» بمدغـرة قبل هذه المرحلـة. ولا نستبعد في هـذا الخصوص أن يكون المرابطون ومن في زمـرتهم بمدغرة قد تبوأوا هذه المكـانة قبل حلول الأشراف بمدغرة وما إليها.

يخضع مجتمع القصر في واقع الأمـر بمـــدغـرة لتراتب اجتماعي داخلي يجعل الأشراف، ومن في زمرتهم في قمة الهرم الإجتماعي متبوعين بالأحرار، بينما تحتل فئـة الحراطين والعبيد قـاعدتـه. وهذا مـا يجعل حقيقة الفرز الاجتماعي لهذه المجمـوعات في غـايـة من التعقيـد. ورغم وجود نـوع من الترابط الذي غالباً ما كان يقوم على أســس دينية وعقائدية وأحياناً وظيفية وما يتبع ذلك من علاقـات الإرتباط بين التابعين والمتبوعين، فإنـه بإمكاننا وضع تصنيف لمختلف الشرائح الاجتماعيـة المتعــايشـة داخل مجتمعات القصور بمدغرة. وعليه يمكن الحديث عما يلي :

- الشرفاء
- الأحرار
- الحراطين
- العبيد
- اليهود

ونذكر مـرة ثانية أن هذا التصنيف لا ينبني على أســاس الوضع المادي للمجمـوعـات البشرية فقط، وإنما تتـداخل في ذلك مجمـوعـة من العـوامل الأخـرى. يأتي في مقـــدمتهـا الإنتماء الســلالي والتطــور التـاريخي لهذه المجموعات ووظائفها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والروحية.

---

6) انظر الباب الثاني الفصل الرابع.

* **الشرفاء :**

يعتبر الشرفاء شريحة اجتماعية لا يتأتى لكل فئات المجتمع بمدغرة الالتحاق بها، بحكم أن الانتساب إليها مبني على صحة نسبها إلى آل البيت النبوي. فهي طبقة اجتماعية سلالية أكثر من اعتمادها على المقاييس الاجتماعية الاقتصادية.(7) مما يعني أن نظام القرابة والارتباط الدموي والانتماء السلالي، كان يلعب دوراً رئيسياً في الشعور بوحدة الانتماء لهذه المجموعة، لهذا كانت عناصرها تهتم بعلم الأنساب والتقاييد.(8) وكان الغالب عليهم الفقر وقلة ذات اليد، ويرجع ذلك أحياناً إلى اعتمادهم على الصدقات والهدايا. مما جعل أغلبهم يميل إلى الكسل والقناعة بهدية جدهم.(9) هذا علاوة على ما لهذه المجموعة من حرمة خاصة لدى المجموعات البشرية الأخرى داخل قصور مدغرة، ولدى القبائل المجاورة من رحل ومستقرين، ويظهر ذلك من خلال استدعاء بعض الأشراف للتحكيم في النزاعات الاجتماعية التي كان عددها يزداد بقدر ما تضعف الإمكانات الاقتصادية المحلية المرتبطة في الغالب بالإستثناءات السياسية والمناخية. وتسييج مجموعة من الأزمات التي كانت تنتاب مجتمعات القصور بين الفينة والأخرى، وبين المستقرين والرحل أحيانا أخرى. وقد سبق أن رأينا كيف

---

7) مولاي هاشم العلوي، مقدمة تحقيق كتاب التقاط الدرر، م. س، ص: 77.

8) والغالب على الظن – حسب اعتقادنا – أن سبب إقدام مولاي علي بن المصطفى على تتبع أنساب أسرة آل حم داوود الشريفة المنحدرة من مولاي عبد الله بن علي بن طاهر لا يخرج عن محاولة التأكيد على صحة أنساب هذه الأسرة في تطورها السلالي والنسبي من الآباء إلى الأبناء. ولعل ما يؤكد ذلك هو عبارة «القاهر» الواردة في الإسم الذي أعطاه لمؤلفه: «فتح القدوس القاهر في نسب أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني» هذا من جهة ومن جهة أخرى وفي نفس هذا السياق نلاحظ أن الأسر الشريفة بمدغرة تبدي حرصا شديداً على الاحتفاض بشجر أنسابها. انظر الوثائق رقم 49 – 50 بالملحق الوثائقي الخاص.

وجدير بالإشارة أن مسألة تتبع الأنساب من غير الحسنيين تعتبر لا وجود لها إطلاقا. وقد اشتهر إسمهم التاريخي في مؤلفات الأنساب خارج مدغرة وتافيلالت سواء بفاس أو مراكش أو مكناس باسم «شرفاء مدغرة الحسنيين» كما اشتهر إسم فرع هذه الأسرة بتافيلالت باسم: «الشرفاء الحسنيون السجلماسيون» وهذا هو الإسم التاريخي لهذه الأسرة.

9) مولاي هاشم العلوي القاسمي: مقدمة تحقيق كتاب التقاط الدرر، م. س، ص: 77 – 78.

أن أولاد مولاي عبد الله بن علي بن طاهر استمروا يصلحون ذات البين بين القبائل والمجموعات البشرية إلى حدود مطلع القرن 20م ليس فقط بمجتمعات قصور مدغرة، بل وأيضا في المناطق المحاذية لها.(10) من خلال إبرام عقود الأخوة بين المجموعات القبلية المتعايشة في هذا المجال الإيكولوجي. وما كان يفرضه هذا الأخير من صراع وتنافس بين هذه المجموعات للسيطرة على المجال الحيوي والمضايق التجارية. هذا طبعاً دون إغفال أهمية هذه الشريحة في المجال الديني والعلمي من خلال تصدرها للعلم والفتوى والخطابة والإمامة، وما إلى ذلك من الوظائف التعليمية التثقيفية الأخرى. وهي عموماً رابطة روحية ليس فقط بسكان مدغرة، بل وأيضا بسكان الجهات والمناطق المحاذية لهذه المنطقة الجغرافية. وقد سبق أن رأينا كيف أن مجموعة كبيرة من شرفاء مدغرة، كانوا يمارسون مهام الْـمُشَارْطَـةْ بمساجد مدغرة والمناطق المحاذية لها،(11) هذا علاوة على أن البعض من الشرفاء برزوا خارج مدغرة لا سيما أولئك الذين بوأتهم مكانتهم العلمية ليصبحوا كمدرسين لأمراء وسلاطين وقتهم.(12) وهذا ما يؤكد أن الأهمية العلمية والروحية التي أصبحت تتميز بها منطقة مدغرة كمركز ديني وعلمي وروحي هام يضاهي ما هو موجود في بعض الجهات القروية المغربية الأخرى يعزى إلى هذه الشريحة الاجتماعية ومن يدور في فلكها. ذلك أن مختلف الزوايا الدينية التي وجدت بمنطقة مدغرة، كان يتصدرها أفراد الأسر الشريفة الثلاثة: (آل حم داود – آل تعرمت – آل بوحامد) التي انتقلت مع فجر العصر الحديث إلى مدغرة، وما إليها. كما أن غالبية أئمة المساجد والخطباء والطَّلْبَةْ والقضاة ينحدرون من هذه الشريحة الاجتماعية. والغالب على الظن أن هذه الحرمة والشفوف الديني والنسبي والمكانة التقديرية الإعتبارية لهذه الشريحة هو ما دفع بعض الأسر الأخرى إلى انتحال الشرف، وادعائه ومحاولة امتلاك شجر أنسابها، التي

---

10) انظر الباب الثاني الفصل الأول، ص: والفصل الرابع.

11) انظر الباب الثاني الفصل الرابع.

12) انظر الباب الثاني الفصل الرابع.

يـربطها بأحـد الشرفاء المشهـورين. لكن مع ملاحظـة أن هذه المسألـة لم تصبح مطروحة إلا في المراحل المتأخرة بعـدما لم يعد لها ضابط نسبي كما كان من قبل.

لقد كانت شريحة الشرفاء بمدغرة – في الغالب – هي التي تتولى رئاسة مشيخات ومسـؤولية الإشراف على تسيير شـؤون القصور. فهم أهل الحل والـربط وأصحـاب القرار السيـاسي سـواء على مستـوى القصر الواحـد أو مجموعة من القصور المتحالفـة، وهذا لا ينفي بالطبع أن تكون عناصر من شرائح أخرى تشاركهم في هذه المهام، خاصة في القصور التي تتعايش فيها مجمـوعات بشريـة مختلفة الأصـول. إلا أن هـذه العناصر الأخيرة على مـا يظهر كانت تحت إمرة الشرفاء من حيث اتخاذ القـرار والمشورة. وبالرجوع إلى الوثائق الخاصـة بمنطقة مدغرة، وإلى المادة العلمية الهامـة التي يزخر بها مخطوط فتح القدوس وما نلمسه إلى الـوقت الحالي مدعوماً بما لازالت الـذاكرة الشعبيـة المحليـة تحتفظ به لحد الآن، نـلاحظ أن جل مشيخـات القصور بمدغرة كـانت بيد الشرفاء باعتبارهم قوة روحية وسيـاسية تدبر شـؤون الأهـالي المتعـايشين داخل قصـور مـدغـرة. ولا يقتصر الأمـر على الوظائف السياسية بل أيضا على مهـام القضـاء والفتوى والخطابة والإمامة والتدريس، ولا نكاد نلاحظ مساهمة الفئات الأخرى في هذه المهام إلا نادراً، وكمساعـدين فقط للشرفاء في مثل هذه المهـام. وعلى سبيل المثال لا الحصر تكفي الإشارة إلى أن أغلب أئمة مساجد مـدغرة كانت من الشريحة الشريفة على أن مسألة تعليم الصبيان بالمساجد كان يقوم بها أحياناً بعض من تفقه من فئـة الحراطين أو فئة الأحـرار. كما أن الموثقين العـدليين الـذين كانـوا يساعدون القاضي كانوا أيضا – أحيـانا – من هاتين الفئتين وأحيانا أخرى من الشرفاء. في حين تبقى بعض المهام المرتبطة بشـؤون الغابة – في الغالب – مسندة إلى بعض العناصر من فئة الحراطين. وهذا يدل على أن مشيخات القصـور تعتبر بمثابـة هيكل صغير يعكس وضعية كل فئـة داخل مجتمع القصر، وأدوارها السياسية والاجتماعية والروحية، وما يعكسه هذا الوضع من تعايش بين جميـع الفئات المكونـة لمجتمع القصر. هذا وإن كنـا نلاحظ

نوعاً من التمايـز من حيث وجود الأغلبية والأقلية داخـل هذا الهيكل، وهذا على العموم ما تشرحه التطورات التاريخية التي مرت منها كل فئة على حدة من جهة. ومن جهة أخـرى التطورات التاريخية العامـة للمنطقة. مما يعني أن مسألة الهرميـة والتراتب الذي طبع مجتمع القصـور بمدغـرة ماهي إلا حلقة من حلقـات التطور التاريخي بمختلف حيثياتـه الذي عرفته مـدغرة. وانعكس هذا على وضعية هذه الشرائح اجتماعياً ومادياً، سواء على مستوى القرار أو التقدير الاعتباري والوظائف الاجتماعية العامة والأسس المادية أو حتى على مستوى السكن بالقصـور. وفي هذا الخصوص نشير إلى أن الفئة الشريفة لا سيما الأسر الغنية منها كانت تستقر بأماكن راقية داخل القصر، أما فئة الحراطين فلم تكن تستقر إلا في أطراف القصر، وأحياناً أخرى خارج القصر. فـالحافظة الشعبيـة المحليـة الخاصـة بقصر بني مـوسي تذكـر أن الحراطين كانـوا مستقرين بقصيبة - أي قصر صغير - خـاص بهذه الفئة بجوار قصر بني موسي. كما كـانوا كذلك يستقرون بجـوار الأنادر الخاصة بالقصر المذكـور، ولم يستقروا داخل القصر إلا في المراحل المتأخـرة، بعد أن انتقل بعض الشرفـاء من القصر المذكـور وابتـاعوهم دورهم. أمـا الأحـرار فباستثنـاء بعض القصـور الموجودة بمـدغرة السفلى والخاصـة كلية بهذه الشريحة، نـلاحظ أن هـذه الفئة كـانت تحتل مـوقعـاً وسطـا داخل بعض القصور في مرتبة وسط بين الأحياء والحومات الخاصة بالشرفاء وحومات الحراطين. أمـا في القصـور الخاصة بهم كما هـو الشأن كـذلك بـالنسبـة للحـراطين، فإنهم ينتظمـون داخلهـا تبعـاً لأوضـاعهم الماديـة ومكـانتهم الإجتماعيـة. والغالب على الظن أن هـذه البنيات الاجتماعيـة المتميزة بعـدم التجانـس والمحققة للتعايـش داخل القصر، هو مـا حدا بأحـد الباحثين إلى اعتبار القصر بمثابـة شجرة نسبية يتحكم في بنائه وتـوزيع السكن داخله نظـام يحاول الحفـاظ على الرابطـة الـدمـوية للمجمـوعـات التي تتعـايش داخله.(13) ولـهذا ينشطـر القصر إلى مجموعـة من النطـاقات الخاصـة بكل سلالة. هذا وإن كنا نلاحظ أن سـلالتان يمكنهما الاستقرار بحومة واحدة،

(13 Pascon (P): types d'habitats, op cit, p: 85 - 101.

سيما إذا كـان وضعهما المادي ومكانتهما الاجتماعيـة وصلاتهما النسبيـة متقاربة. وهـذا التمايز لم يكن يطبع السكن بالقصور لوحدهـا بل نجد ما يقابل ذلك في تملك القطع الأرضية وحصص الماء اللذان يخضعان بدورهما لنفس الترتيب المميز للفئات الاجتماعية داخل القصور.(14) وأيضا حتى على مستوى الدفن بالمقابر.

وماعـدا الزعـامة السياسيـة والدينية الـروحية كـانت شريحة الشرفاء تشارك في الحياة اليومية والعامة للقصور. إذ تباشر أعمالها الحقلية مباشرة أحياناً، وأحياناً أخرى بواسطة بعض الأسر الحرطانية أو العبيد. وكانت هذه الفئة الأخيرة تعمـل داخل بيوتـات الشرفاء في إطـار علاقـات الارتباط بين التابعين والمتبوعين. كما يقره عرف عقد تخماست.

وعلاوة على ذلك كـانت فئة الشرفـاء تلتزم بالشروط والأعـراف المحلية، فقد كانت تشارك في الأعمال الجماعيـة المفروضة ككنس السواقي أو تكلف من ينـوب عنهـا في ذلك، وكـذلك الأعمال الاختيـاريـة الجماعيـة كـالحرث الجماعي (التويزة).

وعلى عكس مناطـق مغربية أخـرى لا سيما تلك التي احتضنت العنصر الشريف الإدريسي، لم يكن شرفاء مدغرة يتوفرون على نقيب أو مزوار. هذا الأخير الـذي كـان يكلـف في منـاطق أخـرى من المغـرب بحـل النـزاعـات والخصومات التي تنشب بين الشرفاء. فقـد ذكر أحد الباحثين أن: «الشرفاء كانـوا يتمتعون بامتيـاز قضائي حيث لا يتقاضـون إلا أمام نقيبهم وليس أمام قاضي عـادي. وذلك لأن الشريف ملزم اجتماعياً بحل نزاعاتـه اليومية بطرق سلميـة وبعيداً عن كل تدخـلات للسلطات السياسيـة أو الإدارية أو القضائية».(15) إلا أننا نـلاحظ أن هذه المسألة لا تنطبق على شرفاء مـدغرة لأن هؤلاء الأخيرين كـانوا خاضعين للسلطتين القضـائية والإدارية العـامة، ويفصل بينهم قاضي مـدغرة مثلما هو الحال بالنسبـة للشرائح الاجتماعية

14) Pascon (P): types d'habitats, op cit, p: 85 - 101.

15) عبد اللطيف أكَنوش: «المكانة الاجتماعية والسياسية للشرفاء بالمغرب» ملف خاص حول النخب المغربية، مجلـة أبحاث، العدد 18 السنة الخامسـة، ص: 12، مطبعة النجاح الجديـدة البيضاء 1982.

الأخرى. ونلمس هذه المسألة بشكل بارز في سجلات المحاكم الشرعية والعرفية للمنطقة. صحيح أن جملة من المشاكل التي كانت تنشب بين الشرفاء أو بينهم وبين الفئات الاجتماعية الأخرى، كان الشرفاء يحاولون تسييجها وإصلاح ذات البين قبل استفحال أمرها وتقديمها إلى قاضي مدغرة. فقد كان الإحترام الديني والنسبي هو الحكم الفصل فيها، وكانت الفئات الأخرى تربط علاقاتها بهم بناء على السياج الديني والنسبي الذي خصصته لهم. وبذلك يغلب الإطار المعنوي على الإطار التنظيمي، حيث كانت المسألة عرفية تقليدية بالمنطقة كلها. أما ماعدا ذلك، فإن الأحكام العرفية والشرعية على السواء كانت سارية على الشريف وغيره. وهذا ما تؤكده الوثائق المحلية المختلفة لا سيما تلك المتعلقة بالخصومات بمدغرة.

*** الأحرار :**

تتشكل فئة الأحرار بمدغرة كغيرها من المناطق الواحية الأخرى التي عرفت وجود هذه الشريحة الاجتماعية من العناصر البشرية المنحدرة في غالبيتها من أصول بربرية وعربية، إضافة إلى العناصر البشرية الأخرى التي تكون قد انحدرت من القوات القبلية المندثرة التي تعاقبت على تعمير إقليم مدغرة قبل الزحف المعقلي. وقد سجلت فئة الأحرار حضوراً تأرجح ما بين القلة والكثرة بكل قصور أقسام مدغرة، مع ما يلاحظ مع ذلك من تفاوت بين هذه الأقسام وبين القصور الجاثمة على الضفة اليمنى واليسرى من وادي زيز بمدغرة. وكانت فئة الأحرار تشغل بعض القصور برمتها. وفي هذا الخصوص نشير إلى أن قصور: الرحبة الجديدة وبني امحلي وأسرير كانت حكراً على هذه الشريحة دون غيرها، فمنها تتشكل مشيخاتها وأئمة مساجدها، ويملكون أراضي غابتها وحصص الماء، ويباشرون في الغالب العمل الزراعي بأنفسهم، ولا نكاد نعثر داخل هذه القصور على فئة الحراطين أو العبيد. أما فيما تبقى من قصور مدغرة الأخرى فلا نكاد نعثر إلا على أسرتين أو ثلاثة أسر من فئة الأحرار بداخلها. وحسب ما استقيناه

مما تحكيه الحافظة الشعبية المحلية أن أغلب هـذه الأسر المنتشرة بجل القصور بمدغرة استقرت بها عن طـريق «الدبيحة» وهذا ما يمكن أن نفسر به وجودهم في جهات منعزلة ومنزوية بالقصور الأخرى غير تلك القصور الخاصة بهم.

كما أن البعض الآخـر من فئـة الأحــرار لاسيما أحـرار قصر الـرحبـة الجديدة استقروا بهذا القصر لأن أحد أسلافهم بنـاء على ما ترويه الحافظة الشعبيـة المحلية شـارط كإمـام بمسجـد القصر المذكـور، وبعد حين قـدم الذبيحة لسكان القصر ملتمساً منهم السماح له ولـذوية الإقامة به بصورة نهائية ولازالت لحد الآن بعض أسر هـذا القصر تحمل في أسمائها العـائلية إسم «لحرار» إشارة إلى أصولها السلالية.

ومع مـرور الزمن أصبح الأحـرار يشكلـون إحدى المكـونات البشريـة لمجتمعـات القصـور التي استـوطنـوهـا. يملكـون الأرض وحصص الماء، ويشاركون كغيرهم من المجموعات الأخرى في الحياة العامة واليومية. ولكن هناك مـلاحظة أسـاسية لها أهميتهـا في هذا المضمار، وهي وجـود بعض الأسر ببعض قصور مدغرة لا سيما بقصور: أولاد امحمد والقصر الدخلاني والـرحبـة الجديدة تطلـق على نفسها إسم «كْـرَاوَةْ». وكَــراوة في قـرارات أنفسهم لا يعتبرون لا من فئة الحراطين ولا من فئة الأحرار. مما يطرح عدة مشـاكل تتعلق بـأصـول هــذه الشريحة التـي لها نفس الـوضع المادي والاجتماعي الـذي لفئـة الأحرار. والغـالب على الظن أن هـذه الأسر تـرتبط بإحـدى المجمـوعـات البشرية التـي جاسـت المنطقة بعيـد مـرحلـة الفتح الإسلامي للمغرب، ذلك أن كَـراوة أو جراوة تنتمي إلى قبيلة الكاهنة الزناتية التي قـاومت الفتح الإسـلامي. وهذا مـا يبرر مسألـة التنقيص في قيمتهم. وانتقلوا إلى المغرب الأقصى، وتفرقوا في الجهـات الشمالية الشرقية، وتركوا بصمات أقدامهم هناك، ولعل «تبحـريت» وهو ما يعرف حاليا بـالسعيدية كـانت واحـدة من معـالمهـم السكنيـة بهذه الجهـات. كما وجـدوا في إقليم سجلماسـة، وما يشهـد على ذلك استمرار بعض بقـاياهم السـلالية هنـاك ويعـرفون بكَــراوة. مما يـؤكد أن جـراوة لم تعد تكـون وحدة قبليـة. بل

توزعت ديارهم منذ القرن 6هـ/12م حول تادلا على خط التجارة الرئيسي بين أغمات وفاس وسجلماسة.(16)

لم تكن فئة الأحرار بمنطقة مدغرة من المحاربين لأن سكان منطقة مدغرة كانوا يتكونون في غالبيتهم من الطَّلْبَةْ والفقهاء والمزارعين، أي طغيان الطابع المدني على أية صفة أخرى. وهذا عكس ما نجده في مناطق واحية جنوبية مغربية أخرى. فقد إهتدى أحد الدارسين أن فئة الأحرار بمنطقة درعة كانت تشكل الفئة المحاربة والمالكة للأرض والثروة، ويضيف نفس الدارس أن أحرار منطقة درعة كانوا يعزفون عن مزاولة الحرف المهنية مثل الحدادة والسكافة. لأن ذلك في نظرهم من اختصاص العبيد والحراطين والفئات الدنيا الأخرى مثل اليهود».(17) وتنطبق هذه الملاحظة الأخيرة دون سابقتها على أحرار منطقة مدغرة إلى حد كبير إذ لم يكونوا يمارسون مثل هذه الحرف ولا التخميس، وكان الغالب على بعضهم التجارة والبعض الآخر الفلاحة وأحياناً أخرى يجمعون ما بين الفلاحة والتجارة والتدريس بالمساجد الجامعة بمدغرة.

*** الحراطين :**

تتموضع فئة الحراطين ومن في زمرتها كالعبيد في قاعدة الهرم الاجتماعي لمنطقة مدغرة، وتتكون فئة الحراطين من سكان ملونين يضرب بعضهم إلى السواد كما يضرب بعضهم إلى البياض. يتميزون عن العبيد من حيث وضعهم السوسيواقتصادي والفيزيولوجي.(18) ويتجلى ذلك في الاستقلال النسبي الذي تمتعت به هذه الشريحة الاجتماعية بمنطقة مدغرة. لا سيما إذا قارنا وضعها مع ما كان جاري به العمل في واحة الرتب جنوب مدغرة، وما خول لهم العرف المحلي من حقوق مدنية مختلفة كامتلاك الأرض، وحصص الماء داخل غابة مدغرة، والاستقرار بأحياء وحومات

---

16) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في الغرب الإسلامي، م. س، ص: 104.

17) أحمد البوزيدي: درعة، م. س، ص: 220.

18) انظر الباب الثاني الفصل الثالث.

القصور إلى جانب الفئات الأخرى. وفي بعض الأحيان الاستقرار بقصور خاصة بهم. وقد سبق أن أشرنا كيف أن أحد قصور مدغرة كان حكراً على هذه الشريحة، ويتعلق الأمر بقصر الحراطين بقسم مدغرة العليا، ويعرف حالياً بقصر أزرو الموجود على الضفة اليمنى من وادي زيز.(19)

كان دور فئة الحراطين يقتصر في منطقة مدغرة على فلاحة الأرض وزرعها سواء برسم ملاكيها الحقيقيين من الأشراف ومن في زمرتهم أو لأنفسهم وخدمة بيوتات الأشراف، وكأنهم رهنوا أنفسهم وتخصصوا في هذا الإتجاه. وهذا ما حدا بأحد الدارسين إلى القول بأن: «الحراطين ظلوا ولقرون طويلة معتمد الواحات وسكانها في الأعمال الزراعية وما يتفرع عنها من صيانة السواقي وآبار الري وتلقيح النخيل وتشذيبه، وهذا يدل – حسب الباحث المذكور – أن الحراطين كانوا يشكلون القاعدة البشرية الأساسية التي كان يقوم عليها اقتصاد المجتمع».(20)

ترتبط كل عائلة من الحراطين عادة بعائلة من الشرفاء تحرث أرضها في نطاق نظام التخميس، وداخل البيوتات أيضا. مما يجعل هذه الفئة لا تختلف في شيء عن العبيد، من حيث ممارستها لنفس الوظائف، وذلك في إطار علاقات الارتباط بين التابعين والمتبوعين لقاء خمس الإنتاج. وهذا ما حاول عزيز عبد الله بطران التعليق عليه قائلا: «إن طبقة الحراطين... كانت مشابهة لطبقة العبيد في الكثير من الخصائص والملامح والتهديد الاقتصادي والانحطاط الاجتماعي».(21) وإذا قارنا وضعية فئة الحراطين بمدغرة مع ما كان سائداً بواحات الجنوب الأخرى كتافيلالت وتوات والرتب(22) نلاحظ أن هذه الشريحة بمنطقة مدغرة كانت تتمتع بالحقوق المدنية الكاملة. إذ علاوة على ممارستها الخماسة، فإنها مع ذلك كانت تمتلك الأراضي وحصص الماء

19) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

20) أحمد البوزيدي: درعة، م. س، ص: 224.

21) Batran (A.A): the "ulamas" of fas my Ismail and the issue of the "haratin" of fas in shaves and slaveny in muslim Africa?. Vol II. The servile Estate, ed by Jhon Ralph Wilis Frank. Casa 1985 p: 1 - 15.

22) Mezzine (L): le tafilalet, op cit, p: 137 - 181.

داخل غابة مـدغرة، ولم يكن يحد من حجم هذه الملكيات أي قـانون عرفي. كما أن بعضهم كان يشارك فيما يعرف «بالهيئة الاستشارية للمشيخة» أو «الجماعة». ورغم هذه الأهمية والحضور الفعـال في كل قصور مدغرة، وما متعتهم به القـاعدة الشرعيـة من حقوق مـدنية. فقـد ظل الحراطين في نظر السكان عناصر حرة دينياً واجتماعياً بمعنى أنهم تمتعوا بحريتهم كاملة ولا توجـد فيها شـائبة رق أو عبوديـة وإن كانت تمارس الخدمـات الأخرى، ولكنهم في وضعية اجتماعيـة دونية فهم نظريـا في مرتبة بين فئـة الأحرار والعبيـد. ولم تتغير هذه النظـرة الاستعلائيـة إزاء الحراطين حتى في حالـة ارتقاء وضـع الحرطاني مـادياً وثقافياً. إذ كان من بينهم من بوأتـه مكانته العلمية ليصبح مؤذنا أو معلمًا للقرآن بالمساجد أو من استطاع الإفلات من هـذه الوضعيـة الاجتماعيـة والانتقال شمالاً حيث المدن الكبرى، فإن لعنـة الإنحطاط الاجتماعي تـلاحقه مع بعض الإستثنـاءات طبعا. فقد ذكـر أحد الباحثين(23) أن الحرطـاني بعـد انتقـالـه لمدن الشمال المغـربي يخير بين البستنة والحفـر والبناء وهي في الغـالب أعمال محتقرة اجتماعيـاً، بناء على ماذكره محمـد المختار السوسي.(24) وهذه المسـألة نلمسها بشكـل بارز في الوقت الحاضر، حيث إن غالبية البنائين الموجودين حـالياً بمنطقة الرشيدية تتكون من هذه الشريحة. وذلك على إثر التحول الذي عرفته البنيات التحتية والانتقال من ممـارسة الخماسة إلى العمـل في البناء في إطار التـوسع الذي عرفته ظاهرة التمدن بهذه المناطق.

وكانت الأعراف المحلية تفرض على الحراطين العيش داخل فئة مغلقة في إطـار المصـاهـرة، إذ يتـزاوجـون فيما بينهم. وكـان يمنع منعـاً كليـاً على الحرطـاني مهما ارتقى وضعه المادي والثقـافي الـزواج من شريفة أو حـرة عامية مهما كانت الوضعية المادية للأسرة الشريفة أو العامية.(25) وقد كانت

---

23) محمد المهنـاوي: التنظيم العسكري وعلاقته بـالمجتمع في العهد الإسماعيلي، جامعـة مولاي علي الشريف الخريفية الريصاني 1990، ص: 112 دار المناهل للطباعة والنشر الرباط 1991.

24) محمد المختار السوسي: المعسول، م. س، ج 1 ص: 36.

25) العربي مزين: مذكرات من التراث المغربي، المجلد 4 ص: 19.

علاقة هـذه الشريحة بالفئات الأخرى تشوبها بعض الظواهـر الغير العادية مما أثار في الحافظة الشعبية المحلية ردود فعل فاتهمتهم بكثير من العادات والخصال المذمومـة والتصرفات الغير اللائقة، وقـد صيغت في أمثلة شعبية مـازالت متداولـة لحد الآن بمنطقـة مدغـرة لا داعي لـذكرهـا لما تثيره من حساسيـة في النفوس. ومع كل ذلك فقد امتـاز الحراطين بطبيعتهم المسالمة وغلبـة الغفلة على بعضهم، وهم سلسلـوا الإنقيـاد والطـاعة ومقـابل ذلك، يتميزون بطبع شرس وشجـاعة نـادرة في بعض عناصرهم.(26) وعلى هذا الأساس يظهـر أن وضعية الحراطين بمـدغرة رغم مـا يشوبها أحيـاناً من ضغـوط واستغـلال طاقتهم الجسـديـة، إلا أنها وضعيـة أحسن بكثير من وضعية إخـوانهم بقصر الكَـارة، فقد كـان حراطين مدغـرة يملكون الأرض وحصص الماء ويسكنـون بـالقصر إلى جـانـب الفئـات البشريـة الأخـرى، ويدرسـون بالمساجـد وأحياناً يشـاركون في مشيخات القصـور ويجمعون بنفس الآن بين تخميس أرض الغير وفلاحة أرضهم، وذلك في إطار علاقات الإنتاج التي تربطهم بالأرض. ولمزيـد من التثبت والتأكد يكفي الرجوع إلى شروط إتفاق قصر الكَـارة للإحاطة بوضعية الحراطين بمدغرة، المتميزة عن حراطين الرتب وما متعتهم به القاعدة الشرعية والقوانين العرفية المحلية من حقوق مدنية مختلفة.

*** العبيد :**

جدير بـالإشارة أن فئة العبيد التي كـانت موجودة بمنطقـة مدغرة، لم تكن فئـة كثيرة العدد، كما لاحظنـا ذلك مع فئـة الحراطين. فقد كـانوا قلـة ويقتصر وجودهم على بيوتات بعض الأسر الثرية، لا سيما من فئة الأشراف وداخل الزوايـا، وكانـوا أيضـا(27) يكـونـون قسمـاً من العنـاصر البشريـة المستقـرة خاصـة ببعض القصبات الموجـودة بمنطقة مـدغرة والمخصصـة أسـاساً لأخذ الزطاطة من القـوافل على طريق فاس سجلماسة بمدغرة. فقد

26) أحمد البوزيدي: درعة، م. س، ص: 225.

27) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

كانت قصبة تازناقت – أي قصر مسكي – خاصة بهذه الفئة البشرية. لأن نـوع العناصر السـوداء الموجودة بهذا القصر تنتمـي سلاليـاً لفئة العبيـد، ولعلهم يعتبرون من الذيـن كونوا القصبـات التي أنشـأها السلطـان مولاي إسماعيل العلـوي بمجموع التراب المغـربي. ونعتقـد أن قصر العبيد الـذي ذكرته بعض المصـادر بمنطقة مدغرة هو قصر مسكي.

إن الإشارات التاريخية التي تؤرخ لوجود هذه الفئة الاجتماعية بمدغرة، قليلة جدا إن لم نقل منعدمة. فباستثناء إشارة أو إشارتان لا نكاد نعثر على ما يشير إلى وجودها بمدغرة. والغالب على الظن أن سبب ندرة المادة العلمية المتعلقـة بهذه الشريحة الاجتماعية أن منطقـة مـدغـرة رغم كونها منطقـة مفتوحة الأبواب على واحات توات وكَـورارة والسودان الغربي عبر مجموعة من الطـرق والمسالك، لم يسجل لنـا التاريخ أنها احتضنت سـوقا لتجـارة العبيد أو النخاسة كما نلاحظ ذلك بتافيلالت. حيث وجد بها «سوق العبيد» وقصر العبيد كذلك، ونفس الشيء بالنسبة لفجيج. فقد ذكر أحد الباحثين أن توات وكَـورارة كانت مصـدراً أساسياً لـلإماء والعبيـد، تمول بهم أسواق فجيج عن طريق الشراء.(28) وأضاف نفـس الدارس اعتماداً على مـا ذكره دوتي Doutté أن ثمن الأمـة بهذه الأسـواق كان يتراوح مـا بين 300 و500 بسيطة إسبانية، وثمن العبد الشاب أو صغير السن ما بين 200 و300. أما كبير السن، فلم يكن لـه ثمن محدد وغالبـاً ما كـان منخفضاً.(29) هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت هذه الفئة تقتصر فقط على بعض الفئات الثرية بمدغرة، إذ لم يكن العبيـد يوجدون إلا في بيوتات معدودة بمـدغرة، ولدى بعض أقطاب الزوايا الدينية، وأيضـا لدى القواد المخزنيين، ولو تعلقت هذه الملاحظة الأخيرة بـالفترات القريبة منـا جدا. وقـد سبق أن أشرنا كيف أن قصر سيدي أبو عبد الله بعدما أضحى قصراً مخزنياً مع نهاية القرن 19م ومطلع القرن 20م كان يوجد به جناح خاص بالقائد وحاشيته وعبيده.(30)

---

28) أحمد مزيان: فجيج، م. س، ص: 269.

29) Doutte (E): Notes et impressions sur Fiquiq, revue de géographie, 1903 p: 186.

30) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

ومن جهة ثالثة تعزى ندرة المادة العلمية حول هذه الشريحة إلى مسألة التحرير والعتق الذي كان يحظى به العبيد من طرف أسيادهم. وفي هذا الخصوص نشير إلى أننا نتوفر على بعض الوثائق المحلية التي تؤكد امتلاك بعض الأسر الشريفة للعبيد لا سيما شيوخ الزوايا بالمنطقة. فقد جاء في ترجمة مولاي العابد بن مولاي بن علي صاحب زاوية تاوريرت ما يلي: «... ويحكى أنه - يعني مولاي العابد بن مولاي بن علي بن عبد الله بن علي بن طاهر - دخل يوماً لجنان له قرب الزاوية - يعني زاوية تاوريرت - ومعه وصيفا - أي عبداً - فرجع رضي الله عنه على هيئة أسد فتخوف العبد منه فلما رأى رضي الله عنه ذلك خالجه الخوف ورجع على هيئة آدمي. وقال له لا تخبر أحدا بهذا ما دمت حيا...».(31) وجاء في ترجمة مولاي عبد الهادي ابن محمد بن العربي من آل مولاي البكري، وهو الذي خلف والده على رأس زاوية مولاي البكري بمدغرة ما يلي: «أما سيدي مولاي عبد الهادي ابن محمد بن العربي فقد بسط له في الدنيا وله ثروة مال وعقار وله عبيد وإماء...».(32) كما جاء في إحدى عقود القسمة ما يؤكد أن شيخ تمثيلية الزاوية الدرقاوية كان يملك بعض العبيد وقد أعتق واحداً منهم، وحجتنا في ذلك ما جاء في العقد المذكور. قال: «الحمد لله وحده، أخرجت هذه النسخة من أصلها المحفوظ تحت عدد 1000 صحيفة 314 من 3 أملاك أرفود بتاريخ 16 ربيع... 1352هـ لطالبها شيبوب بن لحسن بن فرجي من سكان قصر لعشورية قيادة الجرف دائرة أرفود... ونصها بالحرف: «الحمد لله قسمة وقعت وأبرمت بين ورثة السائر إلى عفو الله فرجي معتوق البركة ذي المقام الأحمى الشيخ سيدي محمد العربي المدغري...».(33) وما يؤكد من جهة ثانية امتلاك الشيخ المذكور أعلاه للعبيد والإماء ما ذكره العباس بن إبراهيم التعارجي في الترجمة التي خصصها لسيدي محمد العربي بن الهاشمي المدغري. قال: «... كانت له

31) فتح القدوس، م. س، ص: 74.

32) فتح القدوس، م. س، ص: 251.

33) انظر الوثيقة رقم: 51 بالملحق الوثائقي الخاص.

دنيا عريضة وبنى قصرين ببلده – يعني مدغرة – على هيئة دور الملوك من كثرة المرافق لسكناه... وكان له خدام بحضرته كثيرون يجاوزون الألف من الملازمين...».(34) ونفترض أن يكــون المقصــود بكلمــة الخدام والملازمين الحراطين والعبيد أو المريدين.

والظاهر حسب مــا تمدنا به الوثائق المحلية الخاصــة بمنطقة مدغرة أن عملية عتق العبيد كانت تخول للعبد أو الأمة المعتوقة إمكانية الحصول على مجموعة من الأملاك لضمان المعاش ومبــاشرة عمله بنفسه والاستفادة من ريعها. ولتأكيد هذا الذي نحن بصدده نقــف قليلاً عند بعض هذه الوثائق. فقد جاء في إحــدى هذه الرسوم أن الشريف مــولاي عبد الهادي بن محمد ضماً بن العربي(35) من زاوية جده مولاي البكري مــدغرة أنه أعتق ممالكه امبارك ومسعــود وفاطمة وألحقهم بحرائر المسلمين، ولم يبق لــه ولا لأحد من خلق الله عليهم ولاية ولا شائبة رق، ماعدا الولاء الذي حكمت به السنة عن رسول اللهﷺ إشهــاداً وعتقا تامين عرف قدره، شهد بــه عليه وعرفه بأتمه في أوائل رجب الفــرد من عــــام ستــة وأربعين وثــلاثــة مــائة وألف 1346هــ».(36) وجــاء في رسم ثــاني(37) مــا يشير إلى أن الشريــف المذكــور بعدما أعتق عبيــده الثلاثة تصدق عليهم بجزء من أمــلاكه لتيسير أمورهم المعيشية. قال: «الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه. أشهد مــولانا عبــد الهادي بن محمد ضمًا بن العــرب – أي العربي – من زاوية جده مولانــا البكري مدغرة على نفسه أنه تصــدق على عتقائه امبارك ومسعود وفاطمة بجميع ما سيذكر ويفسر والأصل الكائن له بمزرعة أيت عثمان ومــزرعة أيــت يوسف والــدار القــائمــة البناء بحصن أيــت مَــنْـــزُ

---

34) العباس بن إبراهيم التعارجي: الإعلام، م. س، ج 7 ص: 83.

35) هو مولاي عبد الهادي بن محمد بن العربي كان من كبراء شرفاء مدغرة في وقته، وكان من أهل الحل والعقد وهو الذي بنى سور الزاوية البكرية أيام السيبة وحبس على الزاوية والمسجد أوقافاً كثيرة.
انظر مخطوط فتح القدوس، م. س، ص: 251.

36) انظر الوثيقة رقم: 59 بالملحق الخاص بالوثائق.

37) توجد هذه الوثيقة والتي قبلها بخزانة الأستاذ بلبكري حسن من زاوية مولاي البكري مدغرة.

المجاورة دار - أي الـدار - مع اعمرو والطريـق، ومن الأصل فدان يسمى لديهم بتكَـنيت بجوار أَبْـدَبَـدْ ومجرى ماء والغير، ثم فدان آخر بجوار ملك بعلا - أي بوعلا - ومجرى ماء والغير، ثم جمونة أخرى تجاور ملك ورثة مولاي الحسين وملك حدو أو حماد، ثم فدان آخر بجوار ملك أضرضور... وبما لذلك كله من المنافع والمرافق وكافة الحقوق والحرم على الإطلاق داخلاً وخارجاً صدقـة صحيحة تامة ذلك من ماله وأبـانه عن ملكه وصيره مالا وملكـا خالصـا لعتقائه المذكـورين. قصد بـذلك وجه اللـه العظيم وثوابـه الجسيم والـدار الآخرة... وقبلوا ذلـك منه وأذن لهم في الحيـازة يحوزونه، وتخلى لهم عن ذلك تخليـاً كليـا، في أواسط رجب الفـرد من سـتـة وأربعين وثلاثة مائة وألف 1346هـ».(38)

وبالعودة إلى التواريخ المؤرخة لهذه الـرسوم المتعلقة بعتق العبيد الذين كانوا بحوزة بعض الأسر الشريفة والزوايا الدينية بمدغرة، نلاحظ أنها تعود كلها إلى النصف الثـاني من النصف الأول من القرن 20م. ومعلوم أن هذه المرحلـة تـوافق من حيث تسلسل الأحـداث بمدغـرة على وجـه التخصيص والمغرب ككل تغلغل نفوذ الحماية الفرنسية إلى مجموع التراب الوطني. ذلك أن السنـة التي تـؤرخ لعتق العبـد فـرجي من قبل الشيخ سيـدي محمـد العربي الـدرقاوي الجاوزي المدغـري صاحب تمثيليـة الزاويـة الدرقـاوية بمدغرة هي سنة 1352هـ مما يوافق 1933م، كما أن السنة التي عتق فيها مـولاي عبد الهادي بن محمـد بن العـربي من آل مـولاي البكري عتقـائه الثلاثة (امبـارك مسعود فاطمة) تعـود إلى حوالي 1346هـ وهو مـا يوافق سنة 1927م. ومعلوم أن الحماية الفرنسية كانت قد دعت إلى عتق وتحرير العبيد الـذين كانوا في ملكيـة بعض الأسياد. والـواقع أن هذه الدعـوة تعود جذورها التـاريخية على الأقل - حسب ما نتوفر عليـه من معلومات - إلى نهاية النصف الأول من القرن 19م، وحجتنا في ذلك رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام العلوي إلى نائبه بطنجة السيد الطالب بوسلهام بن علي المؤرخة سنـة 1259هـ الموافـق لسنة 1843م، والتي أوردهـا الأستاذ

38) انظر الوثيقة رقم: 53 في الملحق الوثائقي الخاص.

محمد داود في تـاريخه عن مدينة تطـوان. قال: «كان امتلاك النـاس للعبيد والإماء شيئـا عادياً في المشرق والمغرب، ثم تكـونت جمعيات إنسانيـة بذلت جهوداً جبـارة توصلت معهـا لمنع تجارة الرقيق في كثير مـن بقاع الأرض، وهذه رسـالة نعـرف منها أن أفـراداً من تلك الجمعيـات حاولـوا الإتصال بسلطان المغرب لإقناعه بمنع الإسترقـاق في بلاده، ولكن يظهر أن السلطان لم يكن محبذاً للفكـرة، فكتب إلى نائبه بطنجـة ما نصه: «الحمد للـه وحده وصلى اللـه على سيـدنا محمـد وآلـه وصحبـه: خديمنـا الأرضى الطـالب بوسلهام بن علي وفقك الله وسلام عليك ورحمة اللـه تعالى وبركاته: وبعد فقد بلغنا أن أربعة فسيان وردوا من الوندريز(39) قاصدين لطنجة وبيدهم مكاتب من عند حنطة(40) النجليز ومن عند الفرنصيص طالبين لملاقاتنا على أن نوافق جنسهم على عدم بيع الرقيق وشرائهم، فإن وردوا بمكاتب وجهها لحضرتنـا الشريفـة وأخـرهم هنـاك، فـإنهم أهل فطنـة ودهـاء، لا ينبغي جولاتهم بأيالتنا السعيدة، مع أن طاغيتهم لا مدخل لهما في هذا الأمر الذي وردوا من أجله، وإنما ذلك من فضولهم وإن رأيـت أن تكفينا أمرهم حتى لا تصل كتبهم فافعل. والسلام في 8 ذي الحجة عام 1259هـ».(41)

*** اليهود :**

سبقت الإشارة(42) أن وجود العنصر اليهـودي بمنطقة مـدغرة لم يكن يشمل كل قصور مدغرة، بل اقتصر وجوده على بعضها فقط، ويتعلق الأمر بقصري موشقـلال وقصيرة أيت موحى أو علي بأعلى مـدغرة، حيث كـانوا يستقرون بأحياء خاصة بهم (الملاح). وعلى عكس مناطق واحية أخرى(43) بالجنوب المغـربي كان اليهود بمدغرة يملكون الأراضي الـزراعية ويمتهنون مختلف الأخرى كالحدادة وصناعة الحلي والتجارة وغيرها.

39) 40) ذكر الأستاذ محمد داود أن كلمة الوندريز كان يطلقها بعض الناس على لندن. كما أن كلمة حنطة في هذه الـرسالة تعني جمعية: انظـر محمد داود تاريخ تطوان، المجلـد الثامن، ص: 420، المطبعة الملكية 1970م.

41) محمد داود: تاريخ تطوان، م. س، المجلد 8، ص: 419 – 420.

42) انظر الباب الثاني الفصل الثالث.

43) أحمد مزيان: فجيج. م. س، ص: 268.

إن التعايش الذي طبع علاقات اليهود بالمسلمين بمنطقة مدغرة سمح لهذا العنصر بالعيش بينهم، بل وتخويله السكن في أحد القصور التابعة لمدغرة وممارسة أنشطته التجارية جنباً إلى جنب مع المسلمين. وقد سبق أن رأينا كيف أن بعض الحراطين كانوا يشاركون اليهود أحياناً في عملية نقل المؤن من بوذنيب في المراحل المتأخرة بناء على ما ذكر محمد المختار السوسي في معسوله.(44) وأحيانا أخرى كانوا يمارسون النشاط الزراعي بواسطة شركاء مسلمين. مما يعني أن اليهود رغم كونهم أقلية دينية في القصور المتواجدين بها في مدغرة، فإنهم كانوا مع ذلك يشعرون بنوع من الحماية وسط هذه القصور، حيث تصان أملاكهم ومصالحهم الاقتصادية المختلفة ويمارسون شعائرهم الدينية بكل حرية.(45) هذا وإن كنا نلاحظ مع ذلك أن بعض الأعراف المحلية الخاصة بمنطقة مدغرة، وما إليها كانت تمنع على اليهود أحياناً منعاً كليا الدخول إلى القصور التي لا توجد بها هذه الأقلية أو حتى الوقوف ببابها. فقد جاء في الشرط 360 من إتفاق قصر الكَارة ما يلي: «وأما من جلس في حدود البوابين من الخارج من الذميين نصافه خمسة أواق».(46) كما أن من بين المأثورات الشعبية الشفوية التي مازالت تردد حتى الوقت الحاضر بمنطقة مدغرة أنه كلما ذكر الأهالي إسم اليهودي أو اليهود إلا وكانوا يتبعونها بكلمة «حَاشَا دَمْ الإِسْلاَمْ» أو «عْزْكُمْ اللَّهْ». مما يترجم إلى حد ما الإعتزاز بالديانة الإسلامية واحتقار لهذه الأقلية الدينية. وذكر أحد الباحثين المتخصصين في العلاقات بين المسلمين واليهود أنه «كلما اضطر المسلمون إلى كتابة إسم اليهودي أو اليهود في عقودهم إلا وكانوا يتبعونها بالجملة الدعائية التالية: «لعنة الله عليه».(47) وما عدا ذلك فقد تمتع اليهود بحريتهم الكاملة دينياً واجتماعياً،

44) محمد المختار السوسي: المعسول، م. س، ج 16 ص: 307.

45) انظر الباب الثاني الفصل الثالث.

46) Mezzine (L): le tafilalet, op cit, p: 176.

47) Attal (R): les relations entre juifs et musulmans en Afrique du Nord 19 - 20 siècle "croyance et prejuges, image juifs dans d'expression populaire arabe au Maghreb". In centre national de la recherche scientifique, centre régionale de publication Marceille, octobre 1978, ed L.N.R.S Paris 1980 p: 57.

حيث كانوا يمارسون شعائرهم الدينية بكل حرية. وما يشهد على التعايش السلمي الاجتماعي بين المسلمين واليهود هــو أن بعض الأعـراف المحلية الخاصة بمنطقة مدغرة وما إليها، كـانت لا تميز في معاقبة المخالف والظالم سواء أكـان يهودياً أو مسلما. فقـد جاء في الشرط 50 من إتفـاق قصر أيت عثمان مـا يلي: «واليهـود – أي اليهـودي – والمسلم من ظلم منهما الآخـر بخمسة أواق».(48)

لقد نتج عن هـذا التمايز بين الفئات الاجتماعية بقصور مـدغرة حسب الهرمية التي وضعنـاها علاقـات متميزة بين عنـاصرها المختلفة. فقـد كان الشريف لا يتزوج إلا من الفئة التي ينتمي إليها، وكان ذلك محموداً عندهم ولكن يجوز له أن يتزوج من عـامية بربرية كـانت أو عربية(49) لأن الإبن يتبع أبـاه في النسـب لا أمـه. ولا يستسـاغ أبـدا أن يتــزوج الشريف من الحرطانيـة. وقد سبق أن نبهنـا أنه حتى في حـالة إذا حصل – وهـذه من الحالات النـادرة والنادرة جـدا – أن تزوج شريف مـن حرطـانية فإن مـا تناسـل منهما يسميهم العرف المحلي «أولاد الحرطـانية». ممـا يدل على أن الحديث الشريف «الإبن يتبع أبـاه في النسب لا أمه» لم يصمد أمـام القيمة التي يعطيها المجتمع القبلي كالمجتمع المغربي للأنساب والسلالات، والظاهر أن فكرة زواج الشريف بالشريفة أو العامية دون الحرطـانية خاصة مازالت سـارية المفعـول إلى الوقت الحاضر بمنطقـة مدغـرة، حيث مازال الشرفـاء يصرون على أن لا يزوجوا بناتهم إلا للشرفـاء أبناء عمهم. هذا رغم التطور الحاصل في البنيات المجتمعية المغربية والعقلية بوجه عام. وجدير بالإشارة أن هذا التعصب القرابي السلالي كان عاما وشاملاً حتى بالحواضر المغربية الكبرى. ذلك أن من بين المأثورات الشعبيــة الشفوية التي مـازال أهل فاس يرددونها إلى الوقـت الحالي أن الأبناء المنحدرين من أصول شريفـة أبا وأما كانـوا يطلقون عليهم «سِلْسِلَةْ الذَّهَبْ أو «زْلاَيْـفْ الطَّـاوْسْ» إشارة إلى نقاوة وشرف سلالتهم. وبالعودة إلى المادة العلمية المصدرية والمرجعية معا

48) Mazzine (L): taqquit de Ait Atman, op cit, p: 103.

49) العربي مزين: مذكرات من التراث المغربي، المجلد الرابع، م. س، ص: 18 – 19.

نلاحظ أن هذه المسألة كانت مطبقة بصرامة من قبل الطبقات الشعبية من الشرفاء، وأيضا من قبل ملوك الدولة العلوية. فقد ذكر أحمد بن عبد العزيز العلوي أن الشرفاء كانوا يحافظون على أن لا تنكح بناتهم إلا من الشرفاء قال: «لهم من المحافظة على حفظ شعبهم وفروعهم ما لأهل العلم أو أشد وأمرهم في ذلك أمر سلفهم العرب الأول، حافظون لنسبتهم يتحافظون على أنكحتهم... حتى إن الملوك منهم... يحتاطون في ذلك... أخبرنا بعض الثقاة أنه أخبره كاتب الدولتين الرشيدية والإسماعيلية... ابن أبي الربيع سليمان ابن عبدالقادر الزرهوني أنه، تحقق من ذلك من السلطانين... قال: «... وأما بناتهم فلا ينكحهن إلا الشرفاء، وخصوصا بنو عمهن وهذه عادتهم لا تختلف أبدا سرمدا».(50) لأن الصفات والخصال الحميدة تنتقل بالضرورة من الآباء إلى الأبناء عن طريق الوراثة، وما كان للتاريخ الشعبي منه والسياسي إلا أن يزكي هذه الفكرة ويحافظ عليها.(51) هذا وإن كنا نلاحظ أن فكرة التعصب للمصاهرة من نفس الأسرة بدأ يصيبها شيء من الفتور، لا سيما في الحواضر المغربية الكبرى التي توجد بها الأسر الشريفة. فقد ذكر عبد الكريم الفيلالي في أحد هوامش تحقيقه لكتاب الأنوار أن: «هذه العادة استمرت في المغرب إلى عهد السلطان مولاي يوسف، وكان أول من حاربها شيخ الإسلام الإمام السلفي أبو عبد الله سيدي محمد بن العربي العلوي رضي الله عنه. وما يشهد على ذلك ما جرى له مع النقيب مولاي عبد الله ابن العباس(52) بسبب زواجه من غير الشريفة».(53)

ولم تكن تسمح الأعراف المحلية الخاصة بمنطقة مدغرة وما إليها بزواج الحرطاني بالشريفة أو الحرة مهما كانت الوضعية المادية لهذه الأسرة الشريفة أو العامية مقابل ارتقاء وضع الحرطاني ماديا وثقافيا. إذ كان الحراطين يكونون فئة مغلقة يتزاوجون فيما بينهم فقط، كما كانت تحرم الأعراف على الأحرار الزواج من الحرطانية. وهكذا كانت علاقات المصاهرة

50) أحمد بن عبد العزيز العلوي: الأنوار، م. س، ص: 74 – 75.

51) عبد اللطيف أكنوش: المكانة الاجتماعية والسياسية للشرفاء، م. س، ص: 8.

52) هو نقيب الشرفاء العلويين بفاس.

53) عبد الكريم الفيلالي: الأنوار، م. س، ص: 75 هامش 1.

والـــزواج تتبع وتنسجم مع هـــذا التصنيف الهرمي للفئـات الاجتماعيـــة للقصور بمـدغرة. فقـد لاحظ أحـد الدارسـين أن العـرف الدمـوي السلالي اللحمي، كان مطبقـا بصرامة على الفئة الدنيـا التي يمثلها الحراطين في حين يلاحظ أن هناك تجاوز في تطبيقـه بالنسبة للفئتين المتبقيتين.(54) كما يمكن أن نلمس أيضا طبيعة التراتب الاجتماعي من حيث نـوع التخاطب بين هذه الفئات الثلاث.(55) وأيضا حتـى على مستوى الدفـن بالمقـابر(55م) ويمكن اعتبار هذه الهرمية للفئات المتعايشة داخل القصور أنها تجسد نوعا ما من تقسيم العمل فيما بينها. سيما وأن الإمكانـات الاقتصادية يمكنها أن تلعب دوراً أسـاسياً لتحديد وضعية كل فئة داخل مجتمع القصـور ووظائفها.

إن الوسط الإيكـولوجي لمنطقـة مدغـرة المطبوع بالتقشـف المستمر من حيث قلة وسائل العيش والصراعات المترتبة عنها وفرص التحكيم التي كان يخلقها هـذا التوتـر، كانت تفـرض وجود فئـة الشرفاء، بـاعتبارهم عنصر تـوازن اجتماعي في مجتمع الـواحات مـن خلال قيـامهم بتسييج الأزمـات النـاتجة عن هـذه التـوتـرات وحل الخلافـات الداخليـة بين هـذه الفئـات الاجتماعية المتسـاكنة داخل القصـور. وأيضا لحل الخلافات بين مجمـوعة من القصور. ونظراً لهذه الأدوار التوفيقية التي غـالباً ما كانت تستغل فيها هذه الفئة شفوفها الديني وموروثها النسبي ومكانتها التقديرية الاعتبارية في المعتقد الشعبي الديني المغـربي هو ما جعلها – على مـا نعتقد – تتصدر مشيخـات القصور وكأنهم رهنـوا – أي الشرفاء – أو تخصصـوا في ذلك. سيما إذا علمنا أن مبدأ الشرف كان يتدخل في حياة هذه الفئات، ويوجه إلى حد ما تاريخ المنطقة من خـلال علاقات النزاع أو التضامن بين القصور أو

54) العربي مزين: مذكرات من التراث المغربي، المجلد الرابع، م. س، ص: 19.

55) حيث كان ينـادى على الشريف سيدي مـولاي الفلاني بينما كان ينـادى على الحرطاني بـاسمه دون تسييد وأحيـاناً كـان يحجم ويشوه اسمه مثـلا عبد الله «عَـبُّـو» وكـان ينادى على الحر باسمه العادي دون تسييد ولا تحجيم.

55م) فقد كان لكل فئة مقبرة خاصة بأمواتها. وإذا لم يتوفر القصر إلا على مقبرة واحدة نجد الأهالي يفصلـون بين قبور أمـواتهم بواسطـة جدران صغيرة. فترى المقبرة مقسمـة إلى مجموعـة من الخانات خاصة بقبـور فئات مجتمع القصر. وأحياناً أخرى خانات خاصـة بقبور أموات عظام وأفخاذ الأسر المكونة للفئة الواحدة.

صراع الفئات البشرية فيما بينها على مستوى القصر الواحد. وكانت فئة الحراطين ومن في زمرتها كالعبيد مثلا، هي القوة العاملة الضرورية لاستغلال الأرض، من حيث فلاحتها وزرعها والعناية بالأشجار، وغيرها من الأعمال الزراعية الأخرى، سواء لصالحها أو لصالح الفئات الأخرى التي تعمل بحقولها لقاء خمس الإنتاج. مما يعني أن فئة الحراطين كانت هي التي تضمن - في الغالب - معاش الفئات الأخرى. هذا وإن كنا نلاحظ - وكما سبق أن أوضحنا ذلك - أن هذه الفئات الأخيرة - يعني الأشراف والأحرار - كانت بدورها تساهم في العملية الزراعية أحياناً بطرق مباشرة وأحياناً أخرى بواسطة الخماسين من الحراطين والعبيد. مما كان يمكن فئة الأشراف والأحرار من التعاطي لأنشطة مربحة كالتجارة أو ذات طابع سياسي وديني علمي تزيدها قوة امتياز. وهذا ما يشرح كذلك لماذا لا تذكر المصادر المؤرخة لبعض جوانب الحياة العلمية بالمنطقة، وما إليها عناصر من هذه الشريحة الأخيرة - يعني الحراطين - ضمن أئمة وأعلام المنطقة المشهورين إلا في القليل النادر جدا، سواء تعلق الأمر بالعلماء ورجالات الفقه والخطابة والقضاء أو كأئمة ومدرسين بالمساجد الجامعة بقصور مدغرة وتافيلالت أو بجامعة القرويين بفاس. لأن الأسر الحرطانية تكون دائمًا في حاجة إلى سواعد أبنائها في الأعمال الحقلية الفلاحية المختلفة. وهذا من شأنه كذلك أن يكشف لنا عن الشرائح الاجتماعية التي كانت ترهن نفسها لأخذ وتلقي العلم بمدغرة وتافيلالت وفاس، مع العلم أن هذه المحطات الثلاثة تعتبر بمثابة المراحل الكبرى التي يقطعها طالب العلم بمدغرة وغيرها من الواحات السجلماسية الأخرى.

2 - القصر مؤسسة سياسية اجتماعية :

يذهب أحد الدارسين أنه قليلا ما تظهر في هذه البنيات الاجتماعية والاقتصادية زعامات تعتمد على الملكية، لأن الأراضي النافعة بهذا الوسط الإيكولوجي لم تكن كافية لتكوين زعامات مبنية على تراكم رأس المال.(56)

---

56) العربي مزين: مذكرات من التراث المغربي، المجلد 4، م. س، ص: 19.

وقد سبق أن استنتجنا أن اقتصـــاد منطقة مدغرة، كان مطبــوعاً على الدوام بالتقشف المستمر لتأثره البالغ بأثر الاضطرابات الاجتماعية سواء تلك التي كـانت تشـهدهـا القصـــور أو المرتبطة بـإحدى الأزمــات الأخــرى كالفــراغ السلطوي، ومــا ينتج عن ذلك من هزات واضطـرابات اجتماعيــة سواء على مستوى القصور بمدغرة أو بين سكـان الواحة وسكان السهوب. سيما إذا تزامن الفـراغ السياسي مع توالي دورات الجفاف الحادة والفيضـــان النهري الـذي كان ينتــاب المنطقة، ومــا يتبع ذلك من أوبئة ومجاعــات. وبالجملــة أزمــات سياسيــة واجتماعيــة مزمنــة، أو عنــدمــا يظهر الصراع بين القــواد المحليين ومشيخات القصور.

كما أن التجارة مــاهي في حقيقة الأمر إلا تجارة عبوريــة، وهذا ينسجم مع هــوية المنطقــة كممر تجاري بين سجلماسة وفــاس خاصــة، ولم يكن بإمكانها أن تخلق دينــاميكية التغيير في الإنتاج ولا أن تخلق فئــة اجتماعية قادرة على أن تأخذ بأسباب التغيير،(57) نتيجة لقلة الموارد التي يوفرها هذا الوسط البيئي. وأيضا نتيجة للتوترات الاجتماعية التي كان يحدثها الصراع والتنافــس على المجالات الحيويــة ومصادر العيــش. وهكذا كانــت الظروف الإقليمية وطبيعة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية تساهم بدورها في خلق فرص مناسبــة للتحالف السياسي بين القصور أحيانــاً وبين المجموعات أو الفئات البشرية المكــونة للهرمية الاجتماعية للقصـــور ذات الروابط اللحمية الدموية أو الوظيفية أحيانا أخرى، وكان يؤدي هذا للإصطدام بين القصور من جهة. ومن جهة أخرى بين المستقريــن والرحل في الظروف الإستثنائية مناخياً وسيــاسياً ويؤدي أيضا إلى ظهور وثبات جماعيــة اجتماعية تتبلور حول شخصيات موهوبة وحول إيديولوجيات دينية شريفة. وهذا ما يشرح – على ما نعتقــد – من جهة ما حظيت به بعض الشخصيــات الشريفة من تقــدير واعتبــار لدى جماعــات القصور، وأيضــا لدى القبــائل المنتشرة على حوافي وادي زيز، لا سيما بالمضايق الجبلية والجهات المحيطة بالمنطقة، ومن جهة أخرى يشرح أسباب وأشكال علاقات التضامن والنزاع بين المجموعات

57) العربي مزين: مذكرات، م. س، مجلد 4، ص: 19.

البشرية المتعايشة داخل القصور، وأيضا بين هذه المؤسسات السكنية السياسية والاجتماعية نفسها.

*** الأسس التنظيمية لمجتمع القصر :**

تتشكل التنظيمات السياسية والاجتماعية عند مجتمعات القصور بمنطقة مدغرة من مجموعة من الاتفاقيات التنظيمية التي يمكن اعتبارها بمثابة شروط وضوابط عرفية تنظم الحياة العامة واليومية للعناصر المتساكنة داخل القصر. وهناك من الباحثين من يرى في هذه الضوابط والأسس التنظيمية سجلاً يؤرخ لمختلف التطورات التاريخية الكبرى التي مرت بها مجتمعات القصور، سواء من خلال العلاقات القائمة بين العناصر البشرية المختلفة المشكلة لمجتمع القصر. باعتباره وحدة سكنية سياسية واجتماعية، مع ما يجاوره من قصور أخرى أو مع القبائل الرحل المجاورة.(58)

ومعلوم أن القصر جاء نتيجة لتكيف السكان وانسجامهم وتفاعلهم الطويل مع الظروف الغير المواتية في الغالب لهذا الوسط الإيكولوجي. وقد أهلت عوامل علاقات التوتر الاجتماعية الناتجة عن قلة الإمكانات والموارد الاقتصادية والتنافس والصراع عليها، القصر ليكون الوحدة السياسية الأساسية الذي تنتظم داخلها حياة المجموعات المتساكنة. هذه الأخيرة التي تلتزم بجملة من الاتفاقيات التنظيمية والشروط التي تقرها «مشيخة أو جماعة القصر» وتطبقها بصرامة وبلا هوادة على كل الفئات المتعايشة داخله. وهذا على – ما نعتقد – ما حدا بأحد الدارسين إلى اعتبار القصر بمثابة جسم مستقل يدير شؤونه الخاصة بمعزل عن كل تأثير خارجي.(59)

والغالب على الظن أن هذه الأسس التنظيمية والشروط كانت تنسجم إلى حد بعيد والمصالح العليا لكل فئة من فئات مجتمع القصر، والقصر بوجه

58) أحمد البوزيدي: درعة، م. س، ج 2 ص: 319.

59) أحمد مزيان: فجيج، م. س، ص: 227.

عـــام. وكلما أحس مجلس «الجماعـــة» أو «المشيخـــة» التي كـــان ينتخب أعضاؤها مـرة كل سنة والمتألفة من ممثلي وأعيان القصر بـرآسة الشيخ - أن هذه الأسس - لم تعد تستجيب لمتطلبات الفئات المكونة للقصر كان يتم تعديلها أحياناً وتجديدها كلية أحيانا أخرى. وهذا ما يؤكد أن هذه الأسس التنظيمية والإتفـاقيات والشروط مـاهي في واقع الأمر إلا حلقـة من حلقات التطور التـاريخي التي كانت تمر بها مجتمعات القصور. ممـا يدل على أن محاولة تمحيص ودراسة هذه الأسس التنظيمية للقصـور خلال فترة زمنية معينـة بإمكـانها الكشف عن حالات الاستقـرار أو التصـدع، وتكشف عن هواجس واهتمامات المجتمع الـواحي المدغري. وهي بالجملة مـذكرات أمينة تبرز حـالات التضامن والنـزاع بين القصـور وبين الفئـات المكونـة لمجتمع القصر الواحـد. وتساعـد الباحث إذا مـا تكاملت الأدوات العلميـة والمنهجية للتحليل والتأويل لرصـد وتتبع أسباب حالات النـزاع والتضامن، سيما إذا علمنا أن الحياة بالواحات بوجـه عام تفرض تجمعات تتعدى القصر الواحد. وتمليها إمـا ضرورة الإستفادة مـن الثروات الاقتصـادية (الماء - الأرض) وإمـا تيسير عمليـة الوصـول إلى مـراكـز التبادل التجـاري مثل الأسـواق والاحتطـاب والرعي في الحريم، وأيضـا للحفـاظ على التوازن المحلي. وهـذه العوامل وغيرهـا تعتبر ضرورة لمحاولة تحديد أشكال التضـامن والنزاع بين القصور، هـذا من جهة. ومن جهة أخرى نعتبر أن هـذه الأسس التنظيمية لمجتمع القصر كانت تستجيب للروابط الدموية بين شرائح مختلف القصور، وهذا ما يشرح التكتلات بين السلالات ولو لم تكن متعايشة بقصر واحد أو قصور متقاربة. ممـا يعني أن القانون العرفي المبني على العلاقـات الدموية كان يوجه إلى حد بعيد أشكال التضامن والنزاع خلال فترات السلم والحرب معاً.

وبالعودة إلى جملة من التنظيمات وشروط اتفاقيات القصور التي كانت تقرهـا الأعراف المحليـة الخاصة بمنطقة مـدغرة ومـا إليها يمكننـا بمجرد إطلالة سريعة عليها، رسم وتتبع الجوانـب الكبرى التي كانت تعالجها هذه الأسس التنظيميـة داخل مجتمع القصر الـواحـد، لتحـديـد وتقنين مـلامح

العلاقات اليومية والعامة للمجموعات البشرية المتعايشة داخل هذه المؤسسة السياسية والاجتماعية، وعليه يمكن الحديث عما يلي :

- الجانب الاجتماعي والاقتصادي :

جدير بنا أن نشير منذ البداية أن أغلب المعلومات التي سوف نوردها حول التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للقصور بمنطقة مدغرة، اعتمدنا فيها على ثلة من اتفاقيات مناطق محاذية وأحياناً جزئية(60) من منطقة مدغرة، محاولين في ذلك كله اعتماد المقارنة والمقاربة وأحيانا التحليل والتأويل لبعض الظواهر والحالات. مدعمين ذلك بما لازالت الحافظة الشعبية المحلية تذكره لحد الآن بخصوص جملة من الاتفاقيات والأسس التنظيمية التي كانت مطبقة بمنطقة مدغرة. والتي تنسجم إلى حد بعيد مع ما عرفه التاريخ الاجتماعي والسياسي للمناطق المشار إليها أعلاه. على أمل أن تكشف الوثائق المحلية استقبالاً عن أسس التنظيمات والاتفاقيات الخاصة بمنطقة مدغرة بوجه خاص ومستقل. هذا وإن كنا نلاحظ من خلال تتبع ملامح العلاقات العامة واليومية للسكان بمدغرة أنه بإمكاننا أن نتصور - على الأقل - جزئياً وأحيانا كليا بعض الملامح لهذه الأسس.

سبق أن رأينا كيف كانت الأعراف المحلية الخاصة بمنطقة مدغرة، وما إليها تؤكد على أهمية وسائل الإنتاج بما في ذلك الأرض والماء وتمنع منعاً كليا انتقال الأرض خارج الأسرة بوجه خاص ومجتمع القصر بوجه عام. ونجدها تضع كل أنواع العراقيل لهذا الإنتقال،(61) ولا يفهم هذا التشبث إلا في إطار التأكيد على أن الأسرة في مستوى أول ومجتمع القصر في مستوى

---

60) نشير في هذا الخصوص إلى المادة العلمية الهامة التي يتضمنها مؤلف الأستاذ العربي مزين حول تافيلالت وخاصة شروط اتفاق قصر الكَاره بمنطقة الرتب. ومقال آخر لنفس الباحث بمجلة هيسبريس تامودا - عدد خاص - يتعلق بشروط اتفاق قصر أيت عثمان بمنطقة مقدمة الخنكَ شمال مدغرة، وأيضا مجموعة من الوثائق الأخرى المختلفة المضامين والخاصة بمناطق مدغرة. تلوين بغريس كَير.

61) فقد كان حق الشفعة يمنع انتقال الأرض خارج الأسرة كما أن التحبيس كان على الأولاد وأولاد الأولاد فقط دون الإناث.

ثـاني هي الوحـدة الإنتـاجية الأسـاسيـة. كما اهتمت بالماء وقسمتـه بين السكان عن طريق «النوبة» وأمـداد الزريعة وحسب عظام القصر الواحد أو مجموعة قصور.(62) ولم تتورع في إنـزال أقسى العقوبـات بكل من تخلف عن الأعمال الجماعية المفروضة الذي كان يجسـدها مثلا «فريس الساقية» أي كنس السواقي... وغني عن البيان أن مشكلة قلة الماء كانت تزداد خلال الحالات الاستثنائية منـاخياً وسياسيا، مما كـان يعمل على تفجير مجموعة من التـوترات الإجتماعية داخل القصر أوبين مجمـوعة من القصـور، حيث كان الأهـالي يتسابقون للفـوز بالأسبقية بـه، لا سيما خلال الفصل الحار الجاف. حيث تنضب الميـاه الجاريـة، وتتأثر الفـرشـة المائية الجوفيـة. أو خـلال الفصل الممطـر حيث يكون النـزاع على أشـده للاستفـادة من ميـاه الفيض. وغـالباً مـا كان ينتج عن هـذه الأوضاع تـوترات اجتماعيـة حادة تنعكس بجلاء تـام على الاستقرار والتوازن داخل مؤسســة القصر. وأحياناً أخرى بين مجمـوعة من القصـور، حيث كانت تعوض التحـالفات القـديمة بأخرى جديدة يغذيها المستجد وتعصف بروح التسـاكن السلمي الذي كان يطبع بـالأمس علاقـات الفئات المتساكنـة، ويدفعهم إلى البحث عـن أنصار وحلفاء في إطـار نوع من التقسيمات الأسريـة والدمويـة، وأحيانـاً المصلحة المشتركـة. مما يعني أن مشكلـة قلـة الماء وإشكاليـة تـوزيعه بين الفئـات البشرية المتسـاكنة داخل القصر الواحـد. وتهافت هذه الأخيرة عليـه كان لا يعصف بروح التسـاكـن السلمي على مستوى القصر الواحد، بل إنـه أحياناً يحول المنطقة بـرمتها رحـلاً ومستقرين إلى قطعة مـن جهنم، وذلك نتيجة للصراعات الدموية الحادة والمزمنة المترتبـة عن أثر الظروف المحلية وطبيعة العـلاقات الاقتصـادية والاجتماعيـة، ومشكـلات الجفاف واختـلاف أنماط العيش، سيما إذا تـزامن هـذا مع الصعـوبـة السياسيـة ومـا يتبعهـا من اضطرابات وهـزات اجتماعية. مما يؤكـد أن التسـاكن السلمي بين مجموع الفئـات بالمنطقـة سـواء داخل أسوار القصر الـواحـد، أو بين مجموعـة من

62) لمزيد من التأكد والتحقق يكفي الرجوع إلى الجدول الخاص بالسواقي والقصور المستفيدة منها. انظر الباب الثالث، الفصل الأول.

القصور، أو بين الرحل والمستقرين كان جاثما على فوهة بركان. يتأثر بالأزمات سياسياً ومناخياً، ويجعل قابليته للإجهاض والتوقف أكثر من قابليته للإخصاب والتطور. وهذا ما يشرح أهمية وخطورة الأدوار التي كانت تناط بمشيخات القصور من جهة، ومن جهة أخرى يشرح لماذا كانت مجتمعات القصور تلتف حول شخصيات دينية روحية شريفة، ممن كانت لها مكانة تقديرية اعتبارية لدى مجتمعات القصور ولدى القبائل المجاورة.

كما نظمت الأعراف المحلية الأمور المتعلقة بالغابة وبالدورة الزراعية.(63) وسعياً وراء الحفاظ على لحمة تماسك الفئات داخل القصر، والاستفادة معا من الإمكانات الاقتصادية التي يوفرها كل قصر، كانت الأعراف المحلية صارمة إزاء كل فرد أو جماعة حاولت الإنتفاع من مؤسسات قصور أخرى.(64) وهكذا يظهر أن الأسس التنظيمية الخاصة بالمزارع كانت الجماعة الكلية لمدغرة تتوخى منها امتصاص أسباب التوترات الاجتماعية التي بإمكانها أن تعصف بروح التساكن السلمي بين فئات مجتمع القصر وتحقيقاً للتوازن الاجتماعي.

أما على المستوى الاجتماعي فقد عملت الأعراف المحلية على تنظيم العلاقات العامة واليومية بين الفئات المتساكنة داخل القصور، وذلك من خلال توزيع نطاقات السكن الخاصة بكل سلالة أو فئة. ونظام بناء الأزقة من حيث مداخلها ومخارجها بدقة متناهية.(65) كما منعت كلية كل ما من شأنه أن يؤدي إلى نزاع الأفراد كالتغوط أو التبول داخل أسوار القصر، أو وضع الحجر والأخشاب والأوتاد داخل الأزقة. ونظمت الأعمال الجماعية المفروضة ككنس السواقي وبناء أسوار وأبراج القصر. ويظهر من بعض الشروط التي كانت تقرها «الجماعة» أنها كانت تحاول الحفاظ على التوازن داخل القصر وتحقيقاً للتضامن الداخلي، ليس فقط بين الفئات المتعايشة

---

63) سبق أن عالجناها في الباب الثالث الفصل الثاني.

64) ويظهر ذلك من أن كل من طحن زيتونه خارج معصرة القصر، فإن الجماعة كانت تطرده انظر:
Mezzine (L): taqquit de Ait Atman, op cit, p: 106.
الشرط 92.

65) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

داخل القصر، بل وأيضا مع أهل الصنائع الذين كانوا يترددون على القصور بين الفينة والأخرى. هذا طبعا إذا لم يكونـوا من مكوناته المجتمعية. وكذلك مع الرحـل الذين كانـوا يختلفون على القصـور للتزود بـالماء أو للتبادل في الأسواق، أو أثنـاء مرورهم بحـريم المنطقة. لأن وظيفـة المنطقة العبـورية كانت تبيح استعمال حـريمها. فقـد جاء في الشرط 90 من اتفاق قصر أيت عثمان ما يلي: «فـإن سكنوا – أي سكن – الـرحالة فيما نهوا عنـه فعليهم النصـاف،(66) ومن ضربهم بلا إذن الشيخ من أجل السرحـة قرب البلد كما ذكر فيعطي ريالين».(67)

– الجانب السياسي والعرفي :

سبق أن أشرنا أثنـاء حديثنا عن مـورفولوجية السكن بمـدغرة(68) أن جماعة القصر كـانت تفرض على كل السكـان بمختلف فئاتهم المشـاركة في بناء التحصينات كـالأبراج والأسوار والمؤسسات الـدينية والإنتاجية العـامة (المسـجد – الفندق المعصرة....).(69) وسعياً وراء تحقيق الأمن داخل القصر، فقد كانت «المشيخة» أو الجماعة تكلف بالتناوب ساكنة القصر حراسة بابه بالليل والنهار لا سيما وقت الفتنـة. فقد جاء في الشرط 26 من اتفاق قصر الكَـارة ما يلي: «وأما وقت فالفتنة فالحكم في العسة للشيخ، وإن امتنع أحد يعطي عشرة مثاقيل ويعس».(70) وأقرت مجموعة من الإجـراءات الزجرية لمحاربة السرقة والتعدي أو الإضرار بالجار وتحقيق الهدوء داخل القصر مع ضرورة الحفاظ على حرمة المسجـد والمقبرة (المدينة)، من خلال منع التبول والتغوط داخل الأولى، والرعي داخل الثانيـة. وعلاوة على ذلك كانت تعاقب بصرامة كل ما من شـأنه أن يضر بسمعة وأخلاقيات القصر كفعل الفاحشة مثلا. ومع كل هذا، فقـد كانت مشيخات القصـور محترمـة وموقرة الجانب

66) النصاف يعني العقاب أو الجزاء.

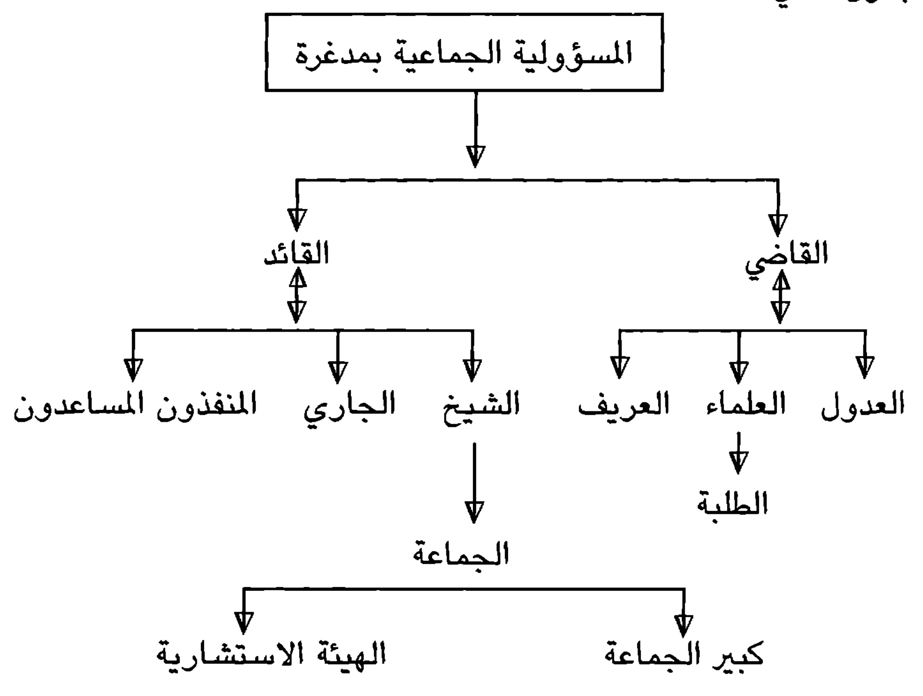
Mezzine (L): taqquit de Ait Atman, op cit, p: 106. (67

68) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

69) مع ملاحظة أن المعصرة لا تتوفر في كل قصور مدغرة، بل يقتصر وجودها على بعضها فقط.

Mezzine (L): le tafilalet, op cit, p: 140. (70

من خلال زجر كل من أهان مجلس «الجماعة» أو الشيخ أو الهيئة الروحية والدينية والتعليمية (الإمام - الدرار - المؤذن...). وإذا كانت هذه الهيئة العرفية (مجلس الجماعة) بإمكانها أن تبث في الخلافات والخصومات التي كانت تقوم بين المجموعات المتساكنة داخل القصر الواحد. فإن الهيئة الشرعية (القاضي) تبث في البيوع والأشرية، والخلافات التي تقوم بين قصور الواحة برمتها. وقد سبق أن استنتجنا أن أحكام قاضي مدغرة، كانت سارية على مجموع قصورها، بل وأيضا على المناطق التابعة لها من الناحية الشرعية.(71) وجدير بالإشارة أن القضاة نوعان: قضاة المدن وقضاة الأحواز. وقد كان قاضي مدغرة كما هو الحال بالنسبة لقضاة تافيلالت وسوس ودرعة من صنف قضاة المدن، وذلك راجع للنفوذ الروحي والعلمي لهذه المناطق. بينما كان قاضي جبالة من صنف قضاة الأحواز. ولتوضيح واقع المسؤولية الجماعية للجماعة الكلية بمدغرة نقف قليلا عند الجدول التالي :



71) انظر الباب الثالث الفصل الأول.

وهكذا يبدو هذا النسق التنظيمي الذي يتخذه مجتمع القصر على مستويات مختلفة أنه ينسجم إلى حد كبير مع انشغالات المشيخات لتسييج وحل الأزمات التي كانت تعصف بروح التساكن السلمي بين الفئات المكونة للقصر في علاقاتها مع غيرها من القصور الأخرى. وكذلك مع الرحل. ويمكن اعتبار هذه الشروط والاتفاقيات بمثابة مؤشر يكشف أبرز وأهم المعضلات التي كانت تشكو منها الفئات المتساكنة داخل هذه القصور السكنية من تنافس على الزعامة والنفوذ، وعلى كمية الماء الجماعي المخصص لكل قصر، والتهافت على الأرض والمحتطب والمرعى وغيرها من المصالح الاقتصادية الحيوية. ولكن هناك ملاحظة أساسية في هذا المضمار وهو أن هذه الأسس التنظيمية كانت تجسد إلى حد ما نوعاً من الفروق الموجودة بين الفئات المكونة للقصر وللواحة. فنجد أن جملة من الأسس التنظيمية كانت تستجيب لفئة معينة دون غيرها، مما كان يعرض هذه الأسس أحياناً إلى التعديل الجزئي وأحياناً الكلي حفاظاً على التوازن الذي يستمد منه القصر وجوده ككيان قائم بذاته. مما كان يوجه إلى حد ما التاريخ الاجتماعي لمنطقة مدغرة.

3 – بعض مظاهر علاقات النزاع والتضامن بين قصور مدغرة :

لقد حاولنا أن نواكب من خلال ما استطعنا جمعه من مادة علمية لرصد وتتبع أشكال التضامن والنزاع على مستوى القصر الواحد أو بين مجموعة من القصور. ومع الأسف الشديد لم تسعفنا المادة العلمية إلا بالنزر القليل. هذا وإن كانت مظان الوثائق المحلية الخاصة بمنطقة مدغرة وما تحتفظ به الذاكرة الشعبية المحلية لحد الآن من معلومات قيمة تقرب الباحث من التاريخ الاجتماعي لمنطقة مدغرة. والغالب على الظن أن الصعوبة الكبيرة التي تكتنف مسألة محاولة التأريخ لأنواع العلاقات الاجتماعية لقصور مدغرة من خلال أشكال النزاع والتضامن بين القصور بحقل دراستنا، ترجع إلى أن منطقة مدغرة رغم مكانتها المحورية في ربط الاتصال والتواصل في طريق سجلماسة فاس. ورغم أهميتها في بلورة

العديد من المشاريع التاريخية الكبرى التي طبعت مرحلة العصر الحديث، ورغم أهميتها كمركز فكري وعلمي معطاء، فقد أهملها المؤرخون مقارنة مع اهتمامهم بجهات أخرى - كما فعل محمد المختار السوسي بالنسبة لإقليم سوس، ومثل اهتمام الشيخ محمد داود بغمارة - وأيضا لأن المؤرخين المغاربة غالباً ما كانوا يوجهون عنايتهم للمراكز الحضرية الكبرى، وإلى الوقائع الحربية والتقلبات السياسية، ويغضون الطرف عن المراكز القروية مهما بلغ شأوها، اللهم إلا إذا تعلق الأمر بثورة أمير أو جفاف حاد أو سيل جارف أو التعرض لوفاة عالم أو الحديث عن داعية سياسية، حينذاك تشير إلى موطنه وأصله، وهذا ما يمكن أن نلاحظه - وعلى سبيل المثال لا الحصر فقط - عندما تتطرق كتب التراجم والمناقب وأحياناً كتب الرحلات والجغرافية والتأليف الإخبارية لأعيان رجال العلم والفكر والصلاح. سواء أولئك الذين اضطرتهم ظروفهم الخاصة إلى الظهور خارج منطقة مدغرة، أو أولئك الذين ظلوا مرتبطين بها، وساهموا بشكل فعال في توجيه التاريخ السياسي والاجتماعي والديني للمنطقة. وهذا ما يؤكد في الواقع صعوبة الوقوف على التاريخ الاجتماعي لمنطقة مدغرة خلال مرحلة الدراسة، سيما إذا ما أبدى الباحث نوعاً من الفضول العلمي الحثيث للكشف عن خبايا هذا اللون من التاريخ، وذلك تفادياً لكل إسقاط مستمد من مناطق واحية أخرى قريبة من حقل الدراسة. وهذا ما دفعنا إلى جمع ما أمكن التوصل إليه من الإشارات الواردة في المصادر والمراجع على اختلاف مشاربها، وما تتضمنه الوثائق المحلية المخطوطة من معلومات قيمة. مدعومة بما لازالت الذاكرة الشعبية المحلية تحتفظ به لحد الآن.

لقد كانت أشكال النزاع والتضامن التي كانت تقوم بين القصور بمدغرة تتميز بتشابكها وتعقدها، وذلك لاختلاف الظروف والمصالح. وقد سبق أن استنتجنا أن الرابطة الدموية والمصالح المشتركة كانت تفجر بين الفينة والأخرى مجموعة من النزاعات التي غالباً ما كانت تأتي على التوازن الذي يستمد القصر منه وجوده واستمراره، كوحدة سياسية اجتماعية تنتظم داخله حياة الأفراد والمجموعات. مما كان يفرض على القصر أن لا يعيش

داخل الـواحة بشكل منفـرد، بل تتضامن من مجمـوعة من القصـور، لأن الحياة بـالواحـات تكون مطبـوعة بشكل يكـاد يكون دائما بهيمنـة العنف وعلاقات التـوتر الاجتماعي الناتجة عن قلة الإمكانـات والموارد الاقتصادية والصراع والتهـافت عليهـا. ممـا يفرض تجمعـات تتعـدى القصر وتمليهـا ضرورات الاستفادة من المصـادر المائية، وولـوج أماكن التبـادل التجاري، وأيضـا للحفـاظ على التـوازن المحلي، وتتحكم في ذلـك الـروابط السـلاليـة والمصـالح المشتركة. وهـذا ما حملنـا – في الغالب – على عـدم الفصل بين أشكال النـزاع والتضامن بين مجموع الفئـات المكونة للقصر الـواحد أو بين مجموعة من القصور رغم أن الضرورة المنهجية تقتضيه أحيانا.

أ – علاقات النزاع :

بعد فحص دقيق لمختلف المعلومات التي تؤرخ لأشكال النزاع والتضامن سواء على مستـوى القصر الواحد أو بين مجمـوعة من القصـور، والمستقاة بالأساس من مجموعة من الوثائق المحلية الخاصة بمنطقة مدغرة(72) يتبين أنها لا تذكـر أسباب التـوترات الاجتماعية التي تشير إليهـا هذه الـوثائق، وإنما تكتفي بالإشـارة فقط إلى أن الفئة الفلانية غـادرت القصر واستقرت بالقصر الفلاني، أو أنه اندلع القتـال بين القصر الفلاني وأهل مدغرة ومات كـذا وكذا. هـذا وإن كانـت الروايـة الشفويـة تـذكر بعض تلك الأسبـاب. ولتقريب هذا الواقع نقف قليلاً عنـد بعض تلك الإشارات التي تؤرخ لجملة من النـزاعات التي كـانت تقـوم بين القصور أو بين فئـات القصر الواحـد. محاولين مع كل هذا وذاك الـوقوف على بعض تلك الأسبـاب – افتراضاً – التي كانت تعصف بروح التساكن السلمي، الذي كان يطبع علاقات الفئات المجتمعية للقصر الـواحد، أو بين مجمـوعة من القصـور والتوازن الإقليمي والمحلي للمنطقة برمتها. فقد جاء في إحدى الوثائق مايلي: «... وذكر من أثق به وأعتمـد عليه أن القتـال الأول بين الشرفاء آل مـدغرة كـان في شـهر ذي

72) توجـد هذه الوثائق بـالخزانة العلمية الهامة لأستـاذنا المشرف مولاي هاشم العلـوي القاسمي. وسنثبت نسخا منها بالملحق الوثائقي الخاص.

الحجة متم عام 1290هـ والثاني في شعبان عام 1301هـ ومات في الأول ما يزيد على الثلاثين وفي الثـاني ما يزيد على العشرين...».(73) وجاء في وثيقة أخرى مـا نصه: «الحمد للـه وفي سنة 1323هـ عشية يـوم الأحد 28 ربيع الثاني ابتدأ القتـال بين أهل سيدي أبو عبد اللـه وشيعتهم وهم أهل أسرير والنصف من القصر الدخلاني وأهل مدغرة، ومات في تلك العشية اثنان من أهل سيدي أبو عبد الله وأربعـة من أهل مدغرة. اثنان، منهم شيخ قبيلتهم وهو مـولاي المهدي بن هاشم من بلد الحبس – يعني الحيبـوس – والآخر منه أيضا، واثنان من القصر البراني...».(74)

وبناء على هذين الرسمين اللذان يؤرخان لبعض أشكال النزاع والمواجهة الدموية بين بعض قصور مدغرة يمكن أن نسجل الملاحظات التالية :

1 – إذا ما حاولنا أن نضع هذه المواجهات الدموية التي كانت تقوم بين بعض قصور مدغرة في سياقها التاريخي العـام، ونوطنها جغرافياً بمدغرة، فإنه يمكن أن نحددهـا زمانياً، وبناء على ما جاء في هذه الـوثائق من نهاية النصف الأول من العقد الثـامن من القرن 19م – لأن سنة 1290هـ التي تؤرخ للصراع الأول توافق 1873م – إلى نهاية النصف الأول من العقد الأول من القرن 20م – لأن سنة 1323هـ التي تؤرخ للنـزاع الثاني حسب هذه الوثائق توافق 1905م – هذا من جهة. ومن جهة أخرى يمكن كذلك تحديد العناصر الفاعلة في هذا النزاع من خلال جرد مختلف القصور المساهمة فيه. مما قد يساعد الباحث على تحديد بؤر التوتر بالمنطقة والقيادات المحلية التي كانـت تتنافس فيما بينهـا. وغالبـاً ما كان هـذا التنافـس يتحول إلى صراع دمـوي داخلي حـاد. سيما عندمـا تتضـارب الآراء، وتتبـاين المصـالح بين الطرفين، للاستحواد على الموارد الاقتصـادية (الماء – الأرض) أو لأخذ الثأر أو اعتراض القوافل التجارية، وهذا هو الراجح.

وبالعـودة إلى أسماء القصور التـي احتدم بينها النـزاع نلاحـظ أن هذا الصراع الدموي قام بين قصر سيدي أبـو عبد الله ومن يدور في فلكه كأهل

73) انظر الوثيقة رقم: 48 بالملحق الخاص بالوثائق.

74) انظر الوثيقة رقم: 46 – 51 بالملحق الوثائقي الخاص.

أسرير والنصف من القصر الدخلاني وبين أهل مدغرة. مع العلم أن محاولة القيام بتحديد مواضع هذه القصور بمدغرة يبين بجلاء تام أن الصراع كان محتدماً بين قصور مدغرة السفلى والوسطى. وأن هذا الصراع كانت تتزعمه القصور الجاثمة على الضفة اليمنى من وادي زيز بمدغرة بقسميها الأوسط والأسفل، وأن قصور الضفة الأخرى لم تكن إلا شيعة لأطراف النزاع. وهذا ما تؤكـده الوثائق رقم 46 – 51 عندمـا أشارت إلى هـذا النزاع، ووضعت قصر سيـدي أبـو عبد اللـه وشيعتـه من أهل أسريـر والنصف من القصر الدخلاني كطـرف أول، وأهل مدغرة كطرف ثاني. هـذا وإن كنا نلاحظ أن الوثيقـة لم توضح معنى مصطلح أهل مدغـرة. إلا أن الغالب على الظن أن المقصـود بأهل مـدغـرة هي مشيخـات القصـور التي كـانت تسير الإقليم المدغري قبل ظهور الأهميـة السياسية والإدارية لقصر سيدي أبـو عبد الله مع نهايـة القرن 19م ومطلـع ق 20م. وذلك اعتماداً على إحـدى الوثـائق المحليـة التي تشير إلى أن ممثل السلطان مـولاي عبـد الرحمان بن هشـام العلوي كـان يوزع الصـلات على شرفاء مـدغرة انطـلاقاً مـن هذا القصر. وأيضا من خـلال مورفـولوجيـة البناء السكني لهذا القصر.(75) وكل هذه القرائن التـاريخية وغيرهـا بإمكانها أن تقرب البـاحث من معرفـة أسباب الخلاف الذي تحول إلى مـواجهة دمويـة، سيما وأن الصراع زامن فترة هذا التحول. أي تحول الـزعامة السياسيـة والإدارية من قصر تاوريـرت الذي كان خلال مرحلة حكم الأشراف السعديين محل عمال ملوكهم(76) إلى قصر سيدي أبو عبـد الله خلال العهد العلوي المتأخـر، لا سيما مع نهاية القرن 19م ومطلع القرن 20م. كما يمكن أن نفسر النـزاع الذي انـدلع بين القصر الدخلاني وقصر سيدي أبو عبد اللـه، والمؤرخ حسب إحدى الوثائق المحلية الأخرى(77) بسنة 1323هـ على أساس حرمـان شرفاء القصر الدخلاني من حقهم في الصـلات، التي كان يبعث بها سـلاطين الـدولة العلـوية لشرفـاء

---

75) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

76) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م. س، ص: 70.

77) انظر الوثيقة رقم: 46 بالملحق الوثائقي الخاص.

مدغـرة. ومعلوم أن هذه الصـلات كـانت توزع بقصر سيدي أبو عبـد الله. وذلك في سياق الاتهامـات المتبادلـة بين شرفاء هـذين القصرين بخصوص صحة انتسابهم للبيت العلـوي والنسب الحسني. كما يمكن أن نفسر كذلك هذه المسألة أيضا على أساس حرمان أهل القصر الدخلاني من حصتهم من الزطاطة المستخلصة من القوافل العـابرة لمدغرة. سيما وأن القوافل كانت في المراحل المتأخـرة تتـوقف بقصر سيـدي أبـو عبـد اللـه حسـب روايـة لوطورنو(78) ومن جهـة ثـالثـة يمكن أن نفسر المسألـة بـالأخـذ بثأر قتلى القصرين. وهذا مـا يستبعد تفسير أسباب هـذا النزاع على أسـاس التنافس على الماء، كما تذكـر ذلك الحافظة الشعبية المحليـة، سيما إذا علمنا أن قصر سيدي أبو عبد الله والقصر الـدخلاني لا يشتركان لسقي مزارع غابتهما في ساقية واحدة.(79)

2 – يظهـر من خلال فحص بعض الـوثـائق المحلية الأخـرى(80) التي تؤرخ للصراع الذي قام بين قصر أيت مسعود والقصر الدخلاني خلال سنة 1290هـ الموافق لسنة 1873م أن الرابطة الدموية كانت تتحكم إلى حد بعيد في تغذية هذا الصراع. فقـد جاء في الوثيقة أعلاه ما يلي: «الحمـد لله وجدت بخط عمنـا الفقيه ما نصـه: وقع الخلاف بين القصر الدخـلاني وأهل أيت مسعـود واستنجد الأولين – أي الأولـون – بأهل تعـرمت والآخـرين بأبي حامد – أي أهل بوحامد – ومات من الفريقين نحو 28 رجلا ونحو الستين من الجرحى، وذكر من مات من كل قصر...».(81)

إن التدقيق في سـاكنة القصـور التي اندلع بينها هـذا الصراع يؤكـد ما ذهبنـا إليه أعـلاه، أن الـرابطـة الدمـويـة كانت تفعـل فعلها في مثل هـذه الصراعات التي تنشب بين القصور. فقد اندلع الصراع بين القصر الدخلاني وقصر أيت مسعود في مرحلته الأولى، قبل أن يمتد إلى قصور أخرى خاصة

78) روجي لوطورنو: فاس قبل الحماية، م. س، ج ص.

79) انظر الجدول الخاص بالسواقي والقصور المستفيدة منها في الباب الثالث الفصل الأول.

80) توجـد هذه الوثيقة بـالخزانة العلمية الهامة لأستـاذنا المشرف مولاي هاشم العلـوي القاسمي، وسنثبت نسخة منها بالملحق الوثائقي الخاص.

81) انظر الوثيقة رقم: 48 في الملحق الخاص بالوثائق.

تلك التي تربطها بشرفاء القصرين العلاقات الدموية، أي قبل أن يبحث كل قصر عن عصبيته السلالية. وقد سبق أن رأينا كيف أن قصر أيت مسعود كانت تسكنه أسرة آل بوحامد، وذلك بناء على التصنيف الذي أدرجناه في الفصل الخاص بالشرفاء(82) فقد كانت أسرة آل بوحامد موجودة بكل من قصور: قصبة تازناقت والقصر البراني وقصر أيت مسعود وأزمور وبقصر لغروس والعمارنة وتاركَة.(83) كما أن القصر الدخلاني كانت تتكون غالبية سكانه من شرفاء أسرة أهل تعرمت التي لم تقتصر فقط على السكن بهذا القصر، بل وجدت كذلك بكل من قصور: القصبتان القديمة والجديدة وقصر الحيبوس وزاوية مديونة سيدي بن لحسن وبتطاف وقصر سيدي أبو عبد الله.(84) لهذا لا غرو إذا وجدنا شرفاء قصر أيت مسعود يستنجدون حسب ما تشير إليه الوثيقة أعلاه بشرفاء آل بوحامد أنى كانوا وحيثما وجدوا، ولا يستبعد في هذا الصدد أن تكون جل أو كل القصور التي توجد بها أسرة آل بوحامد قد ناصرت بني عمومتهم الموجودة بقصر أيت مسعود، والعكس لا يعدو إلا أن يكون صحيحاً بالنسبة لأسرة أهل تعرمت بالقصر الدخلاني. وهذا ما تؤكده الوثيقة عندما أشارت إلى أن الأولين – أي أهل القصر الدخلاني – استنجدوا بأهل تعرمت والأخيرين – أي أهل قصر أيت مسعود – استنجدوا بأهل بوحامد(85) لأن العصبية واللحمة السلالية كانت تجمعهم ضد غيرهم حتى ولو تعلق الأمر ببني عمهم، سيما إذا علمنا أن الأسر الشريفة الثلاثة التي انتقلت إلى مدغرة مع فجر العصر الحديث تجمعها وحدة الأرومة فهم جميعاً أبناء مولاي الحسن ابن يوسف بن علي الشريف السجلماسي. فهي تنحدر من جد واحد، وإن اختلفوا في مواطن الاستقرار.(86) وهذا على العموم يوافق ما ذكره ابن خلدون بخصوص العصبية الخاصة والعامة. قال: «اعلم أن كل حي أو

---

82) انظر الباب الثاني الفصل الرابع.

83) انظر الباب الثاني الفصل الرابع.

84) انظر الباب الثاني الفصل الرابع.

85) انظر الوثيقة رقم: 48 في ملحق الوثائق الخاص.

86) انظر الباب الثاني الفصل الرابع.

بطن من القبائل وإن كانوا عصابة – أي عصبة – واحدة لنسبهم العام، ففيهم أيضا عصبيات أخرى لأنساب خاصة هي أشد إلتحاماً من النسب العام لهم مثل عشير واحد أو أهل بيت واحد أو إخوة بني أب واحد لا مثل بني العم الأقربين أو الأبعدين... إلا أنها في النسب الخاص أشد لقرب اللحمة والرياسة فيهم أنما تكون في نصاب واحد ولا تكون في الكل...».(87)

وهذا يدل أن نظرة ابن خلدون إلى أصناف العصبيات من حيث وجود الخاص والعام أنها ظاهرة عامة بنظام البدو في مجموع العالم العربي – أي أنها لا تخص منطقة مدغرة فقط –. والأكيد أنها استمرت سارية المفعول، وظهرت بشكل بَـيِّـنْ عندما انفجر الصراع بين شرفاء قصر أيت مسعود وشرفاء القصر الدخلاني الأمر الذي اضطر معه كل قصر إلى تكوين تحالف أسروي لحمي للدفاع عن العصبية الخاصة والمصالح المشتركة.

وجدير بنا أن نشير وبناء على ما تذكره هذه الوثائق التي تؤرخ لهذه الصراعات، أن النزاع اقتصر فقط عل أسرة آل بوحامد وأسرة أهل تعرمت بينما لا نجد ذكراً لأسرة آل حم داوود ولا إلى مساهمتها فيه أو الاستنجاد بالقصور التي كانت تقطنها هذه الأسرة والتي سبق أن حددناها في قصور: القصر الجديد – قلعة تاوريرت – زاوية تاوريرت – الحوش – زاوية مولاي البكري – قصر بني موسى وقصر كَـر أو الكَـاز وجاوز.(88) وهذا على – ما نعتقد – مرتبط من جهة بطبيعة هذه الأسرة المسالمة المهادنة، وهو ما تشرحه وتؤكده الوظائف التي استأثروا بها في منطقة مدغرة من خلال الاهتمام بالأمور الدينية والعلمية وأحياناً الصوفية، وعلى العموم توجه نحو الروحانيات والابتعاد عن الخوض في الأمور السياسية. ويظهر ذلك من خلال أن أهم وأبرز زوايا المنطقة كانت من تأسيس هذه الأسرة. كما أن أغلب رجال العلم والصلاح سواء أولئك الذين ظهروا بمدغرة أو خارجها ينتمون لهذه الأسرة، وأيضا اهتمامها بإصلاح ذات البين ولم الشمل. وقد

---

87) ابن خلدون: المقدمة، م. س، ص: 164 خاصة فصل: الرياسة لا تزال في نصابها المخصوص من أهل العصبية.

88) انظر الباب الثاني الفصل الرابع.

سبق أن أشرنـا كيف أن أولاد مـولاي عبـد الله بن علي بـن طاهـر وأبنـاء عمـومتهم أهل القصر الجديـد استمـروا يتوارثـون إصــلاح ذات البين بين القبائل حتى مطلـع القرن 20م، وذلك بنـاء على ما جـاء في إحدى الـوثائق المحلية الخاصة بمنطقة أيت عثمان.(89) وهذا ما تؤكـده كذلك الوثيقة التي تؤرخ للصراع الـذي اندلع بين قصر أيت مسعود والقصر الـدخلاني. إذ أن الشرفاء الذيـن أصلحوا بين الفريقين ينتمون لهذه الأسرة، فقـد جاء في هذه الـوثيقة مـا يلي: «... ثم قـال ووقع الصلح عشية يـوم الخميس 18 ربيع الثاني عام 1291هـ على يد الشريف الولي سيدي مولاي المهدي بن علي(90) والشيخ سيدي محمد العربي(91) في فم سيدي أبو عبد الله في أنذرهم جنب الرجم الشرقي قبـالة البرج المشرقي ناحية الفضــاء، وذلك هو سبب وضع ذلك الرجم بحضور قبائل وجماعة لا تحصـى».(92) وهذا ما يؤكد ما ذهبنا إليه سابقـاً من أن أسرة آل حم داوود ظلت على مر تاريخها زاهـدة ناسكة مهادنـة مهتمة بالأمـور الدينية والعلميـة، مما بوأهـا مكانة أقطـاب زمانها ورجالات وقتهـا. إذ اهتم أفـرادها بالخطـابة والفتـوى والإمامـة، ومختلف العلوم الشرعيـة والدينية. مما بـوأهم مكانة خـاصة وتقدير اعتبـاريا كبير بمدغـرة وما إليها من المنـاطق الأخرى المحاذية لها، وهـذا ما يؤكـد أهمية الأسرة في الحفاظ على التـوازن داخل قصـور مدغرة وخـارجها مـن خلال إصــلاح ذات البين بين المتنـازعين. ممـا يعني أن هـذه الأسرة كـانت تمثل الواجهة الـروحية والعلمية لمدغرة، وجـدير بالإشارة حسـب رواية الأستاذ مولاي هـاشم العلوي القـاسمي أن التهامي المدغـري الذي ينشـد الملحون خرج من مدغرة خلال هذه الفتنة.

---

89) Mezzine (L): taqquit de Ait Atman, op cit, p: 107.

90) لم تسعفنا المحاولات الاستقصائية لإيجاد ترجمة خـاصة بهذه الشخصية وعليه يبقى التعريف بـه بـاعتباره شخصية سـاهمت في إصلاح ذات البين بين قصر أيت مسعود والقصر الـدخلاني أمرا قد تكشف عنـه الوثائق المحلية استقبالا. وكل مـا يمكن قوله أنه من شرفـاء الديار الجداد ومدفون بضريح سيدي محمد السيد.

91) انظر ترجمته في الباب الرابع الفصل الثاني.

92) انظر الوثيقة رقم: 48 بالملحق الوثائقي الخاص.

3 – لقد كـان للحروب الـدموية التي كـانت تنشب بين قصور مـدغرة الأثر البالغ على استمرار بعض المنشآت التجاريـة كالأسواق مثلا. فقد كان مـوضع السـوق يتغير تبعـاً لتطور الظـروف. ممـا يـدل على أن مـواضع الأسواق بمدغرة كان يتأثر إلى حد بعيد بالنزاعات التي تنشب بين القصور بمدغرة. فعلى إثر النزاع الذي اندلع بين شرفاء مدغرة خلال سنة 1301هـ: «بني السوق الذي بين سيدي أبـو عبد الله وتيطاف».(93) وتضيف الوثيقة أنه على إثر النزاع الذي تجدد بين قصر سيدي أبو عبد الله ومن في شيعتهم من أهل أسرير والنصف من القصر الـدخلاني ضد أهل مدغـرة خلال سنة 1323هـ: «حُـوِّلَ السوق من الموضـع المذكور إلى السوق القديم بين تيطاف وأولاد امحمد».(94) مما يحمـل على الاعتقاد أن هذه القصـور لا سيما تلك التي كانت تحتضن هذه المؤسسة التجارية كانت تستعملها كأداة للحصار الاقتصادي لا سيما خـلال فترات الحرب وبوجـه خاص ضـد خصومهـا، وكأداة للضغط للحصـول على مكتسبـات أخـرى بما في ذلك عقـد الهدنـة وبالشروط المسبقـة. وإذا كان السوق يعكس بشكل أو بـآخر نموذجـاًحيا لعـلاقـات النـزاع بين القصـور، من حيث منع سكـان القصر الفـلاني من الاتجار في سوق القصر الفلاني، أو القريب من مجاله لا سيما خلال فترات الصعوبـة السياسيـة، فإن السوق لـه وجه ثـاني يترجم نوعـاً من الوئام والتآخي والتضـامن بين القصور أو إعـادة الوئام والتضـامن بعد مـرحلة الحرب والاقتتال. وفي هـذا الصدد نشير واعتماداً على إحـدى هذه الـوثائق المحليـة أنه على إثـر «الصلح الـذي وقع بين أهل تعـرمت حـولوا السـوق المذكور من الموضـع الذي تحول إليه – أي بين قصري تيطاف وأولاد امحمد – إلى الموضـع المسمى الدباز الذي بين سيدي أبـو عبد الله والسوق المهدوم وبدأوا بركزه صبيحة يوم السبت 13 وزعموا يوم الخميس 19 ربيع النبوي عام 1334».(95) ممـا يعني أن مكان السـوق بمـدغـرة يعكس نوع المنـاخ

---

93) انظر الوثيقة رقم: 48 بالملحق الوثائقي الخاص.

94) انظر الوثيقة رقم: 48 بالملحق الخاص بالوثائق.

95) انظر الوثيقة رقم: 48 بالملحق الخاص بالوثائق.

السياسي العام الذي يطبع العلاقـات المختلفة بين القصور، وينبني على هذا الاستنتاج استنتاج آخر، بناء على ما جـاء في الوثيقة المنصوص عليها أعلاه أن الأسواق بمدغرة كانت ثابتة أي مبنية. وحجتنا في ذلك ما جاء في الوثيقة أعلاه. قال: «وبدأوا بركزه صبيحة يوم السبت 13 وزعموا يوم الخميس 19 ربيع النبـوي عام 1334».(96) وهـذا ما يضفي على المنطقـة ميزة أخـرى، وينسجم إلى حد بعيـد مع طبيعة الاستقـرار المدني ولا يخضع السوق كما نجد ذلك في مناطق مغـربية أخرى لتحركات القبائل وبـالتالي وجود سوق الصيف وسوق الشتاء.(97) ويعني هذا من جهة ثالثـة أن سوق سيدي أبو عبد الله بني مـرتين على الأقل وحجتنا في ذلك أن الرحالة شـارل دوفوكو عندما مر بمنطقـة مدغرة أشار إلى وجود سوق سيدي أبـو عبد الله. قال: «وهناك – أي بمدغرة – سوقان بكل من القصبـة القديمة وسيدي أبو عبد الله يعمـران مرتين في الأسبـوع.(98) ومعلـوم أن تاريخ مـرور دوفوكـو بالمنطقة كان خلال سنتي 1883 – 1884 وهو ما يوافق 1301 و1302هـ وهي السنوات التي تـؤرخ لاندلاع القتـال الثاني بين بعض قصور مـدغرة وعلى إثره تحول السوق من مكانه بين قصري سيدي أبو عبد الله وتيطاف إلى مكان آخر، وطنته الوثيقة التي أرخت لهذا التحول في مكان آخر يقع بين قصري تيطاف وأولاد امحمد.(99) مما يعنـي أن هذا السـوق ربما تعرض للهدم أو اتفقت جماعة القصر على تغيير مكانه إلى الموضع الجديد المعروف بالـدباز قرابـة قصر سيدي أبو عبـد اللـه، ولم يـشرع في بنائـه إلا خلال عـام 1334هـ الموافق 1915م.

4 – إن الصراعات التي كانت تنشب بين قصـور مدغرة لا تنعكس فقط على التـوازن والاستقـرار بـالمنطقـة من حيث تقسيم الثـروات الطبيعيـة والاقتصاديـة وولوج الأسـواق للتبادل، بل إن الأمـر يطال حتـى استمرار إقامـة بعض الفئات ببعض القصور سيما تلك التي أبدت نـوعاً من العطف

---

96) انظر الوثيقة رقم: 48 بالملحق الخاص بالوثائق.

97) رحمة بورقية: الدولة والسلطة والمجتمع، م. س، ص: 69 – 70.

98) Faucauld (ch. de): reconnaissance, op cit, p: 352.

99) انظر الوثيقة رقم: 48 الملحق الوثائقي الخاص.

أو المساندة في إطار تضامن السلالات أو الدفاع عن المصالح المشتركة. والتي كانت تفرزها، كما سبقت الإشارة إلى ذلك صراعات القصور. مما كان يؤثر على وضعيتها سواء بعد الهدنة أو أثناء تجدد الصراع. وهذا ما كان يدفع بعض مشيخات القصور أو ساكنة القصر إلى الانتقام من تلك الفئات التي ساندت الأسر المعادية للقصر. وفي هذا الإطار نشير حسب ما تذكره الرواية الشفوية أنه على إثر اندلاع الصراع بين سكان قصر سيدي أبو عبد الله تم طرد فئة «الرشيديين» من القصر المذكور وطلبت هذه الأخيرة السكن بقصر بني محلي، وحسب نفس الرواية نشير إلى أن ما يشهد على هذا اللجوء – وإن كان يفتقر إلى حجة وثائقية مكتوبة – أن الساحة المسورة الموجودة بجانب قصر بني محلي كانت فئة الرشيديين تنوي السكن بها، ولا زال لحد الآن أهالي هذا القصر يطلقون عليها «محلة الرشيديين».

وهكذا يظهر أن علاقات النزاع والصراع التي كانت تنشب بين القصور بمنطقة مدغرة كانت في الغالب ما تنشب بين فئتين أو فئات مجتمع القصر أو بين قصرين وسرعان ما تعم المنطقة برمتها، إذ يتحول الصراع من صراع القصور إلى صراع الأسر ذات الرابطة الدموية في إطار نوع من التضامن الأسروي. وهذا مبرر عدم إقدامنا على الفصل أحيانا بين أشكال النزاع والتضامن بين فئات مجتمع القصر الواحد والقصور فيما بينها، لأنها كل متكامل. وهذا ما يؤكد من جهة ثانية ما استنتجه الأستاذ العربي مزين عندما اعتبر «أن الحياة بالواحات تفرض تجمعات تتعدى القصر وتمليها ضرورة الاستفادة من الثروات الطبيعية المختلفة وضرورة النفاد إلى أسواق التبادل، وأيضا للحفاظ على التوازن المحلي».(100) مما يعني أن القصر لا يستطيع أن يعيش منعزلاً بل تتحالف مجموعة من القصور مكونة وحدات سياسية تتحكم فيها، وتجمع فيما بينها وحدة المصالح(101) والرابطة اللحمية الدموية.

---

100) العربي مزين: مذكرات من التراث المغربي المجلد الرابع، م. س، ص: 17. وذلك نقلا عن «رود Redd» المتخصص في تاريخ الطوارق.

101) Mezzine (L): le tafilalet, op cit, p: 269.

ب – علاقات التضامن :

بقـــدر ما كـانت علاقـات الصراع والنزاع ســواء بين الفئات المجتمعيـة للقصر الواحـد أو بين مجموعة من القصــور تتمحور حول مسألـة توزيع الثــروات الاقتصاديـــة والطبيعيـة ومحاولـة الأخـذ بأسبـاب الـزعـامـة السياسيـة، فإنها كذلك تعتبر بمثـابة لحمـة تجمع بين فئات القصر أو بين مجموعـة من القصور، مما يدل على أن أسبـاب النزاع والخلاف هي بنفس الآن أسباب الوئام والإخاء والتضامن مع فـارق واحد هو أن هذه الأسباب ذات الوجهين يمكنها في نفس الآن وتبعاً للظروف التـاريخية العامة مناخياً وسياسياً وأحيانا اجتماعياً أن تتحول من مؤشر للفتنة إلى مؤشر للتضامن والوئـام.

إن مشكل الماء الذي كـان يعتبر من أبرز عوامل النزاع والشقـاق وفتور علاقات الفئات والقصور، لا سيما خلال الإستثنـاءات المناخية والسياسية، يعتبر بنفس الآن عنصر تـوازن ولحمـة مصلحيـة تجمع بين فئـات القصر الواحد من جهة، وبين مجموعـة من القصور من جهة أخرى. وقد سبق أن رأينا كيف أن مجمـوعة من القصور تستفيـد من ماء ساقيـة واحدة.(102) وقد كـانت النوبـة منظمة بين أهالي مـدغرة وثـائقياً وعن طـريق الإشهاد العـدلي. وكل السواقي بمـدغـرة كانت مطبقـة لنظـام «النوبـة» أي السقي بالتنـاوب على أساس وثائقي، وتسهـر جماعات القصــور على تطبيقها عن طريق «شيخ الماء»، إذ كـان لكل ساقية شيخها الذي يعـرف حصصها من الماء. وقد كـانت كل فئات مجتمعـات القصور تتحمل جماعيـا عملية كنس السواقي وتنظيفهـا وتعهدها بالـرعاية الدائمـة والمستميتة، دون أن تسمح الأعراف المحلية بتخلف أي كان من مجتمعـات القصور المستفيدة منها عن هذا العمل الجماعي الإلزامي. وتدخل في هذا السياق مسألة الحرث الجماعي الاختياري المعـروفة في الأوساط الزراعيـة المغربية بـوجه عام «بالتـويزة». وينضــاف إلى هـذا أعمال الـدرس والحصـاد لا سيما على مستـوى القصر

---

102) انظـر الجدول الخاص بأسماء السواقي والقصــور المستفيـدة منهـا في البـاب الثـالث الفصل الأول.

الواحد. دون طبعاً إغفال أن الدورة الزراعية بمختلف مراحلها وغيرها من الأعمال الزراعية الأخرى تدخل كلها في إطار نوع من التضامن من خلال الشروع فيها بصورة جماعية سواء على مستوى القصر الواحد أو بين مجموعة من القصور. كما أن الأرض باعتبارها أحد وسائل الإنتاج الأساسية والتي غالباً ما تكون سبباً لتفجير النزاع والصراع، كانت بدورها بمثابة لحمة تحافظ على تماسك الأسرة في مستوى أول، والقصر في مستوى ثاني من خلال وضع مجموعة من العراقيل التي تمنع انتقالها خارج الأسرة أو القصر. كما تشكل المساجد نوعاً آخر من التضامن بين القصور لا سيما تلك التي كانت تقام بها خطب الجمعة، سيما إذا علمنا وكما سبقت الإشارة إلى ذلك أن المساجد بمدغرة لم تكن كلها مخصصة لإقامة صلاة الجمعة، بل إن مجموعة من القصور كانت تؤدي صلاة خطبة الجمعة بمسجد قصر واحد. فعلى سبيل المثال لا الحصر نشير - حسب ما أمدنا به بعض الرواة - أن مساجد القصور التي كانت تؤدى بها صلاة الجمعة لا سيما بمدغرة الوسطى والسفلى هي قصور: أولاد أبي ناجي - زاوية تاوريرت - القصر الجديد - سيدي أبو عبد الله - القصبة الجديدة - أولاد امحمد - زاوية مديونة - الحيبوس - تازناقت. وبمدغرة العليا كانت خطبة الجمعة تؤذن بمساجد قصور : أزمو زاوية تازوكا ومسجد قصر تيغيورين ومعلوم أن الخطب التي كانت تلقى في مساجد هذه القصور وغيرها كانت تخفف من حدة التوتر والعداء، وتحث على التضامن والإخاء ونسيان ضغائن الماضي. كما تبرز مظاهر التضامن أيضا بين القصور من خلال النظام القضائي الشرعي خاصة إذا علمنا أن أحكام قاضي مدغرة كانت سارية على كل قصورها وأحياناً على مناطق محاذية لمنطقة مدغرة.(103) كما تظهر كذلك أشكال هذا التضامن على مستوى

---

103) فقد كانت أحكام مولاي المهدي بن هاشم الذي كان يشغل قاضي مدغرة خلال مطلع القرن 20م - وهو والد أستاذنا المشرف - سارية على منطقة مدغرة وأهالي بودنيب وعلى أولاد الناصر والحجوي ببوعنان وعرب تيلوين بكَلميمة وأهل سيدي حمزة وأند وتزوفت بالريش انظر البا الثالث الفصل لأول.

المشيخات. ذلك أن مدغرة كانت موزعة إلى ثلاثة أثلات، وكان على رأس كل ثلث منها شيخ كبير.(104)

على أن أبرز ما يصور التضامن بين القصور بمدغرة هو عندما تتعرض هذه الأخيرة إلى خطر خارجي سواء تعلق الأمر بالقبائل الرحلية المغيرة، مما كان يعرض المصالح الاقتصادية بالأساس من ماء وأرض ومنتوجات فلاحية مختلفة للخطر. ويفرض على هذه القصور التحالف ونسيان خلافاتها الداخلية. وتتحد أيضا من أجل مجابهة الخطر الخارجي. وهو ما اتضح بصورة بينة أثناء زحف الجيوش الفرنسية على تافيلالت، مما فرض على مدغرة والقبائل الجبلية المجاورة الإتحاد لدفعه. قال المختار السوسي في معسوله: «فقد زحف جيشان – أي جيشان فرنسيان – متكونان من الجند المنظم ومن قبائل انحازت إلى الجيش وهي التي تتقدم قبل الجيش المنظم. جاء جيش على وادي زيز فمر بباب زاعبال – أي زعبل – وآخر على جبل دايت في طريق تيمزراي(105) أمام قصر إفري. ففي هذا القصر إلتقى الجيشان. فهناك وقعت حرب بين هؤلاء وبين القبائل المكافحة منها أيت حديدو وأيت مرغاد وقبائل الصحراء من أيت عطة وأيت إزدكَ وشرفاء مضغرة – أي مدغرة – وقد نسيت القبائل خلافاتها أمام هجوم العدو المحتل ثم انتصر الزاحفون، فانهزم الناس أمامهم ثم نزلوا بالدار الحمراء. وفي زاوية رحمة الله في مضغرة – أي مدغرة – وكان لمولاي التقي بن الشيخ سيدي محمد العربي المشهور اتصال بهم قبل. ولذلك نزلوا في قريته وهو وحده معتمدهم في جميع هذه البلاد».(106)

وهكذا يظهر بعد متابعتنا ورصدنا لمختلف أشكال النزاع والتضامن التي طبعت التاريخ الاجتماعي لمنطقة مدغرة سواء على مستوى الفئات المتساكنة داخل القصر الواحد أو بين بعض أو مجموعة من القصور بمدغرة

---

104) فقد كان والدنا اباسيدي بن التهامي العلوي مع مطلع القرن 20م يشغل منصب شيخ كبير على الثلث الفوقاني من مدغرة نحو إحدى عشر قصرا.
انظر الباب الثاني الفصل الثالث.

105) أي تيمزاورين.

106) محمد المختار السوسي: المعسول، ج 16، م. س، ص: 306.

أن البنية المجتمعية في هذه القصور، تظهر وكأنها مجزأة إلى وحدات عديدة داخل القصر الواحد من الأعلى إلى الأسفل. فمن القصر بهيكله العام سياسياً واجتماعياً واقتصادياً إلى الفئة إلى العظم إلى الأسرة. كما أن علاقات النزاع والتنافس أو علاقة التضامن والإنصهار والترابط كانت محكومة إلى حد بعيد بالظرفية التاريخية، وبالوسط الإيكولوجي بوجه عام. مما يجعل منها علاقات متشابكة، ومعقدة كثيرا ما يحصل العجز في فكها وفصلها عن بعضها البعض، ومعرفة الخاص منها بالقصر الواحد والخاصة بمجموعة من القصور. وهي على أية حال تعطي صورة أفقية وعمودية بنفس الآن لأشكال العلاقات اليومية والعامة، وما ينتج عنها من توترات اجتماعية غالباً ما يعزى سببها إلى التهافت والتنافس على المصالح الاقتصادية الحيوية، وتصدر الزعامات والمشيخات. وأن ما كان يزيدها توتراً هو ما كانت تعرفه العلاقات الاجتماعية العامة من روابط لحمية دموية. مما فرض على القصر الانصهار داخل مجموعة من القصور تحركها المصلحة الاقتصادية، وتدافع عنها الرابطة اللحمية، وهذا لا يمنع بالطبع من وحدة القصور سيما عندما يتعلق الأمر بمداهمة الأخطار الخارجية المختلفة. أو عند دعوة هذه القصور للمشاركة في دفاع أو تمويل على المستوى الإقليمي المحلي أو على مستوى التراب الوطني ككل، وهذا ما لاحظناه عندما تعرضت المنطقة للغزو الفرنسي.

الفصل الثاني :

ملامح الحياة الفكرية بمدغرة خلال عصر الدراسة

1 – نظام التعليم بالمساجد الجامعة بمدغرة (الَّجـامَـعْ) :

– المسجد (الجامع) مؤسسة دينية تربوية

– التعليم : مراحله – طرقه – مواد الدراسة :

* المراحل :

– المرحلة الأولى :

– المرحلة الثانية :

– المرحلة الثالثة :

– المرحلة الرابعة :

* طرق التعليم :

* المواد الدراسية :

– زاوية مولاي بن علي مؤسسة تعليمية تربوية بمدغرة

1 – بعض مظاهر إسهامات منطقة مدغرة دينياً وعلميا :

* مولاي عبد الله بن عمر المدغري

* مولاي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني الرجل العالم

* مولاي عبد الهادي بن عبد الله بن علي بن طاهر العلوي

* مـولاي محمـد المدعو مـولاي بن علي بن علي بن عبـد اللـه بن علي طاهر * مولاي البكـري بن مولاي بن علي بن عبـد الله بن علي بن طاهر

* محمد العربي بن محمد الهاشمي المدغري

* سيدي محمد بن العربي العلوي المدغري (شيخ الإسلام)

الباب الرابع :

الفصل الثاني :

ملامح الحياة الفكرية بمدغرة خلال عصر الدراسة

إن تاريخ الحركة الفكرية بمنطقة مدغرة لا نستطيع أن نجد فيه مراحل وحقب متميزة، من حيث تغيير المنهج – مع العلم أن هذه المراحل والحقب تدور كلها حول التعليم الديني والصوفي الروحي العام –. وإنما يمكن أن نعثر على فترات متميزة من حيث كثرة المدرسين وإقبال «الطلبة» على حلقات دروسهم في المساجد والجوامع المنتشرة في قصور منطقة مدغرة، وما جاورها من مراكز الإستقرار على حوض وادي زيز من منابعه بجبل العياشي إلى إقليم تافيلالت برمته. فعندما يكون العدد كبيراً، فإن هذا يعتبر بمثابة مؤشر على وجود حياة علمية فكرية وروحية، وعندما ينخفض يكون الإنحطاط. وهنا يكون حكمنا على تاريخ الحركة الفكرية حكمًا كميا وليس كيفيا.(1) هذا وإن كانت المادة العلمية المتوفرة تعوزنا لتتبع أعداد المتعلمين والطلبة بالمساجد الجامعة وغيرها بمدغرة. وطبيعي أن يكون هذا الحكم مرتبط بالأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمنطقة، وبالوضع المادي للفئات الاجتماعية بالقصور. وعلى أساس ما سبق أن استنتجناه في الفصل السابق(2) والذي خصصناه لتتبع مظاهر الحياة الاجتماعية بالمنطقة يبدو جليا ارتباط النمط الفكري السائد بالنمط الاجتماعي للمنطقة، وطبيعة

---

1) مولاي هاشم العلوي القاسمي: مقدمة تحقيق كتاب التقاط الدرر، م. س، ص: 249.

2) انظر الباب الرابع الفصل الأول.

الأوضاع السياسية والمناخية والاضطرابات والهزات الاجتماعية التي كانت تؤثر إلى حد كبير على الأنظمة التربوية التعليمية من حيث ندرتها أو كثرتها في رباط عضوي متين. وهذا يدل أننا ونحن نعالج ونتتبع بعض مظاهر الحياة الفكرية بمدغرة أننا سوف لن نقتصر على التأريخ لأهم علماء وصلحاء وزوايا المنطقة وما لذلك من أهمية علمية دينية تكشف عن زخم المنطقة الفكري، بل سنجمع إلى جانب ذلك نظام الأسس التربوية والتعليمية كأساس للتكوين والتحصيل العلمي بالمساجد الجامعة بمنطقة مدغرة.

1 – نظام التعليم بالمساجد الجامعة بمدغرة (الـجَّـامَـعْ) :

– المسجد (الجامع) مؤسسة دينية تربوية :

أثناء حديثنا عن مورفولوجية السكن بواحة مدغرة أشرنا إلى أن المسجد (الجامع) يتكون من مجموعة من الأقسام، منها ما هو خاص للصلاة وأداء الشعائر الدينية الأخرى «بيت الله» وقسم خاص لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم والمتون، وأخذ مبادئ العلوم الشرعية الإسلامية بوجه عام. ويعرف هذا القسم بكل مساجد قصور مدغرة بوجه خاص وواحات إقليم سجلماسة بوجه عام «بالْـخَـرْبِـيشْ» وقسم ثالث خاص بالطهارة.(3) وهذا ما يشرح لماذا نعتنا المساجد بمدغرة بالمساجد الجامعة. لأنها بنفس الآن محل لأداء الشعائر الدينية وهي أيضا بمثابة مدرسة لتلقين العلوم الشرعية الإسلامية، وفي مقدمتها تحفيظ القرآن للأطفال. وهذا ما جعل هذه المؤسسة تحتل مكانة خاصة وحرمة مقدسة لدى الأهالي، باعتبار المسجد (الجامع) مؤسسة دينية تربوية بنفس الآن. وهذا ما يشرح لماذا أولته الأعراف المحلية الخاصة بمنطقة مدغرة، وما إليها رعاية خاصة وتعهداً مستمرا. وتحقيقا لهذا الغرض الوظيفي ولهذه الحرمة منعت على أي كان أن يأخذ الحطب من «مَـسْـخَـنْ» المؤذن وعاقبت كل من أقدم على ذلك.(4) كما منعت

---

3) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

4) Mezzine (L): le tafilalet, op cit, p: 164.

انظر الشرط 244.

على الصبيان من غير المتعلمين دخول (الجامع). فقد جاء في الشرط 246 من إتفاق قصر الكَارة ما يلي: «وأما من دخل من الصبيان الجامع من غير المحضرة - أي المحضرية - فنصافه ثمانية موزونة - ثمان موزونات -».(5) كما منعت نفس هذه الأعراف على أي كان إخراج أمتعة المسجد بدون إذن المؤذن.(6)

ويجرنا الحديث عن المسجد (الجامع) كمؤسسة دينية تربوية بنفس الآن لها حرمتها ومكانتها الخاصة في المعتقد الشعبي الديني المحلي من حيث أهميتها كمحل لأداء الصلاة وغيرها من الشعائر الدينية الأخرى، وكمحل للتعليم والتلقين تحقيقاً لهذا الغرض الوظيفي الديني التعليمي، إلى الحديث عن الإعتمادات المالية الحبوسية الوقفية التي كانت تسير بها المساجد.

فقد كانت تستمد الإعتمادات المالية لتسيير المساجد الجامعة وغير الجامعة بمنطقة مدغرة من الأراضي المحبسة عليها ومن تبرعات السكان. إذ كانت تحبس على المسجد مجموعة من الأراضي من طرف الأفراد أو فئات مجتمع القصر. كما أن الأراضي التي يجهل أصحابها كانت تعود لملكية المسجد، وكان المحسنون وشيوخ الزوايا يحبسون جزءا من أملاكهم لصالح مساجد زواياهم، وعلى سبيل المثال لا الحصر، نشير إلى أن مولاي بن علي حبس على الزاوية - أي زاوية تاوريرت - والمسجد أوقافاً كثيرة ومدائن من النخيل عديدة... ويحكى أنه حبس جيناناً له قرب المسجد مشتملاً على أراضي ونخيل وأشجار الفواكه على اختلافها. وكان من أحب أجنته إليه، وجعله حبوسا على المسجد رضي الله عنه.(7) كما أن مولاي عبد الهادي بن محمد بن العربي حبس على زاوية مولاي البكري ومسجدها أوقافاً كثيرة.(8) وكان يشرف على هذه الأملاك الناظر، ويؤدي بها أجرة

---

5) Mezzine (L): le tafilalet, op cit, p: 164.

6) Mezzine (L): le tafilalet, op cit, p: 164.
انظر الشرط 247.

7) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م. س، ص: 70.

8) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م. س، ص: 251.

الفقيه المشـارط – أي الإمام – والمؤذن. وأحيانـاً كان يخصص جـزء منها «لِلطَّالْــبْ» أي المعلم،(9) وأحيـاناً أخـرى لطلبـة العلم. وكـانت هذه الهيئـة الدينية الإمام الطَّـالَـبْ المؤذن وغيرهم يستغلون مباشرة هذه الأحباس التي كانت محددة لكل واحـد منهم. فقد كان الإمـام ولقاء ما كان يقـوم به من وظائف الإمامة والصلاة بالناس يتمتع بأكبر حيز من هذه الأراضي يستغلها بنفسه، أو يكتريها. كما أن المؤذن كـان بدوره ولقـاء ما يقـوم به من أذان وتعهد ورعاية للمسجد يستغل القسط المخصص له من الأراضي الحبوسية والوقفية مباشرة أو عن طريق الكراء أيضا.

وجديـر بالإشـارة، أن مهمة المؤذن(10) كـان لا يتبوأُهـا وكما سبقت الإشارة إلى ذلك(11) إلا من ثبت عفافـه وصلاحـه، لأنه بأذانــه فوق سطح الجامع كان يكشف عـورات الدور المجاورة للمسجد. لهذا كـان المحليون لا يقـدمون لهذه المهمـة إلا من جمع بين صفات الفطنـة والصلاح والعفـاف، وغالباً ما كانوا يختارون فـاقد البصر. وكانت مهمة الأذان ومعرفة أوقاتها تنم عن فطنة وقوة إدراك عـالية بالنسبة للشخص الذي يتـولى هذه المهمة. فإلى عهد غير بعيد عنا كان مؤذنو مساجد قصور مدغرة يعتمدون مقياس ظل الشمس بواسطـة الأقدام لمعرفـة أوقات صلاة الظهر والعصر خـاصة. فإذا كان مـوعد صلاة الظهر يختلف من حيث عـدد أقدام ظل الشمس من فصل لآخر. إذ غالبـاً ما كان يتراوح ما بين قدمين ونصف القـدم إلى ثلاثة أقدام خلال الفصل البارد. فإنه خلال الفصل الحار يتراوح ما بين 4 إلى 5 أقدام، على أن عدد أقدام الظل بالنسبـة لموعد صلاة العصر يبقى ثابتا دون تغيير خلال كل فصول السنة.

إن ثبـات عـدد أقـدام الظل بـالنسبـة لموعـد صــلاة العصر خـلال كل الفصـول، نجد صـداه في إحدى المأثـورات الشعبية الشفـوية المحليـة التي

---

9) ويرادف كلمة «الطَّـالْـبْ» (كلمة الدرار إلا أنها نادراً ما تستعمل).

10) ولم يكن يقوم بمهمـة الأذان بمدغـرة إلا الحراطين والأحرار. أما مهمة الإمامـة فكانت حكراً على الشرفاء في الغالب.

11) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

مازالت تردد حتى الآن بمنطقة مدغرة. فقد كان الأهالي ينعتون الشخص الذي لا تتغير طباعه أو قامته «بِـقْـدَامْ الْـعَـصَـرْ». وحسب ما تذكره الحافظة الشعبية المحلية أن هذه التقنية المتطورة حسب عصرها لمعرفة أوقات الصلاة لا سيما صلاة الظهر والعصر، ظلت سارية المفعول حتى عندما انتشرت الساعات بالمنطقة مع نهاية النصف الأول من القرن 20م.

إن تمرس المؤذن بمهمة ضبط مواقيت الصلاة لمدة زمنية طويلة كانت تدفع بعض المهرة من المؤذنين إلى عدم الإعتماد على مقياس ظل أقدام الشمس، وأصبحوا يدركون ذلك أحياناً دون اللجوء إلى هذه التقنية، خاصة عندما تحجب الغيوم أشعة الشمس. أما بالليل فكانوا يسترشدون بالنجوم. وكل هذه القرائن وغيرها تؤكد أن مهمة الآذان لم تكن بالمهمة السهلة يمكن لأي كان امتهانها. اللهم إلا إذا كان ذا صلاح وعفاف وثقة وإدراك عالي بدوران الشمس وقدرات صوتية تمكنه من إيصال أذانه إلى كل أرجاء القصر، سيما إذا علمنا وبناء على ما جاء في فصول سابقة أن كينونة المسجد غالبا ما تكون وسط القصر إلى جهة اليمين.(12)

كما أنه اعتماداً على هذه المصادر المادية المستخلصة أساساً من أراضي الأحباس كان يتم شراء مستلزمات المسجد من (حْـبَـالْ – دْلاَوَةْ – جَـرَّارَةْ – خْلاَلِـيبْ – حْـصَـايَـرْ – زيت الوقود، وأيضا لكنس البئر الموجودة بالمسجد).

– التعليم : مراحله – طرقه – مواد الدراسة :

* المراحل :

يبدأ الأطفال تعليمهم الكتاتيبي(13) في مساجد قصور مدغرة منذ سن مبكرة، لا تتعدى في الغالب خمس أو ست سنوات. وتذكر الحافظة الشعبية

12) انظر الباب الثاني الفصل الثاني.

13) وكان التعليم مفتوحاً في وجه كل الفئات الاجتماعية بمدغرة، ونشير إلى أن التعليم بمختلف مراحله أصبح مجانيا وإجبارياً بالمغرب منذ مرحلة عبد المومن بن علي الكَومي الموحدي. بناء على ما جاء عند أحد الباحثين. انظر عبد الله علاّم: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المومن بن علي، دار المعاف مصر 1971، ص: 291.

المحلية أنه عندما يريد الطفل أن يلتحق بالكتاب «الَّجَامَعْ» فإن ذويه يقيمون حفلاً لذلك. وتقدم على إثره للأطفال الذين سيلتحق بهم الطفل الجديد وليمة، وذلك بحضور «الطَّالْبْ» - أي معلم القرآن - وأهل الطفل. هذاالأخير الذي كانوا يلبسونه لباساً أنيقاً غالبا ما يكون أبيضا عندما يتوجهون به إلى «الَّجَامَعْ»، وهم يرددون بعض الترانيم الدعائية.(14)

تمر مراحل التعليم بمساجد قصور مدغرة بعدد من المراحل يمكن إجمالها فيما يلي :

- المرحلة الأولى :

وخلالها يبدأ «الطَّالْبْ» أي المعلم القرآني - بتلقين الأطفال وبطريقة شفوية تعتمد على الحفظ أساسا الحروف الهجائية، سواء من حيث الرسم أو من حيث مواضع النقط الموجودة بها أو ببعضها قبل التعرف على رسم كتابتها على الألواح.(15)

- المرحلة الثانية :

وتدعى هذه المرحلة في الأوساط التعليمية المحلية بـ «الرْشَمْ» وخلالها يحاول الطفل تتبع بقلم من قصب خالي من أي صمغ ما نحته «الطَّالَبْ» للطفل من حروف على اللوح الخشبي(16) المعد للكتابة. وخلال هذه المرحلة يتمرن الطفل على أوليات تعلم الكتابة وترويض أصابعه عليها.

- المرحلة الثالثة :

وهي المعروفة في الأوساط التعليمية المحلية بمرحلة «فُوقْ السَّطْرْ». وتأتي هذه المرحلة بعدما يكون الطفل قد بدأ يستأنس بطريقة كتابة الحروف. إذ يكتب له الفقيه مجموعة من الحروف، ويحاول الطفل المتعلم

---

14) ومثال ذلك الترنيم الدعائي التالي :
«أَدَايْدَيْ السَّلَاَمْ، إِيْحفْظُ وِإينَجِّيهْ وِإعَلْمُو وإيقَرِّيهْ وإِيْجعَلْ الْبَرَكَة فِيهْ».

15) محمد حجي: الحركة الفكرية، م. س، ج 1 ص: 83.

16) ومعلوم أن حجم الألواح الخشبية يتماشى ومستويات الأطفال المتعلمين الدراسية.

أن يقلدها وينسخها فوق السطر. وخلال هذه المرحلة يبدأ الطفل في استعمال الصمغ في الكتابة.

- **المرحلة الرابعة :**

وخلالها يبدأ المتعلم في كتابة الآيات القرآنية التي تبلغ أحياناً سورة قرآنية على اللوحة، وحفظها واستظهارها على الفقيه. فكانوا يحفظون فاتحة القرآن العظيم، فسورة الفلق ولا يزالون يولون حفظ سور القرآن من أسفل إلى أعلى،(17) وكلما أتموه حفظوه ثانية من أعلى إلى أسفل. ولكن هناك ملاحظة أساسية في هذا المضمار وهي أن الطفل كلما أكمل حفظ الثلث من القرآن وهو ما يعادل 20 حزباً كتابة وحفظاً، فإنه يجتاز إمتحان شفوي أمام الطالب. وكلما رأى الفقيه أن الطفل تمكن من ذلك، فإنه يجيزه عليها، وتقوم أسرته بإقامة حفل ووليمة للفقيه وللأطفال الآخرين بمناسبة هذه الإجازة. ويعبر عن هذه الإجازة الصغيرة في الأوساط التعليمية المحلية «بالبقرة الصغيرة» أو «سَلْكَة صغيرة». ولا تنحصر مكافئة الطفل وتشجيعه على ذلك فقط. بل أن هذا الأخير كان يطلب من الفقيه إجازة يوم أو يومين له وللأطفال الذين يدرسون معه.

ويتكرر هذا الحفل كلما أكمل المتعلم الثلثان من القرآن أو أكمله كله. وجدير بالإشارة أنه في القليل النادر ما يستطيع المتعلم التمكن من كل ما حفظ من القرآن. مما كان يدفعه إلى إعادة حفظه مرات متعددة قد تصل أحياناً إلى أربع أو خمس مرات من الأسفل إلى الأعلى ومن الأعلى إلى الأسفل، وهو ما يعرف في الأوساط التعليمية المحلية «بِخَتْم السَّلْكَةْ». فقد ذكر الأستاذ عبد المجيد القدوري أثناء تتبعه لحياة ابن أبي محلي التعليمية اعتماداً على ما جاء في الإصليت، أن الفقيه الثائر ختم القرآن أربع مرات لأنه لم يكن برائع في الحفظ.(18) ومما كان يسهل على المتعلم مأمورية

---

17) محمد حجي: الحركة الفكرية، م. س، ج 1 ص: 83.

18) عبد المجيد القدوري: ابن أبي محلي الفقيه الثائر، م. س، ص: 40.

التمكن والحفظ هو حضوره إلى جانت المرتبين أو ما يعرف أيضا في الأوساط التعليمية المحلية «بالمرشدين أو الْحَزَّابَةْ» في تلاوة أحزاب القرآن صبحا وعشية، ما بين صلاتي الفجر والصبح وما بين صلاتي المغرب والعشاء كل يوم. إذ خلال هاتين الفترتين كانت تتم بمساجد قصور مدغرة تلاوة أحزاب القرآن العظيم «قْرَايْةْ الْحِزْبْ» علاوة على ترديد القرآن في كل مكان، حتى أثناء مساعدة المتعلم لأبيه في الأعمال الحقلية بالغابة. كما أن الإجازة الكبرى لإنهاء حفظ القرآن «البقرة الكبرى» التي كان يحصل عليها المتعلم كانت تبيح له المشاركة في «السْلاَّكِي». وهي عبارة عن مجموعة من الولائم التي كانت تقيمها بعض الأسر ترحما وصدقة بمنازلها، وخلالها يتلى القرآن العظيم.

إن هذه المراحل التعليمية الأولى التي كانت تتم بمساجد قصور مدغرة يمكن اعتبارها بمثابة تعليم أساسي أو طور من أطوار التعليم بصفة عامة. إذا كان أهل مدغرة لاسيما الفئات المهتمة بالتعليم الديني بمجرد ما ينتهون من ختم القرآن مرات متعددة فإنهم غالبا ما كانوا يبعثون بأبنائهم إلى تافيلالت لاستكمال الطور الثاني من دراستهم، قبل أن يلتحقوا بجامعة القرويين بفاس لاستكمال الطور الثالث منها. وقد سبق أن رأينا كيف أن مولاي عبد الله بن علي بن طاهر بعدما أتم تكوينه العلمي الأساسي بمدغرة من استظهار للقرآن وأخذ علومه من تجويد ورسم وغيرهما، على يد والده أبي الحسن علي أخذ عن فقهاء سجلماسة مبادئ العلوم. وحينما بلغ سن الرشد ولم تعد حلقات الدروس في بلاده تروي غلته وتطفئ نهمه تاقت نفسه إلى آفاق أخرى تتفق ومتطلباته، فالتحق بمدينة فاس واستقر بمدرسة العطارين وتردد على حلقات الدروس التي كانت تلقى بالقرويين.(19) وهذا يدل على أن مولاي عبد الله بن علي طاهر سار على القاعدة العلمية التي كانت مطبقة بمنطقة واحات تافيلالت. وهذا ما يفسر كذلك لماذا كان سكان منطقة مدغرة وما إليها من الواحات السجلماسية الأخرى يقصدون فاس لتلقي العلوم الشرعية الأخرى، التي يبدو أنها لم

---

19) انظر الباب الثاني الفصل الرابع.

تكن – في الغالب – تدرس بمدغرة. إذا كان الغالب على المواد الدراسية بمدغرة هو تحفيظ القرآن العظيم وتلقين بعض العلوم الشرعية لاسيما التوحيد، فقد كانت مجالس العلماء تعقد بالزوايا الكبيرة، حيث كان يعقد المجلس العلمي بكل من زاوية تاوريرت والقصبة الجديدة في المراحل الأولى وبمسجد قصر تازناقت وزاوية رحمة الله خلال المراحل المتأخرة. كما كان يلقن كذلك رسم القرآن وتجويده. وفي هذا الخصوص نشير إلى أن عدداً من طلبة مدغرة غالباً ما كانوا يتوجهون إلى المساجد الجامعة بتافيلالت لا سيما تلك الموجودة بقصور الغرفة للحصول على إجازة التجويد بالأساس «جَمْعْ السْوَارْ». وكان طلبة وفقهاء مدغرة يتباهون فيما بينهم بخصوص الحصول على مثل هذه الإجازة «السلكة» من المساجد الجامعة بالغرفة. لأن مثل هذه الإجازة كانت لا تضاهى، وتؤهلهم لتبوؤ رتب علمية هامة نادراً ما يحصل عليها إلا من ثبتت قوة حافظته في الحفظ والتجويد.

وجدير بالإشارة أن هناك مجموعة من الطلبة من آفاق أخرى كانوا يفدون على المساجد الجامعة بمدغرة لتلقي العلوم الشرعية والدينية. سيما وأن صيت المنطقة الفكري تجاوز حدودها، وذلك نظرا لوجود مجموعة من الطلبة والفقهاء وفحول التدريس الذين كانت تجدب حلقات دروسهم عدداً وافراً من الطلبة من جميع الآفاق. ولا يقتصر الأمر على الطلبة، بل أن المسألة طالت حتى بعض الشيوخ والأئمة ورجالات الفكر الديني المغربي. وقد سبقت الإشارة إلى أن عدداً من الأئمة الأعلام والأقطاب كانوا يحلون بين الفينة والأخرى بالمساجد الجامعة والزوايا الدينية للمنطقة، أمثال أبو علي لحسن بن مسعود اليوسي المتوفى عام 1002هـ صاحب المحاضرات وأبو سالم العياشي صاحب الرحلة ومحمد بن سعيد المرغيثي(20) صاحب المقنع وغيرهم.

وقد كان هؤلاء الطلبة الغرباء وكما سبق أن أشرنا يقيمون بخربيش الجامع على أن تموينهم كان يتم بالتناوب بين مجموع الأسر المكونة لمجتمع القصر. وعلاوة على التلقين وأخذ مبادئ العلوم الشرعية والدينية، فقد كان

---

20) هو تلميذ مولاي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني.

هؤلاء «المرتبون» أو «العرفاء» يساهمون في تحفيظ الأطفال القرآن وتعليمهم الكتابة وإعداد الألواح، وتلاوة القرآن في المساجد. وفضلاً عن هذا الريع الذي كان يضمن لهم جزءا من معاشهم. فقد كانوا يستفيدون كذلك من جزء من الإعتمادات المالية المخصصة للمساجد، وذلك بناء على ما نصت عليه كتب النوازل الفقهية. فقد أجاب ابن لباب عندما سئل عن إمكانية جواز إجراء راتب من الأحباس على طلبة العلم فقال: الحكم في ذلك أن لوجوه الخير والبر مدخلاً في الأحباس المجهولة الأصل، فيصرف فائدها فيما يعد في ذلك من راتب طلبة العلم وغيرها».(21) كما كانوا يستفيدون من مشاركتهم في الحفلات الدينية، سواء تلك التي كانت تقام في المساجد كأمداح عيد المولد النبوي أو عندما تستدعيهم بعض الأسر لولائم الحفلات الدينية «السلاكي» التي كانت تقيمها للترحم أو للصدقة.

*** طرق التعليم :**

لقد كان تعليم الأطفال في الكتاتيب القرآنية (الجوامع) يتم في ظروف غير مواتية. فالقسم الذي كان مخصصاً للتعليم «الخربيش» كان عبارة عن غرفة غير مفروشة في الغالب أو مفروشة بحصير بالي وضيقة، لا يمكن لطاقتها الإيوائية أن تتحمل إلا عدداً قليلا من المحضرية. ويتباين هذا العدد من قصر إلى آخر من حيث عدد سكانه، وأيضا من حيث اهتمامهم بالتربية والتعليم الديني.

يخضع المحضرية لتلقين متعب يبتدئ من طلوع الشمس، ويستمر بدون إنقطاع. فخلال الفترة الصباحية كان كبار المحضرية منذ أداء صلاة الفجر، يبدأون في تلاوة القرآن إلى طلوع الشمس، حيث يلتحق بهم الأطفال المتعلمون. ويساعد العرفاء الأطفال في محو الألواح بعد استظهارها عليهم أو على «الطّالْب» وطلائها بمادة الصلصال وتركها تجف تحت أشعة الشمس. وفي أثناء ذلك يلتحق

---

21) أبو مهدي عيسى: النوازل، م. س، ج 2 ص: 343 – 344.

الأطفال بمنازلهم لتناول طعام الفطور الذي غالباً ما كان يتكون من حساء «الْـحْــرِيرَةْ» والتمر. ثم يلتحقون ثـانية بالجامع بعـدما تكون الألـواح قد جفت لكتابة سور جديدة يمليهـا عليهم «الطالب». وكانت الطريقة المتبعة في عملية الإمـلاء والكتابـة أو ما يعرف في الأوسـاط التعليمية المحليـة بعملية «الإِفْـتَـاءْ» أن يظل الأطفال المتعلمون يطلبون من الفقيه أن يتمم لهم – عن طريق الإفتاء – كتابة السور على ألواحهم، فتتحول القاعة إلى غرفة يتنافس فيها الأطفال متسـابقين فيما بينهم لكتابة السور، ومـا كان الطالب ينتهي من سرد آية أو نصف آية لمتعلم حتى يطلب منه آخـر إملاء ما يتبع ما كان قد كتبـه على لوحتـه وهكذا دواليك. وهنـا يكمن توقـد ذاكرة الفقيـه وقوة عارضته في الحفظ. وبعد إتمام عملية الإفتاء تأتي عملية «تَـدْوِيزْ اللُّـوحَةْ» أو تصحيح اللوحة، مما قد يكون فيها من أخطاء إملائية وغيرها من طرف الطـالب أو المرتبين، وبعدهـا يبـدأون في الحفظ جماعـات وفرادى بصـوت مرتفع إلى وقت الضحى عنـدها يقصدون ثانية منـازلهم (الأطفال من غير المرتبين) لتناول طعـام الغداء، ليعودوا بعـد الزوال لإتمام الحفظ ولا يخلى سبيلهم إلا بعـد صـلاة العصر. في حين يظل كبـار المحضريـة من المرتبين بالمسجد لتـلاوة القرآن فيما يعرف في الأوساط المحلية التعليميـة «بِـحِـزْبِ الْـعِـشَـاءْ». ولا تتم عملية محور مـا كتبه الأطفـال على ألواحهم إلا بعـد استظهاره بكرة على الفقيـه، والويل ثم الويل لمن لم يستظهـر سوره بكيفية سلسة دون تعثر.

والملاحظ أن عملية الحفظ بعد كتابة السـور على الألواح كانت تتم طيلة اليـوم بصـورة فرديـة وبصـوت مـرتفع داخل «الخربيش»، وذلك ليتمكن الفقيه من إصـلاح الأخطاء التي يـرتكبها الأطفـال عند قـراءتهم لسورهم، وليراقب كذلك كل من كان يتظـاهر بالقراءة أو تأخذه سهـوة. وكان الفقيه يتوفر على قضيبين.(22) الأول طويل والثاني قصير، فكـان يؤذب بالقضيب القصير الصفوف الأمامية والطويل الصفوف الخلفية. ومما كان يسهل على

22) وكان الفقيه يتخـذ هذين القضيبين من صنف شجر الرمان والزيتـون لإثرهما البالغ في الضرب ويعرف القضيب في الأوساط المحلية «بالْـمَـشْـحَـاطْ».

الفقيه هـذه المراقبة هـو جلوسه على مصطبـة مرتفعة «دكـانة» مفـروشة بحصير أو بالحلفاء.

لم تكن حلقـات الدروس بـالمسـاجد الجامعـة وغير الجامعـة بمدغـرة خاضعة للسـاعات كما نلمس هذا اليوم بـالمدارس العصرية، وإنما تخضع لمواقيت الصلاة. إذ يبتدئ التعليم بهذه المساجد بعد صلاة الصبح بقليل إلى قرب صـلاة المغرب مسـاءاً.(23) وكـانت حصص التـدريس تستمر طيلـة الأسبوع ماعدا مساء يوم الأربعاء وطيلة يوم الخميس وصباح يوم الجمعة. وهذا ما تترجمه إحدى المأثورات الشعبية الشفوية التي كانت تردد بمنطقة مدغرة ونصها: «اللِّـي مَادَارْشِـــي سْـوَارُو فِي التَّـلِّيسْ مَاعَـنْدُو لاَ أَرْبْـعَاء وَلاَ خمِيسْ». هـذا فضلاً عن بعض العطل الموسميـة والدينيـة كعيد الفطـر وعيد الأضحى وعيـد المولد النبـوي وأياما قبل حلـول رمضان (شعبـانة) ويوم عاشوراء.(24)

وكان «الطَّـلْـبَـةْ» يتقاضون أجـراً زهيداً لقاء قيامهم بمهمة التعليم. فقد كان الأطفال حسب ما تفيدنا به الحافظـة الشعبية المحلية، يقدمون كل يوم أربعاء عود حطب للفقيـه ورزمة من الخشب كل شهر، وهـو ما يعرف في الأوساط المحلية «بِالْــكَشُوطَـةْ». وقد استبدلت هـذه العادة وأصبح المتعلم يقـدم كل يوم أربعـاء عشرين فرنكـا (رَبْـعَـــةْ دُورُو) ويسمى هذا الأجـر الأسبوعي محلياً «بالحدقة» وهي كلمة عربية فصيحة وتعني أقل ما يمكن أن يعطى. على أنه عندما يختم المتعلم القـرآن، فإن أسرته كانت تقدم للفقيه بعض الهدايـا، ويقيمـــون وليمـة كلما ختم المتعلم سلكـــة صغيرة «بقـرة صغيرة» أو متوسطة «بقرة متـوسطة» أو كبيرة «بقرة كبرى». وقد وصف الحسن الوزان ذلك قائلا: «يتقاضى المعلمـون أجراً زهيداً لكن عندما يصل الطفل إلى بعض السور القـرآنية يكون على أبيـه أن يقدم للمعلم هـدية من الهدايا، حتى إذا ختم الطفل القرآن وحفظه كلـه أقام الأب وليمة كبيرة دعا إليها جميع التلاميذ ألبس الطفل لباسا فخمـاً وكأنه ابن أمير....».(25)

---

23) هذا وإن كان الأستاذ محمـد حجي يشير إلى الدراسة تستمر إلى حدود صـلاة العشاء. بجامعة القرويين انظر محمد حجي: الحركة، م. س، ج 1 ص: 112.

24) محمد حجي: الحركة الفكرية، م. س، ج 1 ص: 112.

25) الوزان: وصف، م. س، ج 1 ص: 203.

إن هذا النظام التربـوي الذي يستمر طيلة اليـوم من طلوع الشمس إلى غروبها بدون انقطاع باستثناء فترة تناول طعام الفطور والغداء، هو ما حدا بأحد البـاحثين إلى نعته بالتلقين المتعب. كما أن الطريقـة التي كان يتم بها هـذا التلقين كانت تتم – في الغـالب – في شروط غير مـلائمة، فعـلاوة على طريقـة الإفتاء والكتـابة والحفظ بجهر بمعيـة أطفال آخـرين يختلفون من حيث مستوياتهم الدراسية داخل «الخربيش». مما كان في الحقيقة يزيد من متاعب الطفل، سيما إذا علمنا أن الفقيه «الطالب» كان لا يرحم كل من تعثر من الأطفال في الحفظ والإستظهار. مستعملاً في ذلك القضيب «الْـمَشْـحَـاطْ» وشتى أنـــواع التأذيب الأخـــرى، ونـــذكـــر بـــالخصـــوص «التَّحْمِـــيلَةْ وَالتَّـعْـلِـيقَـةْ». ولم يكن يمنعه من ذلك أي أحد، فحتى الآباء كانوا يصرون على «الطالب» بضرورة استعمال القسوة في التأذيب، وهذا ما نجد له صدى في إحدى المأثورات الشعبيـة الشفوية التي مازالت تـردد حتى الآن بمنطقة مدغرة ومـا إليها، ومفادها أن الأب كان يقـول «للطالب» بخصوص تأذيب إبنه «اقْـتَـلْ وَأنَـا نَـدْفَنْ». ولا تقف معاناة الطفل المتعلم عند هذا الحد، بل أن الآباء أنفسـهم كـانوا لا يرحمون أبناءهم ويمارســون عليهم شتى أنواع القسوة من أجل التأذب والتعلم. سيما إذا كان الآباء هم الذين يسـهرون على مـراقبـة وتتبع تعليم أطفـالهم مـن خـلال الحضـور المنتظم إلى «الجامع» ومنعهم منعاً كلياً من إضاعة الـوقت في اللعب مع الأطفال والتسكع بالغابة أو حضور حفلات اللهو والأعراس. وهذا ما يمكن أن نستشفه من خلال ما تركه ابن أبي محلي على هذه المراقبة المستمرة والصارمة، ونستطيع بذلك أن نأخذ فكـرة على المناخ التعليمي في الواحات والظـروف التي يمر بها المتعلم. قـال: «ولكنه شـديد البأس – يعني أبـوه – ربما ضربني بعـدما يـوثقني بـالحبل لما رأى من شرودي وولـوعـي بصيـد العصـافير واللعب بـالكـرة وحضور الأعراس وزعـامتي، فلولا تعنيفه مع ما سبق لضعـت فجزاه الله عنا في ضبطه وضغطه».(26) إن الكلمات المستعملـة في نص كـلام ابن أبي

---

26) ابن أبي محلي: إصليت، م. س، ص: 52.

– القدوري عبد المجيد: ابن أبي محلي، م.س، ص: 39.

محلي تبين بوضـوح مدى سلبيـات الشدة في التعليم لأن النتـائج غالبـاً ما كانت تعاكس طموح الآباء.(27) مما كـان يدفع الأبناء إلى بـذل مجهود كبير للحفظ الظرفي الـذي ينتهي بانتهـاء مهمة المثـول والإستظهار أمـام الفقيه. وهذا مـا تعكسه شهادة أخـرى لابن أبي محلي قال: «وفي الـرابعة – يعني الختمة الـرابعة للقـرآن لأن ابن أبي محلي ختم القرآن أربع مـرات – لفقته فقط تلفيقـاً لا يوثق بـه من التخليط في الـرسم».(28) مما يعنـي أن نظام الأسس التربويـة للتعليم بالواحات كـانت تعتمد الشدة والقسـوة سواء من طرف «الطالب» أو من طرف الآباء، مما كان له بالغ الأثر في النقمة على هذه الأسس التربويـة الغير المجدية. وقـد سبق أن نبه ابن خلـدون إلى سلبيات القسوة والشـدة المستعملة ضد المتعلم، ومـا ينجم عن ذلك من حمل الطفل المتعلم على الخوف الدائم والكـذب والمكر والخديعة. قـال: «وذلك أن إرهاق الحد بالتعليم مضر بالمتعلم سيما في أظافر الـولد لأنه من سوء الملكة. ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعليمن أو المماليك أو الخدم سطابه القهر وضيق من النفس في انبساطهـا، وذهب بنشاطهـا ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبـث. وهو التظـاهر بغير ما في ضميره خـوفاً مـن انبساط الأيدي بـالقهر عليـه وعلمه المكر والخديعـة لذلك، وصـارت له هـذه عادة وخلقا وفسدت معاني الإنسـانية التي له من حيث الإجتماع والتمرن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله».(29) ومع ذلك لم يغيـب شرط التأديب بالضرب المناسب وليس المبرح. قال: «وقد قـال محمد ابن أبي زيد في كتابه الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعليمن «لا ينبغي لمؤذب الصبيان أن يزيد إذا احتاجـوا إليه على ثلاثة أسـواط شيئا».(30) وغالبـاً ما كانت طـرق الشدة والقسوة تبعد الطفل عن الكتـاب (الجامع)، سواء من حيث التغيب المستمر أو الإنقطاع عن التعليم بصورة نهائية. سيما إذا علمنا أن الأطفال المتعليمن كانت لهم مسؤوليـات ومهام أخرى. إذ كانوا يساعـدون آباءهم في العملية

---

27) القدوري عبد المجيد: ابن أبي محلي، م. س، ص: 40.

28) ذكره القدوري: ابن أبي محلي، م. س، ص: 40.

29) 30) ابن خلدون: المقدمة، م. س، ص: 743 – 744.

الفلاحية بوجه عام، ذلك أنهم عندما ينتهون من التحصيل بعد صلاة العصر، فإنهم كانوا يلتحقون بآبائهم في الغابة لمساعدتهم في السقي وحش الفصة وعلف البهائم.

وإذا علمنا كل هذا نستطيع أن ندرك بالفعل الصعوبة التي كانت تعترض الأطفال المتعليمن من حيث الجد والإجتهاد عن طريق الحفظ بالجامع، وضرورة مشاركة آبائهم في أمورهم الدنيوية المختلفة والتي غالباً ما كانت تحتاج إلى سواعد أبنائهم. وهذا من شأنه أن يكشف لنا أن العلم والتعلم لم يكن يشمل كل أطفال فئات مجتمع القصر. إذ لم تكن جل العائلات تشجع أبناءها على التعلم مادامت هذه الأسر تضع في مقدمة اهتماماتها مباشرة العمل الزراعي لضمان المعاش اليومي. وهذا ما يبرر ما ذهبنا إليه أعلاه من أن النظام التعليمي التربوي له علاقة عضوية وسببية وطيدة بالواقع الاقتصادي والاجتماعي لفئات مجتمع القصر. أو بمعنى أدق أن النمط الثقافي يرتبط إلى حد كبير بالواقع السوسيواقتصادي. وهذا ما يشرح لماذا تفرغ أبناء الفئات التي تكون أسرهم في غنى عن سواعدهم للتحصيل والتعليم والتفقه، وعدم الإقتصار على أخذ مبادئ العلوم الشرعية بالمساجد الجامعة بمنطقة مدغرة فقط، بل توجهوا إلى تافيلالت، وأكملوا طور دراستهم الثالث بجامعة القرويين بفاس. وظروف كهذه لم تكن في متناول الكل، بل اقتصرت على شريحة اجتماعية متميزة. وهذا ما يؤكد مرة ثانيةأن عدم تكافؤ الفرص الاقتصادية في واقع الحياة الاجتماعية كان يحول في غالب الأحيان، دون حصول العامة على فرص التعليم والتربية المتكافئة، سواء بالمساجد الجامعة بمدغرة أو غيرها من المناطق الأخرى ذات الخصوصيات التعليمية الثقافية. ماعدا التربية الدينية الإسلامية الأولية التي تعلم بالمنازل والجوامع المحلية. مما يعني أن المسألة التربوية التعليمية يمكن أن نتخذها كمقياس آخر يحدد «الفئوية» داخل مجتمع الواحات بوجه عام ومدغرة بوجه خاص. وأن ما كان يزيد من تعميق الهوة بين الفئات الاجتماعية لمجتمعات قصور مدغرة، من حيث إقبال أطفال هذه الفئة على التعلم وإدبار أطفال تلك الفئة عنه، هو ما كان يعرفه الوسط العائلي من

بنية ثقافية فكرية مختلفة. فإذا كانت فئة الأشراف ومن في زمرتها تتكون – في الغالب – من أعلام وفقهاء وأئمة مساجد و«طلبة»، وأحياناً كانت الثقافة والعلم تشمل حتى نساء هذه الشريحة. من حيث وجود مجموعة من الشريفات القانتات العابدات الناسكات المتفقهات. فإن هذه الواقع كان يهئ لأطفال هذه الشريحة مسلكاً معبداً للتمرس بالعلم والأدب والتفقه محلياً، بل والسفر لطلب العلم في المراكز القروية والحضرية العلمية التقليدية بالمغرب. خاصة وأن هذه الفئة لم تكن في حاجة دائمة ومستمرة لسواعد أبنائها إلا في القليل النادر. فإن فئة الحراطين ومن في زمرتها تنعدم عندها هذه الشروط – في الغالب –. مما كان يضطرهم إلى الإقتصار على تعليم أبنائهم داخل الجوامع المحلية في أحسن الأحوال، ودون أن يكون أطفال هذه الفئة يخضعون لمراقبة مستمرة بمنازلهم من طرف ذويهم. وذلك لتباين اهتمامات الآباء الموجهة بالأساس إلى خدمة الأرض والبيوتات. في حين كان اهتمام أطفالهم موزعاً بين مزاولة التعليم بالمساجد الجامعة بمدغرة والمساهمة في الأعمال الحقلية والفلاحية بوجه عام إلى جانب آبائهم. وهذا ما يشرح – على ما نعتقد – لماذا اقتصر الهيكل التعليمي التربوي والديني والعلمي على فئة الأشراف ومن في زمرتها دون الفئات الدنيا الأخرى. إذ قلما نجد طالباً أو فقيهاً من فئة الحراطين ومن في زمرتها إلا في القليل النادر. ويوضح كذلك لماذا اقتصرت كتب التراجم والمناقب التي ترجمت للشخصيات الدينية والعلمية لمنطقة مدغرة على شريحة الشرفاء دون غيرهم. ويوضح أيضا لماذا اقتصر أمر متابعة الدراسة سواء بتافيلالت أو بجامعة القرويين بفاس على فئة الشرفاء ومن في زمرتهم دون غيرهم من الفئات الأخرى. وما يشهد على ذلك أننا إذا ما حاولنا الكشف عن انتماءات طلبة العلم من منطقة مدغرة بفاس نجدها في الغالب تتكون من هذه الشريحة. مما كان له بالغ الأثر في تبوؤ الشرفاء مكانة تصدر العلم الديني ليس فقط بمنطقة مدغرة، من حيث أن أئمة وقضاة وخطباء ومدرسي العلم كانوا من هذه الشريحة، وهذا طبعا مع بعض الإستثناءات. بل أن هذا التبوؤ شمل حتى مناطق أخرى خارج مدغرة من خلال تصدر بعض شرفاء مدغرة

المهام التعليمية التثقيفيـة والدينية بكَـير وملوية وغـريس، ولدى قبائل أيت يـوسي وصفرو وفـاس ومراكش ومكنـاس وغيرها من البـوادي والحواضر المغربية الأخرى.

إن هذا التصدر للعلم الديني من قبل شرفاء مدغرة لم يكن يقتصر على منطقـة مدغـرة فقط، بل وُجِدَ من شرفـاء هذه المنطقـة، من بوأتـه مكانتـه العلميـة ليصبح مدرسـا ومعلما لـلأمراء والسـلاطين. ممـا انعكس بشكل إيجابي على الحركة الفكرية بمنطقة مدغرة. وبوأها مكانة متميزة في الذاكرة الروحية المغـربية بوجه عـام. ونحتت حضورها في ذاكـرة المخزن المغربي، ويظهر ذلك من خلال الوظائف التعليمية التثقيفية والدينية سواء بمدغرة أو غيرهـا من المناطق القـروية والحضريـة. أو من حيث مسـاهمتها في بلـورة العـديد من المشـاريع السيـاسية والمذهبيـة(31) ذات الإرتبـاط العضـــوي بالظواهر الـدينية والنظام السياسي والأنساق الاقتصاديـة الاجتماعية، وهذا على – ما نعتقد – ما حول المنطقة إلى إحدى المراكز الفكرية المعطاء بالمغرب، منـذ أن انتقلت إليها الأسر الشريفـة الثـلاثـة مع فجر القـرن 10هــ/16م. وكونت بذلك سلفا فكرياً للدولـة العلوية. وهذا مايشرح لماذا جدد السلطان العلوي مولاي رشيـد مدرسة الشراطين وجعلها وقفـاً على الطلبة القادمين من تافيلالت وغيرها، ويشرح مبررات الأعطيات والصلات التي كان يمنحها سلاطين هذه الـدولة لشرفاء مدغـرة. وظهائر التوقير والإحترام التي حظي بها بعض شرفـاء مدغرة والتقـدير والإعتبـار التي تمتعت بـه فئة الأشراف داخل مـدغرة وخـارجها لـدى الطبقات الشعبيـة العامـة ولدى ولاة الأمـر بالمغرب.

إن هذه الأهمية الثقافية والدور العلمي والـديني والسياسي الذي قام به شرفاء مدغرة خلال مراحل تاريخية معلومة، هو ما جعل المنطقة حتى على مستوى التصميم الإداري الحالي بـالمغرب تسجل حضورهـا بشكل متميز وملحـوظ، ويترجم جملة من التطـورات التـاريخية التي شهـدتها مدغـرة،

---

31) انظر الباب الثاني الفصل الرابع.

ويظهر ذلك من خلال تسميتها «بجماعة شرفاء مدغرة» الشيءالذي لا نكاد نعثر عليه في أية جهة أخرى في المغرب – على الأقل فيما نعلم–.

المواد الدراسية :

لما كان القرآن هو الموجه الأول للجماعة الإسلامية،(32) وباعتباره أيضا قاعدة التعليم الأساسي، من هنا كان الإهتمام بتعليمه كبيرا جدا. وكان القرآن يلقن للأطفال قبل أية مادة أخرى، بل أن المرحلة الأولى من تعليم الطفل كانت تقتصر على تحفيظه القرآن حفظاً وكتابة بعد تلقين الطفل كتابة الحروف العربية الأبجدية، لطابعها المقدس وعلاقتها بالقرآن. مما جعل المدرسة القرآنية الكتاب (الجامع) مؤسسة تحتفظ بروابطها مع المقدس.(33) لأنها تهيئ الطفل كي يكون مسلما صالحاً قادراً على احترام الفرائض الدينية والالتزام بالاستقامة الأخلاقية والتمييز بين الخير والشر. أي أنها تهيئ الطفل كي يكون مهيئاً للإندماج والإنصهار في البنيات التقليدية وإعادة إنتاج قيمها باستمرار،(34) حتى شاع أن من كان لا يحفظ القرآن ليس فقط بمنطقة مدغرة بل في مجموع بلاد المغرب، فإنه كان ينعت بالسارق.(35) وهذا يشرح لماذا كانت المرحلة التعليمية الأساسية التي كانت تتم بمنطقة مدغرة توجه عناية كبرى وفائقة لتعليم وتحفيظ القرآن للأطفال مرات عديدة حتى عند بلوغهم سن الرشد. فقد كانت المادة الغالبة في التعليم التربوي الأساسي بالمساجد الجامعة لمنطقة مدغرة تأخذ حيزاً زمنياً طويلا. ولا نكاد نعثر على تعليم أية مادة أخرى إلا في القليل النادر.

---

32) أبيض ملكة: التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة، ص: 268، دار العلم للملايين بيروت 1980.

33) Paye (L): enseignement et sociètè musulmane, introduction et évolution de l'enseignement au Maroc. Paris 1957 p: 7.

34) الزكري رابحة: «الخصائص العامة للتعليم في المغرب خلال القرن السابع عشر». جامعة مولاي علي الشريف الخريفية. الندوة الثالثة (العصر العلوي اجتماعياً وثقافياً). مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني دجنبر 1990. دار المناهل للطباعة والنشر الرباط 1991، ص: 141 – 142.

35) محمد حجي: الحركة الفكرية، م. س، ج 1 ص: 84.

فالحافظـة الشـعبية المحلية تـذكر أن القـرآن كان يحفظ للمتعلمين بمختلف مستوياتهم طيلة أيام الأسبوع في مختلف فصول السنة. ولم تكن الكتاتيب تخصص أيـة حلقة من حلقـات الـدروس الأخرى إلا خـلال يوم واحـد في الأسبوع هـو يوم الأحـد، وفي بعض المساجـد الجامعة فقط. ولا يلـج هذه المجالس العلمية إلا الطلبـة الذين هم في سن الرشد أي الـذين ختموا القرآن على الأقل مرة أو مرتين، وتلقى في هذا المجلس دروس في التوحيد، الذي هو عبـارة عن مجمـوعـة من الألـوان التعليميـة كأصـول الـدين من عبـادات ومعـامـلات، والتفسير والتجـويـد والـرسم والضبط وغيرهـا من الفنـون الأخرى. ممـا يدل على أن هـذه الألوان الـدراسية لم تكـن إلا بمثابـة مواد تكميلية وغير أساسية. على أن الأصل والقاعدة هو تحفيظ القرآن، الذي كان يعتبره الأهالي أم العلوم الشرعيـة. وبمثابة برزخ يـؤهل المتعلم الذي تمكن من ختمه وضبطـه مرات عديـدة من المرور إلى الطور الثاني من الـدراسة، الذي غـالباً ما كان يتـم بتافيلالت برسم التجـويد. قبل الإلتحاق بجـامعة القرويين لتلقي دروس في فنون القراءات من تجويد ورسم كتابة المصحف العثماني والحديث وأصول الدين وأصول الفقه وغيرها من الفنون الأخرى. والحصول على إجازات العلماء في العلوم الشرعيـة والدينية. ليتم الإنتقال إلى تطبيق العلم على العمل كامتهان الإمامة أو القضـاء أو الخطابة أو المشارطة بإحدى مساجد قصور مدغرة أو غيرها. فقد ذكر أحد الباحثين أن المناصب التي كان يحتلها خرجو القرويين كانت على نوعين: مناصب عادية وليست لها مردوديـة اجتماعية وهي «طالب» في مـدرسة قرآنية أو عـادل أو كاتب لشخصية بارزة. وهناك مناصب تخول لأصحابها مراتب إجتماعية متميزة بتحملهم مسؤوليات إداريـة سياسية ودينية، وكـانت شروط توظيفهم هي معرفة معمقة بالمذاهب الدينية والشرعية.(36)

إن هذه المؤسسة التعليمية التربوية (الـجَّـامَـعْ) بمنطقة مدغرة بقيامها بمهمة تحفيظ القرآن للمتعلمين بمختلف مستـوياتهم إنما كانت تسير وفق

---

36) الزكـري رابحة: «الخصـائص العـامة للتعليم بـالمغرب خلال القـرن السابع عشر». م. س، ص: 147.

نظرة واعتقاد فقهاء الإسلام، الذين اعتقدوا أن هذه الممارسة التعليمية تزرع في القلوب إيماناً صلباً بالقواعد المرسومة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.(37) لهذا صار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات. وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كأساس للملكات.(38) وجدير بالإشارة أن مسألة الإقتصار على تحفيظ القرآن للأطفال المتعلمين بمختلف مستوياتهم كأساس أولي يؤهل كل من تمكن من ذلك لولوج مستويات أخرى تهتم بمجموعة من الفنون الأخرى لم تكن تهم منطقة مدغرة فقط، بل أن ابن خلدون يعتبرها بمثابة قاعدة عامة بكل أنحاء المغرب. ويظهر ذلك عندما قال: «فأما أهل المغرب فمذهبهم في الوُلْدَانِ الإقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه. لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من شعر ولا من كلام العرب... وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب، ومن تبعهم من قرى البربر أمم المغرب في وُلدَانِهِمْ أن يجاوزوا حد البلوغ والشبيبة... فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم».(39) ولم يكن الطفل يتمكن من حفظ القرآن إلا بعد مسلسل طويل ومتعب. فبعدما يحفظ ما كتبه على اللوحة يستظهره أمام الفقيه قبل محو اللوحة ويكتب بقية السورة أو سورة جديدة، وهكذا دواليك. فقد كان هم الفقيه الرئيسي وشغله الشاغل هو أن يتمكن الأطفال من حفظ القرآن واستظهاره جيدا دون تعثر. ومعرفة إملاء حروفه وطريقة نطقه دون إبداء أي اهتمام بشرح المعنى مادام إهتمامه مركزاً بالدرجة الأولى على النطق والإفتاء، والتمكن من تحفيظ المتعلمين بالأساس. مما جعل أسئلة المتعلمين لا تخرج عن مسألة الحفظ دون غيرها من المسائل الأخرى المرتبطة بالفنون الفكرية الدينية والأدبية بوجه عام.

---

37) ابن خلدون: المقدمة، م. س، ص: 740.

38) ابن خلدون: المقدمة، م. س، ص: 740.

39) ابن خلدون: المقدمة، م. س، ص: 740.

إن الإقتصار على الحفظ خلال مرحلة التعليم الأساسي، وما يتبع ذلك من معرفة إفتاء الحروف ومخارج نطقها. هو ما علق عليه أحد الباحثين منتقداً، هذا النمط التعليمي قائلا: «إنه مهما كان حفظ القرآن هو الحصول على البركة والأجر والتقدير الاجتماعي. إلا أنه لا يساعد على تطور الفكر والتأمل لدى الأطفال. إن الحفظ يطور الذاكرة على حساب العقل والإدراك».(40) ولكن هناك ملاحظة أساسية في هذا المضمار وهي أن تعليم القرآن وتحفيظه للأطفال المتعلمين لم تكن تقتصر فقط على المساجد الجامعة وغير الجامعة بمدغرة، بل هناك مجموعة من الزوايا المحلية التي اشتهرت بالمهام التعليمية التثقيفية خلال مرحلة الدراسة. وهنا نود أن نقف على زاوية مولاي بن علي أو زاوية قلعة تاوريرت التي كانت تعتبر نموذجاً حيا وفريداً للتعليم بالمنطقة، لمحاولة رصد وتتبع بعض أدوارها ومهامها التعليمية التثقيفية والرابطة الروحية بوجه عام.

*** زاوية مولاي بن علي مؤسسة تعليمية تربوية بمدغرة :**

أشرنا في مواضع متعددة فيما سبق من فصول أن زاوية تاوريرت أو زاوية مولاي بن علي، أو ما يعرف أيضا بالزاوية التحتانية – والتي يوجد موقعها على بعد ست كيلومترات جنوب مدينة الرشيدية على الطريق رقم 21 المؤدية إلى الريصاني، حيث ضريح مولاي علي الشريف –، كانت تتوفر على عدة أحباس وأوقاف منها ما حبسه عليها وعلى مسجدها مولاي بن علي مؤسسها(41) أو من طرف بعض أنجاله(42) وأيضا من بعض المحسنين من أهل البلد، وغيرهم كأهل فاس أصهار مؤسسي هذه الزاوية المشهورين بفاس باسم اليماني أبناء الشيخ سيدي أحمد اليماني صاحب زاوية المخفية، وهم بناة ضريح مولاي عبد الله بن علي بن طاهر. مما وفر للزاوية ريعاً مادياً استغل لخدمة العلم والعلماء. وبها كانت تسير هذه المؤسسة التعليمية التربوية الدينية التي استفاد منها أبناء منطقة مدغرة، وكذلك

---

40) رابحة الزكري: «الخصائص العامة للتعليم بالمغرب خلال القرن 17م». م. س، ص: 144.

41) 42) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م. س، ص: 70 – 74.

الطلبة الأفاقيون الذين كانوا يفدون عليها لأخذ مبادئ العلوم الشرعية الإسلامية.

إن سبب تأسيس هذه الزاوية من قبل مولاي محمد المدعو مولاي بن علي بن عبد الله بن علي بن طاهر العلوي الحسني أن هذا الأخير – أي مولاي بن علي – لما استقر بقلعة تاوريرت وكثرت عليه الوفود من الزوار وانتشر ذكره في الأقطار والآفاق والناس يأتون إليه أفواجاً رجالاً وركباناً. ضاق به ذلك المحل بكثرة الأضياف فنزل منها لجنان قد اشتراه بينه وبين القلعة – أي قلعة تاوريرت – نحو رمي بحجر وبنى فيه زاويته ومسجده. وحبس على الزاوية والمسجد أوقافاً كثيرة ومدائن من النخيل عديدة فقامت بها تلك الزاوية... ويحكى أنه حبس جينانا له قرب المسجد مشتملاً على أراضي ونخيل وأشجار الفواكه على اختلافها، وكان من أحب أجنته إليه وجعله حبوساً على المسجد رضي الله عنه».(43)

يظهر من خلال المعلومات الواردة في المصادر المحلية بالأساس وغيرها من الكتابات خارج منطقة مدغرة التي تعرضت لأهمية هذه الزاوية الدينية والتعليمية، أن زاوية مولاي بن علي هاته كانت مركزاً للعلم الديني الصرف الخالي من كل ظواهر البدع والشطحات الصوفية والأوراد المرتبطة بجملة من الزوايا المغربية الأخرى. مما جعل هذه الزاوية لا تجعل رئاستها في شيخ صوفي، ولكن ترجع رئاستها إلى فقيه عالم بالشريعة ومن أصل شريف ينتمي إلى سلالة أبناء مولاي عبد الله بن علي بن طاهر. وهذا مبرر سكوت المصادر فيما يخص الأوراد والطريقة الصوفية وما يتبع ذلك من الشطحات والطقوس الصوفية التي كانت تقام في غيرها من الزوايا، سواء بمنطقة مدغرة أو في مناطق مغربية أخرى. فزاوية مولاي بن علي تستمد أهميتها العلمية من خلال ما كان يدرس بها من علوم دينية مختلفة كتلك التي كانت تدرس بجامعة القرويين، مما يحمل على الإعتقاد أن زاوية تاوريرت كانت بمثابة فرع لجامعة القرويين بمدغرة. سيما إذا علمنا أن أقطاب وجهابدة هذه الزاوية استكملوا أخذ مبادئ العلوم الشرعية والدينية

---

43) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م. س، ص: 70.

بجامعة القـرويين بفاس. وينضـاف إلى ذلك صـلاتهم العلمية مع الأطـر التدريسية للقرويين، وأحيانـاً المصاهرة مع شيوخ ورؤساء بعض المدارس العلميـة والصوفيـة لمنطقـة فاس وأحـوازهـا. وقد سبق أن رأينـا كيف أن مولاي عبد الله بن علي بن طاهر زعيم أسرة آل حم داوود الشريفة استكمل أخذ مبادئ العلـوم الدينية والشرعية بفاس بعد المرحلـة التعليمية الأساس التي تمت بمدغرة وتـافيلالت.(44) وقـد سـار أنجـال هذه الأسرة على هـذه القاعدة، حيث كانوا بمجرد الإنتهاء من المرحلة التعليمية الأساس التي غالباً ما كـانت تتم بزاويـة مولاي بن علي كانـوا يتوجهـون إلى فاس لاستكمال التكوين والتحصيل العلمي، ويعودون للمنطقـة في الغالب ليطبقوا العلم على العمل. وهذا ما استنتجناه عندما تعرضنا لحياة مولاي عبد الله بن علي بن طاهر التعليمية بمدغرة وتافيـلالت وفاس. كما أن مولاي العابد بن مولاي ابن علي لم يدرك مقام التربيـة ويأخذ طريق التصوف عـن شيخه وصهره سيدي أحمد اليماني إلا بمـدينة فاس، قبل أن يعود إلى زاويـة أبيه للتعليم والتدريس.(45)

لقد كان الغالب على العلوم التي كـانت تلقن بزاوية مولاي بن علي الفقه المالكي على أساس شرح مختصر خليل والسيرة النبويـة وعلم الأنساب، من حيث الحديث عن الشرفـاء وسيرهم وضبط أنسابهم. وهـذا ما يشرح لماذا كان شرفاء مدغـرة يولون أهمية كبرى لقصيدة الإمام البـوصري «الهمزية والبردة» لأنهما كـانتا في مـدح الـرسـولﷺ وآله. كما كـانت تـدرس كتب التفسير كتفسير القرطبي ونـوازل الونشريسي. واهتمت أيضا بـدراسة كتب التصوف ككتـاب إحياء علـوم الدين لـلإمام الغـزالي وكتاب الشفـا للقاضي عياض وغيرها من العلوم الدينية الأخرى. ومعلوم أن هذه العلوم التي كانت تدرس بـالزاويـة تشهد من جهة على المكـانة العلميـة المرموقـة التي كانت تحتلها زاويـة قصر تاوريـرت. وتؤكد مـن جهة ثانيـة أن هذه الـزاوية أو المؤسسـة التعليميـة كانت تشكـل بالفعل استثنـاء من حيث أنها الـزاويـة

44) انظر الباب الثاني الفصل الرابع

45) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م. س، ص: 74.

الـوحيـدة بمدغـرة التي تخصصت ورهنت نفسهـا في هـذا الإتجاه العلمي والتعليمي الصرف. مما بـوأها مكـانة متميزة بين مجمـوع الزوايـا الأخرى الموجودة بمدغـرة، لأنها كانت تعمل لخدمة العلم الدينـي دون سواه. وهذا ما يبرر النجـاح الذي لقيتـه هذه الـزاوية، ويشرح كـذلك التوقير والإحترام الذي حظي بـه أقطابها منذ مـرحلة مـولاي عبد الله بن علي بن طـاهر إلى مولاي البكـري على أقل تقدير، ويظهر ذلـك من خلال إسهاماتهم الـدينية والعلمية. ويفسر كـذلك لماذا حافظت على سمعتها العلميـة، ولم يصب هذه الأخيرة أي فتور كما يمكن أن نلمس ذلك بـالنسبة لبعض الزوايـا الأخرى بالمنطقـة، التي مزجت بين العلم الـديني أحياناً - رغم قلتـه - والشطحات الصوفيـة، والأكثر من ذلك أنها استمـدت الولايـة من زوايا أخـرى خارج منطقة مدغرة.

إن أهميـة زاوية مـولاي بن علي كمجمع للعلم الـديني وكفرع لجامعـة القرويين بمـدغرة، لا يضاهيـه أي نظام آخر غير مـا وجد بقصور الغـرفة بتافيلالت والقصر الجديد بالرتب. ولم يكن ذلك ليتحقق إلا بفضل مساهمة آل مـولاي عبـد الله بـن علي بن طاهـر، لا سيما مجمـوع الأسر الشريفـة القاطنـة بقصر جديد وزاوية تـاوريرت وقلعة قصر تاوريـرت. وبفضل ما توفر بهذه الـزاوية من كتب علمية ودينية. والراجح أن مكتبـة آل بن طاهر التي تحدثت عنها المصادر كـانت موجودة بزاوية مـولاي بن علي بمدغرة. فقـد ذكر الأستـاذ محمد حجي اعتماداً على مـا أورده المؤرخ مولاي عبـد الرحمان بن زيدان بمخطوط «العقود الزبردجية» أنه لما انتقل آل بن طاهر في عصر السعـديين من سجلماسـة إلى مـدغـرة جـددوا بها مـراسم العلم وأسسوا بها مكتبة اشتملت بالخصوص على أمهات كتب التفسير والحديث. إذ كان عبد اللـه بن علي بن طاهر من كبار المفسريـن والمحدثين، واستمرت عناية أبنائه العلماء بالمكتبة يزودونها بمؤلفاتهم، وما يقتنونه من الكتب من مختلف العلوم(46) بل وينسخـون الكتب العلميـة الآتية من فـاس، إذ كـان بالزاوية مجموعة من الوراقين الذين كانوا ينسخون الكتب العلمية، كما كان

---

46) محمد حجي: الحركة الفكرية، م. س، ج 1 ص: 191.

الحال أيضا بقصور أزمور والقصر الجديد وتازناقت والقصبة الجديدة، وتكفي الإشارة في هذا الخصوص إلى الأربعين شريفا الذين سجنهم المنصور الذهبي السعدي بمراكش كانت ثلة منهم من آل ابن طاهر. فقد ذكر أحمد بن عبد العزيز العلوي في أنواره أنه كان من بينهم: «السيد عبد الواحد بن علي بن طاهر أخو سيدي عبد الله – يعني ابن مولاي عبد الله بن علي بن طاهر – كان رجل خير من أكابر الأشراف له معرفة بعلم الكلام وهو من الجماعة المسجونين بمراكش... فاشتغلوا في السجن بالعبادة. فبعضهم كان يختم القرآن كل يوم وبعضهم ينسخ الكتب ويبيعها ويتقوت منها...».(47) وهو نفس ما ذكره الأستاذ محمد المنوني بخصوص اشتغال هؤلاء الأشراف بالنسخ في سجن المنصور. قال: «إن الأشراف العلويين السجلماسيين الذين كانوا بسجن المنصور بمراكش كانت النساخة للكتب من بين موارد عيشهم في مدة سجنهم».(48) كما كان بعض شرفاء مدغرة يساهمون في نسخ كتب أو أجزاء من الكتب. فقد أشار الأستاذ محمد المنوني أن قاضي مكناس أحمد بن علي العلوي المدغري شارك محمد المكي ابن محمد بن العربي المكناسي في نسخ الشطر الأول من كتاب الرحلة العياشية سنة 1216هـ».(49) وإذا أضفنا إلى ذلك ما كان يحبسه آل مولاي ابن علي على هذه المكتبة من مؤلفات علمية. فقد ذكر مولاي علي بن المصطفى أنه وجد طرة على هامش كتاب «التسهيل في علوم التنزيل» تؤكد أن مولاي محمد ابن العربي بن علي بن عبد الله حبس هذا الكتاب على الزاوية والمسجد، واشترط المحبس أن لا يخرج الكتاب من الجامع والزاوية.(50)

زيادة على أن آل ابن طاهر كانت لهم صلات علمية قوية مع علماء فاس والهيئة التدريسية للقرويين وبعض صلحاء ومتصوفة الحاضرة الإدريسية.

---

47) أحمد بن عبد العزيز العلوي: الأنوار، م. س، ص: 67.

48) محمد المنوني: تاريخ الوراقة المغربية. صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء 1991، ص: 22.

49) محمد المنوني: تاريخ الوراقة المغربية، م. س، ص: 196.

50) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، ص: 150.

كما كانت لهم علاقات مع أبي سالم العياشي من الزاوية الحمزاوية والزاوية الناصريــة بتمكَــروت بدرعــة وبفجيج وتوات وتلمسان. نتأكــد بالفعل من الزخم الفكــري الذي كــانت تضمه زاوية مــولاي بن علي قبل أن يأتــي على معظم هــذه المؤلفــات الفيضــان النهــري، الــذي لم يتلف فقط هــذا التراث المكتوب الذي يشهــد على أهمية هذه الزاويــة العلمية والدينية بمــدغرة، وما إليها كقلب ديني وعلمي محرك، بل أن واحداً من هــذه الفيضانات أتى على الزاوية برمتها. فقــد ذكر مولاي علي بن المصطفى أن زاوية مولاي بن علي القديمة هدمها طــوفان نهر زيز لسنة 1343هــ/1925م.(51) وغيرت الزاوية مكانها من مقــدمة غابــة قصر قلعة تاوريــرت إلى الجانب الأيسر من القلعة المذكورة، وتوجــد اليوم بقايا تجديدها بــالموضع الموجود ما بين مقبرة أهل تاوريرت وقلعة تاوريرت.

وجدير بــالإشارة أن مكتبة آل ابن طاهر اليــوم غيرت مكانها من زاوية مولاي بن علي إلى الــدار الموجودة بإزاء ضريح مولاي عبــد الله بن علي بن طــاهر والمخصصــة اليوم بــالأساس لاستقبــال الزوار لا سيما قبــائل أيت عيسى وأيت يوسي. ولا نعثر داخلها على أمهــات الكتب المخطوطة التي كان ينسخها أو يقتنيها رجــالات العلم الديني لهذه الأسرة. وكل ما هــو موجود بها اليوم مجموعــة من الكتب الدينية المطبوعة طبعة عصريــة، حبس والدنا المرحوم بكرم الله اباسيدي بن التهامي العلوي ثلة من الكتب عليها.(52)

وما يشهد من جهة ثانية على الأهميــة العلمية لزاوية مولاي بن علي أن صيتهــا لم يقتصر على مدغــرة بل تعــداه إلى غيرهــا من المناطــق المغربيــة الأخــرى، وما يــؤكد ذلــك هو تكــرار ذكر أهميتهــا العلميــة في العديــد من المصادر التي أثنى أصحابها على رجالاتها. فقد ذكرها اليوسي في المحاضرات بل إن هــذا الأخير عقد مع رئيس الــزاوية مــولاي بن علي عقد محبــة. وما يشهد على ذلك القصيدة التي أثنى فيها اليوسي على مولاي بن علي.(53) كما

51) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، ص: 69.

52) سنثبت نسخة من لائحة الكتب التي حبسها والدنا على المكتبة المذكورة. انظر الوثائق رقم: 60 – 61 بالملحق الوثائقي الخاص.

53) اليوسي: المحاضرات، م. س، ص: 301 – 302.

أثنى عليه كذلك الـرحالة أبو سـالم العيـاشي في ماء الموائد. ونشير إلى أن أبا سالم لعياشي تـوقف بزاوية مولاي ابن علي وهـو في طريقه إلى الحج دون غيرها من الزوايـا الأخرى الموجودة بمدغرة. قـال في فتح القدوس: «وكذلك ذكره – يعني مـولاي بن علي – العلامـة أبو سالم العيـاشي في أول رحلته «الرحلة العياشية» فقال أبو سالم زرنا قبر أبيه الحافظ أبي محمد عبد الله ابن علي بن طاهـر بمدغـرة وبتنا عنـد ولده العالم العـلامة الـولي الصالح سيدي محمـد المدعو مولاي ابن علي بن عبد اللـه، فرحب بنا وفرح فـرحاً شـديداً فهش وبش ومن كل خير رش وعلف الـدواب.(54) وسـألته عن آية أتحفظ بها في سفـري هذا، وتكـون لي حجـابـاً من الأعداء واللصـوص في طريقي وقد سمعها من أبيه الحافظ أبي محمد عبد الله، فمنحني قراءة آية الكرسي: ﴿**الله لا إلـه إلا هو الحي القيـوم**﴾ إحدى عشر مـرة إلى ﴿**وهو العلي العظيم**﴾ وسبعـة عشر مـرة إلى ﴿**وهم فيها خـالدون**﴾ قال: قـد سمعت هذا من والـدي الإمام الحافظ عبد الله بن علي بن طـاهر».(55) كما أشـار إلى أهمية هـذه الـزاوية عبـد الـرحمان بن زيدان في «إتحاف أعـلام الناس» عنـدما وصف رحلـة السلطان مـولاي الحسن الأول إلى تافيـلالت وعند ترجمته للسلطانين سيدي محمـد بن عبد الله وسيدي محمد بن عبد الرحمان. كما ذكرها أبو القاسم الـزياني في: «البستان الظريف» خصوصا عندما كان يتحـدث عن أيام وجوده بتافيلالت كعامل للسلطـان بتافيلالت. كما أشـار إلى أهمية هـذه الزاوية محمد المختار السـوسي في «سوس العالمة» ومن «خلال جزولـة». وجدير بالإشـارة أن زاويـة مولاي بن علي كانت لها علاقـات حميمية مع زاويـة تمكَـروت بـدرعة من خـلال تبادل العلماء. لا سيما إذا علمنا وبناء على ما جـاء في فتح القدوس أن مولاي بن علي نفسه أخذ طريق التصوف عن الشيخ سيدي محمـد بن ناصر الدرعي، وذلك بعد وفاة والده المولى عبد الله.(56) وما يشـهد على هذه الصِّـلات من جهة ثانية

---

54) أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية، ج 1 ص: 15.

55) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م. س، ص: 69 – 70.

56) نفس المصدر السابق، ص: 68.

أن مـولاي بن علي نقل أبناء عمـه سيـدي مـولاي أحمد بن علي بن طاهـر وسيدي مـولاي عبد الكـريم بن علي بن طـاهر من بـلاد توروك.(57) وقد سبق أن أشرنا أن بلاد توروك لم تكن - على الأقل حسب مـا توفر لنا من معلومـات - كمستقر للشرفاء آل حم داوود بعـد الإنتقال -(58) إلى مدغرة وما إليهـا - ولا نستبعد أن يكـون مولاي أحمد ومـولاي عبد الكـريم إبنا مـولاي علي بن طاهـر قد قصـدا هـذه الجهة لغـرض تعليمي تثقيفي. كما كانت للـزاوية علاقات حميمية كـذلك بقادة العلم الديني بمنطقة تـافيلالت خاصة قصور الغرفة وبفجيج خاصة عبد الجبار الفجيجي صاحب قصيدة الصيد ومع تلمسان أيضا وتوات. هـذا وإن كانت المادة العلمية المتوفرة لا تسعفنا لتتبع هذه الصلات مع هذه المراكز الأخيرة.

وهكذا يظهر أن زاوية مولاي بن علي كمؤسسة تعليمية تربوية بمدغرة جسدت بالفعل مجمعاً للعلم الـديني والقلب الفكري والعلمي المحرك لمدغرة على الأقل خلال مرحلة العصر الحديث. وذلك بفضل مـا توفر لهذه الزاوية من مؤهلات من حيث وجود أطر علمية كفئة توارثت العلم الديني من الآباء إلى الأبناء. ومن حيث أيضا تـوفر الإمكانات الماديـة من خلال كثرة الأراضي الحبسية والوقفية التي كانت تسير بها الـزاوية هيئتها التثقيفية والتعليمية. وأيضا من حيث توفـرها على خزانة علمية هامـة تضم نوادر أمهات الكتب العلمية والـدينية. وهـذه العوامل مجتمعـة قلما توفـرت لغيرها من الـزوايا الأخرى بالمنطقـة. لهذا نفهم لماذا حظيت هذه الزاوية بأهميـة بالغة من قبل أئمة العلم الـديني المغربي الذين أثنوا عليهـا وعلى أقطابها، بل أن منهم من شـد الرحلـة إليهـا للإستفـادة. وهنـا نود أن نشير إلى أن مـولاي بن علي مؤسس الزاوية تتلمذ على يديـه الكثيرون سواء بمدغرة أو بفاس. فقد ذكر الأستاذ محمد حجي أن من جملة الآخذين عنه عبد الرحمان الفاسي صاحب «الأقنوم» والرحـالة أبو سالم العياشي وأبـو علي لحسن بن مسعود اليوسي وغيرهم.(59) وهذا مـا ميز زاويـة مولاي بن علي عن بقيـة الزوايـا الأخرى

---

57) نفس المصدر، ص: 72.

58) انظر الباب الثاني الفصل الرابع.

59) محمد حجي: الحركة الفكرية، م. س، ج 2 ص: 524.

بالمنطقة حتى تلك التي أقامها أحد أبناء مولاي بن علي، ويتعلق الأمر هنا بزاوية مولاي البكري. فلم يسجل لنا التاريخ أن زاوية أخرى بالمنطقة حظيت بنفس الاهتمام الذي كان لزاوية مولاي بن علي، سواء من حيث الإمكانات المادية التي توفرت لها أو من حيث انتشار ذكرها في الأقطار والآفاق. وأن هذه الشهرة والسمعة العلمية الصرفة المتميزة هي التي جذبت أئمة العلم الديني وطالبو العلم بوجه عام إليها. مما فرض على مولاي بن علي بعدما لم يعد بإمكان الزاوية التي كان مقرها موجوداً في بادئ أمرها بقلعة تاوريرت يفي باستيعاب هذه الجموع الغفيرة الطالبة للعلم، أن يبني قصراً برمته في مقدمة غابة تاوريرت سماه بزاوية تاوريرت. وهذا ما تؤكده الأسباب التي ساقها مولاي علي بن المصطفى بخصوص سبب بناء الزاوية. قال في فتح القدوس: «فلما سكن سيدي مولاي بن علي بالقلعة – يعني قلعة تاوريرت – وكثرت عليه الوفود من الزوار وانتشر ذكره في الأقطار والناس يأتون إليه أفواجاً رجالا وركبانا، ضاق به ذلك المحل بكثرة الأضياف، فنزل منها لجينان قد اشتراه وبينه وبين القلعة نحو رمي حجر وبنى فيه زاويته ومسجده...».(60)

كما أنه ليس من باب الصدفة أن يتم إجماع أئمة الفكر الديني المغربي وبمناطق مغربية مختلفة من بلاد المغرب الأقصى على الأهمية العلمية لهذه الزاوية دون غيرها من الزوايا الأخرى الموجودة بمدغرة، والثناء على أقطابها. بل إن ذلك يترجم أهمية الأدوار التعليمية والتثقيفية الصرفة التي قامت بها الزاوية التحتانية من خلال عقد مجالس العلم والتلقين والتعليم وتحفيظ القرآن. أي أنها جمعت بين المراحل التعليمية الأساس التي كانت تتم بالمساجد الجامعة وغير الجامعة بمدغرة، وما كان يلقن بها من علوم شرعية ودينية بجامعة القرويين بفاس. وهذا ما يبرر ما ذهبنا إليه سابقا من أن زاوية مولاي بن علي كانت بمثابة فرع لجامعة القرويين بمدغرة.

ومما زاد زاوية مولاي بن علي قوة امتياز من حيث مكانتها العلمية الصرفة المتميزة أن أشهر المساجد الجامعة بمدغرة لا سيما تلك التي كانت

60) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م. س، ص: 70.

تقام بها خطبة صلاة الجمعة كانت لا تقدم للإمامة إلا الشخصيات العلمية والدينية المنتسبة إلى زاوية تاوريرت ومن آل مولاي عبد الله بن علي بن طاهر. وقد سبق أن رأينا كيف أن مولاي عبد الهادي بن عبد الله بن علي ابن طاهر كان إماماً ومدرساً للعلم الديني بالمسجد الجامع لقصر القصبة الجديدة. كما أنه إلى عهد قريب منا كان إمام المسجد الجامع لأولاد أبي ناجي هو الشريف سيدي محمد بن أحمد المعروف في الأوساط العلمية بمدغرة باسم اباسيدي بن احمد،(61) وهو من آل مولاي بن علي زاوية تاوريرت مدغرة. أضف إلى ذلك أن أقطاب وعلماء هذه الزاوية – أي زاوية مولاي بن علي – لم يكونوا فقط أئمة وشيوخ العلم الديني بمدغرة، بل أن من بين علمائها من بوأته مكانته العلمية ليصبح مدرساً لأمراء وسلاطين وقته. وقد سبق أن رأينا كيف أن مولاي الصديق بن هاشم اتخذه السلطان سيدي محمد بن عبد الله كمعلم للأمير أبي الربيع مولاي سليمان.(62) وأيضا لتولي قضاء مدغرة إذ كان قضاة مدغرة ينتسبون – في الغالب – لأسرة آل مولاي بن علي. فقد ذكر مولاي علي بن المصطفى أن مولاي عبد الله بن الصديق بن عبد الله بن العابد بن مولاي بن علي بن عبد الله ابن علي بن طاهر تولى خطة القضاء بمدغرة في صدر خلافة السلطان مولانا سليمان بن الربيع.(63) وقد سبق أن رأينا أيضا أن مولاي المهدي بن هاشم تولى قضاء مدغرة مع مطلع القرن 20م. هذا علاوة على

---

61) وقد ترجم له والدنا – ابا سيدي بن التهامي العلوي – في مخطوط فتح القدوس قال: «أما سيدي محمد بن أحمد المدعو ابا سيدي فهو طالب يحفظ القرآن العظيم وكان من طلبة القرويين بفاس مدة عامين أو ثلاثة، ورجع لبلاده زاوية تاوريرت مدغرة، وانخرط في سلك العدول الشرعيين تحت رياسة خاله القاضي سيدي مولاي المهدي بن هاشم بن قاسم ومازال عادلاً إلى الآن – أي سنة 1972 – نحو 38 سنة من العمل...».

انظر فتح القدوس ص: 212 – 213.

أما الآن فقد أحيل على التقاعد بعدما فاق سنه الثمانين ومازال إلى اليوم حي يرزق ويشارك في المجالس العلمية ويثري النقاش بآرائه العلمية المتشددة التي لا تعرف هوادة ولا مداهنة ولا تملقاً.

62) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م. س، ص: 203.

63) نفس المصدر السابق، ص: 86.

مهام الإمامة والتدريس التي تولاها أنجال مولاي عبد الله ابن علي بن طاهر والأمثلة كثيرة ومتعددة. كما أن زاوية مولاي بن علي علاوة على هذه المهام التعليمية التثقيفية والرابطة الروحية بوجه عام، فقد ساهمت أيضا بضلع وافر في إصلاح ذات البين بين المسلمين. قال في فتح القدوس: «وكان رضي الله عنه – يعني مولاي بن علي – يقري الضيف ويكسب المعدوم ويعين على نوائب الحق، وكان حريصاً على إصلاح ذات البين بين المسلمين».(64) مما يعني أن أسرة آل حم داوود الشريفة التي تنتمي إليها هذه الزاوية رهنت نفسها وتخصصت لخدمة العلم الديني الصرف، وهذا ما يؤكد أن الأهمية الفكرية التي أصبحت تتميز بها منطقة مدغرة منذ مطلع القرن 10هـ/16م تعزى إلى هذه الأسرة ومن في زمرتها التي حولت المنطقة إلى مركز فكري وعلمي معطاء ومجمع للعلم الديني. وكل هذا كان ينسجم إلى حد بعيد مع مهام أسرة آل حم داوود الشريفة التي اهتمت بالروحانيات وابتعدت عن الخوض في الأمور السياسية. وهو ما دفعنا إلى إفراد أهم زواياها بالمنطقة بالدراسة لتبيان أهميتها ومكانتها العلمية والروحية. ومع كل ذلك فإننا نعترف أن كل ما قيل عن زاوية مولاي بن علي لا يروي الغلة. لأن زاوية تاوريرت تحتاج إلى دراسة علمية جامعية أكاديمية مفصلة ومستقلة.

2 – بعض مظاهر إسهامات منطقة مدغرة دينياً وعلميا :

بناء على ما سبق يظهر أن مدغرة لن تصبح قاعدة علمية ودينية إلا مع فجر العصر الحديث، الذي يوافق انتقال بعض شرفاء وادي إفلي إليها. الذين طعموا بنيتها البشرية بالعنصر العلوي الحسني الشريف. هذا الأخير الذي اضطلع بمهام التعليم والتثقيف، وعموما رابطة روحية بسكان الإقليم المدغري.

وإذا كان انتشار العلم والأدب خلال هذه المرحلة سار جنب إلى جنب مع انتشار نفوذ الأشراف بمنطقة مدغرة، وما إليها، فإن هناك عوامل أخرى

64) نفس المصدر، ص: 72.

ساعدت على نموه وتمركزه في كل أقسام المنطقة. منها محورية هذه الأخيرة المكانيـة كجسر ربط خيط الإتصال والتـواصل بين الشمال والجنوب، ليس فقط من حيث أهميتها التجارية كممر عبوري وسوق محلي تقصده القوافل والقبـائل الرحليـة، ولكن أيضـا كمـركز ثقـافي استقطب عـدداً من العلماء والصلحاء الـذين أسسوا مجمـوعة من الزوايـا الصوفيـة والمدارس العلمية قصدها الطـلاب من مناطق بعيدة للأخـذ من مختلف مشارب العلوم التي كانت تـدرس على يد أئمة أعلام بالمســاجد الجامعة بمنطقة مـدغرة وداخل زواياها الدينية. هـذا طبعا دون إغفال الجانب السياسي والمذهبي الذي عمل بدوره على تدعيـم الحركة الفكرية ومـؤازرتها. سيما إذا علمنا أن الشرفاء بمنطقة مدغرة كـانوا بمثابة سلف فكري للدولة العلويـة. وقد ساعدتهم في ذلك مكانتهم الاجتماعية التقـديرية الاعتبارية لـدى كل الفئات سواء داخل مدغرة أوخارجها. من خـلال قيامهم بمهام التعليم والتثقيف وإصلاح ذات البين باعتبـارهم عنصر توازن اجتماعي كانت تقتضيـه الظرفية التـاريخية للمنطقة، التـي ظلت دائما تحت تأثير الهزات والتوتـرات الاجتماعية الحادة التي كانت تقوم بين الفئـات المتساكنة داخل قصور مـدغرة من جهة. وبين الـرحل والمستقين من جهـة أخـــرى، المتنــافسين على الموارد الاقتصــاديـة المطبوعة بالقلة باستمرار. كما أن الـوضـع السوسيواقتصادي للفئات الذي سبق الحديث عنـه، كان يؤهل فئـة الأشراف لتبوء مكـانة صـدارة الحركة الفكرية بالمنطقة.

إن مسألة تتبع إسهـامات منطقة مـدغرة على المستوى الـديني الفكري والعلمي بوجه عـام تقتضي من الباحث الإلمام بكل مظاهر الحركـة الفكرية للمنطقـة، لكن مع ضرورة وضعهـا في إطـار مـا تسمح بـه المادة العلميـة المتوفـرة لدينا من جهـة. ومن جهة ثانيـة وضعها في الإطار الـزمني الذي حددناه كمجـال زمني لدراستنا. لأن تتبع رجالات العلم والصــلاح والزوايا الدينية في تطورها العام ومختلف مظاهـر الحركة الفكرية والدينية الأخرى تبـدو طويلـة وطـويلة جـدا. وعليـه سينصب اهتمامنـا على مجموع هـذه الظواهـر الفكرية المختلفـة لا سيما تلك التي تتناسب وتتطابق مع مـرحلة دراستنا.

تتميز المرحلة التاريخية التي تشمل مرحلة العصر الحديث في تاريخ منطقة مدغرة بنهضة علمية ودينية مباركة يستطيع الباحث أن يستجلي الكثير من جوانبها ويتعرف على المهم من تراجم رجالاتها. وذلك بفضل ما توفر لنا من مادة علمية تؤرخ لأخبارها وتدون أحداثها. ويمكن أن نضع على رأس لائحة رجالات العلم والصلاح الذين رفعوا مشعلها وأناروا طريقها وجددوا سندها ما تناسل من آل بن عمر المدغريون وآل بن طاهر الحسنيون. فقد ذكر أحد الباحثين أن العلم تصدرته بمنطقة مدغرة الأسرتان السالفتان الذكر منذ مرحلة القرن 10هـ/16م.(65)

*** مولاي عبد الله بن عمر المدغري :**

تنتمي هذه الشخصية السياسية والدينية إلى أسرة أهل تعرمت التي استوطنت منطقة مدغرة الوسطى بالأساس قبل أن ينتقل أنجال عبد الله ابن عمر إلى قسم مدغرة العليا مع بداية النصف الثاني من القرن 11هـ/17م، وذلك في إطار الدعاية للمشروع العلوي بهذا اقسم من مدغرة.(66)

كما اهتمت هذه الشخصية كذلك بالأمور الدينية والعلمية لدرجة أن هناك من الباحثين من يعتبره واحداً من أولئك الأعلام الذين ملأوا: «مدغرة علما وحكمةوصلاحا».(67) فقد أسس أولى زواياه بمنطقة مدغرة قبل أن يؤسس زاويته الثانية بتكَمادارت بدرعة. وإذا كانت المادة العلمية تعوزنا لتأكيد أو نفي ما إذا كان يتعاطى للتعليم والتثقيف بزاوية قصر سيدي أبو عبد الله بمدغرة أم لا؟ إلا أن الأكيد وحسب ما تمدنا به كتب التراجم والمناقب أن مكانته العلمية والدينية ودعايته للمشروع السعدي بوأته مكانة تعليم إبني محمد بن عبد الرحمان الزيداني. قال في الدوحة: «ومنهم الفقيه الكبير العالم النحرير شيخ الإسلام أبو محمد عبد الله بن عمر المضغري –

65) محمد حجي: الحركة الفكرية، م. س، ج 2 ص: 520.

66) بخصوص الجانب السياسي لهذه الشخصية انظر الباب الثاني الفصل الرابع.

67) محمد حجي: الحركة الفكرية. م. س، ج 2 ص: 520.

أي المدغري – من عمل سجلماسة... وكان غزير العلم كبير الشأن... فهو من أكابر المشايخ العابدين والأئمة المهتدين، له الشأن الذي لا يدرك ولا يطار تحت جناحه... وكان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وله مناقب كبيرة يطول ذكرها وتفصيلها، وكان السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ وأخوه أبو العباس – يعني مولاي أحمد الأعرج – من تلامذته وبسببه كانت دعوتهما».(68) وهذا يدل على أنه جمع بنفس الآن مهام التعليم والتثقيف والرابطة الروحية بوجه عام وهذا ما يفسر التوقير والاحترام الذي حظيت به هذه الأسرة من قبل السلطة السعدية. وفي هذا السياق يمكن أن ندخل وفادة محمد بن عبد الله بن عمر المدغري إلى مراكش على السلطان الغالب ووعظه وحظه على الرفق بالرعية والعدل.(69) وقد استمر أنجال عبد الله بن عمر المدغري يقومون بهذه الوظائف التعليمية والتثقيفية طيلة القرنين 16م و17م وما يتبعهما.

*** مولاي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني الرجل العالم :**

وهي الشخصية الدينية والروحية التي خلفت عبد الله بن عمر المدغري بمنطقة مدغرة من حيث التقدير الاعتباري والشفوف الديني. وقد سبق أن رأينا(70) كيف أن مولاي عبد الله بن علي بن طاهر انطلق من مدغرة طالباً للعلم وأصبح مدرساً للسلطان المنصور الذهبي، وبعد انفجار الخلاف بينهما عاد إلى مدغرة ليقيم فيها بصورة إجبارية بقصر قرية أولاد الحاج. مما كان له بالغ الأثر في تنامي الحركة الفكرية والعلمية بالمنطقة، سيما إذا علمنا أن مولاي عبد الله بن علي بن طاهر كان طودا شامخاً ومناراً عملاقاً في علوم القرآن والحديث وغيرهما، ونجماً ثاقباً وكوكباً ساطعاً ونموذجاً حيا متحركاً في التمسك بالسنة المطهرة ومقاومة البدع المنكرة. وكانت المهنة

68) ابن عسكر: الدوحة، م. س، ص: 87 – 88.

69) ابن عسكر: الدوحة، م. س، ص: 89.

70) انظر الباب الثاني الفصل الرابع.

المحبة إليه طول عمره هي الاشتغال بتنوير الأذهان وتبديد ظلام الجهل بنشر العلوم والمعرفة بين جميع الطبقات.

وبذلك كون مدرسة تطبيقية للعلم على العمل ظهرت آثارها جلية في تلاميذه ومحيطه.(71) وهذا ما كان له انعكاس مباشر ليس فقط على الحركة الفكرية بمنطقة مدغرة وما إليها، بل كذلك على ثلة من المراكز الحضرية والقروية التي مر بها أو قصدها مولاي عبد الله بن علي بن طاهر، سواء في مرحلة تعلمه أو خلال تطبيقه علمه على عمله. سيما وأن مولاي عبد الله بن علي بن طاهر كانت له طريقة في تفسير القرآن وجودة صناعة التدريس وجودة في الإملاء والتعبير. وكان يمزج تفسير القرآن الكريم بأسباب النزول وأحوال النبوة وقواعد اللغة والبلاغة. ومما يعطينا صورة صادقة عن طريقته في تفسير القرآن ما ذكره الهشتوكي في بذل المناصحة واصفاً إياها قائلا: «كلامه فيه طلاوة تنصت الأسماع لما فيه من الحلاوة التي يمزجها بأحوال النبوة ويحدوها بما قل من النحو وبما لابد منه من النقول في بسط المناسبات بين الآيات والسور في أوائلها، له في ذلك اليد الطولى والصناعة البديعة».(72) وعلى العموم فقد كانت مكانته العلمية لا تضاهى ولا يطار تحت جناحه. لأنه جمع بين شرف العلم والولاية، وهذه المكانة العلمية على – ما نعتقد – هي التي جعلت أصحاب كتب التراجم والمناقب خلال مرحلة القرن 11هـ/17م، يثنون عليه ويعترفون بباعه الطويل في المتن والإقراء والتفسير والتجويد، بل إن منهم – أي من أصحاب كتب التراجم – من صدر به مؤلفه. قال في الصفوة: «وإنما بدأت به مع كونه مات في وسط القرن – يعني القرن 11هـ/17م – تبركاً به لأنه جمع بين شرف العلم والولاية».(73)

إن هذه المكانة العلمية التي حظي بها مولاي عبد الله بن علي بن طاهر والإمامة في العلم والعمل والدين واتباع السنة والورع والاجتهاد في العبادة

---

71) التقي العلوي: «أوصاف بن طاهر الخلقية وتأثيره في تلاميذه» م. س،ص: 41.

72) ذكره التقي العلوي في «الحافظ عبد الله بن علي بن طاهر» م. س، ص: 54.

73) الإفراني: الصفوة، م. س، ص: 3.

محمد بن الطيب القادري: نشر المثاني، م. س، ج 1 ص: 323.

هو ما دفع بعض المتحاملين من أهل البـدع إلى نعت مولاي عبد الله بن علي ابن طاهر بعدم الضبط والثقة والحفظ حسـداً ونكاية. قال محمد بن الطيب القادري في نشر المثاني مدافعاً عليه: «فحكوا عن محمد البجيري المكناسي أن بعض من ينتسب إلى العلم كـان يقول: حُـفَّـاظُ المغرب في زمـاننا ثـلاثة: حافظ ضابط ثقة وهو أبو العباس أحمد بن يوسف الفاسي، وحافظ ضابط غير ثقة وهو أحمد المقري، وحافظ غير ضابـط ولا ثقة وهو أبو محمد عبد الله بن علي بن طاهر الشريف السجلماسي».(74)

وقـد انتقد بشـدة محمـد بن الطيب القـادري هذا التلفيق الـذي أورده محمـد البجيري المكناسي وألصقـه بواحـد من الأئمة الأعـلام خلال القـرن 11هـ/17م. ويتعلق الأمـر بسيدي محمـد بن أبي بكر الـدلائي، ودلل على ذلك بجملة من الشواهـد الدامغة: منها: أن هذا الكـلام المنسوب إلى سيدي محمد ابن أبي بكر مكذوب ولا أساس له من الصحة. لأن محمد بن الطيب القادري عثـر بنفسه على مجموعـة من الأسئلة الكثيرة التي كان يـوجهها سيدي محمد، بن أبي بكر الـدلائي إلى الشيخين مولاي عبد الله بن علي بن طاهر وأبو العباس أحمد المقري، وكان يبالغ في تعظيمهما فيها. كما أن هذا الناقل ويتعلق الأمر بمحمد البجير المكناسي – يضيف ابن الطيب القادري – يعتبر من المتطفلين على العلم. ولا يعرف له ذكر مع أهلـه، ولم يرد له ذكر في كتب التراجم والمناقب التي اطلع عليها صاحب النشر. قال في نشر المثاني: «على أن هذا البجيري النـاقل لهذا الكلام مجهول لا يعرف لـه ذكر مع أهل العلم ولم نعثر على من وصفه بالعلم ولا ذكره أو سَـمَّـاهْ إلى من روى عنه ذلك. ولم يـذكـره أحـد في تقييد ولا في فهـرسـة ولا في نقل ولا مـؤلف مع مطالعتنا لكثير من ذلك، كفهرسة سيدي عبد القادر الفاسي وولديه أبي زيد وأبي عبد الله وابن أبي زيد وابـن أبي عبد الله والشيخ اليوسي، ولا في المرآة والممتع والروضة والابتهاج والمقصد والإلماع وتحفة الأكابر وأزهار البستان وكثير من الكنانيش والمقيدات... فكل هذه المسميات تضمنت التعريف بطبقة سيدي محمـد ابن أبي بكر الـدلائي ومن بعده، ولم نعثـر في ذلك على ذكر

74) محمد بن الطيب القادري. م. س، ج 1 ص: 323.

للبحيري المذكور سوى من نسب له هذه المقالات المكذوبات قطعاً، فلا شك أنه من المجهولين... ولا يلتفت لقوله ولا ينظر إليه».(75) ومقابل ذلك نجد القادري يثني على مولاي عبد الله بن علي بن طاهر، ويؤكد على نبوغه وذكائه الثاقب وقوة عارضته في الحفظ والضبط، مدلِّلاً على ذلك بما أورده جامعو ترجمته من إشارات تتعلق بخصاله الحميدة ونبوغه العلمي وتوقد ذاكرته، مستنكراً في آن الوقت التشنيع على أمثال هؤلاء الأئمة الأعلام. قال: «فكيف يسلب معنى الثقة عن هذين الإمامين الكبيرين – يعني أحمد المقري ومولاي عبد الله بن علي بن طاهر – كانا كالنيرين. وقد تتلمذ لهما الجم الغفير من الشيوخ وحمل منهما العلم في الدواوين أهل الرسوخ، وكلاهما كان مصدراً للفتوى والتدريس... ولم يقل أحد منهم مثل هذا ولا ذكره حاسد ولا جاحد إلى هذا الزمان الذي ظهر فيه هذا القائل».(76)

ليستنتج في الأخير بعدما لم يعثر على ما يؤكد ذلك أن هذا الكلام مكذوب على من أسند إليه من الأعلام بعدما أطال البحث والتمحيص في أقوالهم وتقييداتهم، ولم يعثر على ما يشعره بشيء من ذلك الكلام ولا ما يقاربه، بل بالعكس فالذي وقف عليه من الآثار الفكرية لهؤلاء الأعلام، يؤكد نقيضه وضده. قال: «فليس يذكر هؤلاء الأئمة الثلاثة إلا بمجموع الأوصاف الثلاثة : الحفظ والثقة والضبط، وكل ما هو من أعلى مراتب التعديل».(77) وكل هذه الشواهد وغيرها تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن كلام البجيري ما هو في حقيقة الأمر إلا تلفيق، سيما وأنه صادر من متطفل على العلم وهذا مالا يتيح المجال للمس بالسمعة العلمية العالية لمولاي عبد الله بن علي بن طاهر.

ظل مولاي عبد الله بن علي بن طاهر سواء بمدغرة أو غيرها من المراكز العلمية التي تردد عليها واعظاً راشداً، وطبعت حياته بحياة الزهد والورع وفراغ القلب مما سوى الله، فارتفع بصلاحه الديني عن مصلحته الدنيوية،

---

75) 76) محمد بن الطيب القادري: نشر المثاني، م. س، ج 1 ص: 324.

77) القادري: نشر المثاني، م. س، ج 1 ص: 323.

– التعارجي: الإعلام، م. س، ج 2 ص: 305.

واستغنى بكفافه وعفافه عن مصلحته الدنيوية وعفافه عما في أيدي الناس.(78) وكثيراً ما كان يقتنص الفرص ليجعل من درسه منبراً للتشنيع على أهل البدع والأهواء الفاسدة وأصحاب الانحراف كيفما كانت حالتهم المادية وطبقاتهم الاجتماعية، حتى تعرض بذلك لإذاية بعض السفهاء. وهذا ما تعكسه القصيدة التي خلفها مولاي عبد الله بن علي بن طاهر حين حصلت له تلك الإذاية من بعض السفهاء، واستغاث فيها بالنبيﷺ وثبّتها على حروف قوله تعالى: ﴿**ربي إني مغلوب فانتصر**﴾.(79)

لم تقتصر مؤلفات صاحب الترجمة على هذه القصيدة فحسب، بل إنه أسهم بإنتاجه في ميدان التأليف بقسط وافر، فقد ذكر أحد الباحثين بعدما عدد مختلف هذه المؤلفات أن صداها مازال يرن في كتابات تلميذيه البارين الهشتوكي والمرغيثي. حيث نوه كل منهما بهذه المؤلفات تنويها طيبا. بيد أن يد التلف والضياع قد لعبت بها أو ببعضها لعب الشمول، ولم يصل منها إلا بعض أسمائها وبعض الجمل التي تتحدث عن موضوعاتها والتعريف بها.(80) هذا وإن كنا نتوفر على بعض هذه المؤلفات التي استطعنا جمعها بالمادة العلمية المخطوطة المحلية الخاصة بالتأريخ لنسب أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر.(81) وقد سبق أن أشرنا(82) إلى أن لمولاي عبد الله بن علي بن طاهر علاوة على ما ذكر من مؤلفات قصيدة في الأمداح النبوية. فقد ذكر مولاي علي بن المصطفى أن الإمام الحافظ أبا محمد عبد الله بن علي بن طاهر كان شغوفاً بمحبة النبيﷺ مشتغلاً بمدحه، وألف ديواناً في الأمداح النبوية قد وسع فيه وأبدع وتغزل وأجاد،(83) نقتطف منها قصيدة رتبها على آية: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ من سورة الرحمان.(84)

---

78) التقي العلوي: «أوصاف ابن طاهر الخلقية»، م. س، ص: 41.

79) سنثبت هذه القصيدة في الملحق الوثائقي الخاص، انظر الصفحة رقم:

80) التقي العلوي: «أوصاف ابن طاهر الخلقية»، م. ص، ص: 45.

81) نشير في هذا الخصوص إلى المادة العلمية الهامة التي يزخر بها مخطوط فتح القدوس القاهر في نسب أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني، مخطوط خاص.

82) انظر الباب الثاني الفصل الرابع.

83) سنثبت هذه القصيدة في الملحق الوثائقي الخاص، انظر الصفحة رقم:

84) مولاي علي بن المصطفى، فتح القدوس، م. س، ص: 267 – 268 – 269.

وبعد وفاة مولاي عبد الله بن علي بن طاهر بمدة طويلة بنيت عليه قبة أنيقة كانت من تشييد أسرة اليمانيين أبناء الشيخ اليماني نزيل فاس والمتوفى عام 1114هـ/1702م، بفعل ما كان معروفاً بين العائلتين من صداقة وإخاء ومودة والتحام بالمصاهرة والتوارث. فقد تزوج حفيد مولاي عبد الله بن علي بن طاهر ويتعلق الأمر بمولاي العابد من ابنة الشيخ اليماني السيدة الزهراء، وبقيت في عصمته حتى توفيت فورثها.(85) وكان مولاي العابد هذا من الأولياء الصالحين ومن عباد الله المخلصين أدرك مقام التربية، وأخذ طريق التصوف عن شيخه سيدي أحمد اليماني بمدينة فاس. ويحكى أنه كان يخدم عنده في جينان المسمى جينان اليمانيين حول مدينة فاس. واستعصب عليهم الماء ولم يطاوعهم لسقي تلك الغلال في الجينان، وجلس سيدي مولاي العابد في وسط الساقية وقال لمن معه من الفقراء اجعلوا علي الطين حتى ينتفخ الماء ويطلع للغلة ففعلوا وهو رضي الله عنه ناصب في وسط الساقية، فلما سمع بذلك الشيخ سيدي أحمد اليماني تهول وخرج إليه فلما رآه على تلك الحالة، وقد بذل نفسه في مرضاة شيخه نظر فيه نظرة مكنه فيها بقدرة الله من خير الدنيا والآخرة وزوجه ابنته فأتى بها إلى مدغرة لزاوية تاوريرت، ومحلها بالزاوية معلوم.(86) ومازال لحد الآن بعض الأفراد بمدغرة يعرفون بأولاد اليمانية أو أهل اليماني. وما يشهد على أن أهل اليماني هم الذين بنوا هذا الضريح من جهة أخرى أننا إذا قارنا جميع الأضرحة الموجودة بمدغرة لا نجدها تماثل ضريح مولاي عبد الله بن علي بن طاهر من حيث الزخرفة والتزيين، إذ استعمل فيه الزليج البلدي الفاسي والنقش الفاسي في أعلى القبة من الداخل ونحتت بعض الآيات القرآنية. كما أننا نلاحظ أنه الضريح الوحيد بمدغرة المصبوغ بالأبيض. وبعض هذه الزخارف كانت موجودة كذلك بمنزل مولاي العابد المعروف في الأوساط الشعبية المحلية «دار اليمانية» بقصر زاوية تاوريرت. وجاء في مخطوط فتح القدوس أنه «لما توفي مولاي علي بن محمد بن عبد

85) التقي العلوي: أوصاف بن طاهر الخلقية، م. س، ص: 46.

86) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م. س، ص: 74.

الله دفن بروضة جده مولاي عبد الله بن علي في الركن المشرقي منها وعلى قبره الآن ضربوز».(87) ومعلوم أن الضربوز هو أيضا من صنعة أهل فاس. ولا نستبعد أن تكون الأسرة اليمانية هي التي أتت به من فاس إلى مدغرة.

ونظراً للمكانة التقديرية الاعتبارية التي كان يحظى بها مولاي عبد الله بن علي بن طاهر بمدغرة أو لدى القبائل المجاورة لا سيما تلك التي كانت منتشرة بمضيق الخنك. هذا الأخير الذي كان بمثابة مجمع للتمثيل القبلي، وما كان يعرفه هذا المضيق من صراع وتنافس بين المجموعات القبلية للسيطرة عليه والاستحواذ على ضرائب المرور المفروضة على القوافل، ويحتد هذا الصراع خاصة خلال أوقات الأزمات السياسية. مما كان يتطلب تدخل رجال الصلاح لإصلاح ذات البين بين القبائل. وهذا ما يؤكده والتأويل التاريخي الذي افترضناه للكرامة التي حدثت للولي المذكور بهذه المنطقة.(88) مما اضطر قبائل أيت يوسي وأيت عيسى مقابل هذه الحماية والضمان الروحي الذي قدمه مولاي عبد الله بن علي بن طاهر إلى تقديم الولاء الذي يتجلى ماديا في واجب السنة أو «الزيارة» للتبرك والترحم. وجدير بالإشارة أن الزيارة لم تكن تخص فقط هذه القبائل، بل إنها طالت حتى الفئات المتساكنة داخل منطقة مدغرة ترحماً وتبركاً وتودداً لمعالجة أسقامهم وحل مشاكلهم العامة واليومية وفقاً للتصور الشعبي الديني عند السكان. وفي هذا الخصوص نتوفر على إحدى الوثائق المحلية الهامة والنادرة التي تبين شروط الانتفاع وتقسيم تلك المداخل التي كانت تحمل للضريح. وتعاقب مسألة «النوبة» للجلوس بروضته من طرف جميع الفروع والبطون والعظام من آل مولاي عبد الله بن علي بن طاهر، مما يأتي من الصلات المخزنية والزيارات والفتوحات إلى الروضة يومياً أو موسمياً أو سنوياً. حيث كانت وما زالت قبائل أيت عيسى بكَير وأيت يوسي بأيت حمزة بكَيكَو الذين كانوا يخدمونهم ويأتون بهدية ثمينة ويقدمون إليهم بوفدهم مرة في السنة أو مرتين. ويأتون بخير كثير من دراهم وصوف

---

87) نفس المصدر السابق، ص: 30.

88) انظر الباب الثاني: الفصل الأول.

وسمن وذبيحة وشمع وغيرها.(89) ومما جاء في هذه الوثيقة على الخصوص: «الحمد لله الذي أمر بالائتلاف ونهى عن الاختلاف، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أرسله الله لإرشاد العباد وإقامة لسياسة الخاص والباد وعلى آله الذين تركوا لمراده كل مراد وبعد :

اجتمع واتفق آل البركة الولي الأعظم والملاذ الأفخم قطب دائرة أهل الله سيدنا ومولانا عبد الله بن علي بن طاهر نفعنا الله به آمين على أحكام روضته المباركة السنية، وجعلوا الجلوس نهارا لكل نفس ومن زاد يعطي مثقالاً لكل نهار. ومن رفد – أي أخذ – حصيرة من الروضة يردها ويعطي ريالاً نصافا لكل نهار. ومن انقطع له الغطاء في نوبته يعطي ريالين. ومن رفد الغطاء لأجل رغبة الخير من أحد بلا مشورة الجماعة يعطي ريالين. ومن كمل أيامه وأتت ذبيحة بقرا أو جمالاً بعد العصر فيفترق مع الذي دخل من ورائه، الْمَكَلُوفَةْ(90) أنصافاً بينهما، ومن أتى بذبيحة بقراً أو جمالاً برفقة كثيرة أو قليلة لأي قصر من قصور أهل الروضة فضيافتهم على ذلك القصر ولا تكونوا – أي لا تكون – الضيافة على أهل الروضة إلا بعد الذبح. ومن زادت عنده نفس فلها النوبة في عظمه وإن خرجت من عظمه لا جلوس لها... ومن تمام شروط ما حوله كل من أتى بوكالة على حد – أي على أحد – لا يطالبه بالفائت كيفما كان لا يقبض النفوس إلا إلى وقت الزمام على الجميع في شياه أيت يوسي. وبه شهد على الجميع ما ذكر حوله من الحملاء. ثم اشترطوا بينهم أن من أتاه المطر في أيامه لا يسقط في الجلوس منها يوما وكذلك أيام البرد الشديد. وإن جاؤوا – أي جاء – أيت عيسى دفعة واحدة بذبائحهم لا يأخذ من هو في الجلوس إلا مَكَلُفَتَانْ إثنتان فقط واحدة من الكبر – أي الكبار – والثانية من الصغار...».(91)

---

89) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م. س، ص: 251.

90) والْمَكَلُوفَةْ في الاصطلاح المحلي تعني الحصة التي يحصل عليها الجالس بالروضة. وهي ربع جمل أو بقرة دون الشياه، وتنطق هذه الكلمة في الأوساط المحلية بالكاف المعقودة وتضخيم اللام والفاء.

91) انظر الوثيقة رقم: 37 في الملحق الوثائقي الخاص.

وهكـذا يظهر حسب مـا تنص عليـه شروط تعاقب الجلـوس بروضـة مولاي عبد الله بن علي بن طاهر من خلال الوثيقة المنصوص عليها أعلاه. أن مسألة تعـاقب النوبـة كانت مضبـوطةبـدقة ومقسمـة بين كل الفروع والسلالات من آل مـولاي عبد الله بن علي بن طاهـر. وتبين كيف كان يتم الجلـوس بـالتنـاوب بين هـذه الأسر، وكيفيـة تقسيم المداخيل فيما بينهـا. وتوضح أصل هذه المصـادر المادية من خلال ذكر القبـائل التي كانت تفد على الضريح للتبرك والترحم. وتعاقب بنفس الآن كل من لم يتعهد الروضة والضريح بما يليق من رعـايـة وصيـانة، مـن خلال الحفـاظ على الأمتعـة الموجودة داخله من غطاء وحصير وغير ذلك.

ومن بين المسائل التي مازالت جاريـة لحد الآن بالروضة أن آل مولاي عبد الله بن علي بن طـاهر بمختلف فروعهم كانوا يأتـون بصبيتهم عندما يبلغون أربعين يوماً من عمرهم يُـحَـلِّـقُـونْ لهم فيها رؤوسـهم، ويؤذنون للـذكور منهم في الأذن اليمنى ويـرددون إقـامة الصـلاة في الأذن اليسرى تيمناً وتبركاً.

ولكن هناك ملاحظة أسـاسية في هذا الخصوص وهي أن الحضرة التي كانت إلى عهد قريب منا تقام بإزاء ضريح مولاي عبد الله بن علي بن طاهر تعتبر من المسائل المضافة – وما أكثرها – مع أنها متنافية مع مفاهيم وآراء مولاي عبد الله بن علي بن طاهر المتشددة. وهذا عكس ما يمكن أن نلاحظه بالنسبة للحضرة التي كانت تقام بقصـور جاوز ومولاي محمد وبوسعيد والتي تنسجم مع أسس ومبادئ تمثيليـة الزاوية الدرقـاوية بجاوز وغيره. والتي تجعل من الشطحـات الصـوفية والجذبـة من أبـرز خصوصيـاتها. ويندرج في هـذا السياق أيضاً الحفل الـديني السنوي بمنطقة البقيع قـرابة قصر الحيبـوس والذي كـان يخصص في بـادئ أمره للترحم على «شـهـداء شرفاء مـدغرة» ضحايا الطـاغية ابن أبي محلي لما مد نفـوذه إليها، قبل أن يتحول في المراحل الأخيرة إلى منـاسبة يتلى فيها القرآن العظيم طلبـاً للمطر وجريان الماء بوادي زيز.

* مولاي عبد الهادي بن عبد الله بن علي بن طاهر العلوي :

هو أكبر أولاد مولاي عبد اللـه بن علي بن طاهر سِنـاً وعِلْـمًا(92) كان إماماً عالماً عامـلاً ولياً لله صـالحاً عابداً زاهداً، مكاشفـاً أدرك القطبانية بعد أبيه واشتهر بالولاية والعلم.(93) وعلاوة على مشاركته في العلـم كان مؤلفاً مكثراً لازم الطلبة دروسه في جامع قصر القصبة الجديدة بمدغرة عقوداً من السنين آخذين عنـه علوم اللسان والشريعة، وكـان كأبيه مهتمًا بنشر العلم والحذب على الطلبة. فنظم لهم أصعب المؤلفـات وشرحها لهم ليسهل عليهم إدراكهـا واستـذكـارهـا» كجمـع الجوامع للسبكي» وتلخيص «المفتـاح للقزويني».(94) وقـد تـرجم له مـولاي علي بن المصطفى في فتح قـدوسـه ووصفـه بـالعلم والعمل والإفتـاء والحفظ والضبط والثقـة.(95) وقـد اهتم مولاي عبـد الهادي بن عبد اللـه العلوي بـالمشاكل السيـاسية التي كـانت مطروحة في عصره. إذ زامن فترة انتقـال الحكم من السعديين إلى العلويين، وتأثر كثيراً بـالأوضـاع السيـاسية التي كـانت يعرفهـا المغرب خـلال هذه الفترة. مما كون لديـه موقفاً من كل هذه الأحداث، فنـاصر المجاهد العياشي السَّلَوي بـالسيف والقلم.(96) ورحل إلى المدينـة المنـورة بعد وفـاة والـده وجاور بها سنين، ثم توفي بها رضي الله عنه عام 1055هـ/1646م، ويرمز المؤرخون إلى هذه السنـة بكلمة «شُـنُّه» ودفن ببقيع «الغرقـد» وترك فيها ولداه مـولاي الشريف ولالة الطـاهرة، وقـد عادا إلى مدغـرة برفقـة العالم العلامة الولي الصـالح أبا سـالم العياشي بطلب من عمهما مولاي بن علي.(97)

ومن مناقبـه وكـراماتـه الشهيـرة رضي اللـه عنه أنـه زار ذات يوم قبر جـده ﷺ فحصلت له خشية وشوق كبير، فبكى وأنشد يقول :

---

92) الفضيلي: الدرر البهية، م. س، ج 1 ص: 265.

93) اليوسي: المحاضرات، أعدها للطبع محمد حجي، ص: 302، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1976م.

94) محمد حجي: الحركة الفكرية، م. س، ج 2 ص: 523.

95) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م. س، ص: 7.

96) محمد حجي: الحركة الفكرية، م. س، ج 2 ص: 523.

97) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م. س، ص: 11.

إن كَيلَ زرتم بما رجعتم ياأكرم الخلق ماذا أكَـولُ

فأجابه ﷺ من القبر الشريف بقوله :

قولـوا رجعنـا بكـل خـير اجتمع الفرع والأصول(98)

ومن مناقبه العظيمة أيضاً أنه ختم مرة القرآن العظيم بإزاء القبر الشريف فقال له النبيﷺ: «هكذا أنزل علي ياعبد الهادي ياولدي»(99) وغيرها من الكرامات الشهيرة التي تثبت تضلع الرجل في العلم الديني بوجه عام. وقبل أن يذهب مولاي عبد الهادي للمجاورة بالمدينة المنورة يقول مولاي علي بن المصطفى ترك لإخوانه أثر يديه في حائط مسجد تاوريرت العالية، وأضاف والدنا – ناسخ مخطوط فتح القدوس – أن ذلك الأثر باقي فيها إلى الآن – أي سنة 1972 – ألزق كف يديه مع الأصبع وقال لهم من أراد زيارتي فليأتي إلى هنا».(100)

وقد ورث عن مولاي عبد الهادي الصلاح والتقوى ابناه مولاي الشريف ولالة الطاهرة اللذان أتى بهما الرحالة أبو سالم العياشي من المدينة المنورة إلى مدغرة بطلب من عمهما مولاي بن علي، هذا الأخير الذي بنى لهما حصناً بمدغرة يقال له الحوش قبلة تاوريرت العالية.(101) فقد كان مولاي الشريف بن عبد الهادي عاملاً عالماً متورعاً يعتريه الجذب في بعض الأحيان. وذكر مولاي إدريس الفضيلي أن مولاي الشريف بن عبد الهادي هذا كان دائما يستل سيفا بيده ويُشَيِّرْ – أي يُلَوِّحْ – به ويقول أنا قاطع رؤوس الظالمين، فظهر ذلك بعد موته، فما حلف أحد عند ضريحه وكان ظالماً إلا وأخذه الله في الحال ولم يزل ضريحه معروفاً إلى الآن بذلك.(102) وما يؤكد صلاحه وتقواه – أي مولاي الشريف بن عبد الهادي – وورعه وولايته ما تذكره الحافظة الشعبية المحلية إلى الآن، ذلك أنه على إثر فيضان

---

98) نفس المصدر السابق، ص: 7 / الدرر البهية، ج 1 ص: 266.

99) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م. س، ص: 7.

100) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م. س، ص: 11.

101) نفس المصدر السابق، ص: 72.

102) الفضيلي: الدرر البهية، م. س، ج 1 ص: 267.

– مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م. س، ص: 12.

وادي زيز لسنة 1945م الذي عمت فيه مياه وادي زيز كل غابة قصر تاوريرت والحوش، بل وأحاطت بالقصرين المذكورين حتى تخوف الناس. وبدؤوا يرتحلون عنهما قبل أن يمتص قبر مولاي الشريف الموجود بفم قصر حوش تاوريرت، كل تلك المياه ولازال لحد الآن قبره مقصداً للزيارة والتبرك هو وأخته لالة الطاهرة.

وقد خلف مولاي عبد الهادي بن عبد الله تآليف عديدة منها ما هو خاص بالجهاد وما هو للشرح والنظم والمدح والخطب، فقد ألف في الحظ على الجهاد كتاباً سماه «فلك السعادة في فضل الجهاد وكلمة الشهادة».(103) وكتاب «لباب مراقي الجنة فيما ورد في الجهاد والسنة».(104) وكتاب آخر سماه: «الإسعاف والإنجاد في ذكر الآيات الواردة في الجهاد».(105) كما أن له تآليف أخرى كشرح الشاطبية(106) وجمع الجوامع للسبكي وتلخيص المفتاح للقزويني(107) وله حاشية على المرادي ونظم المغني(108) وألفية مصطلح الحديث(109) بشرحه. قال في فتح القدوس: «فمن طالعه يدرك اتساعه في العلوم وتضلعه فيها، يرفع فيها

---

103) ذكر الأستاذ محمد حجي أن هذا الكتاب يوجد بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 2992 انظر الحركة الفكرية، ج 1 ص: 202 هامش 11 واستطرد الباحث المذكور أعلاه قائلا: إن هذا الكتاب هو أهم ما ألف مولاي عبد الهادي في الحض على الجهاد في أواخر السعديين. لأن مولاي عبد الهادي كان يعرف أكثر من غيره ظروف الجهاد ومشاكله آنذاك لتمرسه واحتكاكه بالمجاهد العياشي ومساعدته بالرأي والسيف. واحتمل الأستاذ محمد حجي أن يكون العياشي هو الذي دفع مولاي عبد الهادي إلى تأليف هذا الكتاب كما تشعرنا بذلك مقدمة الكتاب، وإن لم تفصح عن اسمه «انظر الحركة الفكرية، م. س، ج 1 ص: 202 – 203.

104) ذكر الأستاذ محمد حجي أن كتاب «لباب مراقي الجنة» توجد نسخة منه بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 2993. انظر محمد حجي: الحركة الفكرية، م. س، ج 1 ص: 202 هامش 8.

105) أشار الأستاذ محمد حجي أن مولاي عبد الهادي أشار إلى هذا الكتاب في مقدمة كتاب «لباب مراقي الجنة». إلا أنه لم يعثر عليه لحد الآن. انظر محمد حجي: الحركة الفكرية، م. س، ج 1 ص: 202.

106) انظر مولاي إدريس الفضيلي: الدرر البهية، م. س، ج 1 ص: 265.

107) محمد حجي: الحركة الفكرية، م. س، ج 2 ص: 523.

108) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م. س، ص: 9.

109) محمد حجي: الحركة الفكرية، م. س، ج 1 ص: 142 هامش 31.

الحديث منه إلى رسول اللهﷺ يقول فيه: «حدثنا شيخنا سيدنا الوالد عن شيخه المنجور ثم يرفعه إلى القاضي عياض ثم إلى الإمام البخاري ثم إلى رسول اللهﷺ «هكذا رأيته - يضيف مولاي علي بن المصطفى - أسنده من أبيه إلى رسول اللهﷺ في شرحه للاصطلاح المذكور».(110) ووجد بخط بعض العلماء الخطباء الفضلاء أنه نظم خمسة وعشرين قصيدة في كل بحر من بحور الشعر الخمسة عشر كلها في مدح النبيﷺ لأنه كان رضي الله عنه شغوفاً بمحبته كأبيه الحافظ أبا محمد عبد الله بن علي بن طاهر.(111) وله ديوان في الخطب وخطبة الاستسقاء والدعوة الناجحة المنسوبة إليه(112) وغير ذلك. وبالجملة فقد حاز جميع الأوصاف الفاخرة وحاز بخير الدنيا والآخرة.(113) وأضاف مولاي إدريس الفضيلي اعتماداً على ما جاء في الدر السني أن هؤلاء المذكورون من مولانا علي الشريف إلى سيدي عبد الهادي المسلسل سندهم في هذا النسب بالعلم والولاية أبا بعد أب، كما اتُّفِقَ للحسنيين أهل سلسة الذهب هم القاطنون لهذا العهد بقصبة تاوريرت مدغرة، دارهم دار علم ودراية وصلاح وولاية ولم يزل ذلك يعرف من أحوالهم وفي أبنائهم ورجالهم.(114)

* مولاي محمد المدعو مولاي بن علي بن عبد الله بن علي بن طاهر:(115)

* مولاي البكري بن علي بن عبد الله بن علي بن طاهر :

هو ثالث أبناء مولاي بن علي(116) كان من الأولياء الصالحين أخذ طريق التصوف عن الإمام مصطفى البكري المصري، وانتفع به وشاع ذكره في

110) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م. س، ص: 9.
111) نفس المصدر السابق، ص: 9 - 10.
112) نفس المصدر، ص: 277 - 287.
113) نفس المصدر، ص: 10.
114) إدريس الفضيلي: الدرر البهية، م. س، ج 1 ص: 266 - 267.
115) انظر ما جاء من معلومات حول هذه الشخصية العلمية والسياسية عند تطرقنا لزاوية مولاي بن علي.
116) فقد ترك مولاي بن علي بعد وفاته من الأبناء مولاي العربي ومولاي العابد ومولاي البكري انظر: مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م. س، ص: 73.

الآفاق، ثم انتقل من زاوية والده مـولاي بن علي بتاوريرت إلى ضريح جده مولاي عبد الله وبنى هناك زاويته.(117) وهي المعروفة بالزاوية البكرية أو بالزاويـة الفوقانية، فسكن بها فصـار يقري الضيف ويكسب المعدوم، كما كـان يفعل والده ويعين على نـوائب الخير والناس يأتـونـه أقوامـاً للزيـارة ويتبركون بـه. وقد أسلم على يـده أناس من أهل الكتـاب وحسن إسلامهم وضرب لهم نصيباً من أمـلاكه، وبنى لهم دياراً في زاويته. وقـد انتقلوا بعد ذلك لقصر جديد بمدغرة.(118)

ولما آل أمر الزاوية البكريـة إلى مولاي عبد الهادي بن محمد بن العربي بنى عليها سوراً أيام السيبة وحبس على الزاوية والمسجد أوقافاً كثيرة، لأنه كان له مال كثير وعقار وعبيد. وكان يقدم لقبيلة أيت حمزة على عادة والده لأنهم يخدمونهم ويـدفعون لهم هـدية ثمينـة ويقدمـون إليهم بوفـدهم في السنـة مـرة أو مـرتين، ويأتـون بخير كثير من دراهـم وصـوف وسمن وغيرها.(119) وهذه الاعتمادات الماليـة وغيرها هي التي كانت تعتمـد عليها الزاوية المذكورة لتسيير شؤونها.

*** محمد العربي بن محمد الهاشمي المدغري :**

هو شيخ تمثيلية الزاوية الدرقاوية بمدغرة وقد سبقت الإشارة إلى مكان وجود هذه الزاوية بمدغرة، حيث كانت توجد في بادئ أمرها في حريم قصر تازنـاقت، ولازالت لحد الآن بقايا ما كـان يطلق عليه «دار الشيخ»، قبل أن تنتقل إلى الموضع المعروف حالياً «بالدار الحمراء».(120) قال في الدرر البهية: «ومنهم الولي الصالح والقطب الرابح النـاجح سيدي محمد العربي صاحب الزاوية والتـلاميذ، كان رضي الله عنه من العارفين الكبـار كبير المقدار هرع النـاس ليأخذوا عنـه من سـائر الجهات والأقطـار...».(121) وذكر شـارل

117) مولاي بن المصطفى:فتح القدوس، م. س، ص: 226.

118) نفس المصدر السابق، ص: 266.

119) نفس المصدر، ص: 251.

120) انظر الباب الثاني الفصل الثاني، ص:

121) الفضيلي: الدرر البهية، م. س، ج 1 ص: 274.

– التعارجي: الإعلام، م. س، ج 7 ص: 80.

دوفوكو من جهته أن سيدي محمد العربي كان له نفوذ قوي بمدغرة وما إليها في نهاية القرن 19م عند مرور هذا الأخير بها، وكان السلطان - يعني السلطان العلوي الحسن الأول - يبعث له بصلة الْـعْـشُـورْ كل سنة. ومنذ سنتين يضيف دوفوكو - أي خلال سنة 1881م - كان السلطان المذكور قد بعث له بأربعين قنطاراً (والقنطار كان يساوي في قيمته بالثمن آنذاك بمدغرة 1250 فرنك). وخلال نفس السنة استنفر محمد العربي الدرقاوي قبائل أيت عطة وأيت يفلمان لمحاربة فرنسا بالجزائر. وكان علاوة على ذلك - يستطرد دوفوكو - واحداً من الزعماء الروحيين بالمغرب، فقد كانت منزلته الروحية التقديرية والاعتبارية في مستوى مكانة مولاي عبد السلام الوزاني وسيدي ابن داود وسيدي محمد بوبكر - يعني أمهاوش - وسيدي حسين - يعني مولاي عبد الله بن حساين.(122)

وقد انعكست هذه المشارب المادية المتعددة التي كانت تستفيد منها تمثيلية الزاوية الدرقاوية بمدغرة، وما كانت تقوم به من أدوار في نشر العلم والتربية الدينية والصوفية على وضعيتها المادية بوجه عام. قال في الإعلام: «وكانت له - يعني محمد العربي الدرقاوي المدغري - دنيا عريضة وبنى قصرين ببلده - أي مدغرة - على هيئة دار الملوك من كثرة المرافق لسكناه أحدهما سماه رحمة الله والآخر نعمة الله، فكان بعض الناس يقول لأصحابه من أين خرجتم فيقولون من نعمة الله، ومن رحمة الله.(123) وكان له خدام بحضرته كثيرون يجاوزون الألف من الملازمين».(124)

لقد اختلفت المصادر التي أرخت لوفاة محمد العربي الدرقاوي المدغري. وتأرجحت سنة وفاته حسب هذه النقول ما بين 1309هـ و1310هـ الموافق لسنة 1891م - 1892م. فقد ذكر صاحب الإعلام أن وفاته كانت سنة 1310هـ في حين ذكر صاحب السلوة آخر جمادى الأخيرة من عام 1309هـ».(125) وهو ما يوافق ما نجده مسطراً في إحدى الوثائق المحلية

(122 Faucauld (ch. de): reconnaissance, op cit, p: 352.

123) وهذا على سبيل التنكيت فقط.

124) التعارجي: الإعلام، م. س، ج 7 ص: 83.

125) ذكره التعارجي في الإعلام، م. س، ج 7 ص: 82.

التي تؤرخ لسنة وفاته، وذلك بقلم إبنه سيدي محمد التقي. ومما جاء فيها على الخصوص: «الحمد لله تقييد وفاة شيخنا العارف بالله سيدنا ومولانا محمد العربي بن سيدنا ومولانا محمد الهاشمي الحسني المدغري الجاوزي نفعنا الله ببركته آمين، توفي في الثلث الأخير من ليلة الجمعة في إحدى وعشرين من جمادى الثانية عام 1309هـ».(126)

وقد خلف فقهاء الزاوية المذكورة تراثاً علمياً يغلب عليه - حسب ما نتوفر عليه - مجموعة من الرسائل التي كانوا يبعثون بها إلى القبائل المجاورة، يشرحون لهم فيها العقيدة والتوحيد، وطريق التصوف والحض على الوعظ والإرشاد ومختلفات أخرى.

*** سيدي محمد بن العربي العلوي المدغري (شيخ الإسلام) :**

من مواليد قصر جديد مدغرة حوالي 1298هـ/1880م أظهر في شبابه الأول ولعاً كبيراً بركوب الخيل والتدريب على الرماية، وعرفت عنه شجاعته التي لم تفارقه طيلة حياته، وفكر غير ما مرة في الإلتحاق بصفوف المجاهدين بتافيلالت وبموحى أو حمو الزياني بالأطلس المتوسط وبالمجاهد الخطابي بالريف وهو قاضي. بل فكر في الإلتحاق بفلسطين عام 1948م. هذا الطموح الوطني هو الذي دفع والده - مولاي العربي - للحرص على دفعه لطلب العلم بالقرويين والتفرغ للإشراف عليه ومراجعة الدروس معه والسكن معه في بيوت الطلبة، حتى تحقق من إنغماسه في طلب العلم وربما لاعتقاده بأن هذا مجال لجهاد أكبر.(127) وقد ترجم له والدنا - ابا سيدي ابن التهامي العلوي - في مخطوط فتح القدوس قال: «أما سيدي محمد بن العربي فكان من طلبة القرويين العامرة بفاس وسجن وعذب أيام محنة المغرب من قبل الدولة الحامية الفرنسية، وانتقل من زاوية تاوريرت مدغرة لمدينة الدار البيضاء، وكان عدلاً من عدول المخزن وأستاذاً بالمدرسة

---

126) انظر الوثيقة رقم: 62 بالملحق الوثائقي الخاص.

127) التملي محمد: «بلعربي العلوي نموذج فريد للعالم المناضل». جريدة الاتحاد الاشتراكي، عدد 3504 بتاريخ 14 مارس 1993، ص: 3.

العبدلاوية - وقد ولاه السلطان سيدي محمد بن يوسف مديراً على مدرسة الأميرة لالة عائشة بتواركَة بقصر المخزن بالرباط مدة سنين. وحين جاء بزوغ الحرية والإستقلال ولاه سيدنا نصره الله القضاء بدائرة الريش، ومكث هناك عدة أعوام، وانتقل قاضياً بتازة ومنها للرباط ومنها للدار البيضاء ونائباً القاضي بفاس الجديد»(128) ووزيراً للمعارف.

تأثر بأستاذه شعيب الدكالي وباطلاعه الواسع فتصدى بعده لحمل لواء الدعوة السلفية وللتدريس بالقرويين بعد عام 1919م، عندما ألقى الاستعمار برحاله على بلاد المغرب. ووجد الفقيه الشاب نفسه في مواجهة الإستعمار في ميدان جديد تسلح بما يلزم: علم واسع وشجاعة لا تخونه أبدا، فبدأ حرباً طويلة عرفت فترات مد وجزر، فلفت سيدي محمد بالعربي العلوي الأنظار إليه برحاب جامعة القرويين منذ البداية بغزارة علمه واطلاعه الواسع في علوم الدين واللغة. وتعددت أنشطته حيث قسم وقته بين القضاء والتدريس في القرويين والثانوية العصرية (ثانوية مُولاي إدريس) والمدرسة الحرة (الناصرية) وحلقات الدروس الخاصة بالتوعية الدينية والوطنية، وكثيراً ما كان يقتنص الفرص ليجعل من درسه منبراً لتمرير الإصلاح الديني والدعوة الوطنية. لهذا لا غرو إذا وجدنا رواد الحركة الوطنية وأعضاء الخلايا الوطنية الأولى يتخرجون من حلقات دروسه بالمدارس السابقة الذكر. سيما وأنه تميز عن أستاذه بوشعيب الدكالي بنشر الوعي الديني والوطني بكيفية مباشرة وصريحة، كما كان يجعل من منبر دروسه مناسبة للتشنيع على الطوائف الطرقية وشيوخ الزوايا وأصحاب الإنحراف كيفما كانت حالتهم المادية وطبقاتهم الاجتماعية، سيما أولئك الذين يخدمون لصالح الاستعمار بكيفية متسترة أو سافرة. كما حارب العلماء المتحجرين البعيدين عن روح الإسلام وروح العصر. وهكذا يظهر أن دعوته تبدو في ظاهرها إصلاح أحوال الدين، ولكنها في عمقها دعوة وطنية تفتح الوعي وتدعو لإنقاذ البلاد من الخضوع للسيطرة الاستعمارية الفرنسية.

128) فتح القدوس، م. س، ص: 107 - 108.

وتعتبر مرحلة انتقاله خلال الأربعينات من هذا القرن إلى الرباط، عندما أسندت له مهمة القضاء الشرعي ثم وزارة المعارف أوج نشاطه السياسي والوطني، حيث استمر في التدريس والتوعية. وكان منصبه يسمح له بالاتصال مباشرة بالسلطان محمد الخامس قدس الله روحه، مما كان له أثره البالغ في نقل بعض أفكاره إلى السلطان وشكل له مرجعاً وسنداً يستعين به لمواجهة الاستعمار وخدامه، فكان يرفع من معنوياته النفسية كلما خنقه ثقل الضغط الاستعماري، وبعد تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال كان شيخ الإسلام سيدي محمد بن العربي العلوي المدغري هو العنصر الوحيد في الجهاز المخزني الملكي الذي واجه المقيم العام بمطالب الشعب المغربي في الاستقلال والحرية. ولما احتد النقاش بينهما سيما أمام تخاذل بقية الوزراء الآخرين أحس بالعربي أنه يوجد بوسط لا يتلاءم وتطلعات الشيخ المطبوعة بالصراحة بالحق والجهر بآرائه والتعبير عن مواقفه الصريحة الجريئة المطبوعة بأخلاقه العلمية المتشددة التي لا تعرف هوادة ولا مداهنة ولا تملقا فيما أوصله إليه اجتهاده العلمي، دون أن يخشى في ذلك لومة لائم. ومن هنا كان رفضه ليمثل دور الوزير «الألعوبة» الذي لا موقف له حسب تعبيره فاستقال رغم التهديد واحتمال تعرض أسرته للتشريد، فكان أن نفته الإقامة العامة إلى لقصابي بالأطلس المتوسط. واستغل وجوده هناك للإستمرار في نشر الوعي الديني والوطني في المسجد والسوق، وأينما حل وارتحل. حتى احتجت السلطة المحلية فرحلته إلى مدغرة حيث استمر في نشر الوعي الديني والوطني مصلحاً واعظاً. وقد سبق أن أشرنا أنه على إثر اندلاع النزاع بين القصر الدخلاني وقصر أيت مسعود كان الشيخ بالعربي العلوي هو الذي أصلح بينهما.(129) وسمح له بعد ذلك بالعودة إلى الرباط. إلا أن الظروف المادية الصعبة لأسرته دفعته إلى التوجه إلى فاس لتدبير معيشة أسرته بمصدر بسيط يوفر لها ضروريات العيش فقط.

ومع سنة 1953م عندما ضاق الحال بمحمد الخامس على إثر ظهور المؤامرة الإستعمارية في ربيع 1953م، وجد في سيدي محمد بالعربي

129) انظر الباب الرابع الفصل الأول.

العلوي المدغري – مستشاره وسنده السابق – النصح والحث على التمسك بالموقف الوطنـي. وقد بذل المستعمر ما في جهـده محاولاً الضغط عليه من خلال محاصرة منـزله بفاس لانتـزاع موافقتـه حول مسألة عـزل السلطان الشرعي محمد الخامس، وتوليه بديله الـذي اقترحته الإقامة العامة وإدارة الحماية الفرنسية ومن ساندها، وكان في ركابها من المغاربة. فرفض الشيخ محمد بن العربي ذلك، وكان جوابه سريعـاً وحاسمـاً بوجوب رفض طاعة من تقترحـه سلطات الحماية وبشكل لا يقبـل المساومة. ولـذلك لما تمكنت إدارة الحماية من نفي محمد الخامس قدس الله روحه في 20 غشت 1953م وتولية محمد بن عرفة مكانه، أعلن صراحة الشيخ محمد بن العربي العلوي وجوب إعلان المقاومة الشرعية السياسية المسلحة، وحتى بعد نفي السلطان الشريف لم تتورع سلطـات الحماية الفرنسيـة لمحاولة انتزاع مـوافقته على بيعة ابن عرفة سلطان الحماية الفرنسية،فنفته إلى تزنيت لمدة خمسة أشهر وعـاش في وضعية سيئـة جـداً. وهي وضعيـة السجين الوطني المعـارض للحكـومـة الفرنسيـة. ممـا دفع أسرتـه إلى الاحتجاج واضطـرت الحمايـة الفرنسية معه إلى تحسين وضعيته، ولكن مع الإبقاء على نفيه بتزنيت.

وجـدير بـالإشـارة واعتماداً على ما لازالت تسـوقـه الحافظة الشعبيـة المحلية أن الأهالي بمنطقة مـدغرة، كانوا يرفضون رفضـاً باتا الصلاة وراء الأئمة الذين كانوا ينصرون – مرغمين – في خطبهم الدعية بن عرفة، وحتى إذا اضطر الأئمة بالمساجد الجامعة بمدغرة إلى الدعاء مع السلطان بالنصر، فإنهم كانوا يقـولون في أدعيتهم «اللهم أنصر السلطان مَـنْ عَـرَفَـهُ» بدلا عن ابن عرفة.

وبعـد مغـادرتـه لتـزنيت حيث كـان منفيـاً، وحصـول المغـرب على الاستقلال، ورغم بلوغه سن الثمانين لم يشعر شيخ الإسلام سيدي محمد بالعـربي العلوي المدغـري بالحاجـة إلى الخلود والتقـاعد، بل استمـر يقوم بدوره الديني والوطني واعظاً مرشـداً شاحذاً للهمم رافعاً للمعنويات. سيما وأنه احتفظ بإرادته الصلبة وصفاء ذهنه ممـا سوى الله والوطن. وهذا ما جعلـه يتخـذ المواقف الـلازمة في الـوقت المنـاسب دون حسـاب للـربح أو

الخسارة متخذاً من ضميره مرشده الوحيد. وظل صامداً على مواقفه الجريئة الصريحة والمتشددة لمقاومة شتى أشكال الفساد الأخلاقي والاجتماعي حتى لقي ربه بتاريخ 4 يونيو 1964م.(130) وقبره معروف بمقبرة الشرفاء بزاوية تاوريرت قرب ضريح سيدي محمد بن السيد وهو مقصد للزيارة من طرف أولئك الذين يقدرون أهمية وثقل الرجل على مستويات الوعي الديني والوطني والعلم الصرف والصلاح، والبساطة في الحياة وحتى بعد الممات. فقد حدثنا شيخنا السيد الوالد أن من بين ما أوصى به سيدي محمد بن العربي العلوي أن يدفن بجوار ذويه وأهله وأن لا يزلج أو يزخرف قبره. وتلك خصال لايحصل عليها إلا من سمت أخلاقه وطبعت حياته بالزهد والورع وفراغ القلب مما سوى الله والوطن. ولكن ما يحز في نفس الدارس ويمكن أن نقولها بمرارة أن المهد الذي أعطى هذا المولود السعيد الكبير الخالد ظل قابعاً في الظل، ولم يولى لا لمهده ولا له هو نفسه ما يمكن أن ينصف مجهوده العلمي والديني والوطني. ولكن على كل حال مهما تعددت معطيات الظروف التي تبرر الأعذار، فإن الإنسان يتعهد نجومه الثاقبة وكواكبه الساطعة وأطواده الشامخة ومناراته العملاقة بما يليق وأهميتهم على مستويات عدة، وأهمية المهد الذي أعطى هذه النماذج الفريدة والمتميزة.

ورغم كل شيء، فإننا نسجل على مستوى البحث العلمي أننا لانعرف للشيخ الشريف سيدي محمد بن العربي العلوي إنتاجاً فكرياً مكتوباً. هذا وإن كانت الإذاعة الوطنية بالرباط مازالت تحتفظ برفوفها «الدفينة» على أشرطة خطبه المسجلة وبعض دروسه العلمية - المجهولة من طرف الجيل المعاصر - التي كان يلقيها في المناسبات الوطنية والدينية منذ بداية عهد الاستقلال1956م إلى حين وفاته رحمه الله سنة 1964م. وترك رحمه الله من الأبناء مولاي محمد ومولاي المصطفى ومولاي العربي ومن البنات:

---

130) نود أن نشير إلى إستفادتنا من المقال الهام والقيم الذي أنجزه الأستاذ الصحفي محمد التميلي بجريدة الاتحاد الاشتراكي عدد 3504 بتاريخ 14 مارس 1993 تحت عنوان: «محمد بن العربي العلوي نموذج فريد للعالم المناضل».

فاطمة الزهراء وعائشة من سيدة فاضلة زوجته المرحومة لالة خدوج الخنكَية.

صحيح أن سيدي محمد بن العربي العلوي خلف مكتبة علمية هامة يجهل مصيرها الآن. إلا أنه مع ذلك لم يكن يؤلف ما عدا بعض الطرر التي كان يضعهاعلى كتبه على غرار العلماء القدماء. وكل ما نتوفر عليه لحد الآن من التراث المكتوب للشيخ المذكور هو بعض مراسلاته الخاصة مع بعض فقهاء وقضاة مدغرة.(131)

هذه صورة تكاد تكون إجمالية لأهم مظاهر الحركة الفكرية التي شهدتها منطقة مدغرة خلال مرحلة العصر الحديث. وجدير بالإشارة أن أعلام الفكر والدين الذين تطرقنا لمساهماتهم الفكرية والدينية لا تعتبر إلا نماذج فقط، وهذا أمر ينطبق كذلك على الزوايا. ذلك أن تتبع لائحة رجالات العلم الديني والمؤسسات التربوية التعليمية، سواء تعلق الأمر بالمساجد أو الزوايا الصوفية تبدو طويلة وطويلة جدا. فمن حيث الزوايا نود أن نشير أنه علاوة على الزوايا التي تطرقنا لها، وجدت كذلك مجموعة أخرى من الزوايا كزاوية مديونة وزاوية الحيبوس وزاوية تازوكا. أما من حيث رجالات الفكر الديني، فلم تكن تقتصر اللائحة على ما ذكرناه أعلاه. بل إن تتبع لائحتهم هي طويلة جدا كذلك. إلا أننا اقتصرنا فقط على بعض تلك الشخصيات التي زامنت الفترة المحددة للدراسة. وأسهمت إلى حد بعيد في بلورة الفكر الديني بالمنطقة وأخرجت المنطقة المدغرية من الظل ونحتت حضورها في الذاكرة الروحية المغربية. كما أن مسألة الفكر الديني لم تكن تشمل فقط فنا واحداً بل فنون متعددة. ولم يقتصر على فئة دون أخرى هذا وإن كنا نلاحظ أن زعامة الفكر الديني مثلته غالبية فئة الأشراف ومن في زمرتها. فقد كان الطلبة والأئمة والفقهاء والمدرسين بالمساجد الجامعة بمنطقة مدغرة يتكونون في غالبيتهم من الشرفاء، ولكن وجدت إلى جنبهم عناصر أخرى ــ وإن كانت قليلة ـ من فئة الأحرار وأحيانا من فئة

131) سنثبت هذه الوثائق والتي هي بخط شيخ الإسلام سيدي محمد بالعربي العلوي بالملحق الوثائقي الخاص، انظر الوثائق رقم: 54 – 55 – 56 – 57.

الحراطين. وأن هذه الأهمية من حيث تعدد المؤسسات التعليمية التربوية بالمساجد والزوايا لم تكن تشمل فقط منطقة مدغرة، بل تعدتها و «صدرت» المنطقة ثلة من الأطر العلمية والدينية إلى المناطق المحاذية لها منها ما بعد عنها ومنها ما قرب منها. وشغلوا مناصب الإمامة والتدريس والتعليم والتثقيف والمشارطة. بل هناك من بوأته مكانته العلمية ليصبح إطارا تعليميا تثقيفيا للأمراء وسلاطين وقتهم. وقد سبقت الإشارة كيف كان مولاي عبد الله بن علي بن طاهر مدرسا للسلطان المنصور ومولاي عبد الواحد الحسني كان بمثابة وزير في بلاط السلطان المذكور،(132) كما كان سيدي مولاي الصديق بن هاشم بن العربي معلما للأمير مولاي سليمان(133) وأن مولاي الشريف بن هاشم بن العابد من آل مولاي العابد ابن مولاي بن علي كان أستاذا بدار المخزن الشريف بفاس يعلم القرآن والتوحيد لأولاد الملوك العلويين.(134) هذا علاوة على أن ثلة من شرفاء القصبة الجديدة الذين توارثوا خطة الفتوى والقضاء، وهذا ما تؤكده وتوضحه إحدى الوثائق المحلية الخاصة بمنطقة مدغرة. ومما جاء فيها على الخصوص : «الحمد لله وجدت بخط عمنا الفقيه سيدي مولاي إبراهيم بن الطيب ما نصه : الحمد لله هذا نص ما كتبه مولانا عبد الرحمان الأمير لمولانا أحمد بن محمد وبه تولى القضاء بعد الإفتتاح.

أما بعد : فغير خاف أني لا أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ولما ظهر من مولاي الصديق متولي خطة القضاء ما يخل بها فبدا لنا منه ما لم نكن نحتسب أرحناه منها وولیناها ولد عمنا الفقيه مولاي أحمد بن محمد من القصبة الجديدة لكون بلده أواسط البلاد – يعني بلاد مدغرة – ومأوى القضاء قبله كما هو المطلوب. وعليه في ذلك بتقوى الله تعالى والرفق بالرعية والعمل المعمول بذل المشهور... وفي تاريخ كذا من ذي القعدة عام 1266هـ. ثم قال ووصل

---

132) 133) انظر الباب الثاني الفصل الرابع.

134) مولاي علي بن المصطفى: فتح القدوس، م. س، ص: 105.

القاضي ليلة عيد الأضحى وقدمناه على جماعة الشرفاء ثالث عشر ذي الحجة...».(135)

وكل هذه الشواهد وغيرها وكما سبق أن أوضحنا ذلك من خلال ما أوردناه في فصول سابقة وأيضا من خلال التطرق لمساهمة بعض أشراف مدغرة في إثراء الحياة الفكرية بها تؤكد مدى أهمية هذه المساهمات الفكرية والعلمية المتنوعة التي لم تشمل فقط مدغرة، بل تعدتها إلى ما حاذاها من مناطق أخرى. الشيء الذي جعل المنطقة تنحت حضورها بشكل لا يقبل الجدل في الذاكرة الدينية المغربية ولدى أولي الأمر، من خلال تبوء مكانة متميزة وهامة من طرف العديد من الشخصيات الدينية والعلمية في مناصب التعليم والتثقيف والتعليم، موازاة مع ما قدمته المنطقة من شخصيات سياسية فريدة ومتميزة كذلك. والتي وجهت إلى حد بعيد التاريخ السياسي المحلي الإقليمي منه والوطني.

وهكذا يظهر بعد متابعتنا لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية أن النمط الثقافي للمنطقة ما هو في الأمر إلا انعكاس جلي للواقع المجتمعي العام والوضع المادي الاقتصادي. وننبه إلى أن كلا من الموقع الجغرافي والتطور التاريخي العام للمنطقة وطبيعة بنية الهياكل الأساسية اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وفكريا وتداخل هذه الأخيرة مع بعضها البعض تجعل الدارس مضطراً إلى ربط بعضها ببعض لتداخلها الكبير وتفاعل العناصر المحركة لهذه البنية. مما يعني أن ما أوردناه من معلومات وما استخلصناه من إستنتاجات ليس عاما وشاملا، بل هناك مجموعة من القضايا والمسائل التي لمحنا لها، ولم نثرها بنوع من الإسهاب، وتحكم في ذلك على الخصوص الكم المعرفي الذي حدد إلى حد ما الإعراض عن بعض الجوانب رغم أهميتها. وهذا ما سنحاول استقبالا أن نذيل به هذا العمل المتواضع، خاصة ما يتعلق بالعادات والتقاليد التي أعطاها تنوع البنية البشرية للمنطقة وانفتاحها شمالا وجنوبا، وتعدد واختلاف أصول المجموعات البشرية التي تعاقبت على سكنى المنطقة وأثر الظروف العامة سياسيا ومناخيا واقتصاديا في ذلك.

---

135) انظر الوثيقة رقم: 35 بالملحق الوثائقي الخاص.

خاتمة :

في الأبـواب والفصول المتقـدمـة من هـذا البحث إنتهينا إلى الخلاصـات والنتائج الرئيسية الآتية :

1 – فقد انتهينا إلى مسلمة كبرى وهي ارتباط طـوبنيمية منطقة مدغرة بالتطورات التاريخية والتحولات البشريـة التي عرفتها منطقة مدغرة مجال بحثنا هـذا. ذلك أن الموقع الفـريد الـذي تحتله المنطقـة «مدغـرة» – والذي يستمد اسمـه من القبيلة البربريـة البترية الـزناتية «مـدغرة» – وسط تلك الأصقاع الشبه الصحراوية المتناثـرة على طول وادي زيز كان له الأثر البين ليس فقط من حيث أهميته كممـر برزخي إجباري يصل الشمال بـالجنوب على طريق فـاس سجلماسة، بل كان لـه كذلك الأثر البـالغ في تجدد بنيتها البشرية عبر تـاريخها أو على الأقل منـذ المراحل الإسلاميـة الأولى في تاريخ بـلاد المغرب الأقصى. وخلفـت هذه الإثنيـات المختلفـة بصمات قويـة على العمـران والتعمير، باعتبـار المنطقة معبراً تـاريخياً لإثنيـات بشرية مختلفـة بأنشطتهم الإقتصـادية وإرثهم الحضـاري. مما يـؤكد أن مجتمع منطقـة مـدغرة لم يكن مجتمعـاً منغلقاً ومعـزولاً ومنكمشاً، بل إن المنطقـة – كما سبق أن حللنا ذلك في الباب الأول والفصل الثاني من الباب الثاني – كانت مؤثرة ومتأثـرة بنفس الآن سواء في محيطها القريب أو في المنـاطق البعيدة عنها. وذلك بفعل انفتـاح المنطقة عبر مجموعة من الممـرات، فصلنا الحديث عنها في الفصل الأول من البـاب الثاني. مما جعلها تـراقب وتخالط مناطق مجالية أخـرى أفادتها واستفادت منهـا تجاريا وسياسيـاً وعلمياً، لا سيما تلك المنـاطق الموجـودة على تيـارات تجارة القـوافل مثل درعـة وسـوس ومراكش وتافيلالت وتوات وفجيج وتلمسان والجزائر وفاس وغيرها.

2 – كما تبين لنـا أن الـدراسة المعماريـة الحقيقيـة للقصـور لا تعطي نتائجها العلميـة الصرفة إلا بربطها بالنظام الـداخلي للحياة داخل القصور على مستوى المحيط العام الذي أنشأ وطور هذه المؤسسات السكنية الواحية – وهذا ما حـاولنا تحليله في الفصل الثاني – من الباب الثـاني –. وجدير بالإشارة أن هذا النمط والنوع السكني الموجود بمدغرة «القصر» ينتشر بكل

مناطق العـالم الإسلامي والعربي منـه بوجـه خاص من المحيط إلى الخليج كما هو الحال باليمن والسودان وواحات المغرب الكبير. لكن مع ملاحظة أن هذه المؤسسة السكنية تحمل أسماء مختلفة بالمغرب الأقصى تبعاً لاختلاف المناطق وطبيعة بنيتها البشرية وأيضـا حسب التطورات والمراحل التاريخية. فقد كـانت تعرف قبل المرحلة العربيـة بالمغرب الأقصى «بإغـرم» وجمعها «إغرمان» وبعـد السيادة العربية أصبح يقـابله مصطلح القصر والجشر أو الدشر والدوار.

3 – إذا كانت البنيـة البشرية للمنطقة قبل مرحلـة نهاية النصف الأول من القرن 7هـ/13م – رغم التنـوع والتعـدد – تتكـون في غـالبيتهـا من العناصر البربرية زناتية وبعد حين صنهـاجية وأحيانا مصمودية. فإن هذا التركيب البشري ستلحقه تغييرات أساسية إنطلاقاً من بداية النصف الثاني من القرن 7هـ/13م. فقـد شكل دخول عـرب بني معقل وسيطـرتهم على واحات وادي زيـز بما في ذلك منطقة مدغـرة متغيراً كبيراً، وأحدث تحولات عميقة في البنية البشرية للمنطقـة. ونتج عن هذا التركيب الاجتماعي الجديد انعكاسات اجتماعيـة وسياسية بعيدة المدى، سيما إذا علمنـا أن عرب بني معقل اتخذوا من أحد قصـور مدغرة، ويتعلق الأمر هنا بقصر هـلال كأحد المراكز لمراقبة منطقة مدغرة، ومـا إليها وفرضوا ضرائب المرور على القوافل المستعملـة للخط التجاري الشمالي الجنـوبي على طـريق فاس سجلمـاسـة. وكان من نتائج ذلك أن تعربت المنطقة سـلالياً ولغوياً وتجارياً، وأدى ذلك إلى اختفاء أو ذوبان القوات القبلية القديمـة. وما يشهد من جهة أخرى على التغييرات العميقـة التي أحـدثهـا استقـرار عـرب بني معقل هي بقـايـاهم السلاليـة بالمنطقـة. رغم الصعوبـة التي تكتنف مسألة ضبطهـا في الوقت الحالي – وآثارهـم الطوبنيميـة. إذ تركوا مجمـوعة مـن الشواهـد السكنية المرتبطة بهذه الإثنيـة كما سبق أن فصلنا ذلك في الفصل الثـالث من الباب الثاني.

ومع مطلع القـــرن 10هـ/16م طعمت البنيـة البشريـة لمنطقة مـدغـرة بانتقال بعض الأسر الحسنيـة الشريفة وهي أسرة آل حم داوود وأسرة أهل

تعرمت وأسرة أهل بوحامد. وأصبح هؤلاء الشرفاء محور التوجيه والاستقطاب في مدغرة، وظهرت ملامح ذلك - كما حللناها في الفصل الرابع من الباب الثاني - من حيث أن شرفاء مدغرة أصبحوا يكونون القوة المحركة للحياة الروحية الدينية والاجتماعية والاقتصادية في محيط مدغرة الذي درسناه. مما جعل المنطقة تنحت حضورها بشكل بارز في ذاكرة المحيط العام للمغرب من حيث مساهمة شرفاء مدغرة في الدعاية للمشروع التاريخي السعدي في مرحلة أولى ومساهمتهم الكبرى في خدمة العرش العلوي المغربي في مرحلة ثانية. مما جعل المنطقة تشكل سلفاً فكرياً مغربياً بفعل مساهمة شرفاء مدغرة في إثراء الحركة العلمية والدينية المغربية بشتى ألوان فنون الفكر الديني والعلمي، سواء بمدغرة حيث إن بعضهم أسسوا مجموعة من الزوايا الدينية العلمية الصرفة، أي أنهم لم يكونوا زاوية دينية بالشكل المعروف، ولكن كونوا زاوية دينية علمية تطبق الشريعة الإسلامية بمدغرة وتخدم العلم الديني دون سواه. وهذا ما حاولنا تحليله عندما تطرقنا لزاوية مولاي بن علي أو زاوية تاوريرت في الفصل الثاني من الباب الرابع. أو بالعواصم التقليدية المغربية، ذلك أنه وجد من شرفاء مدغرة من بوأته مكانته العلمية ليصبح قطب زمانه ومدرساً لأمراء وقته، وهذا ما حاولنا الوقوف عليه بمواضع متعددة في الفصل الرابع من الباب الثاني والفصل الثاني من الباب الرابع.

4 - أما على المستوى التجاري فقد عمل شرفاء مدغرة على تأمين وضمان سلامة الطريق التجاري الرابط بين فاس وسجلماسة عبر مدغرة، وتندرج في هذا السياق مسألة إنتقال أنجال مولاي عبد الله بن عمر المدغري من مدغرة الوسطى إلى مدغرة العليا كما سبق أن فصلنا ذلك في الفصل الرابع من الباب الثاني. وأيضاً عقد الأخوة الذي أبرمته أسرة آل حم داوود الشريفة مع اتحادية أيت يفلمان بخصوص تأمين جزء من طريق المخزن من منطقة مدغرة إلى بلاد أيت يوسي بالأطلس المتوسط على وادي كَيكَو. وهو ما تناولناه خاصة في الباب الثالث الفصل الثالث.

5 – وعند تعـرضنا لأشكـال الأنشطة الاقتصــادية لاحظنـا أنها كانت تتمحــور حــول الزراعــة بــاعتبــارها المورد الأســاسي لعيش السكــان وأن النشاطات الأخرى لم تكن إلا قطاعات مكملــة لها. وكانت الزراعة تتأثر إلى حد بعيد عــلاوة على ضيق الحيز الزراعي بالإستثنــاءات المؤثرة على الإنتاج من جفاف وجــراد وفيضان نهري، ومــا يتبع ذلك من هزات واضطــرابات اجتماعية بما في ذلك صراع القصور وهجوم القبائل الرحلية المغيرة.

والــزراعة على أيــة حال، كــانت لا تقــدم إلا محصولاً زراعيــاً يستجيب للحيــاة الضروريــة فقط في أحسن الأحــوال مع بعض الفــائض في المنتــوج الشجــري أحيانــا. وإذا أضفنا إلى ذلك ضعف وبــدائية الأدوات والتقنيــات الزراعية، نتأكــد بالفعل من الصعوبات التي كانت تؤثــر على الإنتاج. وكان اقتصاد القلة هــذا غالباً ما يتحول إلى ضيق في المعاش، لأنــه لا يصمد أمام توالي السنوات العجاف. وهذا مــا يفسر من جهة لماذا كانت المنطقة لا تبعث على الإستمرار والإستقــرار وتتجدد بنيتهــا البشرية بــاستمرار. ومــن جهة ثانية ارتبــاط المنطقة خلال الحالات الإستثناءات ومــا يتبع ذلك من قحوط وأوبئة بالمناطق السهلية الشمالية، بفعل وجود المنطقة على المسار التجاري الرابط بين فاس وسجلماسة. مما جعلها تستفيد من عائدات تجارة القوافل، وممــا كــان يحملــه الــرحل من خيرات المنــاطق الجبليــة للتبــادل والإتجار بالأسواق المحلية. وهذا ما حاولنا تحليله في الباب الثالث وبمواضــع متعددة من هذا البحث. وخلال تطــرقنا للحياة الزراعية بمدغــرة، حاولنا التنبيه إلى أهم المنتوجات الزراعية التي تتفرد بها منطقة مدغرة عن غيرها من الواحات السجلماسية الأخرى لتأكيد خصوصيتها في البستنة بوجه خاص. وهذا ما عالجناه في الفصل الثاني من الباب الثالث، وكانت مناسبة أيضا للتأكيد على نظام السقي وتشابهه الكبير مع جملة من الأنظمة المطبقة في غير ما منطقة واحية بالمغرب الكبير.

6 – وانعكس هذا الواقع الاقتصادي على الحياة الاجتماعية، ذلك أن قلة الإمكانــات الاقتصاديــة والتهافت والتنافس عليهــا كان يخلق مجمــوعة من التوتــرات الاجتماعية، سواء بين الفئــات المتساكنة والمتعــايشة داخل القصر

الـواحـد أو بين مجمـوعة من القصـور. فكـان النـزاع ينـدلع بين قصرين وسرعان ما يزج بالمنطقة كلها في هـذا الصراع الذي كان يغذيه التنافس على الموارد الاقتصاديـة المطبوعـة بالقلـة أصلاً وتدافع عنـه الرابطـة الدمـوية. واستنتجنـا كذلك في الفصل الأول مـن الباب الـرابع بـالأساس أن أسبـاب الخلاف والنـزاع هي نفس الأسبـاب المؤديـة إلى التضـامن والتحـالف أو عندماكانت المنطقة تتعرض للخطر الخارجي كيفما كان نوعه.

7 - وانعكس هـذا الواقـع السوسيـواقتصـادي على الحياة الاجتماعيـة والفكرية. حيث كان له الأثر البين في تقسيم المهام بين مختلف الشرائح التي يتكون منهـا مجتمع القصر. فـاعتبرت الفئات الـدنيا الأسـاس المادي الذي يوفـر المعاش للواحـة، والفئات العليا الواجهـة الروحية والمذهبيـة للمنطقة. وهذا ما يفسر لماذا اقتصر العلم على فئة الأشراف، ومن في زمرتها من خلال اهتمامهم بالأمـور الدينيـة والفكريـة بمدغـرة وغيرها من المنـاطق الأخرى قروية أم حضرية دون غيرهم من الفئات الأخرى.

8 - وفي الأخير إنتهينا إلى مسلمة كبرى ومفادها أن تجربة الدراسة على مستوى المجال الضيق والمحدود «منوغرافي» زمانا ومكانا علاوة على ما تمد بـه الباحث من زخـم وثائقي هـام يـؤرخ لجملة من القضـايـا والظواهـر اجتماعياً واقتصادياً وفكريا، وتـدعيمه بما لازال يردد من مأثورات شعبية شفويـة، دون إغفال طبعـا أهمية جمع ودراسـة أسماء الأماكـن والقصور بطرق علمية واستخراج المعاني والمضـامين التاريخية من أصلها الطوبنيمي ومحاولـة ربط كل ذلك بجملـة من التطـورات التـاريخيـة للمنطقـة. فإنـه بـالإضـافة إلى ذلك تعتبر تجربـة البحث المنـوغـرافي هامـة جـدا في البحث التـاريخي المغـربي. لأنها تكشف عن خبـايا الموروث التـاريخي المغـربي، وإعادة كتابة تاريخنا الوطني بداية من الجزء إلى الكل.

الملاحق والفهارس

الملحق الوثائقي الخاص

نص القصيدة التي نظمها مولاي عبد الله بن علي بن طاهر عندما حصلت له الإذاية من بعض السفهاء واستغاث فيها بالنبي ﷺ وآله وصحبه، ورتبها على حروف قوله تعالى : ﴿**رب إني مغلوب فانتصر**﴾.

رب بأحمد سيد الوجود أغث

عبدا ألظى به الأسواء والضرر

براه حزن ولكن إن عرت كرب

قال عسى فرج يأتي به القدر

أو عمه غمه ولم يطق جلدا

بأحمد خير خلق الله ينتصر

نكفى الخطوب بأحمد النبي ومن

وجهة المصطفى الخيرات تنتظر

يقصي المكاره عنّا وهي راغمة

بوجه من شرفت بمجده مضر

محمد عدتي في كل معضلة

وآله والصحاب السادات الغرر

غلبت دهري بالمختار من مضر

محمد شافع والله مقتدر

لا حصن لعبد إلا باستغاثته

يا أحمد يا أبا بكر ويا عمر

ومن يلـــذ بحبيب اللـــه في نـــوب
فـــاللـــه يكلـــؤ مـــا يأتي ومـــا يـــذر
بمن إذا عـــدد النـــاس مـــآثـــره
أزرت بما نظمـــوا فيهـــا ومـــا نثـــروا
فـــدتك يـــا سيـــد الســـادات من مضر
أهـــل السما والثـــــرى والجن والبشر
إليك يـــا أحمد المختـــار مستنـــدي
أنـــت الفـــــؤاد وأنت السمـــع والبصر
نفـــوض الأمـــر لـــلإلـــه يعصمنـــا
ممن بغى ويقينـــا ســـوء مـــا مكـــروا
تفـــــرجت إزمي بـــــالهاشمـــي بمن
سرى إلى ربــــه والليل معتكـــــر
صلى عليـــه إلاه العـــرش مـــا انـــدفعت
بمجـــده كـــرب حـــارت فيهـــا الفكـــر
رب إليـــك وسيلتـــي حبيبـــك مـــن
لـــه مـــديحك في القـــرآن مستطـــر
صـــل وسلم وواصـــل كل صـــــالحة
عليـــه مـــا تليـــت بمـــدحـــه الســـور
يـــا سميع الصوت مـــن أيوب حين دعـــا
وقـــابـــل التـــوب من داود إذ خشعـــا
ورازق الأمن مـــوسى عنـــد خيفتـــه
وكـــافي المصطفى الأحـــزاب والشيعـــا

طيب حيـــاتي بعفـــو منك يـــا أملي

فما تعـــودت فضـــلا منك منقطعـــا

وتـــب علي فـــإني لســـت أول مـــن

عصى وعـــاد إلى مـــولاه فـــارتجعـــا(1)

كان الإمام الحافظ أبـو محمد عبد الله بن علي بن طاهـر رضي الله عنه شغوفا بمحبة النبيﷺ مشتغلا بمدحه، وقـد ألف ديوانا في الأمداح النبوية قد وسع فيه وأبـدع وتغزل وأجاد، منها هذه القصيـدة التي رتبها على آية قوله تعالى: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكـذبان**﴾ من سورة الـرحمان علم القرآن ونصـها :

خلـق اللــــــه أحمداً للصفـــــــاء

واجتبـــــاء ورفعـــــة وعـــــلاء

ربـــــه خصـــــه بما لم ينلـــــه

كل مـــــا قبلـــــه مـن الأصفيـــاء

يخرج النـــاس للحســـاب حيـــارى

فيغـــاثـــوا بخـــاتـم الأنبيـــاء

ولـــــه رتـب العـــــلا وميـــزات

بينتهـــــا خصـــــائص الإسراء

كل حين تبـــــدو لـــه معجـــزات

واضحـــــات كمثل بـــــدر السماء

يسأل النـــــاس آيـــة وكفـــاهم

شقـــة البـــدر أم رجـــوع الإنـــاء

1) انظر مخطوط فتح القدوس، م. س ص 269 ـ 279.

يفــــرغ العــــد دون آيٍ لطــــه

ضــاق عــن حملهــا فسيح الفضــاء

معشر الخلـق هـل رأيتـم نبيـــــا

مثـل أحمد في سنــــا وكســـــاء

يــرسل الــرسل للهــدى والـرشــاد

وإمـــام الأرســـال قطب العـــلاء

فـإذا انشقـت السماء فكــــــانـت

وردة كـــالـــدهـــان يـــوم الجزاء

يــــومئـــذ يتـــذكـــر المرء سعيــا

ويفـــــر الآبــــا من الأبنـــــاء

يعـــــرف الفضـل للنبي حين كفـت

عن مــــداه ســــوابـق الشفعـــاء

هــــــذه رتبـــــة النبي فمـن ذا

خفقت نعلـــــه بـــــولـــوج السماء

ولمن خــــاف ربــــه جنتـــــان

وجميـع الخيرات عنـــــد اللقـــــاء

وذواتــــا أفنــــان فيهــــا مقيـل

وقطـــــوف الجنــــان دار الجزاء

فيهما للنبــي قــــــــــــرة عين

بــــدنــــو ورؤيـــــة ورضــــاء

فيهما يقطف الصحـــــاب منـــاهم

بين نخـل وروضــــــة غنـــــاء

متكئيـــــن على الأرائــــك في جـــــ

جنـــــات عــــــدن في نضرة وبهاء

ثـم فيهـن قـــــــــــــاصرات لحاظ

راسيـــــات تلهـي عن النـــــدمــــاء

فكـــــأَن اسم أحمد حـل فيهــــــا

فـــزهت بـــاسـم قـــدوة الأتقيـــاء

هل تـــــروا معشر الأنـــام رســـولا

صـــــاحب الحوض غيره واللـــــواء

ثم من دونــــه هــذي هـل رأى اللــه

ســـــواه من ســـادات الأنبيـــــاء

جنتـــان مـــــدهمتـــــان أعــــدا

لمطيعـــــه يـــــا لها مـن جـــــزاء

فيهما كل مــــا تشتهيـــه نفـــوس

وتلـــــــــــــذه أعين عـــن سراء

فيهمـــــــــا سرر عليهـــــا سرور

في قصـــــــور في حبرة وهنـــــــاء

إن فيهـن خيرات وحســــــــــــان

في خيـــــام وغـــــــرف في الهواء

حـــــور أبكـــارهـن عـــرب لطـــاف

مثل مكنـــون لـــؤلـــؤ في صفـــاء

قـط لم يطمثهـن إنـس ولا جـــــا

ن فطـــوبى لفـــرقـــة السعـــداء

متكئين فيهـــا على رفــــرف خضر

جـــــوار النبـي قطـب الثنـــــاء

فتبــــارك مـن حبـــاه علــوا

حـــار في وصفـــه كـــون البلغـــاء

محكم الـــوحـي لم يـــدع من ثنـــاء

تصطفيــــه مقــــاويل الشعـــراء

يـــا سراج الأنـــام سِـــرَّ البرايــا

يـــالتـــاج الـــرحمان فـــوق السماء

بـك أسرى الإلـــــــه والليـل داج

فتقـــدمـت جملـــــة الأنبيـــاء

أنت قطـب الموجـــودات المفــرج

لخطـــــوب معضلـــــة دهماء

يـــا حبيب الإلـــه هـــالت كـــروبي

وتـــوالت وعـــز وجــه نجـــاء

قـــد رمـــاني دهـــري بكل دبـــور

فـأغثنـي أحيـي بفضلك دمــــــاء

وعليكـم مـن ربكـم صلـــــوات

تملأ الأرض مـع طبقـــــات السماء

وســـــلام يعـم آلا وصحبـــــا

مــــا استهلت يمينكـم بالشِّـــــراء(2)

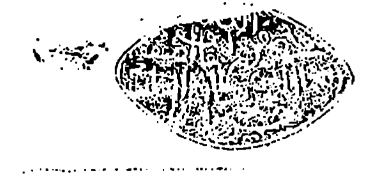
---

2) أنظر مخطوط فتح القدوس، م. س، ص ص 267 ـ 268 ـ 269.

الوثيقة رقم : 1

الحمد لله وحده

حمدا لله [illegible] الشريف [illegible] الفاضل المرتضى سيدي محمد
[illegible] احسن الله عنه خير مولانا الامام وبعد فقد
[illegible] الشريف مولاي عبد الرحمن بن محمد بن الشيخ
[illegible] عن الشريف سيدي محمد بن [illegible]
[illegible] من [illegible] اولاد [illegible]
[illegible] من الاخ في بيع [illegible]
[illegible] الموضع [illegible]
[illegible] مولانا [illegible] الاملاك
[illegible] المولاة [illegible]
[illegible] اعلام [illegible]
[illegible] اربعمائة [illegible] وعشرين [illegible]
[illegible] ارتبطنا [illegible]
[illegible] ذراع [illegible]
[illegible] ومن الاملاك [illegible]
[illegible] الشريف [illegible]
[illegible] قريبا [illegible]
[illegible] الغرب [illegible]
[illegible] عن [illegible]
[illegible] البيع او [illegible] وعلى المحبة والسلام
[illegible] محرم 1353

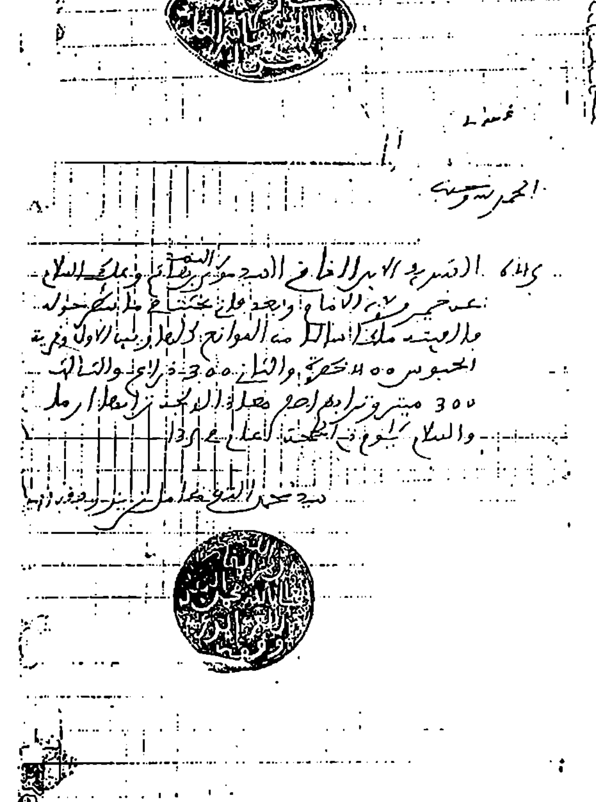


الحمد لله وحده

محبنا الشريف الجليل الفقيه السيد مولاي
المهدي بن هاشم وعليك السلام التام وبعد فإن
[illegible] الذي ذكرت حوله [illegible] ملكا
[illegible] المزارع كلها [illegible] وبينه
وبين القصبة القديمة ثلاثمائة ذراع
والسلام في 5 صفر 1353



الوثيقة رقم : 2



الحمد لله اشترى بحول الله التهامي بن علي بوبكر من الحاج الطيب اتوريرت [illegible]

من البائع له بلديه الفقير سيدي محمد بن علي بن محمد جميع ما له معه

شيوعا على نصف الهلال من مزارع اولاد [illegible] وهو الربع من

العرصة بما اشتمل عليه بياضا وسوادا من الزيتون والنخيل الذي له هنا

معه داخل العرصة المذكور وخارجه قرب الساقية الكبيرة المسماة

بالهلالية يجاور الطريق الجادة وملك الورثة سيدي حسن بن علي

وملك مولاي احمد بن الحبيب وملك اولاد ابراهيم وملك محمد بن سعيد اولاد

الحاج بما له ذكر من المنافع والمرافق وكافة الحقوق والحرم وكلها

على الاطلاق داخلا وخارجا شراء تاما وبيعا تاما [illegible] ولا شرط

فيه ولا ثنيا ولا خيار بثمن قدره ونهايته جميع ما ذكر من المثقال دورو بلا ابراد

[illegible] وثمانون [illegible] [illegible]

من القبض جميع الثمن [illegible] عرف [illegible] ومعاينة [illegible]

وابرا من [illegible] القبض [illegible] واسلم له المبيع وانزله فيه منزلته واحله

فيه محله [illegible] المال في ماله [illegible] الملك الصحيح في ملكه متملكه

وذلك [illegible] وعلى [illegible] وذلك والمرجع بالدرك [illegible]

قدره شهد عليهما بما فيه عنهما عارفهما وهما بأتمه [illegible]

من البائع له سيدي محمد بن علي عمر [illegible] النبي [illegible]

ولاية [illegible] جمادى الاولى من سبعة واربعين وثلاثمائة

والف [illegible] سبحانه وتعالى [illegible]

و[illegible] محمد بن [illegible]

الوثيقة رقم: 4

[illegible]

الوثيقة رقم : 5

الحمد لله وحده [illegible] تلقى شهيداه أسفله [illegible] إثر تاريخه

من الفقيه مولانا علي بن محمد من القصبة الجديدة

[illegible] أن من كان له حائط وبينه وبين غيره زنقة

[illegible] الطريق وأراد [illegible] الخشب على حائط [illegible]

الذي بينه وبينه الزنقة [illegible] ذلك [illegible]

الحائط [illegible] على [illegible] إلا [illegible] على

[illegible] بصيرة [illegible]

[illegible] على ذلك [illegible] منه [illegible]

أوائل شعبان عام ثلاث وثمانين [illegible]

[illegible] محمد [illegible]

الوثيقة رقم : 6

الوثيقة رقم : 7

الوثيقة رقم : 8

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم



[illegible]

وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته [illegible]

[illegible] أن تسمعوا وتطيعوا [illegible]

[illegible] والسلام [illegible]

[illegible] سجل هذا الظهير الشريف في الوزارة الكبرى بتاريخ [illegible] سنة 1936 [illegible]

محمد المقري

VU pour promulgation et mise à exécution,

Le Gouverneur Général des Colonies
Commissaire Résident Général de la
République Française au Maroc,

RABAT, le 24 juillet 1936

الوثيقة رقم : 9

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

خدامنا الأنجاد قبيلة آيت ازدك وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته
وبعد فإنا أسندنا النظر لماسكه الأرضى المرابط السيد عبد الرحمن بن احمد العباس بن
حمزة بن محمد العياشي في زاويتهم العياشية وبسطنا اليد يد التصرف فيهما وفي أوقافهما
على سنن من تقدمه من صالحي سلفه حسبما في ظهيرنا الشريف الذي بيده كغيره من
ظهائر أسلافنا الكرام قدس الله أرواحهم ونعم أشباحهم في دار السلام فنأمركم أن
تشدوا عضده فيما يرجع للزاوية ومصالحها ولا تقصروا معه في أمر من أمورهما والسلام
في 16 رجب عام 3 و12ه

الوثيقة رقم : 10

الحمد لله اشترى المكرم السيد مولاي الطاهر
بن عبد ربه سيدي محمد العمري [illegible]
من البائع له [illegible]
[illegible] زوج [illegible] عنده في الواحد
الأول بينها [illegible] عشرون [illegible]
والكرمة [illegible] والثاني بينها [illegible]
[illegible] المسعود والأربعة [illegible]
[illegible] بجميع [illegible]
الحقوق والحرم [illegible] داخلا وخارجا اشتراء
[illegible] منبرما [illegible] ولا
[illegible] ولا ثنيا ولا خيار [illegible]
جميع [illegible] قبض البائع [illegible] المشتري
[illegible] اعترافا وأبرأ [illegible]
القبض وأسلم إليه المبيع وأحله فيه محله
وأنزله فيه منزلته [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] البائع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الله [illegible]

[illegible]

المملكة المغربية — الحالة المدنية — تثبيت الإمضاء — 1,00 DH درهم

المملكة المغربية — الحالة المدنية — تثبيت الإمضاء — 1,00 DH درهم

[illegible]

الوثيقة رقم : 11

Djemâa Judiciaire des Aït Izdeg du Ksar es Souk et du Kheng

Extrait d'un acte de Vente définitive

Inscrit au registre des actes passés en matière immobilière et accessoirement sous le N° 4/12

Le onze Juillet mil neuf cent trente deux

par devant les membres de la Djemâa Judiciaire des Aït Izdeg du ksar es souk et du Kheng

ont comparu : Le nommé Mouchy ould Doudou Lahou du Mellah Aït Moha ou Ali (Ksar es Souk) d'une part,

et le nommé Moha ou Ali Boughrous du ksar Taghzout (Ksar es Souk) d'autre part.

Le premier a requis de constater qu'il vend au second, à titre ferme et définitif une parcelle de terrain située dans la palmeraie de Tissgdelt au lieu dit Agamoun d'une superficie d'ensemencement de [illegible] moud de blé.

A l'Est le terrain de Hassane Buâli

A l'Ouest la séguia

Au Sud également la séguia

Au Nord le terrain de Hassane ben Ali ou Ahmed

Le vendeur a déclaré que l'immeuble est bien sa propriété ; cela de toute notoriété ainsi qu'il résulte de l'enquête effectuée par les soins des membres de la Djemâa Judiciaire susindiquée.

Aucune opposition ne s'est produite à la suite de la publicité donnée à cette vente dans les formes prescrites par la coutume.

Cette vente a eu lieu moyennant le prix de MILLE DEUX CENTS FRANCS.

L'acquéreur a reçu quittance pour la dite somme et a pris possession complète de l'immeuble

En foi de quoi, il a été dressé le présent acte en présence des membres de la Djemâa Judiciaire conformément à la coutume du pays.

Extrait certifié conforme et délivré le II Juillet 1932

Le Secrétaire de la Djemâa Judiciaire

Vu pour contrôle.

A KSAR-ES-SOUK, le II Juillet 1932

Le Lieutenant LANIBOIS, Chef du Bureau de l'Annexe des Affaires Indigènes

الوثيقة رقم : 12

TERRITOIRE DU TAFILALT

Service des Affaires Indigènes
et des Renseignements

Annexe Ksar Es Souk

[illegible] n° 2.197

JUSTICE BERBÈRE

Tribunal Coutumier des Aït Izdeg du Ksar Es Souk
et du [illegible]

Extrait de l'acte de VENTE DÉFINITIVE inscrit au registre des actes passés en matière immobilière et successorale [illegible] le n° [illegible]

10 FRANCS
10 FRANCS
10 FRANCS

L'an mil neuf cent quarante sept le vingt Mai

par devant les membres du Tribunal Coutumier des Aït Izdeg du Ksar Es Souk et du [illegible]

ONT COMPARU :

Le nommé MOULAY ALI BEN MOHAMED de Tighiourin [illegible]

, d'une part

et le nommé MOULAY EL HASSAN BEN MOHAMED de Tighiourin, d'autre part.

Le premier a requis de constater qu'il vend au second à titre ferme et définitif : une parcelle de terre sise dans la palmeraie de Tighiourine au lieu dit "Jenan Moha ou Brahim" d'une superficie approximative de 200 m2 avec toutes plantations sauf un olivier et [illegible]

1re Parcelle
Est : un chemin
Ouest : Daoud Yaâcoub
Sud : Moulay Ahmed ben El Moubarik
Nord : dérivation d'eau

3e Parcelle
Est :
Ouest :
Sud :
Nord :

2e Parcelle
Est :
Ouest :
Sud :
Nord :

4e Parcelle
Est :
Ouest :
Sud :
Nord :

valeur
15.000

Cet immeuble est bien la propriété du vendeur. Cela de toute notoriété, ainsi qu'il résulte de l'enquête effectuée le 28 Mars 1947 par les soins des membres du Tribunal Coutumier sus-indiqué. Il en jouit paisiblement et aucune opposition ne s'est produite à la suite de la publicité donnée à cette vente dans les formes prescrites par la coutume

Cette vente a eu lieu moyennant le prix de : SEPT MILLE CINQ CENTS FRANCS. (7.500 frs.)

L'acquéreur a reçu quittance pour la dite somme et a pris possession complète de l'immeuble vendu

Dont acte.

Extrait certifié conforme délivré
le [illegible]
Le Secrétaire du Tribunal Coutumier,
[illegible]

VU POUR CONTROLE
A KSAR ES SOUK, le [illegible]
[illegible]

الوثيقة رقم : 13

REGION DE MEKNES
TERRITOIRE DU TAFILALT

Service des Affaires Indigènes et des Renseignements
Annexe Ksar Es Souk

Betaqa n° 282/50

JUSTICE BERBÈRE

Tribunal Coutumier des Aït Izdeg du Ksar Es Souk et du Kheneg

Extrait de l'acte de VENTE DÉFINITIVE, inscrit au registre des actes passés en matière immobilière et successorale sous le n° 328/50

Le neuf Août mil neuf cent cinquante
par devant les membres du Tribunal Coutumier des Aït Izdeg du Ksar-Es-Souk et du Kheneg
ONT COMPARU :

La nommée AZZOU YAHYA assistée de son "acher" Messaoud Attias domiciliés au Centre de Ksar-es-souk, d'une part;

et le nommé MOHAMED OU AHMED de Tazouka, d'autre part.

La première a requis de constater qu'elle vend au second, à titre ferme et définitif : une parcelle de terrain sise à Tazouka au lieu dit "Talemast" d'une superficie approximative de 300 m2 avec toutes plantations comprises et délimitée comme suit :

EST : un chemin
OUEST : un chemin
SUD : un chemin
NORD : Bouda Yahya

Cet immeuble est bien propriété de la venderesse. Cela de toute notoriété, ainsi qu'il résulte de l'enquête effectuée le 24 Août 1950 par les soins des membres du Tribunal Coutumier sus-indiqué. Il en jouit paisiblement et aucune opposition ne s'est produite à la suite de la publicité donnée à cette vente dans les formes prescrites par la coutume.

Cette vente a eu lieu moyennant le prix de : QUINZE MILLE FRANCS (15.000 frs)

L'acquéreur a reçu quittance pour la dite somme et a pris possession complète de l'immeuble vendu.

Dont acte.

Extrait certifié conforme délivré le [illegible]

Le Secrétaire du Tribunal Coutumier,

VU POUR CONTROLE.
A KSAR ES SOUK, le [illegible] SEPT 1950

Le Chef du Bureau des Affaires Indigènes

الوثيقة رقم : 14

TERRITOIRE AUTONOME DU TAFILALET

SERVICE
DES AFFAIRES INDIGÈNES

BUREAU
de KSAR-ES-SOUK

JUSTICE BERBÈRE

DJEMAA JUDICIAIRE DES AIT IZDEG DU KSAR-ES-SOUK
ET DU KHEUEG

Extrait d'un acte de Vente définitive inscrit au registre des actes passés en matière immobilière sous le n° 1.836

L'an mil neuf cent trente-six, le vingt-sept avril,

par devant la Djemâa Judiciaire des Ait Izdeg du Ksar-es-Souk et du Kheueg

Ont comparu :

Le nommé MOHA OU HCEINE, de Taghzout (Ksar-es-Souk) mandataire de RABHA LHOUCINE de Taghzout (Ksar-es-Souk) suivant procuration n° 2740 de Ksar-es-Souk, d'une part

et le nommé HASSANE OU HCEINE, de Taghzout (Ksar-es-Souk) d'autre part

Le premier a requis de constater qu'il vend au second, à titre ferme et définitif pour le compte de sa mandante : une parcelle sise dans la palmeraie de Taghzout (Ksar-es-Souk) au lieu dit "Bou Iguendouzen" d'une superficie d'environ [illegible] (200 [illegible])

Limites :
- A l'Est : propriété Moha ou Ali Bougherous
- A l'Ouest : dérivation de la séguia
- Au Sud : dérivation de la séguia
- Au Nord : propriété Daoud Baya

Le vendeur affirme que cet immeuble est bien sa propriété ; cela de toute notoriété ainsi qu'il résulte de l'enquête effectuée le 24 avril 1936 par les soins des membres de la Djmâa Judiciaire susindiquée. Il en jouit paisiblement et aucune opposition ne s'est produite à la suite de la publicité donnée à cette vente dans les formes prescrites par la coutume.

Cette vente a eu lieu moyennant le prix de Deux cent cinquante francs./. (250 frs)

L'acquéreur a reçu quittance pour la dite somme et a pris possession complète de l'immeuble vendu.

Dont acte.

Vu pour contrôle :
A Ksar-es-Souk, le [illegible] 193
Le Chef du Bureau des Affaires Indigènes,

Pour extrait certifié conforme à l'original et délivré le 12 [illegible] 193
Le Secrétaire de la Djemâa Judiciaire,

الوثيقة رقم : 15

ربيع الثاني 1296 هـ

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

يعلم من كتابنا هذا أسمى الله قدره وأعز أمره وجعل في الصالحات ورده وصدره
أننا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته [illegible] حامله [illegible] عمر [illegible]
القلعيين [illegible] المنتسبين لمولانا إدريس نفع الله به على ما تميز له
من التوقير والاحترام والمبرة والإكرام والمحاشاة عما يطالب به العوام من الكلف
المخزنية والوظائف السلطانية فلا يطالبون بشيء منها وكل ما [illegible] عليهم [illegible]
[illegible] أو زيادة [illegible] الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا أن يعمل
بمقتضاه ولا يتعدى حده والسلام صدر به أمرنا المعتز بالله في 8 ربيع الثاني عام 1296

[illegible]

الوثيقة رقم : 16

8137 [illegible] 1953

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره وجعل في الصالحات كلمته ونشره أننا بحول الله
وقوته وشامل يمنه ومنته جددنا لحملته السيد محمد بن أحمد وأولاد عمه أولاد سيدي محمد بن
عبد الله الفاطميين بتزركيوت من ذرية المقدسين مولاي إدريس نفع الله به على ما
بيدهم من التوقير والاحترام والحمل على كاهل المبرة والإكرام والرعي الجميل المستدام
بحيث لا يهضم لهم جانب [illegible] [illegible] أنعم المولى عليه من عهد الشرفاء وكالة الشريف
أمرنا أن يعلمه ويعمل بمقتضاه ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه والسلام صدر به أمرنا
المعتز بالله تعالى في [illegible] جمادى الأولى عام اثنين وسبعين وثلاثمائة وألف سجل هذا
الظهير الشريف في [illegible] الوزارة الكبرى بتاريخ 8 جمادى الأولى عام [illegible] الموافق 24 يناير [illegible] صفحة
1953

الوثيقة رقم : 17



الوثيقة رقم : 18



الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

[illegible] احترام [illegible] التهاني [illegible] كتبه [illegible]

[illegible] أهل [illegible] الكامل [illegible]

[illegible] الكرام [illegible]

على [illegible] والاحترام [illegible] على كل أهل [illegible] والإكرام والرحمة الجميل [illegible]

[illegible]

[illegible] 19 ربيع الأول

عام 1367 [illegible] 23 ربيع الثاني

الموافق 5 مارس سنة 1948

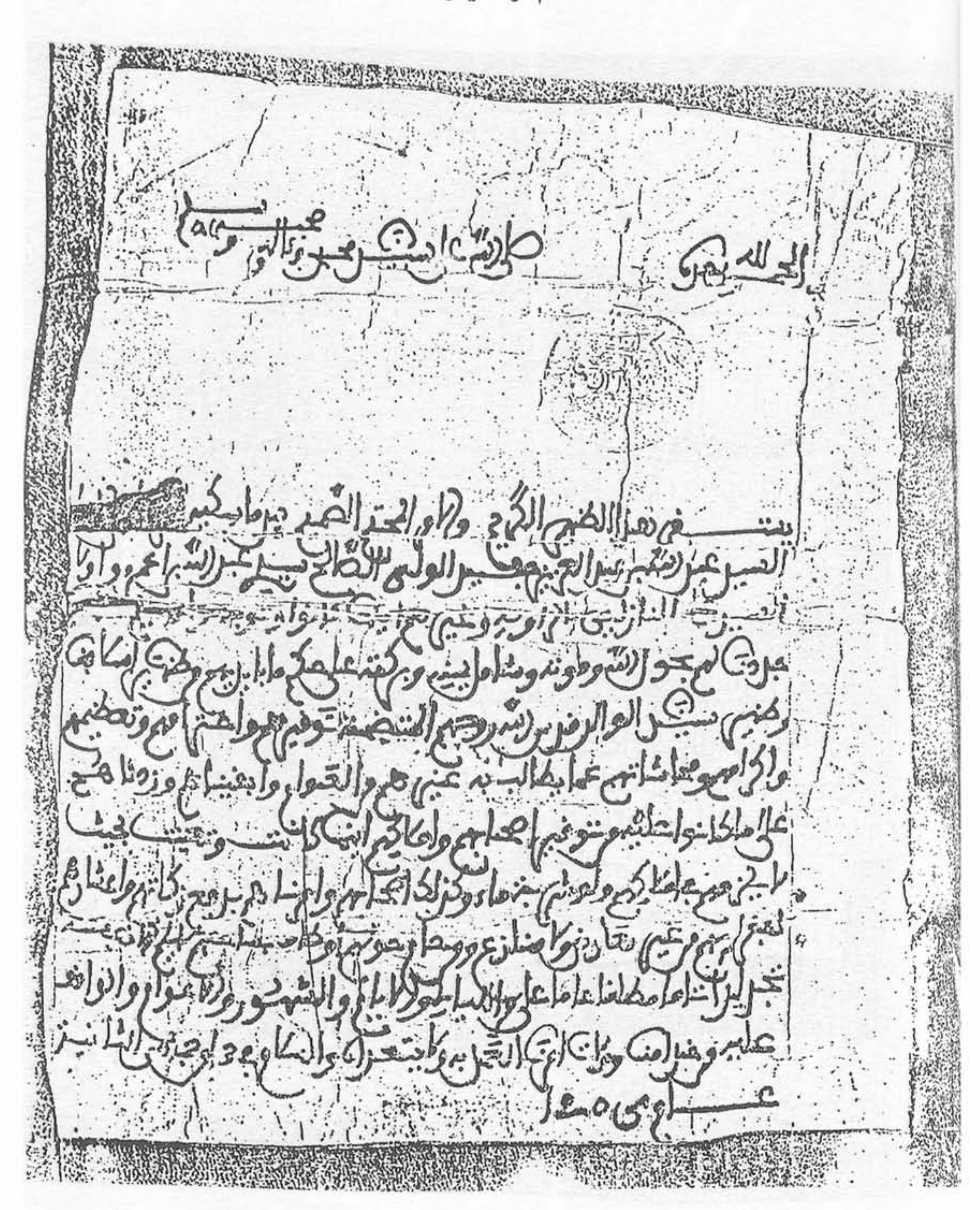
[illegible]

المملكة المغربية
الحالة المدنية
تثبيت الامضاء
الجماعة الحضرية
درهم 1,00 DH

المملكة المغربية
الحالة المدنية
تثبيت الامضاء
درهم 1,00 DH

الوثيقة رقم : 20





الحمد لله وحده

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

يستقر هذا الظهير الكريم والأمر الحتم الشريف بيد ماسكيه
النسيب عمر ومحمد بن عبد الرحمن حفيد الولي الصالح سيدي محمد الشريف بن احمد وأولاد [illegible]
[illegible] النازلين بالزاوية وغيرهم [illegible]
[illegible] بحول الله وقوته [illegible] وبركته على حكم ما بأيديهم من ظهائر أسلافنا
[illegible] توقيرهم واحترامهم وتعظيمهم
وإكرامهم [illegible] عما يطالب به غيرهم من الغرامات [illegible] وزدناهم
على ما كانوا عليه [illegible] وتحت [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والشهور [illegible]
عليه [illegible]
عام [illegible]

الوثيقة رقم : 22

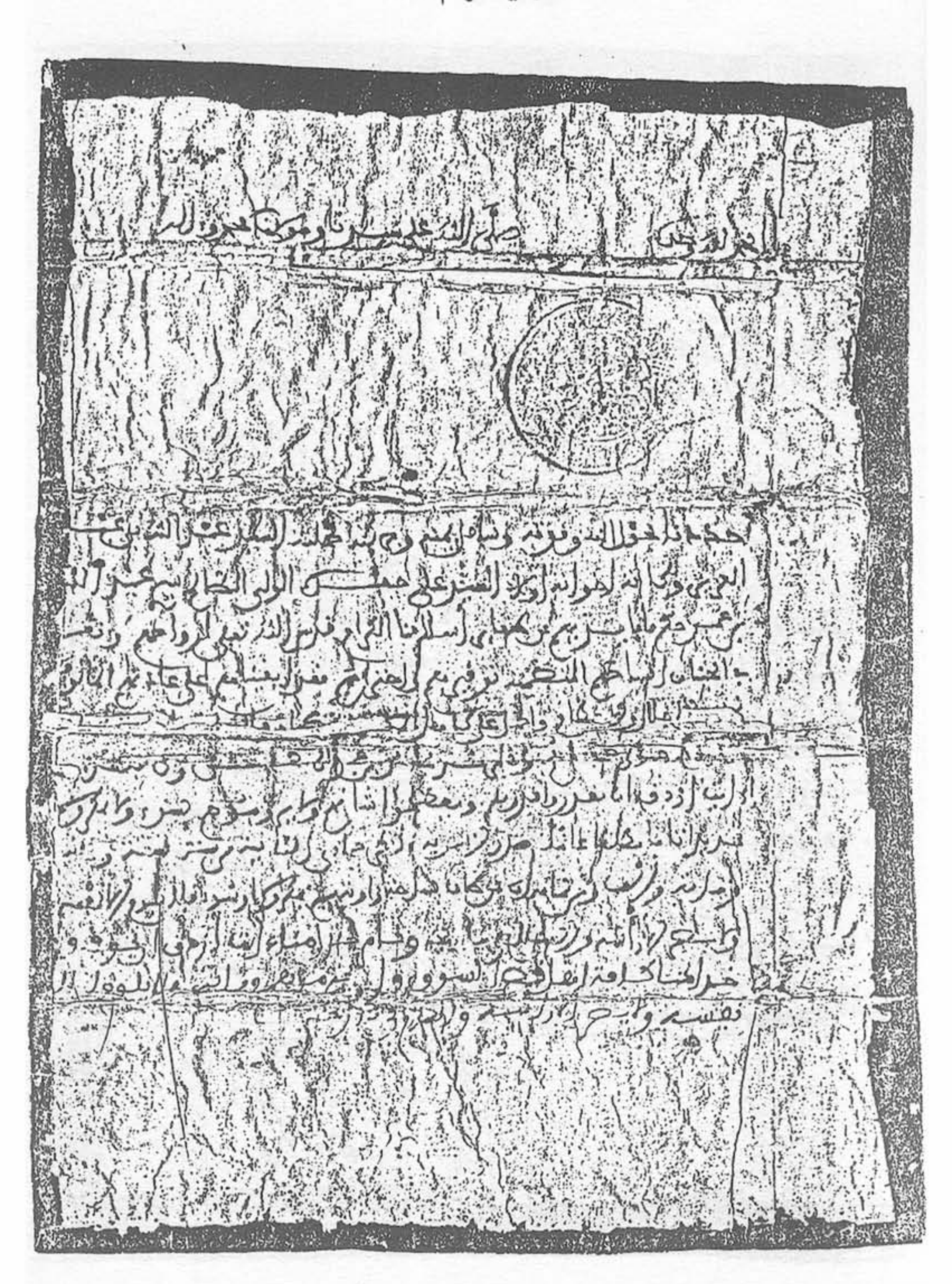


الوثيقة رقم : 23



الوثيقة رقم : 24

الوثيقة رقم : 25



الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الوثيقة رقم : 26

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

[illegible] أمير المؤمنين [illegible]

يعرف بحول الله وقوته وشامل يمنه وبركته [illegible]

أحمد بن عبد الرحمن وإخوته أولاد [illegible]

[illegible] الصلاح والبركة [illegible]

من ظهائر [illegible] الشريفة التي بأيديهم وظهائر [illegible] المتقدمين رحمهم الله [illegible]

[illegible] من جميع [illegible] واللوازم [illegible]

[illegible] على [illegible]

قصر السوق

أم : 60

الوثيقة رقم : 27



الوثيقة رقم : 28

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] يوليوز سنة 1942

[illegible]

الوثيقة رقم : 29



الوثيقة رقم : 30



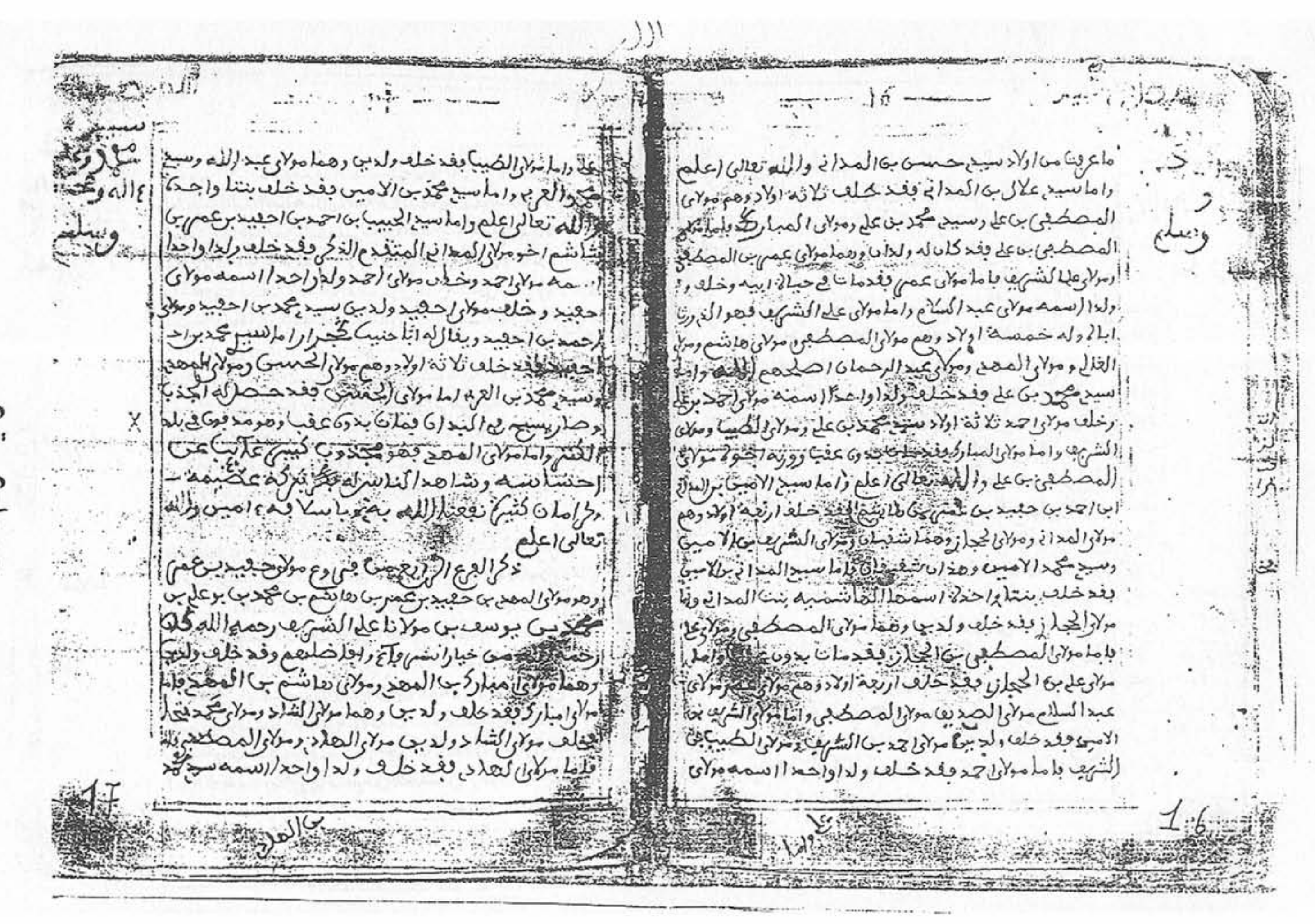
نا نابنت الحدبد من شرفاء الفصر الجديد بالرتب وخلف مولاي المهدي
ولدا وبنتا فالولد اسمه مولاي احمد بن المهدي والبنت اسمها لالة رحمة
واما مولاي هاشم ومولاي الحسن ولالة فاطمة بنت عمر فهم اشقاء تحت
امهم لالة خنثة من شرفاء الفصر الجديد بالرتب فاما مولاي
هاشم فقد خلف ثلاثة اولاد وهم مولاي المصطفى ومولاي علي ومولاي
الطيب فاما مولاي المصطفى فامه لالة العزيزة بنت سيدي محمد بن الصديق
واما مولاي علي ومولاي الطيب فامهما لالة الحسنية بنت علي من شرفاء
لمحركة واما مولاي الحسن بن عمر فقد مات بدون عقب واما مولاي
عبد القادر بن عمر فامه لالة فاطمة الزهراء بنت الحنفي اخت مولاي
المصطفى بن الحنفي من شرفاء العين منه فهي جدتنا ام امنا رحم
الجميع ومولاي عبد القادر خالنا وقد مات بدون عقب رحمه
الله امين والله سبحانه وتعالى اعلم -

الفرع الثالث من فروع مولاي احميد بن عمر

فاما الفرع الثالث وهو مولاي محمد بن احميد بن عمر بن هاشم بن محمد بن بوعلي بن محمد بن يوسف بن مولانا علي
الشريف فقد خلف ولدين وهما مولاي المداني ومولاي الحبيب
فاما مولاي المداني فقد خلف شعبا كثيرا لا طائل في اسماء
اشخاصهم وعظمهم فلا يقال لهم الا اولاد سيدي مداني وقد خلف
ثلاثة اولاد وهم سيدي حسن بن المداني وسيدي علال بن
المداني وسيدي الامين بن فاما سيدي حسن بن المداني فقد
خلف اربعة اولاد وهم سيدي محمد بن الحسن ومولاي الصديق
ابن الحسن ومولاي هاشم بن الحسن وسيدي محمد بن

العربي عن بنات عمي فاما سيدي محمد بن الحسن فقد كان
شريفا مباركا خيرا دينا وقد ظهرت له كرامات عديدة فكان
الناس يتبركون به ويقصدونه للزيارة وقد عاش ما يزيد على
المائة سنة وهو مدفون بالزريقة رحمه الله وقد خلف
اربعة اولاد وهم مولاي علي ومولاي اسماعيل ومولاي عمر ومولاي
العربي وهم غير اشقاء كل واحد مع امراة لانه كان كثير
التزوج فاما مولاي علي بن محمد بن الحسن فقد خلف ولدا
واحدا اسمه مولاي الحسن بن علي وخلف اربع بنات
الهاشمية والصافية والكبيرة وحبيبة واما مولاي
اسماعيل بن محمد بن الحسن فقد خلف ولدا واحدا اسمه
مولاي احمد واما مولاي عمر بن محمد بن الحسن
فقد خلف بنتا واحدة واما مولاي العربي فانه سافر لبلد
الحج هو وامه وبقي مجاورا في مدينة الرسول ...
... والى الان لم يبلغنا وفاته ولم ندر هل له ذرية ام
لا واما مولاي الصديق بن الحسن فقد كان له ثلاثة اولاد مولاي
الهادي ومولاي الشيخ ومولاي احمد وقد ماتوا كلهم في حياة
ابيهم ولما توفي مولاي الصديق بن الحسن خلف اربع
بنات الهاشمية البتول العزيزة السعيدة فهي جدتنا
ام امنا رحمها الله واما مولاي هاشم بن الحسن فقد خلف
ولدا واحدا اسمه سيدي محمد بن هاشم وخلف سيدي
محمد بن هاشم ولدا واحدا اسمه سيدي هاشم -
واما سيدي محمد بن العربي فانه مات بدون عقب هذا

الوثيقة رقم : 31



ماعرفنا من اولاد سيدي حسين بن المداني والله تعالى اعلم
واما سيدي علال بن المداني فقد خلف ثلاثة اولاد وهم مولاي
المصطفى بن علي وسيدي محمد بن علي ومولاي المبارك فاما مولاي
المصطفى بن علي فقد كان له ولدان وهما مولاي عمر بن المصطفى
ومولاي علي الشريف فاما مولاي عمر فقد مات في حياة ابيه وخلف
ولدا اسمه مولاي عبد السلام واما مولاي علي الشريف فهو الذي ورث
اباه وله خمسة اولاد وهم مولاي المصطفى ومولاي هاشم ومولاي
الغالي ومولاي المهدي ومولاي عبد الرحمان اصلحهم الله واما
سيدي محمد بن علي فقد خلف ولدا واحدا اسمه مولاي احمد بن علي
وخلف مولاي احمد ثلاثة اولاد سيدي محمد بن علي ومولاي الطيب ومولاي
الشريف واما مولاي المبارك فقد مات بدون عقب وورثه اخوه مولاي
المصطفى بن علي والله تعالى اعلم واما سيدي الامين بن المداني
ابن احمد بن حبيب بن عمر بن هاشم فقد خلف اربعة اولاد وهم
مولاي المداني ومولاي الحجاز وهما شقيقان ومولاي الشريف بن الامين
وسيدي محمد الامين وهذان شقيقان واما سيدي المداني بن الامين
فقد خلف بنتا واحدة اسمها الهاشمية بنت المداني واما
مولاي الحجاز فقد خلف ولدين وهما مولاي المصطفى ومولاي علي
فاما مولاي المصطفى بن الحجاز فقد مات بدون عقب واما
مولاي علي بن الحجاز فقد خلف اربعة اولاد وهم مولاي [illegible] ومولاي
عبد السلام مولاي الصديق مولاي المصطفى واما مولاي الشريف بن
الامين فقد خلف ولدين مولاي احمد بن الشريف ومولاي الطيب بن
الشريف فاما مولاي احمد فقد خلف ولدا واحدا اسمه مولاي

علي واما مولاي الطيب فقد خلف ولدين وهما مولاي عبد الله وسيدي
محمد العربي واما سيدي محمد بن الامين فقد خلف بنتا واحدة
والله تعالى اعلم واما سيدي الحبيب بن احمد بن احبيب بن عمر بن
هاشم اخو مولاي المداني المتقدم الذكر فقد خلف ولدا واحدا
اسمه مولاي احمد وخلف مولاي احمد ولدا واحدا اسمه مولاي
حبيب وخلف مولاي احبيب ولدين سيدي محمد بن احبيب ومولاي
احمد بن احبيب ويقال له [illegible] واما سيدي محمد بن احمد
بن احبيب فقد خلف ثلاثة اولاد وهم مولاي الحسن ومولاي المهدي
وسيدي محمد بن العربي اما مولاي الحسن فقد حصل له الجذب
وصار يسيح في البلدان فمات بدون عقب وهو مدفون في بلد
[illegible] واما مولاي المهدي فهو مجذوب كبير [illegible]
[illegible] وشاهدنا [illegible] بركة عظيمة
وكرامات كثيرة نفعنا الله به وباسلافه امين والله
تعالى اعلم
ذكر الفرع الرابع [illegible] مولاي حبيب بن عمر
وهو مولاي المهدي بن حبيب بن عمر بن هاشم بن محمد بن علي بن
محمد بن يوسف بن مولانا علي الشريف رحمه الله [illegible]
رحمة [illegible] من خيار [illegible] وافاضلهم وقد خلف ولدين
وهما مولاي مبارك بن المهدي ومولاي هاشم بن المهدي واما
مولاي امبارك فقد خلف ولدين وهما مولاي الشاد ومولاي محمد [illegible]
فخلف مولاي الشاد ولدين مولاي الهادي ومولاي المصطفى [illegible]
فاما مولاي الهادي فقد خلف ولدا واحدا اسمه سيدي محمد

الوثيقة رقم : 32



وهو ولي كبير وقطب شهير وهو مدفون في جبل بني عروس
حوز مولانا عبد السلام بن مشيش كان هو اي سيدي هذا رضي
الله عنه قوي الحال كبير الاحوال له كرامات واسرار وعلامات
وانوار فقصده الناس للزيارة في حياته وبعد مماته ويوجد
لزيارته الاولياء الاكابر حكي ان الولي الصالح سيدي علال
ابن احمد دفين وزان قصد سيدي هذا للزيارة فلما قرب
من محله وهو رقيد بالغيبة ومستتر في شجرة جوبا
وهو موقد نارا عظيمة وجه سيدي علال بن احمد رسوله
ليستاذنه في القدوم عليه فاجاب سيدي هذا الرسول قال
قل لا ارجع الى صاحبك وقل له يرجع من حيث جاء كيلا
تحترق شمعته بهذه النار فلما رجع الرسول الى سيدي
علال واخبره قال سمعنا واطعنا رضي الله عن الجميع
جميعهم ونفعنا بهم وحشرنا في زمرتهم وله
كرامات كثيرة لا يسعها هذا المكان وزاويته بها
بقبة الى الان ولم يخلف عقبا وهو سيدي محمد بن محمد
بن حبيب بن عمر بن هاشم بن محمد بن بوعلي بن محمد
ابن يوسف بن مولانا علي الشريف نفعنا الله ببركاتهم
اجمعين امين واما سيدي الامين بن عبد ... بن حبيب
بن عمر بن هاشم اخو سيدي هذا المتقدم الذكر فقد كان
شريفا مباركا وقد خلف ثلاثة اولاد وهم سيدي الحبيب
بن الامين ومولاي المختار ومولاي التهامي ولما اخرج ... الحبيب
الشرفاء من اولاد عمرو انتقل مولاي الكبير ... المختار

20

ومولاي التهامي الى مدينة فاس واستوطناها وخلفا بها
بنات كان سكناهم بفنصرة سيدي العواد وقد انقطع
عنا خبرهن في هذا الوقت فلم ندر هل بقي منهن شيء
ام لا واما سيدي الحبيب بن الامين فبعد خروجه من ... الاد...
ذهب لزوجته او قوس مع كثير من الناس الشرفاء مدا
واستوطن بها الى ان مات وهو مدفون بها وقد كانت
له خمسة اولاد وبنتين وهم سيدي محمد بن الحبيب ومولاي
احمد ومولاي عبد الله ومولاي الحسن ومولاي المصطفى ولالة
الهاشمية ولالة البتول اما سيدي محمد بن الحبيب فقد
توفي في حياة ابيه وخلف بنتا واحدة اسمها لالة
فاطمة وهي التي تزوج بها مولاي الشريف وله معها
خمسة اولاد كما تقدم واما مولاي احمد فهو والد ...
كان رحمه الله شريفا خيرا دينا زاهدا في الدنيا
حافظا لكتاب الله نبيهة له همة الا في عبادة
الله رحمه الله رحمة واسعة توفي رحمه الله
يوم الاثنين ثمانية ايام من ذي الحجة الحرام متم
سنة ثمانية وعشرين وثلاثمائة والف وتوفيت والدتنا
لالة ... بنت الصديق بن الحسن عشية يوم
الجمعة ... يوم من رمضان المعظم عام ستة
وخمسين وثلاثمائة والف وقد خلف والدنا رحمه
الله ثلاثة اولاد عبد ربه محمد بن احمد ويقال له
... خيلا لان جده سيدي الحبيب بن الامين سماه

الوثيقة رقم : 34



مولاي علي بن عمر والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب
واما الثاني من اولاد مولاي عمر بن هاشم وهو مولاي احمد
ابن عمر بن هاشم فهو خليفة ابيه والوارث له حسا ومعنى
والمستبد بدعوته والحائز لرضاه كان رضي الله عنه شريفا
جليلا له همة عالية محبا للخير واهله ماشيا على طريقة
ابيه ومتبعا لاثره حج خمسا وعشرين حجة ولما
حضرته الوفاة وهو ببلد اولاد اعميرة سمع وهو يقول اللهم
انا عبد من عبادك وانت اخرجتني من مكة بعد كنت فيها
مكة يا مكة من اغلاك اعلى اثريد ما بقي لو اجبرت اني
زايرك كل عام والجلوس في ذاك المقام يا مولاي الجلال
ولما توفي رحمه الله دفن بضريح جد جد ابيه
مولاي محمد بن بوعلي رحم الله الجميع رحمة واسعة
امين وقد خلف سبعة اولاد كلهم بررة انجاد
وهم مولاي الشريف مولاي السعيد مولاي المدني
مولاي المهدي مولاي عبد الله سيدي محمد مولاي الحسين
ذكر الفرع الاول من فروع مولاي حبيب بن عمر ومولاي
الشريف بن حبيب بن عمر بن هاشم هو اكبر اخوانه
انه تولى مكان ابيه وقام مقامه وسار بسيرته وحج
ثمانية عشر حجة ولما توفي رحمه الله خلف ثلاثة
اولاد وهم مولاي طاهر بن الشريف وسيدي محمد بن الشريف ومولاي
الحاج بن الشريف واظن و... اعلم ان اسمه مولاي احمد
لان مولاي الحاج لقب لا اسم فاما مولاي طاهر فقد خلف

ثلاثة اولاد وهم مولاي المهدي بن طاهر ومولاي بوعلي بن طاهر
ومولاي القرشي بن طاهر فخلف مولاي القرشي ولدا واحدا اسمه
مولاي عبد القادر بن القرشي ومولاي عبد القادر لم يخلف فيما
اعلم لا ذكرا ولا انثى واما مولاي بوعلي بن طاهر فخلف ولدا
واحدا اسمه مولاي المصطفى بن بوعلي وكان مولاي
المصطفى المذكور شريفا خيرا وكان عقيما لا ذرية
له وكانت الدنيا قد اقبلت عليه فبنا دارا كبيرة من
نوراع القصر واشترى عبيدا وكانت له شياه كثيرة حتى
كان يجعل الخيمة وكان له عبد ظالم متعد يظلم
الناس ولا يبالي باحد فخرج اليه سيده في بعض الايام
واظن ان ذلك في شهر رمضان فلما وصل اليه زجره
ونهاه عن ظلم الناس فغضب العبد ولم يرض بكلام
سيده فسولت له نفسه والشيطان ان يقتل سيده
فتركه الى ان نام فقام اليه وضربه بالزروطة الى ان قال
انه قد مات فهرب هو وزوجته الى ان وصل الى بلد اب
اذنيب فلما جاء وقت العشي لم يجئ الشريف وكانت
له امة نشوة لم يصحبها معه علمنا الشريفة
زوجته انه وقع له شيء فارسلت الى المضرب واعلمتهم
فخرج الناس فوجدوا الغنم تسرح وحدها فذهبوا الى
الخيمة فوجدوا الشريف مضروبا هناك فحملوه الى
منزله ثم اتبعوا العبد فوجدوا اهل اب اذنيب منعوه
من المشي الى بلد الشرك فاتوا به وصلبوه على خشبة

الوثيقة رقم : 35

الحمد لله وحده جاءت جماعة الدرعيين قبيلة سيدنا ابراهيم بن الطيب ما نصه
الحمد لله هذا ما كتبه سيدنا عبد الرحمان الأمير لمولاي احمد بن محمد وبه
نزل القضاء بعد الاستخارة أما بعد فغير خاف ان الامر [illegible] الا الاصلاح
ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب
ولما اشتهر من قول الصالحين [illegible] في خطة القضاء ما [illegible] لنا
منذ ما ذلك [illegible] منها وولينا [illegible] الدرعيين
مولاي الطاهر بن محمد من الصحبة الجزولية لهذه البلاد [illegible] البلاد وساير
القضاة فليجلس لفصل الطالب وعليه بتقوى الله في السر والعلن والرفق بالرعية
والعمل بالمعمول به دون المشهور [illegible] الراجح وبه تلوح كذا [illegible]
من الهجرة عام 1222 [illegible] عبد [illegible]
على جماعة [illegible] ثلاث [illegible] والسلام [illegible]
رحمه الله ومنه [illegible] علي بلد عبد [illegible]
يوم [illegible] من المحرم [illegible] عام 1287 ومنه [illegible]
[illegible] بن [illegible] عبد الله بن محمد [illegible] يوم [illegible]
اول يوم من ربيع الاول عام 1290 ومنه [illegible] ابو [illegible]
[illegible] الشرعية على [illegible]
[illegible] الخميس [illegible] من المحرم [illegible] عام 1292
ومنه [illegible] الاولى عام 1296 ومنه [illegible]
[illegible] يوم الاربعاء [illegible] عام 1226

وهاته [illegible]
[illegible]

الحمد لله هذا اعقد امور بين سادات الشرفاء اهل [illegible] وادو ومن انقاد اليها [illegible]
[illegible] واهل [illegible] وحيث حلوا ونزلوا على مر الزمان وكل من انظام اليهم
من [illegible] والحاج [illegible] ومن انتسب اليهم مع ايت [illegible] ايت احمد [illegible] وايت [illegible]
وايت يحيى ومن انظام اليهم تبع على طول الزمان فيقف فيها الا باسم الاولاد والاولاد
[illegible] والاولاد بنات [illegible] انقطعوا ما تعارفوا واقتدت [illegible] ونعم [illegible]
اخوته في موضعه واولاد اخوانه واعمامه واعمام اعمامه حتى يجتمع القبيلة كلها
ولا يقبلوا حتى يجيء الاخر واشترط عليهم الشرفاء ان لا يقبضوا منهم شيئا وانما
ذلك لوجه الله العظيم والدار الاخرة ومن اراد ان يقبل منهم شيئا اخذ له على الله
واخذ له الاخذ [illegible] وينتقم الله منه ويعجل له العقوبة في الدنيا ويموت [illegible]
ويخلي خيمته ولا تقبل كلمته في قبيلته ومن اراد ان يأكل على [illegible] فيقف اخوانه و[illegible]
[illegible] حتى تقف القبيلة كلها ومن وجد منهم لا يلتفت ولا يقبل منه عذر ولا
يقولوا حتى يجلس [illegible] وحيث وجد الواحد منهم يقف ولو بالقتل [illegible]
ويحملوا [illegible] الدار الاخرة [illegible] والعداوة والاعداء [illegible] من ايت احمد
احمد و[illegible] الشيخ [illegible] ابن محمد ومن ايت [illegible] والشيخ اسعيد ابن [illegible]
[illegible] ابراهيم والشيخ [illegible] ايت زيد والشيخ [illegible] وايت موسى احمد و
والشيخ [illegible] من ايت اسعيد احمد واحمد من ايت [illegible] والشيخ [illegible] ومن ايت محمد [illegible]
والشيخ غانم من ايت [illegible] محمد والشيخ [illegible] من ايت [illegible] و[illegible]
[illegible] من ايت محمد [illegible] ومن ايت يحيى [illegible]
من ايت موسى [illegible] والشيخ [illegible] احمد محمد ومن ايت [illegible] والشيخ
[illegible] والشيخ [illegible] ومحمد بن سعيد من ايت عيسى [illegible] والشيخ
[illegible] من ايت علي ابراهيم ومن ايت [illegible] والطالب علي [illegible]
وجميع الجملة من كل قبيلة كل واحد تحمل عن [illegible] وقبيلته [illegible] الزمان و[illegible]
انقطع [illegible] رجع [illegible] وقبيلته حتى [illegible] حيث [illegible] كلمته [illegible]
و[illegible] بلاد [illegible] ومن [illegible] بعضهم [illegible] ومن [illegible]
[illegible] واخذ له على القبائل [illegible] وشهادة [illegible] على [illegible]
كلمته [illegible] علامة على انه اخذ له على الشرفاء والله [illegible]

[illegible] ولا يجلبون [illegible]
[illegible] ويجوز بجواز [illegible]
داخل في [illegible] وتجمعهم ومن [illegible]
[illegible] ولا يجلب [illegible]
[illegible] كله وقع العقد بينهم [illegible]
زاوية [illegible]
[illegible] على [illegible]

الوثيقة رقم : 37

الحمد لله الذي [illegible] وتنزه عن الاختلاف [illegible] والصلاة والسلام

على سيدنا محمد النبي ارسله الله لارشاد العباد واقام لتسهيل سنة

الخاص والعاد وعلى آله [illegible] كل مراد [illegible] وبعد اجتمع

[illegible] الولي الاعظم [illegible]

[illegible] اهل الله [illegible] ومولانا عبد الله بن علي بن [illegible]

[illegible] على احكام روضته المباركة [illegible]

وجعلوا [illegible] الجلوس [illegible] لكل [illegible] ومن زاد [illegible]

[illegible] من الروضة [illegible]

[illegible] التحكام في نوبته [illegible]

[illegible] العلماء لاجل [illegible] الخير من احد

[illegible] ومن كمل ايامه

[illegible] بعد العصر [illegible]

[illegible] المخلوفة [illegible]

[illegible] جمال [illegible] كثيرة او قليلة

[illegible] اهل الروضة [illegible] على

ذلك [illegible] ولا تكون [illegible] على اهل الروضة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وحبس محمد بن عبد الله بن محمد الحميدي على أهل عمه اليمني صح به عبد ربه

تعلى محمد الحسين بن محمد بن عبد الله وفقه الله وبه أعداد

ومن تمام شروطها حوله تحمل من أتين بنو كالة

على حدة لا يطالبه بالمدينة كيعمل كراء ولا يعتبر

[illegible] الا الالى ورفيت أتزملوا على الجميع في شاه

ابتت بوسع ومن يشهد على جميع ما ذكر محوله من

الحملاء عبد ربه تعالى محمد الحسين بن محمد

ابن عبد الله محمد بن أحمد الواضع أعلاه ومحوله

[illegible] واشترطوا [illegible] من أشياء المذكورين

أيامهم لا [illegible] في الجلوس صحها ولو [illegible]

وكذلك [illegible] [illegible] وإن جاء وانا [illegible]

دفعة واحدة [illegible] لا يأخذ من [illegible] الجلوس

الا [illegible] اثنان [illegible] واحد من الكبير والثانية

من الصغار صح به [illegible] محمد الحسين محمد بن محمد

ابن محمد بن أحمد [illegible]

الوثيقة رقم : 38

عقد قسمة

1923 ... 15 ... [illegible] ... تغوريا قبيلة ايت يزدك ... شوال الموافق لسنة

... شريكته وورثته - 1 - مولاي الحسن بن محمد ولده

- 2 - مولاي الصديق بن محمد ولده

... التعديل ... افترقوا ... الورثة المذكورين تركة الهالك

- 1 - وصار لمولاي الحسن بن محمد

1 ... مزرعة تغوريا بفعة الذكور شرقا مجرى ماء غربا جلول ... بها ... 8

2 ... مزرعة تغوريا بفعة الذكور شرقا ورثة ... غربا مجرى ماء ... بنبتة 1

3 ... مزرعة تغوريا بفعة الذكور شرقا مجرى ماء غربا جلول ... الورثة جميع النبات 2

4 ... مزرعة تغوريا بفعة الذكور شرقا مجرى تغوريا غربا الورثة ... جميع النبات 5

5 ... مزرعة تغوريا بفعة ... شرقا ... غربا ... جميع النبات 10

6 ... مزرعة تغوريا بفعة ... شرقا ... غربا ... مجرى الماء جميع النبات 6

7 ... مزرعة تغوريا بفعة ... شرقا ... غربا ... مجرى الماء ... جميع النبات 1

8 ... تغوريا بفعة ... شرقا ... غربا ورثة ... مجرى الماء جميع النبات 4

9 ... تغوريا بفعة ... شرقا الحدب غربا الورثة ... جميع النبات 2

10 ... تغوريا بفعة ... شرقا الحدب غربا ... جميع النبات 5

11 ... تغوريا بفعة ... شرقا الحدب غربا ... جميع النبات 4

12 ... تغوريا بفعة ... شرقا ... غربا ... جميع النبات 6

13 ... تغوريا ... شرقا ... غربا ... جميع النبات 5

14 ... تغوريا ... شرقا ... غربا ... جميع النبات 22

15 ... تغوريا ... مع اخيه مولاي الصديق شرقا ... غربا ورثة ...

16 اربعة نخلات ... مزرعة ... بفعة ...

17 ... نخلات ... جنب ...

18 ... ارض ... مزرعة تغوريا بفعة تحت ...

19 ... بن محمد بفعة ... مزرعة تغوريا ... الورثة

20 اربعة ... الذكور ... مزرعة تغوريا

21 ... مزرعة تغوريا بفعة ...

22 ... مشتركة مع اخيه

... مع ...

... جماعة تغوريا ... على مع مولاي ... عبد الله ... الوزاني ... على ... بن محمد

... العربي ... بتاريخ 13 ... شوال ... 1948

N° 39/48

VU pour approbation
du partage ci-dessus
Souk, le 15 NOV. 1946
Le Chef de Bureau

الوثيقة رقم : 39

الحمد لله اشترى الشريف سيدنا ومولانا عبد الهادي بن السيد
محمد بن العربي من زاوية مولاي البكري بعين غزة من البايع له [illegible]
من احرار اوليت جير بالخص جميع [illegible] كلها سنة [illegible]
النخل بمعزرية لوليت [illegible] بنصفه اجمعكل وهي
اثنين في الحش المشترك مع [illegible] عبد الله نبيت [illegible] وهما
بنظرا للسانية واثنين في الحش المشترك مع اخيه محمد
وهما بنظر للسانية كذلك وكل ما ذكر من نوع الجفوس
والخامسة منهما من نوع الحلة وهي في الحش [illegible]
محمد بن عمر وهي بنظر الملك بن عبد الله [illegible] من الفتاوي
والمرافق وكذا بنفع العقود كلها على الا خلاف الاشتراء صحيحا
تاما منبرما لا شرط فيه ولا ثنيا ولا خيار بثمن مبلغه
اثنين وعشرين بالالاث [illegible] سكة الوقت قبض البايع
جميع الثمن المذكور من يد المشتري قبضا وابلا اعترافا
وابرأه من درك القبض بيرئ واسلم اليه المبيع وانزله فيه
منزلته وملكه فيه تملكه وعلى السنة في ذلك والمرجع
بالدرك عرفا قدره شهد عليهما باشهاد [illegible]
باتم في اواخر الحجة من ثلاثة واربعين وثلاثمائة
والف عبد ربه [illegible]

الحمد لله اشترى الشريف [illegible] عبد الهادي بن [illegible]
بن العربي من [illegible] زاوية مولاي البكري بعين غزة من البايع له [illegible]
من احرار اوليت جير جميع اربعة نخلات واحدة منها [illegible]
والثانية من نوع [illegible] والثالثة [illegible] من نوع الجفوس
والرابعة من نوع [illegible] وهي في ملك المشتري [illegible]
والمرافق [illegible] ومع ذلك [illegible] ما ذكر [illegible] من الفتاوي
والمرافق وكافة العقود كلها على الا خلاف الاشتراء صحيحا تاما منبرما
لا شرط فيه ولا ثنيا ولا خيار بثمن قدره [illegible] وعشرين [illegible]
سكة الوقت قبض البايع جميع الثمن المذكور من يد المشتري قبضا
وابلا اعترافا وابراء من درك القبض بيرئ واسلم اليه المبيع وانزله
فيه منزلته وملكه فيه تملكه وعلى السنة في ذلك والمرجع بالدرك [illegible]
[illegible] المذكورة من نوع [illegible] [illegible] ملك [illegible]
مبلغه [illegible] من [illegible]
من يد المشتري قبضا وابلا اعترافا [illegible] سكة الوقت قبض البايع
[illegible] اعترافا وابراء [illegible]
[illegible] باتم في اواسط رمضان من خمس [illegible]
والف عبد ربه [illegible]

الوثيقة رقم : 40

الحمد لله اشترى الشريف سيدي مولاي عبد الهادي بن محمد
بن [illegible] من شرفاء زاوية سيدي مولاي البكري الاغزري من البائع
له ابن [illegible] اعلي بن اعلي [illegible] الوثيقة [illegible] ما يتعين
من الشجر والتراب بالخنق بمحل ذلك ببلد اولاد جيمر
اربع خلطة في عشر صبع السلطان الكبيرة منهم مع الاقلية
في وسط العشر الضعيفة مع المواليتان للطريق وايضا
حفصتين مع فرختين في العشر الموالي للعشر صبع السلطان
وهم الكبيرتين مع الفرختين قربهما دون الفرخة الجديدة
مع الفرخة قربها لجيهة الواد في ملك عمر والحسين في الجنان
وايضا ست حفصات هناك ثلاثة منهم موالية للعشر
قرب عشر صبع السلطان لجيهة طلوع الشمس وثلاثة
ايضا في العشر المذكور وواحدة قرب [illegible] ذكرنا من [illegible]
المذكورة الاخرى مع فرخة من البستان لجيهة اولاد جيمر
مع [illegible] العشر كله وايضا خلطتين في عشر [illegible] من البير
للفوق لجيهة [illegible] وايضا مجهولتين [illegible] هناك
في اسفل البعدان وايضا مجهولتين هناك الكبيرة مع
الفرخة تحتها لجيهة اولاد جيمر [illegible] التي تحتهم
مع الفرخة الصغيرة تحت المجهول قربهم لجيهة اولاد
جيمر وايضا جدان [illegible] النخيل وما [illegible] من [illegible]
واما [illegible] فيه من [illegible] من غير عشر النخيل [illegible]
ان لم [illegible] وذلك في [illegible] مجاور [illegible] ايت سكوان زايد
والطريق [illegible] وايضا العشر الكبير [illegible] الجهة [illegible]
البعدان المذكور دون حفصتين مع فرخة صغيرة من البنان
لجيهة اولاد جيمر وايضا عشر [illegible] هناك [illegible]
دون الكبيرة فيه وايضا حفصة قربه [illegible]
العشر ونخلة [illegible] في راس البعدان وايضا حفصة هناك
[illegible] قرب الطريق وايضا مجعوطين هناك
[illegible] وايضا نخلة [illegible] هناك موالية لجيهة
انجبي في ملك ايت سكوان زايد وايضا مجعوطة من نوع [illegible]
قريبة على جانب مجرى الماء وايضا خلطة هناك في ملك
اولاد عمر مع خلطة هناك موالية مجرى الماء وايضا الخلط[illegible]
قرب [illegible] لجيهة الواد مع العشر مع الخلط تحت المقابر
في ملك اولاد عمر دون الضعيفة [illegible] اولاد جيمر
وايضا فقوسة [illegible] في ملك ايت [illegible]
لديهم [illegible] وايضا الجمونة التي [illegible]
مع [illegible] من نوع الفقوس [illegible]
بجيدة لناحية [illegible] وايضا [illegible] تراب
في [illegible] والطريق والواد وايضا حفصة مع فرخة
[illegible] المذكور في العشر [illegible] من البنان للواد وايضا
اثنين في [illegible] في العشر الوسطاني قرب الساقية [illegible] ملك اولاد
[illegible] في العشر الوسطاني [illegible]
[illegible] ولا ثنيا ولا خيار [illegible]
[illegible] على البائع [illegible]
[illegible] جميع الثمن المذكور قبضا [illegible] البائع المذكور
[illegible] وانجر الحشم

الوثيقة رقم : 40م

الحمد لله اشترى الشريف سيدي مولاي عبد الهادي
بن محمد بن العربي من شرفاء زاوية سيدي مولاي البكري
من غيره من البائع له الجيلاني بن العباس الفاطمي وفتنة
انجيب فصرع ايت بمح بالذهاب جميع ما للبيعة كرمي
التخيار تراث بيلد اوكوت جيرو وهما خصتيها في العش
الموالي لصبع السلطان وهما العرصة الجديدة مع الصغيرة
تحتها لجيهة الواد وايضا النخلة الكبيرة في العش قربه
كلهم في ملك عمرو احسين في الجيرات وايضا الحيطة
الرقيقة في وسط العش القريب من الخلل اي عش الخالة
وايضا مجهولتين هناك من البيتان للواد بعطانهم
وايضا خلطتين في عش صبع السلطان المواليتان لجيهة
انجيب وايضا نخلة في ملك ع ايت سكوا الزاية وايضا
النخلة الكبيرة مع التي تحتها في العش الكبير مع عرصة
صغيرة تحتهم كلهم لجيهة اولعدت جيرو وايضا الخلفة
بعسلانها على جنب الطريق تسمى امكشرير مع العرصة
التي على جانب الساقية قرب المقابر وايضا حوصة في
الشرويط متع احسين السفلى في لجيهة عقب
الخلطة وايضا ثلاثة نخلة من نوع البوقوس في تسيسي
في ملك ع ايت الاعلى لناحية اولعدت جير على شجير
الطريق وايضا خلطتين في رأس ملك اع ايت سكوا
الزاية في انشوتا وذلك كله بمنافعه ومرافقه و
طرقه وحقوقه على الاطلاق اشتراء صحيحا تاما مبرما
لا شرط فيه ولا ثنيا ولا خيار بثمن قدره ثلاثون ريالا
سكة تاريخه قبض البائع المذكور من يد المشتري المذكور
جميع الثمن المذكور قبضا تاما معاينة وابرا المشتري من
دركه القبض فبرئ واسلم له المبيع واحله فيه محله وانزله
فيه منزلته فتملكه بذلك تملكا تاما وعلى السنة في ذلك
والمرجع بالدرك عرفا قدره شهد عليه بذلك من عرفه
به وهو بأتمه وفي اوائل جمادى الاولى عام اربعين وثلاثمائة
والف عبيد ربه سبحانه وتعالى عبد الله بن احمد

[illegible]

الوثيقة رقم : 41

الحمد لله حاز المتولي البرابرايت [illegible] وهم المحصور مابين [illegible] حجز على ربع الخمرة المشاع مع ثلاثة ارباع من التراب الآتي للزاوية المنسوبة للولي الصالح العلم الرافع سيدي عبد الله واعمرو [illegible] التراب المشهور بالمسجد [illegible] فحي السوق ارضا بيضاء [illegible] ثلاثة حولا من حيازة [illegible] السوق [illegible] وعرضا [illegible] الى الطريق الكبير وكان البرابر المذكورون يتصرفون من [illegible] الربع المذكور [illegible] بينهم وبين المقدم على الزاوية وهو البرغة [illegible] سيدي علال [illegible] سيدي محمد [illegible] الى الحكام [illegible] السوق [illegible] الى [illegible] السوق [illegible] فقطعا لتشغيبهم وتمييزا [illegible] وشهد [illegible] بتراب الزاوية [illegible] تراب البرابر [illegible] العربيين تراب الزاوية من [illegible] الى ناحية وتراب البرابر [illegible] الحاكم المذكور [illegible] وثم [illegible] شهد على الجميع [illegible]

[illegible] الاولى عام 1345 الموافق [illegible] سنة 1926

[illegible] وعبد ربه سبحانه وتعالى [illegible]

الحمد لله [illegible]

الوثيقة رقم : 42

الوثيقة رقم : 43

الوثيقة رقم : 44

الحمد لله حضر واجتمع الشرفاء أهل الفم الفوقاني أهل المحل
والبركة وجماعة الشرفاء أهل الشغارنة أهل المحل والبركة
من أهل الفم الشريف مولاي السعيد بن الأمين ومولاي الناجم
ابن امستقيم ومولاي علي بن مبارك ومن أهل الشغارنة الشريف
سيدي محمد بن سليمان ومولاي عبد المالك بن عبد الله و[illegible]
ابن الشيخ والكاتب المكي بن أحمد جعفر والذي خليفته مولاي
أبي أحمد ونصه الفقيه الأجل [illegible] الأوفق حبيب
ابن السليم بن عبد الرحمن وحضر الشريف مولاي الحسين بن محمد
المدني جميعهم الفقيه السيد [illegible] بن عبد الله وعبد الكريم بن محمد
المدعو ولد الطالبة وتراضوا على قسمة ماء العين الفيضية
الوسكانية فصار لأهل الفم ومن معهم من ذلك يوم ونصف
و[illegible] لأهل الشغارنة ومن معهم من أهل الفم [illegible]
ثلاثة أيام ولأهل [illegible] كرانشة [illegible] في غلابتها ومن
معهم بيوم واحد ولأهل البيضة بيوم ونصف ومن معهم
[illegible] ما ذكر في الماء الرفيع وبيوم العبيد يقتسمونه أنصافا
بينهم النصف لأهل الفم وأهل العبيقة ومن معهم
والنصف الآخر لأهل الشغارنة ومن معهم من أهل
كرانشة وغيرهم ودور العبيد ثلاثة أيام [illegible]
[illegible] والساقية المطلوبة تعلى على ما كانت عليه
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] الوسكانية [illegible] قليلا أو كثيرا وإن
[illegible] [illegible] [illegible] الماء [illegible]
للشرع المكلف [illegible] الله [illegible] وحكم السيد [illegible]
المذكور مع أهل كرانشة [illegible] الفضل الذي [illegible]
[illegible] العروس وإن حضرت [illegible] جميع ما ذكر [illegible]
لأهل الفم [illegible] الأولى [illegible]
[illegible]
[illegible] ذلك [illegible]
جمادى الثانية عام ثمانية [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] وإن [illegible]
[illegible] [illegible]

الحمد لله [illegible]

الوثيقة رقم : 45

الوثيقة رقم : 46

الحمد لله

وفي سنة عام [illegible] ارتفع غلاء في الزرع والقمح والحمص حتى بلغ
المد النحاسي نحو [illegible] مثقالا [illegible] وهلك خلق كثير بالجوع ومات
فيها [illegible] من احوالها في سائر البلدان كذا الجزائر وهلك
خلق كثير ايضا في جميع [illegible] ومنهم [illegible] وارتفع الغلاء في السنة
المذكورة حتى بلغ المد [illegible] وقد لطف الله بعباده انه [illegible]
[illegible] 1322 [illegible] ارتفع غلاء ايضا [illegible] عشر
حتى بلغ المد [illegible] وبلغ [illegible]
المذكورة [illegible] 1323 [illegible] وثلاثين
[illegible] وقد لطف الله بعباده [illegible]
[illegible] 1324 [illegible]
[illegible]
[illegible] 1323 [illegible]
[illegible]
1323 يوم الاثنين 8 [illegible] من شهر ربيع الثاني توفي الفقيه
[illegible]
[illegible] رحمه الله [illegible] سنة 1323 عقبه
يوم الاحد 28 من ربيع الثاني [illegible] القتال [illegible]
[illegible] ومات في تلك [illegible]
[illegible]
[illegible] وفي تلك السنة
[illegible]

[illegible] المتوفى [illegible] يوم [illegible] رابع عشر من رجب
1330

[illegible] 1329 [illegible]

[illegible]

الوثيقة رقم : 47

الحمد لله وجرت بخط جدنا [illegible] قبل المبارك [illegible] زاد عندنا [illegible] الكبير [illegible]

[illegible] يوم الخميس [illegible] رمضان المعظم

عام 1299 [illegible]

[illegible] عام 1306 [illegible] ثلاث مرات [illegible] جل .

زيارة الوالدة والاخ [illegible] العلم [illegible]

[illegible] رمضان المعظم عام 1300

[illegible] ليلة [illegible] تزوجت بزوجتنا

للا الكبيرة بنت خالتنا [illegible] الجمعة الاخيرة من شعبان

عام 1307 [illegible] معها ثاني جمادى

الثانية عام 1311 ثم تزوجت بنت عمنا [illegible] وهي

للا زينب [illegible] ربيع [illegible] ودخلت [illegible]

ليلة الاثنين [illegible] رجب الفرد اربعة عشر [illegible]

عام 1313 ووجدت [illegible] زادت [illegible]

للا زينب يوم الاربعاء اول [illegible] جمادى الثانية عام 1317

وزاد عندنا معها [illegible] زوجتنا للا زينب ولدنا مولاي احمد

ليلة الخميس بعد العشاء [illegible] من شهر [illegible]

الاولى عام 1320 ووجدت [illegible] زوجت

بزوجتنا [illegible] ليلة الاثنين [illegible] الحرام عام 1324

وزادت عندنا معها [illegible] الاربعاء [illegible] شوال عام 1324

[illegible] ولدنا مولاي [illegible] يوم الاربعاء [illegible] عام [illegible] يوم [illegible]

[illegible] عام 1321 [illegible]

[illegible] الجمعة [illegible] المحرم الحرام 1324 [illegible]

[illegible] 1320 [illegible]

[illegible] 1333

[illegible] 1310 [illegible] 1311

[illegible] 1313

[illegible] 1334

[illegible] 1323

الوثيقة رقم : 48

منتصف عام 1307 [illegible] ولد [illegible] عمر

فتوفي [illegible] عمر البوعيه [illegible] ربيع النبوي عام 1322

الحمد لله وفي يوم الاثنين [illegible] من شهر ذي الحجة الحرام منتصف عام 1321

النصف الاول من الساعة الحادية عشر [illegible] مولانا

عبد العزيز [illegible] الامير [illegible] الحسن [illegible] الحمد

على عبد القادر [illegible] العساكر [illegible] تعلى

[illegible] الاسماعيلي

[illegible] ما ثبت به واعتمد عليه ان [illegible] الاول [illegible] ولد

[illegible] بشهر ذي الحجة الحرام منتصف عام 1300

[illegible] شعبان عام 130 [illegible] بن علي [illegible]

[illegible] عام 1301 [illegible]

[illegible] في شهر [illegible]

[illegible] عام 1322 [illegible] الموضع المذكور

[illegible] شعبان [illegible]

يوم الاثنين [illegible] عام 1292 [illegible]

[illegible] يوم السبت

8 من شهر [illegible] ربيع النبوي [illegible]

العالم [illegible] ونقل [illegible]

[illegible] عبد [illegible] سنة 1233

وفي [illegible] بعد [illegible] العزيز [illegible] الخلاف [illegible] عام [illegible] يوم الخميس [illegible] ربيع [illegible] عام 1291 [illegible]

جمادى الثانية [illegible] عام

[illegible]

الوثيقة رقم : 49

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد

الحمد لله تقييد نسب الشريف البركة

الولي الصالح سيدي عبد الله ابن علي

بن طاهر رحمه الله ونفعنا

به [illegible]

وهو مولاي عبد الله بن علي بن طاهر بن الحسن

ابن يوسف بن علي بن الحسن بن محمد

ابن الحسن بن [illegible] بن محمد بن عبد القاسم

ابن محمد بن [illegible] بن الحسن بن احمد

ابن علي بن الحسن بن ابي بكر بن علي

ابن الحسن بن احمد بن اسماعيل بن القاسم

ابن محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن المثنى بن

بن الحسن السبط ابن علي بن ابي طالب وفاطمة بنت مولانا

رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] اعلم ان اصل جلاد الشرفاء العلميين

هو جبل العلم مركز الاشراف واول قادم [illegible] كما انه

مولاي الحسن الجد [illegible] لمولاي عبد الله بن علي صاحب الترجمة

الوثيقة رقم : 50

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما دائما ابدا الى رب العالمين

زمام سادتنا الاشراف رحمهم الله اولاد سيدنا مولاي بن احمد بن محمد بن عبد الحي بن

محمد بن يوسف بن مولانا علي الشريف رضي الله عنه ونفعنا به آمين سكان القصبة الجديدة

اولهم على بركة الله مولانا احمد بن حبيد وولده سيدي محمد بن احمد ولده ايضا وولده الاخر سيدي محمد المصطفى

ومولاي عمر بن حبيد واولاده سيدي محمد وسيدي بن عبد الله وسيدي محمد الصباح ومولاي محمد ومولاي علي [illegible]

[illegible] ومولاي حبيد وكاتبه محمد الحسن واولاده محمد وعلي والطيب والحبيب وسيدي نامولاي وعبد الرحمن بن حبيد

واولاده الثلاثة سيدي محمد الهاشمي وسيدي محمد الصديق وسيدي محمد المختار وسيدي محمد الشريف واخوه سيدي

محمد العربي والشريف مولاي عبد الرحمن بن هاشم واولاده مولاي محمد وسيدي محمد ومولاي عبد الله والشريف مولاي

علي بن محمد والشريف مولاي محمد وولديه سيدي محمد ومولاي عبد الرحمن والشريف سيدي محمد بن علي والشريف

مولاي قاسم بن حبيد واولاده الاربعة سيدي محمد ومولاي عبد العزيز ومولاي الحسن ومولاي العربي ومولاي علي

والشريف مولاي احمد بن المهدي واولاده الثلاثة سيدي محمد المختار ومولاي علي الشريف وسيدي محمد الشريف والشريف

مولاي عبد الرحمن بن الشريف وولديه سيدي محمد وسيدي محمد والشريف سيدي محمد بن احمد والشريف مولاي الطيب بن حبيد وولده

مولاي علي ومولاي عبد الله والشريف مولاي محمد بن محمد واولاده سيدي محمد المدني ومولاي بوبكر وسيدي محمد وولده

محمد والشريف مولانا محمد واولاده سيدي محمد الحبيب وسيدي محمد الامين وسيدي محمد والشريف [illegible] محمد واولاده [illegible]

سيدي محمد العربي وسيدي محمد الطيب وسيدي محمد التهامي وسيدي محمد بن عبد الله والشريف سيدي محمد بن علي واولاده

محمد المهدي وسيدي محمد الحسن وولده سيدي محمد وسيدي محمد بن محمد واولاده سيدي محمد وسيدي محمد العربي وسيدي محمد الامين

ومولاي الشريف بن بوبكر وولده سيدي محمد بن الشريف واخوه سيدي محمد واخوهما مولاي محمد والشريف سيدي

محمد بن محمد وولده سيدي محمد والشريف مولاي قاسم بن هاشم واولاده سيدي الهاشمي وولده سيدي محمد العربي وولده

سيدي محمد واخوهما مولاي الحسن واخوهما مولاي عبد الله وسيدي محمد بن هاشم وولديه سيدي محمد ومولاي محمد

والشريف مولاي عبد الله بن محمد والشريف مولاي الشريف وولديه سيدي محمد ومولاي محمد والهاشمي والشريف مولاي الحسن بن بوبكر

والشريف مولاي علي بن عبد الرحمن والشريف مولاي محمد بن بوبكر وولده مولاي عبد الرحمن ومولاي عبد الرحمن بن محمد واخوه مولاي

عبد الله بن محمد وولده سيدي محمد واخوهما مولاي بوبكر ومولاي عبد الله بن بوبكر وابن اخيه مولاي بوبكر وسيدي محمد وسيدي محمد بن

بن بوبكر والفقيه سيدي نامولاي ابراهيم وولده سيدي محمد بن ابراهيم وولديه سيدي محمد ومولاي بوبكر ومولاي احمد بن عبد القادر

وولده مولاي عبد الرحمن وسيدي محمد وولده سيدي محمد بن محمد ومولاي محمد والشريف مولاي علي بن عبد القادر وولده سيدي

محمد المهدي والشريف مولاي يحيى بن محمد وولده مولاي علي وسيدي محمد بن يحيى وسيدي محمد الامين ومولاي علي ومولاي احمد بن بوبكر ومولاي

قاسم بن عبد الهادي وولديه مولاي علي وسيدي محمد ومولاي الشريف بن عبد الهادي واخيه مولاي عبد المهدي واخيهما سيدي محمد وولديه

مولاي احمد وسيدي محمد الهاشمي والشريف مولاي عبد الكريم وولده مولاي الحسن [illegible] قاسم بن محمد بن عبد الرحمن واخيه سيدي محمد ومولاي

قاسم بن محمد ومولاي الحسن ومولاي المهدي ومولاي محمد ومولاي قاسم بن محمد بن قاسم واولاده مولاي البشير وسيدي محمد وولده

وسيدي محمد الهاشمي بن قاسم واولاده مولاي احمد وسيدي محمد الحسن وسيدي محمد ومولاي عبد الله ومولاي [illegible]

الحسن وولده سيدي محمد المكي

ومولاي عبد الله وسيدي محمد بن الطاهر ومولاي احمد بن الطاهر وولده سيدي محمد ومولاي محمد بن الطاهر ومولاي عبد الكريم وولده سيدي محمد ومولاي عبد الله

واخوهما [illegible] ومولاي علي بن الطاهر وولده مولاي عبد الله ومولاي محمد بن الطاهر ومولاي احمد بن محمد بن قاسم واولاده سيدي محمد وسيدي

محمد المهدي ومولاي محمد ومولاي علي بن احمد وسيدي محمد بن محمد بن قاسم وولده سيدي محمد الهاشمي واخيه سيدي محمد ومولاي قاسم بن محمد

ومولاي [illegible] بن علي وولده سيدي محمد واين اخيه مولاي الحسين واخيه سيدي محمد العربي ومولاي محمد ومولاي احمد بن علي واولاده سيدي محمد ومولاي علي

وسيدي محمد بن محمد بن علي وولده مولاي علي ومولاي احمد بن محمد بن علي قبل ولده سيدي محمد وسيدي محمد بن علي وولده مولاي الشريف

ومولاي قاسم ومولاي ادريس ومولاي عبد الهادي بن محمد بن علي واولاده مولاي [illegible] وولده ومولاي ادريس و

عبد الله وسيدي محمد ومولاي هاشم ابنا مولاي علي بن عبد الهادي واخوهما مولاي حبيب سكان الاداغ وعم عبد الرحمن بن علي

وولده سيدي محمد ومولاي حبيب بن محمد وولده سيدي محمد ومولاي الحي بن محمد وعم الشيخ وولداه سيدي محمد ومولاي محمد

ومولاي محمد بن محمد بن علي وولده سيدي محمد جميع ما في هذا الزمام بحر الاسقا او والشيخ والله اعلم ما تبدل

وانتقال من تبت عنهم ما هو معدود من الشرفا بارك الله فيهم واطلع ذاتهم وحقق ما اسند

اعلاه ومطلوب فيه جزاك شهادته مسؤولة منه بتاريخ اواسط جمادى الثانية من

سنة احدى وتسعين ومائة والف

الوثيقة رقم : 51

المملكة المغربية
وزارة العدل
محكمة الاستئناف بمكناس
المحكمة الابتدائية بالرشيدية
محكمة مركز ارفود

مذكرة الحفظ للعلمي محمد رقم 11
عدد صحيفة
توجيل كناش
اجرة التحرير درهم 50

نسخة من قسمة

الحمد لله وحده اخرجت هذه النسخة من اصلها المحفوظ تحت عدد 1000 صحيفة 314 من 3 املاك ارفود تاريخ 16 ربيع 1352هـ اخرجت لطالبها شيبوب لحسن بن فرجي بن قطر العشورية قيادة البرف دائرة ارفود المولود سنة 1931 مهنته مساعد سائق بطاقته الوطنية رقم 123236 د في 1980/4/17 ونصها بالحرف : الحمد لله قسمة بت وقعت وانبرمت بين ورثة الصائر الى غفو الله فرجي معتوق البركة ذي المقام الاحمى الشيخ سيدي محمد العربي المدغري نفعنا الله ببركته القاطن بالعشورية وورثة ولده من بعده محمد فورثه الاول زوجه رابحة واولاده منها محمد الهالك ولحسن وعائشة وفاطمة ومباركة وورثة محمد الهالك المذكور وامه رابحة المذكورة وابنه فرجي بعد تقويم وتعديل وقرعة بمن له معرفة وبصر بقيم الاملاك وما تديسر اثمانها والى مثلهم المرجع في ذلك لديهم سيدي احمد بن محمد بن المدني العشوي ومحمد ابن عبد الفاضل البلدي فناب عن عائشة زوجها رابح وعن فاطمة الشريف بن الطاهر بن المدني وعن لحسن عبد الرحمن بن محمد بن المدني وعن مباركة حماني بن العربي بن المعطي وعن الزوجة نفسها وفوضت لمن ذكر فيما ذكر لكونها وصيا عليهم من قبل ابيهم المذكور كما نابت عن نفسها ايضا في قسم متروك ابنها محمد وناب الشريف الاجل مولاي محمد بن عبد الرحمن البخاري البرفي عن ابنه فرجي لكونه صغيرا ولا وصي له من قبل ابيه الهالك لكونه اهلا لذلك لاطلاعه على احوالهم وفرقة كانت بينهم على القسم فقط وتمييز الحقوق والانصباء وامره الى الشرع المطاع اعزه الله بشهادة شهيديه فصار لفاطمة الثمن الثالث من جهة ايت علي بن الطاهر من تاغدة الويسة مع الثمن الرابع من المصارف المقرونين من تاغدة الطاهر بن المدني بسواده عدى النخلة الكبيرة مع الثمن الموالي لمصارف المقرونين بسواده من تاغدة حنون البرانية مع الثمن الثالث من قبل حاجبة غزالة من تاغدة حنون الدخلانية الدخلانية مع الثمن الجوفي الموالي للطاهر بن مبارك من تاغدة بن العطوش خارج الوادي مع الربع القبلي من التاغدة العروية من الحدرة مع الربع الشرقي من بحون عمر بن الحاج من التواكير مع العشر الثالث للقبلة من التاغدة الغروية لاولاد السيد مع الربع القبلي من تاغدة الاعوج اعني الغروية بسواده عدى نصف العشرة مع العشر القبلي من عشي مباركة بنت الطاهر من نوع بوليخن اعني من الشرقيين مع الثمن الموالي لربع الطريق من تاغدة بغدادي مع ثلاث غرسات بوليخن ثمة مع البوليخنة الجوفية مع بناتها من جنان ورثة محمد بن الغازي ولها ثمن نوبة من العمرية ثمن نوبة من المقدميتل من القديمة ونصف ثمن من الزركية ونصف ثمن من البغدادية صح وصار لعائشة الثمن الرابع من قبل ايت علي بن الطاهر من تاغدة الويسة مع الثمن الثالث من تاغدة الطاهر بن المدني قبل المصارف اعني من التاغدة الدخلانية بسواده مع الثمن الثاني لقبل المصارف المقرونين من تاغدة حنون البرانية بسواده مع الثمن الرابع من تاغدة حنون البرانية مع الثمن الرابع من تاغدة حنون الدخلانية قبل الحاجبة غزالة بسواده مع الثمن الثاني من تاغدة بن العطوش خارج الوادي لقبل بل من قبل الجوف مع الربع الثاني للقبلة من التاغدة الغروية من تاغدة الحدرة مع الربع الثاني للشروق من بحون عمر بن الحاج من التواكير مع الثمن الرابع للاتابة من تاغدة اولاد السيد مع الربع الثاني من

المملكة المغربية
الحالة المدنية
تثبيت الامضاء
درهم DH. 1,00

الوثيقة رقم : 52

عقد فريضة

توفي عمار بن [illegible] زيان مادي تينغسو [illegible] ميدلت [illegible] ابنت ازدي في سنة 1939
باحاط بتركته ورثته 1- ارقية عمار بنته

وكذلك توفي اخاه الحسين بن [illegible] الزياني الجد المذكور في [illegible] سنة 1930
واحاط بتركته ورثته بنته بكوا الحسين وتوفيت بعد وفاة ابيها الهالك المذكور
وخلفت ورثتها وهم 2- كوا السعيد عاصبها
وحده واعلي زوجها وتوفيا بعدهما فخلفوا ورثتهم وهم
3 احسينا بن [illegible] عاصبه
4- علي ام عاصبه

بعد التقويم والتعديل [illegible] الفريضة افتسموا الارث المذكور من تركة الهالك الاول [illegible]
بقصر [illegible]

---

4 وصار للعصبة احسينا بن [illegible] مع علي ام وارثيه
تركتهم حدو اعلي

16 جدان في الرحبة الجديدة بفعة [illegible] [illegible] يحي غربا مجرى ماء بينا مجرى ماء شمالا كوا
السعيد جنوبا زرعه 15

17 جدان في الرحبة [illegible] بقعة ارحبت لمجيم [illegible] الكلب غربا [illegible] بينا موح احسينا
شمالا كوا السعيد جنوبا زرعه 5

18 جدان في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] اعسو غربا [illegible] السعيد بينا عقة اليسو شمالا
مجرى ماء جنوبا [illegible] زرعه 15

[illegible] [illegible] [illegible] نعلا [illegible] [illegible] بالتوجهات غربا [illegible] بينا [illegible] موح [illegible]
شمالا مجرى ماء [illegible] [illegible] زرعه 8

[illegible] [illegible] بقعة [illegible] [illegible] السعيد [illegible] بينا مجرى ماء شمالا [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] زرعه 6

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ابن داود علي [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] العربي موحى [illegible] [illegible] [illegible]
1961

الوثيقة رقم : 53

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

أشهد الشيخ سيدي مولانا عبد الهادي بن محمد ضابط العرب مرزا وجه جدي مولانا الشيخ مرغة على نفسه أنه تصدق على عتقائه امبارك ومسعود وبلاكمة بجميع ما بيده من ... بعين الأصل الكاين له بمزرعة ايت عثمان ومزرعة ايت يوسف والدار القايمة البناء بقصر ايت منزل بجاور دار ... عمر والطريق ومن الأصل بدوار يسمى ... يدعى شفتيت بجاور ملك ابدييد ومجرى ماء والغير ثم فدان داخر بجاور وملك محمد ... ومجرى ماء ثم جمونة أخرى بجاور ملك ورثة مولاي الحسين وملك حمد احمدي ثم فدان اخر بجاور ملك ... وملك علي ابسر ثم فدان داخر بجاور ملك علي ابسر وملك محمد ... ثم فدان اخر في ثلاثة بجاور ملك المسجد ايت منز وملك اسعيد بن الطالب علي ثم فدان في اسرنار بجاور ملك ابراهيم الغالي وملك ورثة بن احسين والغير ثم تغداين بجاور حبس وال سيدي عيسى وحبس ايت ... في تيغمرت الزفاف فدان بجاور وملك الحاج واجلال وملك مسجد ايت منز ثم فدان اخر بجاور ملك ... احمد وملك مسجد ايت منز ثم فدان في ... بجاور ملك امبارك الحاج وملك ورثة ... ايت لحسن ثم الجنينة بتمجتشت بجاور الساقية والشعبة ثم موضع يسمى احبشر بجاور الجلول والحدب ثم الجنان المولى رينه ابن الحاج والقريب ثم ثلاثة مواضع في المزرعة جوف ايت عثمان واحد بجاور ملك الحسين الحبيب وملك احمد ايت علي وملك ورثة مولاي النبي المقدم ثم فدان اخر بجاور ملك الحبيب ابن الحسن ومال المسجد ايت عثمان ثم موضع اخر بجاور ملك مسجد ايت عثمان ومجرى ماء ثم جمونة اخرى في ثلاث بجاور ملك مسجد ايت عثمان وملك مسجد ايت منز ثم فدان في اكر الغازي بجاور ملك رقية بنت ... وملك ورثة ابدييد الشغرشني ثم ماله في مزرعة ايت يوسف ... في ذلك فدان في بقعة اسجرو بجاور ملك محمد ... وملك محمد وعلي ابعزى ثم جمونة في بقعة اعبلا بجاور ملك الشريف مولاي عبد السلام وسيدي لحسن وملك احمد امبارك ثم فدان في بقعة بوستان بجاور وملك الشريف مولاي المهدي والواحي ثم جمونة اخرى حدها بجاور ملك ... وملك الشريف مولاي المهدي ثم موضع جوف قصر ايت يوسف يسمى باحبشر بجاور ملك الشريف مولاي المهدي والزفاف وبما لذلك كله من المنافع والمرافق وكافة الحقوق والخروج على الأصول داخلا وخارجا صدقة صحيحة تامة بتة بتلة صرح ذلك من ماله وإبانة عن ملكه وصيرها ملكا وملكا لعتقائه المذكورين قصد بذلك وجه الله العظيم وثوابه الجسيم والدار الآخرة والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يخيب لراجيه وقبلوا أمثاله وقبلوا ذلك منه وأذن لهم في الحيازة والتحلي ... عن ذلك كله تخليا كليا وجعل معتقه امبارك يحوز لنفسه ولبلاكمة ولمسعود بموافقتهم على الحوز ... المتصدق ... ثم ... وحازه امبارك المذكور لنفسه وعن بلاكمة ومسعود ... شهد على المتصدق ... بالصدقة على ما ذكر والإذن لهم في الحيازة والتخلي وعلى امبارك ومسعود بالقبول على ... والنيابة عن بلاكمة وهو مع ذلك بحال الجسم تام الميز والإدراك ... أواسط رجب الفرد ... وأربعين ... وأربع عشرة ...

الوثيقة رقم : 54

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

2/862

محبنا الأعز الأرضى الفقيه القاضي حينه بمدغرة الشريف مولاي المهدي بن هاشم العلوي
أمنك الله ورعاك والسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا المنصور بالله وبعد فإن
مولانا أعزه الله قد أنعم عليك بالترقي من الدرجة الرابعة التي أنت بها إلى الدرجة
الثالثة من درجات القضاة ابتداء من 2 جمادى الثانية عام 1360 الموافق فاتح يوليه
سنة 1941 وذلك بمقتضى ظهيره الشريف الصادر بتاريخ فاتح رمضان عام 1356 الموافق
5 نونبر سنة 1937 في النظام الخاص بالقضاة الشرعيين أعطى الله مولانا كل خير
وبارك في عمره الشريف وبذلك الإعلام وعلى المحبة والسلام في 26 حجة عام 1360 الموافق
14 يناير سنة 1942 [illegible]

الوثيقة رقم : 55

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

أدام الله سعادة ابن عمنا الشريف العلامة الوجيه
الدراكة العدل النزيه السيد مولاي المهدي بن هاشم
وسلام تام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته
بوجود مولانا المؤيد بالله وبعد فإن حامله إليكم
الشريف مولاي أحمد بن التناز قد أخذنا الدرع قبضا
واجب نحو سيدنا المغيرة أسماؤها بالزمام مكتبه
من فتوحات الجداء محمد عبد الله بن علي بن الطاهر
قدس الله روحه وأعاد علينا جميعا من بركاته
وكذلك الحلو من نوبتنا على العادة المتعارف بها دار
للاستخلاف لما ذكر وتسلم قرابته وذلك ما دام أخونا
السعدي غائبا عن بلاد مدغرة فإن رجعت
إليها فهي أولى بذلك فنحب منك أن تشد عضده
فيما ذكر جازاك الله خيرا ودم متنبها حفظك الله ورعاك
والسلام من كاتبه محمد المهدي بن عبد الله وفقه الله ولطف به آمين
في ... الحجة الحرام عام 1353

الوثيقة رقم : 56

الحمد لله

ابناء الأخ الأحب الصفي العلامة الأوحد الفذ الأنزه الأعدل
مولاي المصطفى بن [illegible] ومن [illegible] أزكى سلام وأكمله
وبعد فقد توصلت بكتابكم الأعز مع محبكم الحبيب
[illegible] وكذا لتنويهكم بالمظفر والأمانة [illegible]
وأنه يسر [illegible] ما بلغنا عنكم من حسن السيرة
والاستقامة مع اشتغال العمل وخصوصا سيركم
على مقتضى [illegible] الفلاحية وعدم ارتكابكم التشويش
من التشعيب وقد قال عليه السلام يسروا ولا تعسروا
وبشروا ولا تنفروا [illegible] به كتاب الله
تعالى إن الله يأمر بالعدل والاحسان
وإيتاء ذي القربى [illegible] وسلم منا على جميع الأهل والأولاد
[illegible] جميع أحبابنا والمؤمنين
[illegible] الجميع بمنه وكرمه وعلى [illegible]
والسلام في [illegible] شوال الأبرك 1353 أخوكم [illegible]

[illegible]

الوثيقة رقم : 57

الحمد لله

إلى محبنا الشريف الفقيه العلامة الفاضل الأرشد
مولاي المصطفى بن هاشم السلام عليكم وعلى أخوتكم
التام بسلام والكمال وبعد فقد وصلني كتابكم
معزيا في أبي محبنا مولاي عبد الله بن الطيب
رحمه الله تعالى والحمد بسلامتنا الصالح
عظم الله أجر الجميع فيه وإنا لله
وإنا إليه راجعون راجين منه سبحانه
أن يجعل الحياة زيادة لنا في كل خير والموت
راحة لنا من كل شر وأن يحيينا ما كانت الحياة
خيرا لنا وأن يتوفانا ما كانت الوفاة
خيرا لنا والمرجو منك أن تنوب عني في تعزية
جميع أهل بيتكم والإخوان جميعا جعل الله الجميع بنعمه
وكرمه وكن على ما تعهد أخوتكم في الصداقة
والأخوة والسلام 2 ربيع النبوي عام 1356

محبكم [illegible]

الوثيقة رقم : 58

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الخير الارضى البركة الحظى والحضرة الاسنى المقدم المصلح النجيب
الى بلاغ سيدنا ومولانا علي بن الحسين بالافطاب ابده الله وانعمه
وابد بك وسلام [illegible] عليك ورحمة الله
وبركاته وعلى كافة اهلكم واولادكم اصلح الله الجميع بجاه
ذا لامين اما بعد فقد وصلنا ما ارسلتم الينا [illegible] مع
الزرع مع المقدم المنعم [illegible] لكم فضل الله منكم
ونشكركم وجعل البركة فيكم وفي عقبكم الى يوم الدين
وسلك بنا وبكم مسالك النجاة في الحياة وبعد الممات
ونحن وابناؤنا على عهد الله على محبتكم [illegible] وعلى
سلفكم [illegible] عليكم والسلام [illegible]

عبيد ربه تعالى محمد [illegible] بن محمود [illegible]
محمد العربي [illegible] الحسني [illegible]

الوثيقة رقم : 59

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا محمد [illegible]

أشهد الشريف مولاي عبد الهادي بن محمد [illegible] العر[illegible]

من [illegible] أنه أعتق مماليكه

امبارك ومسعود و[illegible] و[illegible] بحرار المسلمين

فيما لهم وعليهم ولم [illegible] ولا لأحد من خلق الله عليه

[illegible] عدى الولاء الذي حكمنا به

السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهادا وعتقا

تاما [illegible] عليه [illegible]

رجب الفرد من سنة وأربعين وثلاثمائة والف

عبد ربه [illegible] تعالى محمد الحسن بن محمد بن عبد الله بن محمد

ابن احمد [illegible]

وعبد ربه الطالب على [illegible]

[illegible]

[illegible]

الوثيقة رقم : 60

بسم الله الرحمن الرحيم — والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحابته أجمعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين

هذه قائمة الكتب التي في خزانة ضريح جدنا سيدي مولاي عبد الله بن علي بن طهير نفعنا الله ببركاته وبركة اسلافه آمين

وهي حبوس لله تعالى ، على الطلباء الراغبين في طلب العلم الشريف والمطالعة حفظة القرآن الكريم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)) .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)) .

فعلى من اراد المطالعة فان مفاتح الخزانة هي بيد الشريف السيد : مولاي هاشم بن المصطفى بالزاوية البكرية ، والشريف السيد : مولاي عبد الله بن احمد بن الشريف من زاوية تاوريرت سكناه بمدينة قصر السوق .

وها اليكم بيان اسماء الكتب التي في الخزانة :

1) ـ عشرين مصحفا من القرآن الكريم على عشرين مجلدا
2) ـ تفسير القرآن العظيم للامام العلامة القرطبي على عشرين مجلدا
3) ـ تفسير القرآن العظيم المسمى محاسن التاويل للعلامة الجليل جمال الدين القاسمي الدمشقي على سبعة عشر مجلدا .
4) ـ تفسير القرآن الكريم للامام العلامة محمد بن علي الشوكاني الصنعاني اليماني المسمى : فتح القدير على خمسة مجلدات .
5) ـ تفسير القرآن الكريم للامام الجليل ابن كثير على أربعة مجلدات .
6) ـ كتاب الموطأ للامام مالك المسمى : تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك على مجلد واحد .
7) ـ كتاب للامام الزرقاني شرح على موطأ مالك على خمسة مجلدات .
8) ـ كتاب الامام صحيح البخاري على ثلاثة مجلدات مشكول .
9) ـ كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم على ثلاث مجلدات .
10) ـ كتاب شرح الامام النووي على مسلم بن الحجاج على ست مجلدات مشكول .
11) ـ كتاب الترغيب والترهيب لسيدي عبد العظيم المنذري بشرحه على اربع مجلدات .
12) ـ كتاب سنن أبي داوود بتعليق فضيلة الشيخ احمد سعد علي من علماء الازهر على مجلدين

.../...

الوثيقة رقم : 61

— 2 —

13) ـ كتاب نيل الأوطار للامام محمد بن على الشوكاني الصنعاني اليماني على أربع مجلدات
14) ـ كتاب رياض الصالحين للامام النووى على مجلد واحد .
15) ـ كتاب زاد المعاد في هدى خير العباد للامام ابن القيم الجوزية على مجلد واحد ضخم .
16) ـ كتاب أسباب النزول للقرآن العظيم للامام النسابورى على ملجلد واحد .
17) ـ كتاب نهج البلاغة من كلام سيدنا على كرم الله وجهه مؤلف الشريف الرضي على مجلد واحد .
18) ـ كتاب نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للامام الخضرى على مجلد واحد .
19) ـ كتاب حياة محمد صلى الله عليه وسلم للسيد محمد هيكل على مجلد واحد .
20) ـ كتاب اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء للامام الخضرى على مجلد واحد .
21) ـ كتاب الدستور القرآني في شؤون الحياة على ملجد واحد .

وقد اشترط المحبس أن هاته الكتب المحبسة لله تعالى لاتخرج من ضريح الروضة المباركة لسيدى مولاى عبد الله بن على بن طهير لئلا يقع التلف في الكتب .

والسلام ٪

19 يونيو 1975

كتب بتاريخ 9 جمادى الثانية عام 1395 موافق ~~3 يوليوز 1975~~

22) كتاب نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض على 4 مجلدات
23) كتاب المدخل لابن الحاج على 4 مجلدات
24) كتاب تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى 310هـ على 12 مجلد ضخم
25) كتاب تنبيه الأنام في الصلاة على خير الأنام لعبد الجليل بن عظوم المغربي القيرواني مجلد واحد ضخم

قال صلى الله عليه وسلم في حديث شريف : «« أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم وحب أهل بيته ، وتعليم القرآن .»»

الوثيقة رقم : 62

فصل لخوف ضر او عدم ما عوض من القصار ان التيمما
وحل فرضا واحدا وان تصل جنازة وسنة به يحل
وجاز للنفل ابتدا ويستبيح الفرض لا الجمعة حاضر صحيح
فروضه مسحك وجها واليدين للكوع والنية اولى الفرضين
ثم الموالاة صعيد طهرا ووصله به ووقت حضرا

والله يتولى هدانا واياكم بفضله وعلمونا بطلع عليهم والوقت واهله
خصوصا السلطان نصره الله والسلام وفي رجب الابرك
عام 1347

خديم اهل الله عبد الله محمد العربي
بن محمد الهاشمي الحسني الله وليه

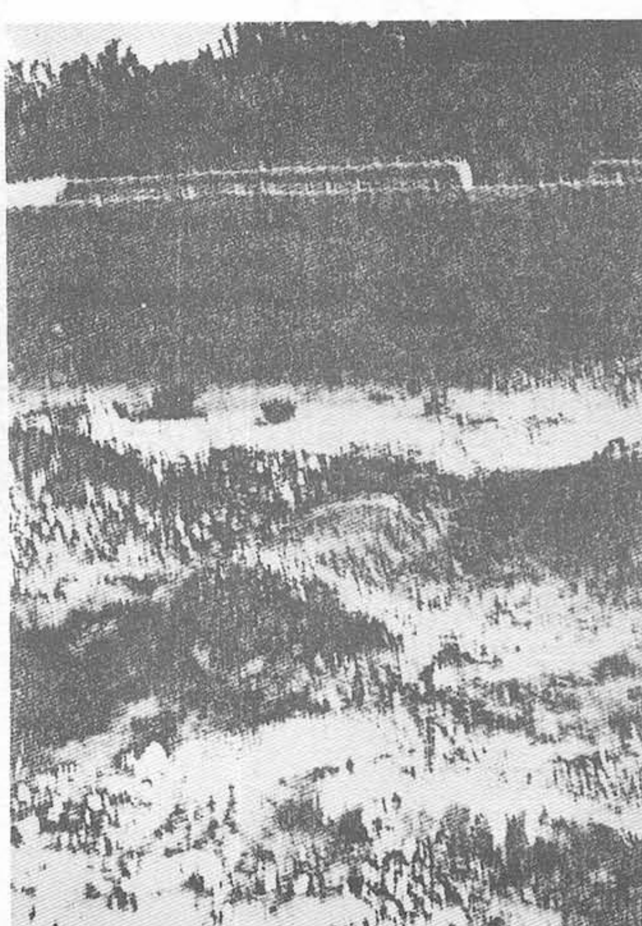
الحمد لله تقيد وفاة شيخنا العارف بالله
سيدنا ومولانا محمد العربي بن سيدنا ومولانا
محمد الهاشمي الحسني الدغري الجزائري نفعنا الله
ببركته امين توفي في الثلث الأخير من
ليلة الجمعة في احدى وعشرين من جمادى
الثانية عام 1309 تسعة وثلاثمائة بعد الف
عام 1309

الحمد لله تقيد وفاة البركة المعتقد الملاذ
الاسمى الشريف سيدي محمد الشفي نفعنا الله ببركاته
بن الشيخ سيدي محمد العربي بتاريخ 27 في جمادى الثانية
عام 1355

توفيت امنا اهرما رحمة الله عليها في شهر عشور
5 البلار جبيه عام 1357

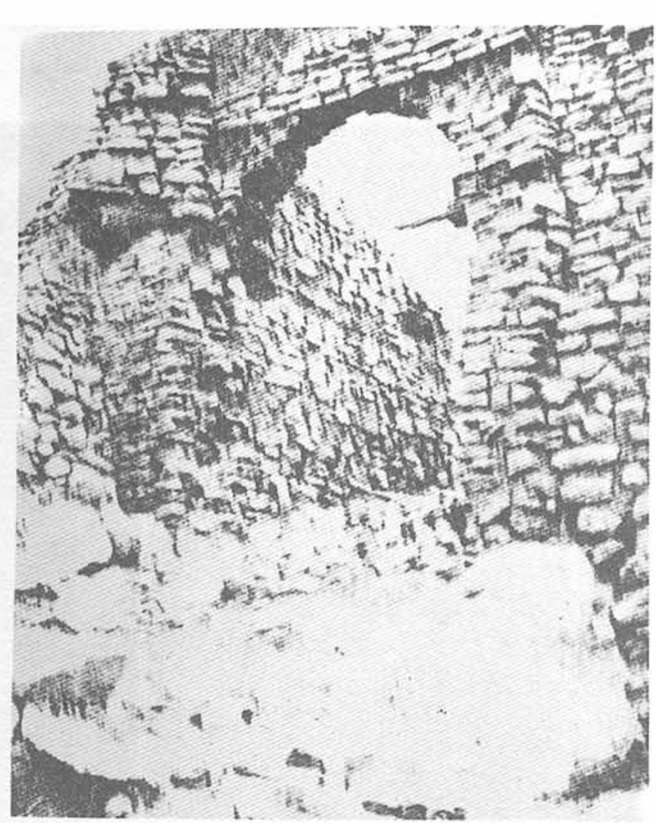
اللوحة رقم : 1

جانب من بقايا قصر قلعة تاوريرت



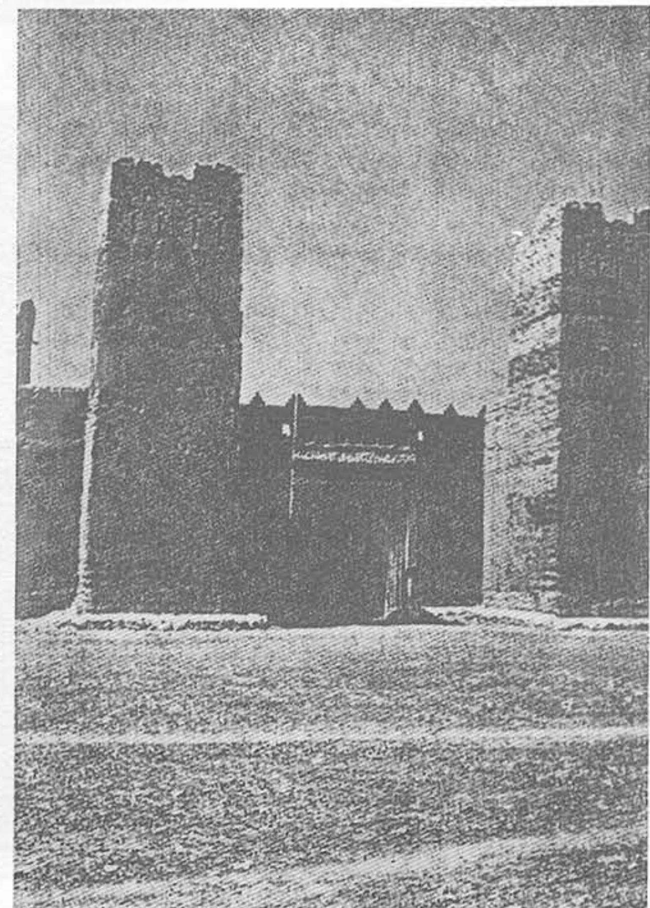
اللوحة رقم : 2

جانب من بقايا قصر زاوية
مولاي بن علي



اللوحة رقم : 3

جانب من بقايا قصر مسكي



اللوحة رقم : 4

مدخل قصر سيدي أبو عبد الله

اللوحة رقم : 5

اللوحة رقم : 6

اللوحة رقم : 7

اللوحة رقم : 8

اللوحة رقم : 9

اللوحة رقم : 10

اللوحة رقم : 11

اللوحة رقم : 12

اللوحة رقم : 13

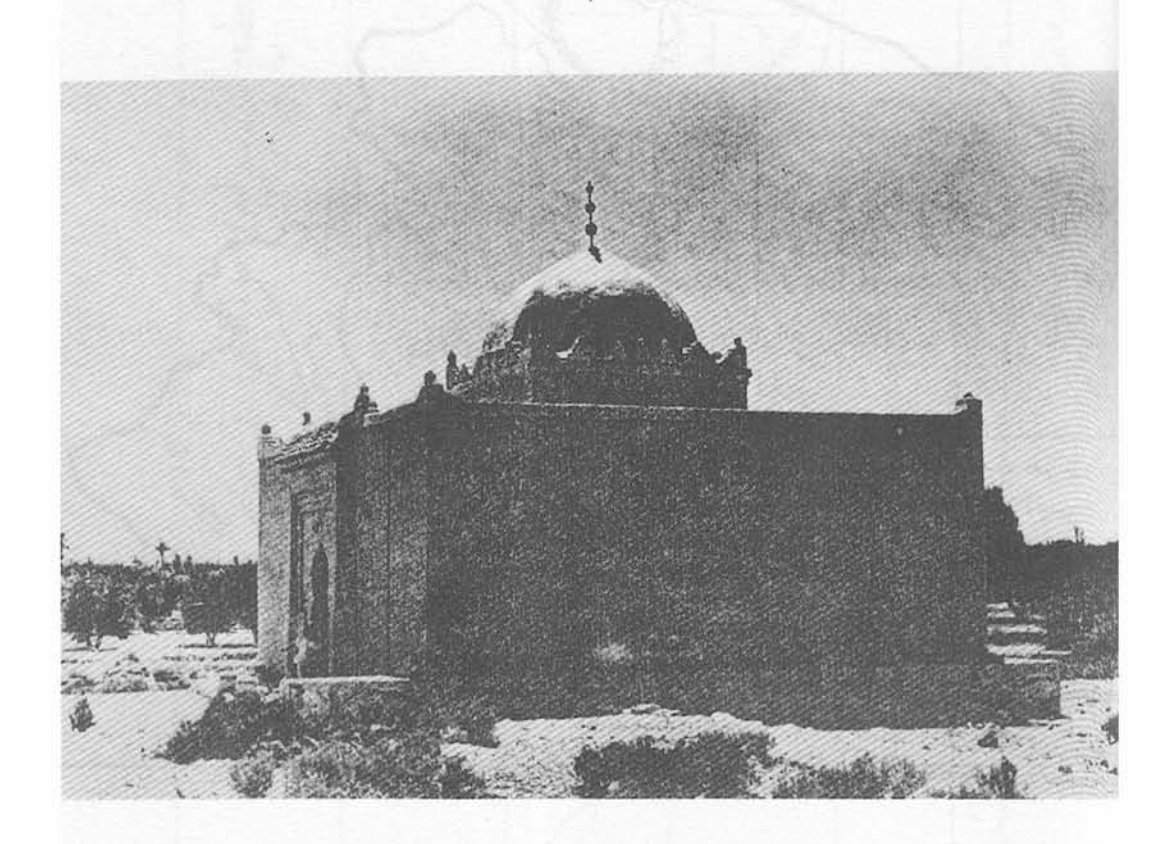


اللوحة

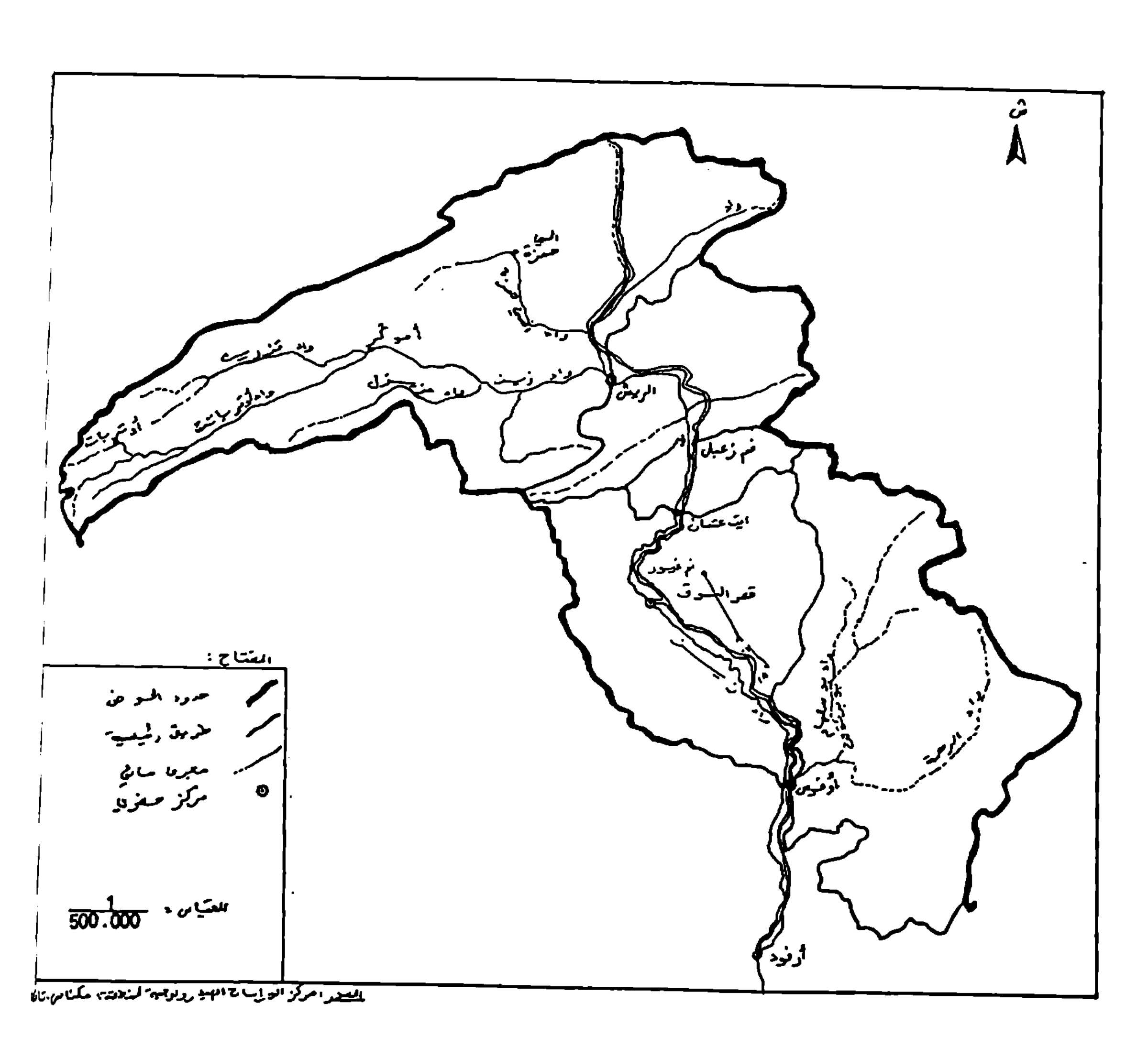
رقم : 14

ضريح مولاي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني

اللوحة رقم : 15



خريطة رقم : 1 الحدود المجالة لحوض زيز



الخريطة رقم 2

المقطع الطولي لوادي زيز

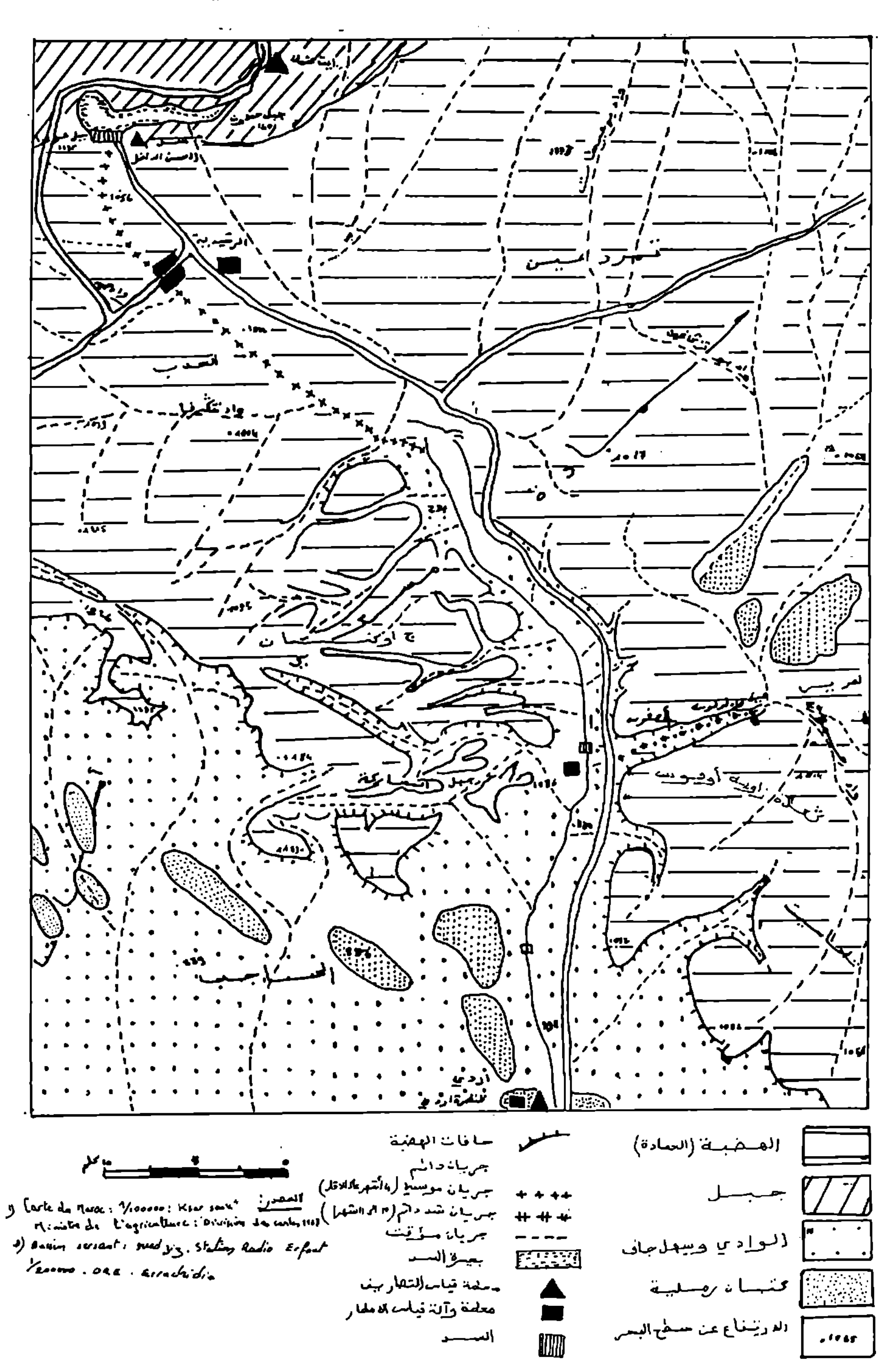
المقياس : 1/500.000
1/10.000

= 760 =

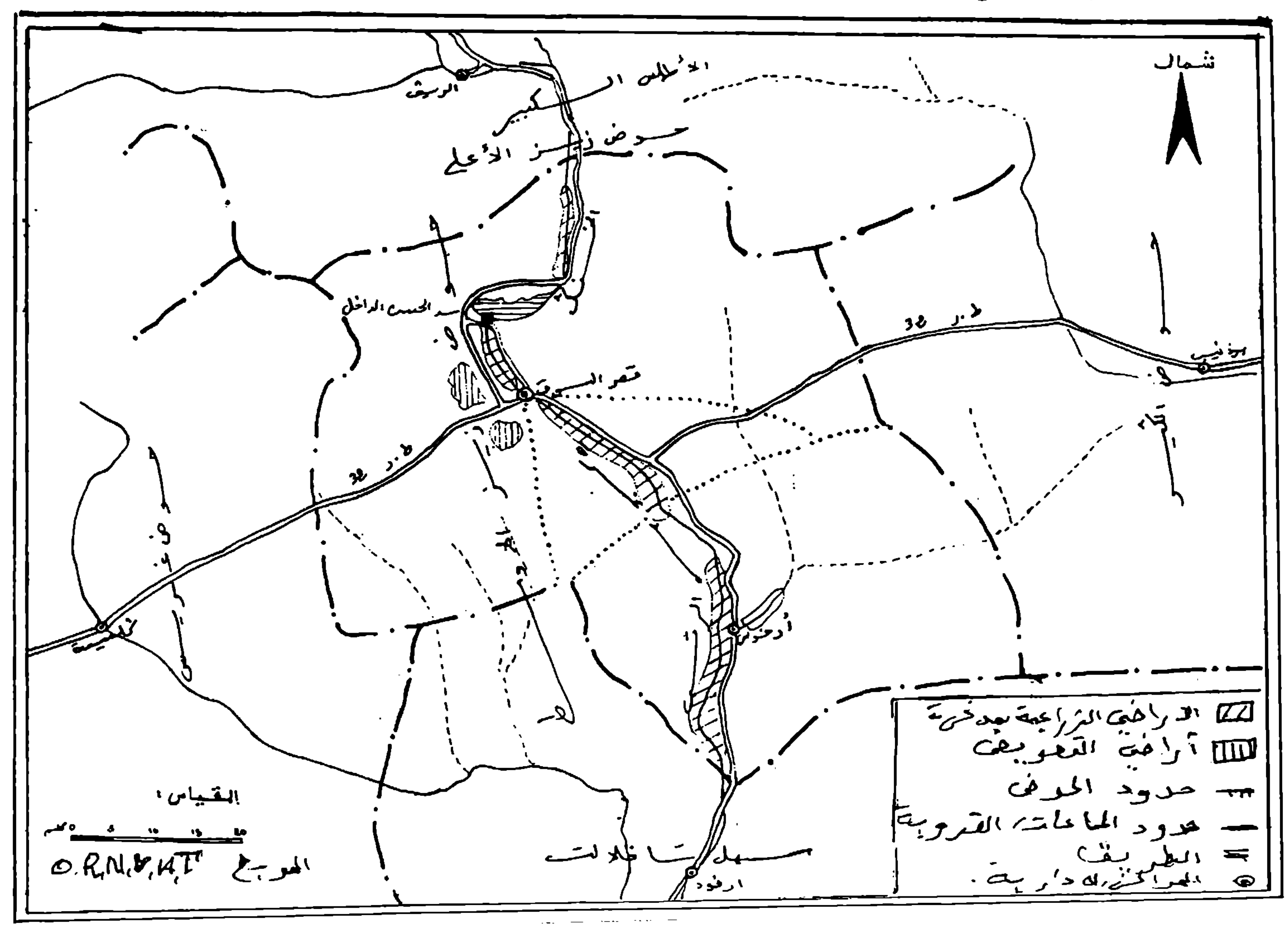
أم تلعنت
واد تزقارين
واد تمريسانت
امرصلى
خنق
واد النزالة
مزيزل
الريش
فم تليشت
منطقة زيز بكراندو
حدود الأطلس الكبير
واد بونويصيس
حدود الجبال الاطلسية والسهول الصحراوية
قصر السوق
واد اوفوس
الدويرة

المصدر : مركز الدراسات، الهيدرولوجية لمنطقة مكناس - تافلالت

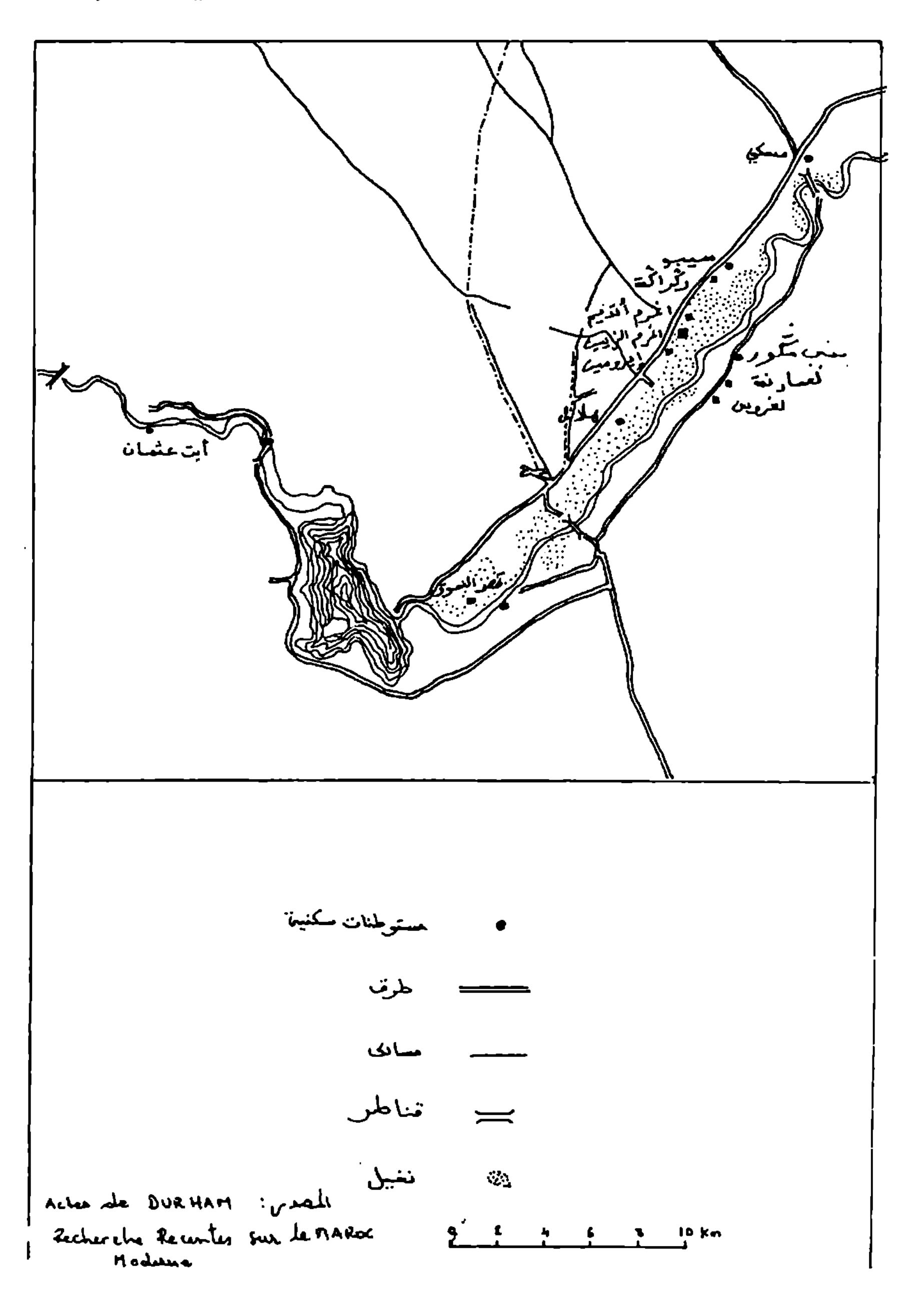
خريطة رقم :1 التضاريس والشبكة المائية لمنطقة زيز الأوسط



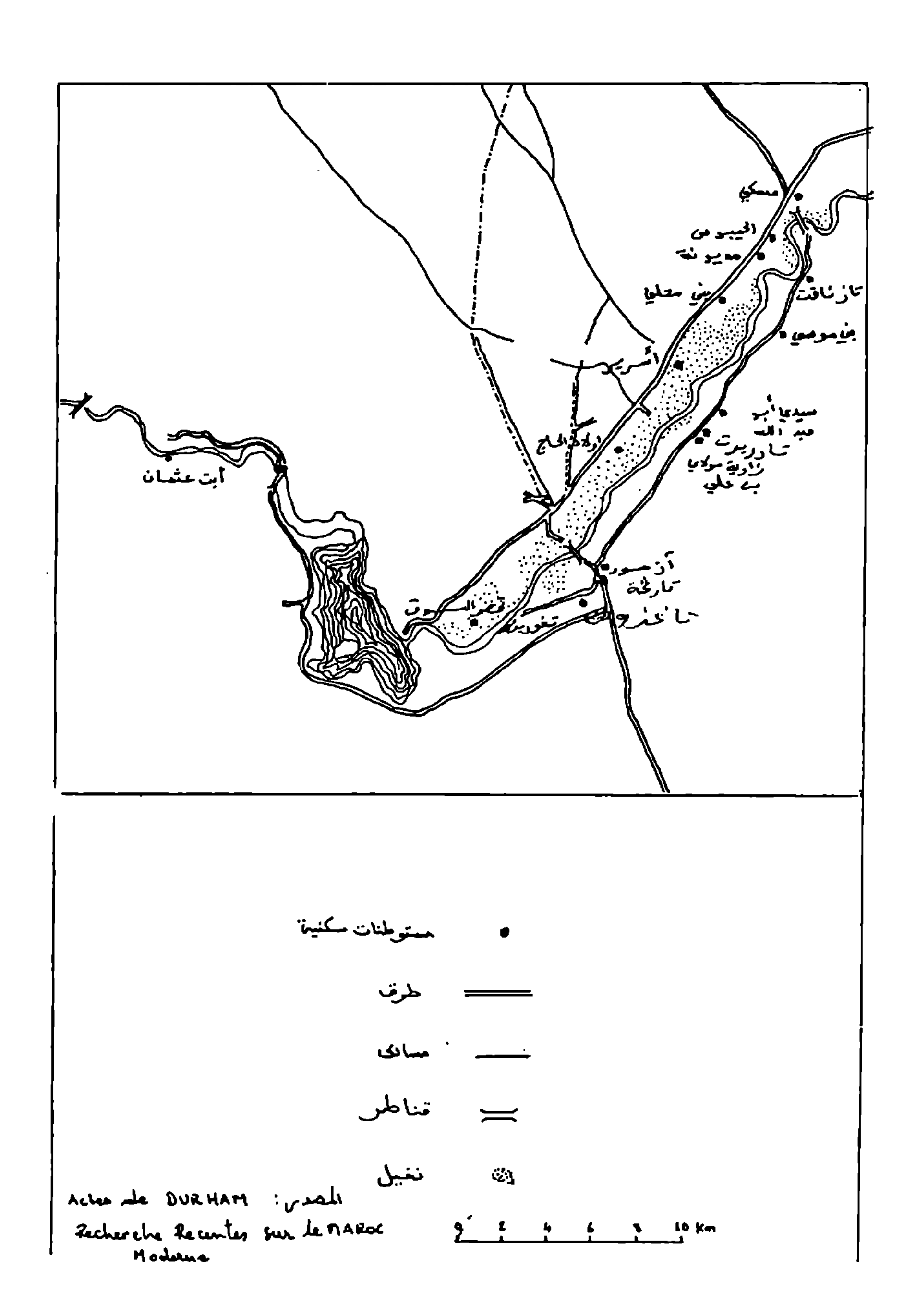
خريطة رقم : 4 موقع حوض زيز الأوسط



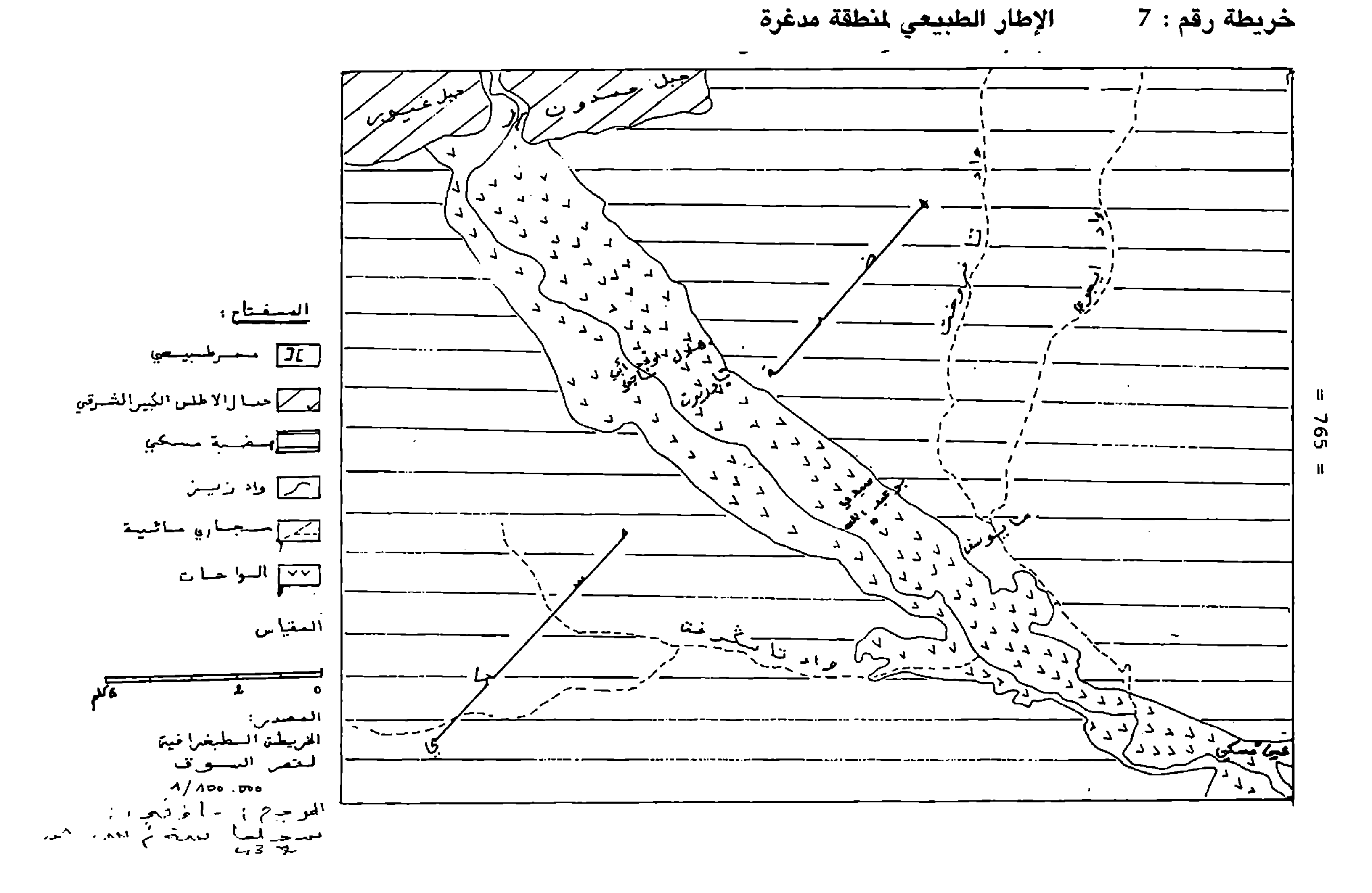
خريطة رقم : 5   خريطة السكن بمدغرة ـ القصور القديمة المندرسة ـ



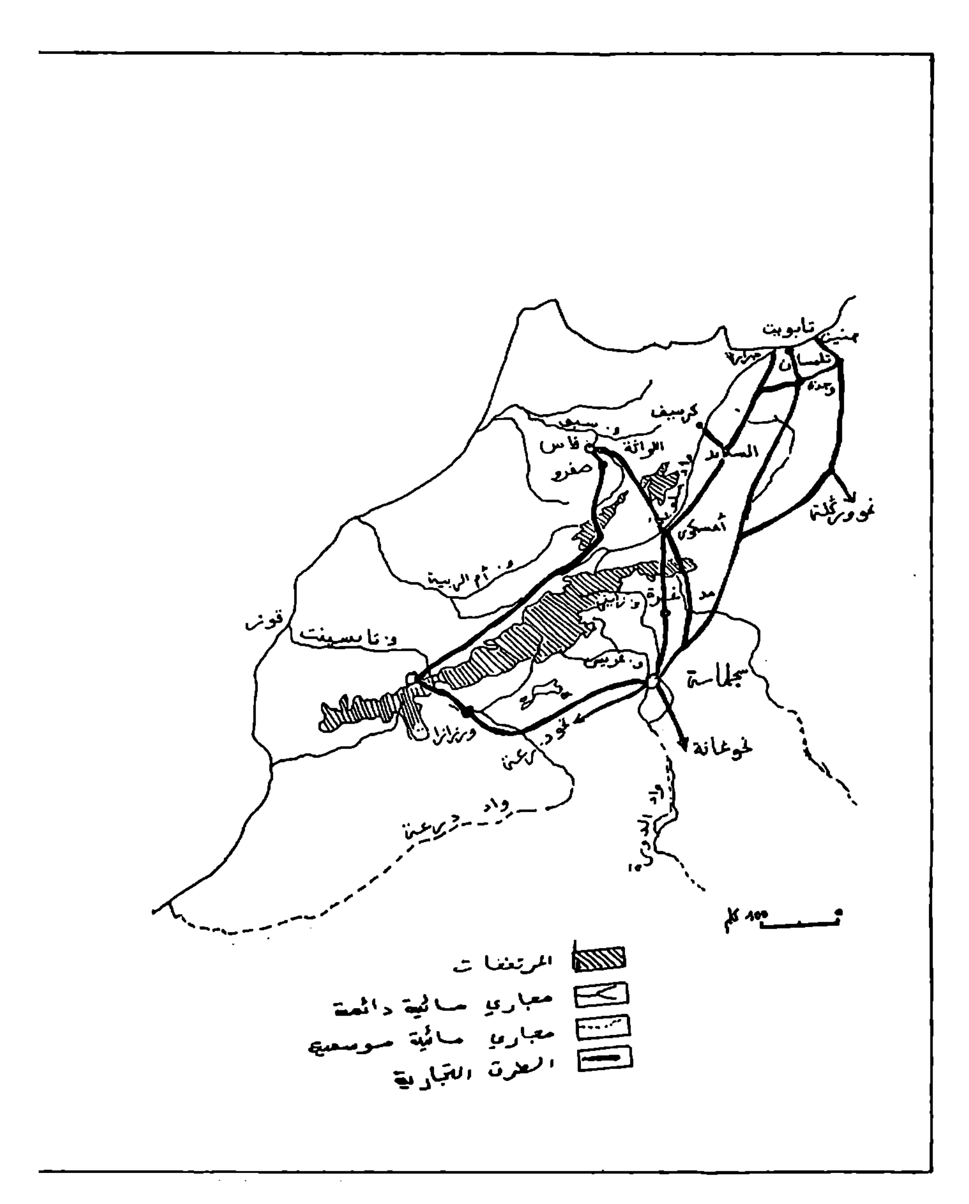
خريطة رقم : 6 خريطة السكن بمدغرة ـ القصور القائمة ـ



خريطة رقم : 7   الإطار الطبيعي لمنطقة مدغرة



خريطة رقم : 8 الطرق التجارية الرابطة بين مدغرة ومختلف المناطق المغرب



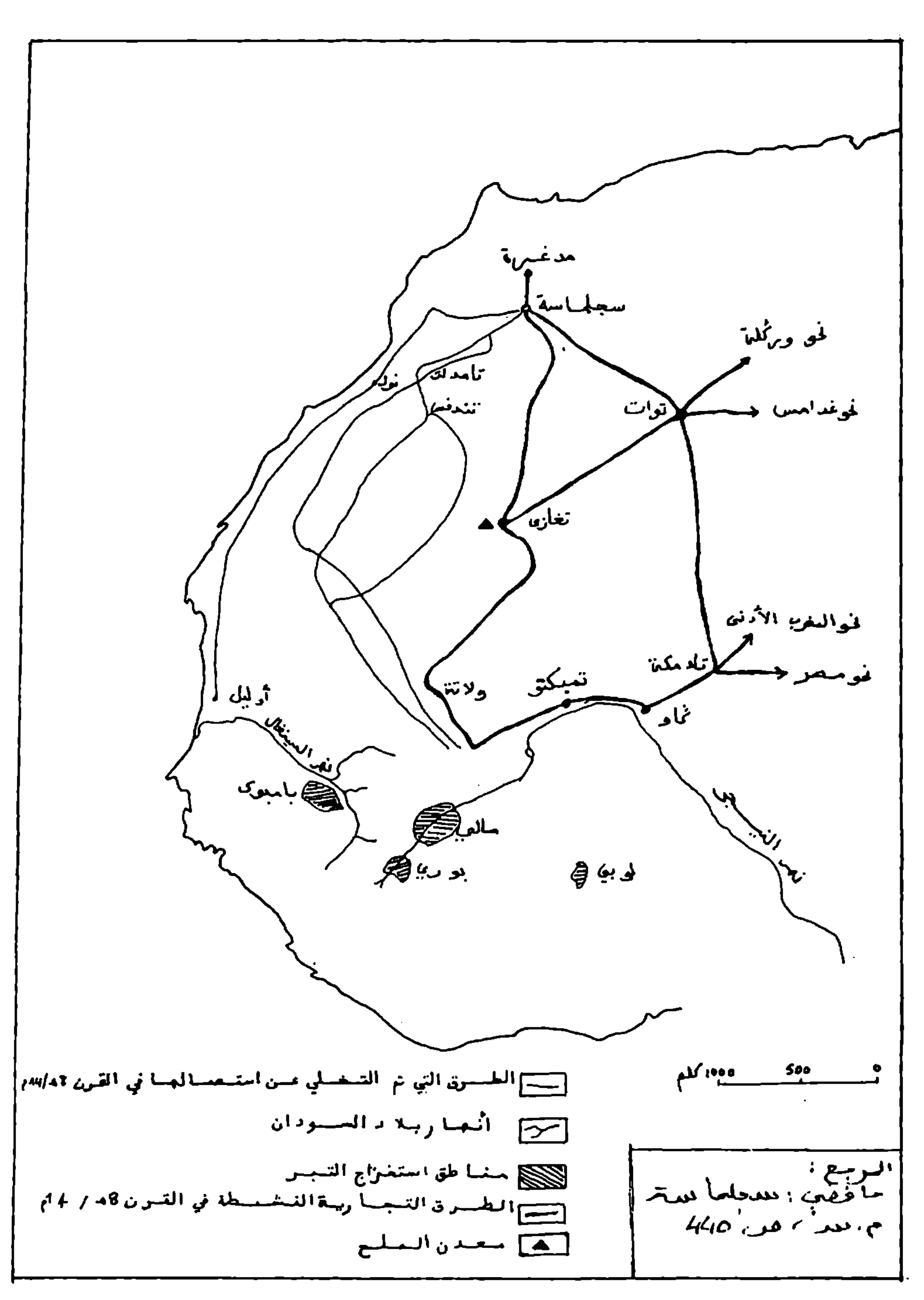
المرجع : حافضي حسن علوي، سجلماسة م.س ص : 445

خريطة رقم : 9 الطرق التجارية الرابطة بين مدغرة وجنوب المغرب

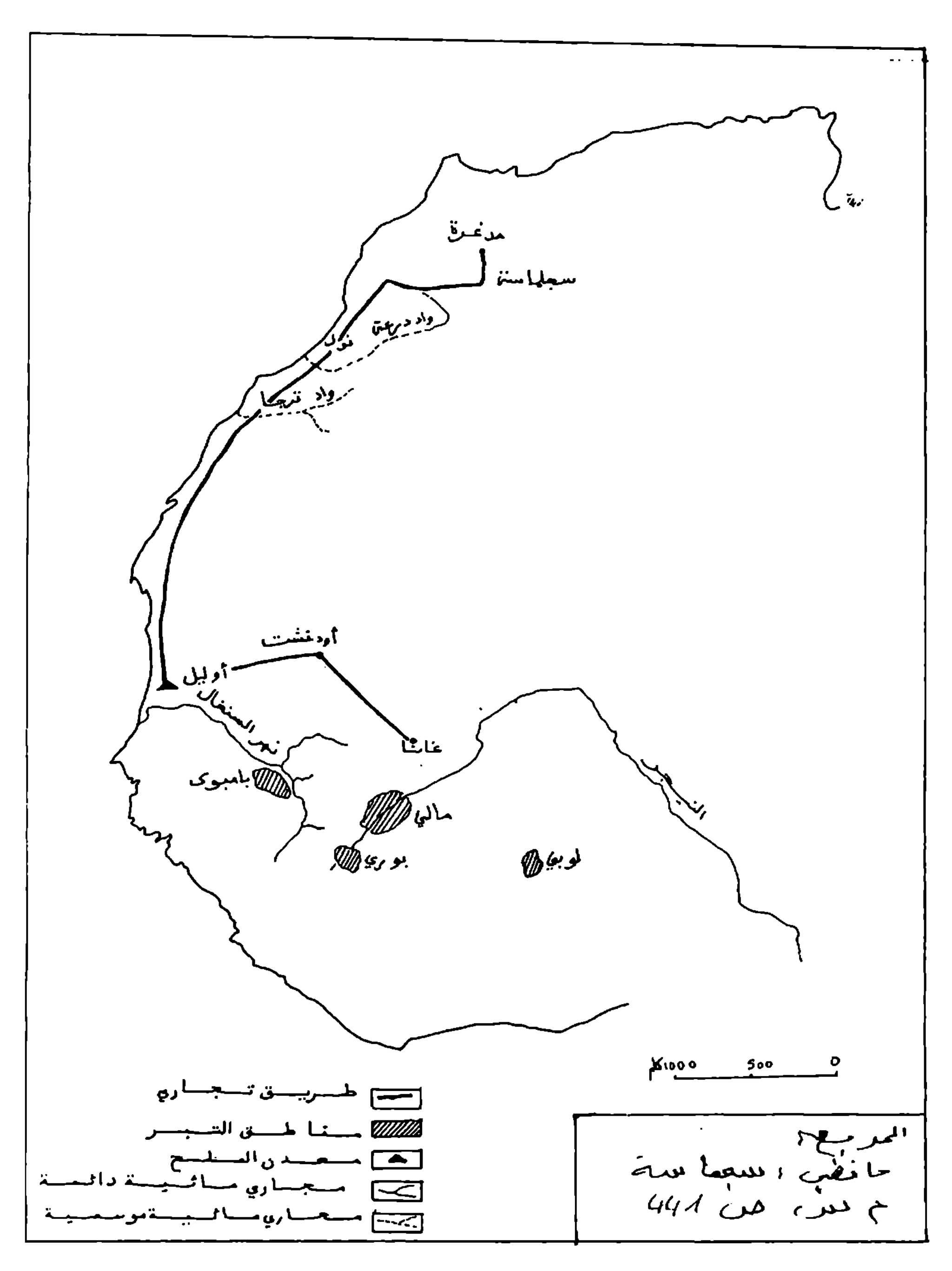


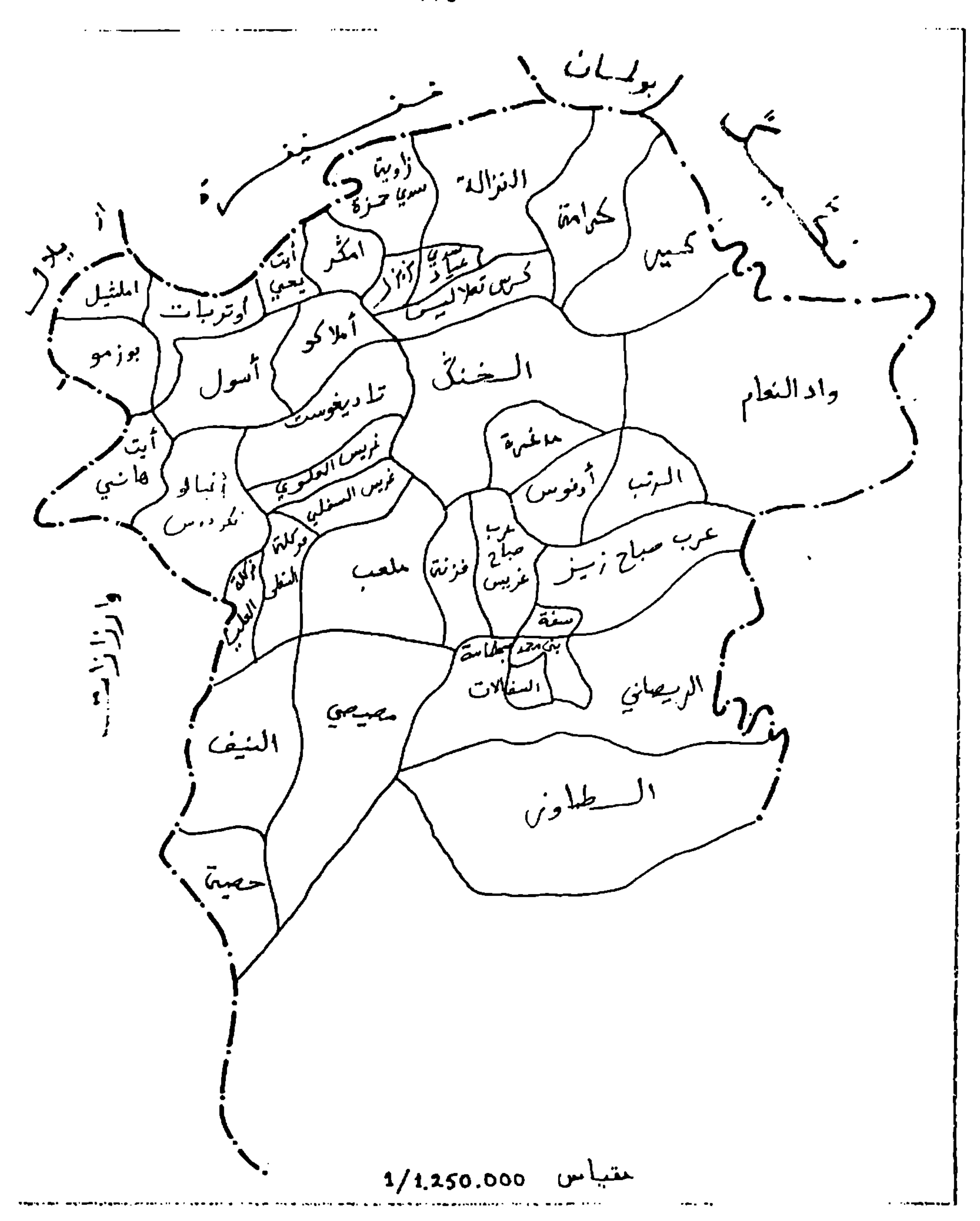
المرجع : حافضي حسن علوي، سجلماسة م.س ص : 446

خريطة رقم : 10 الطرق التجارية الصحراوية ق 16م.

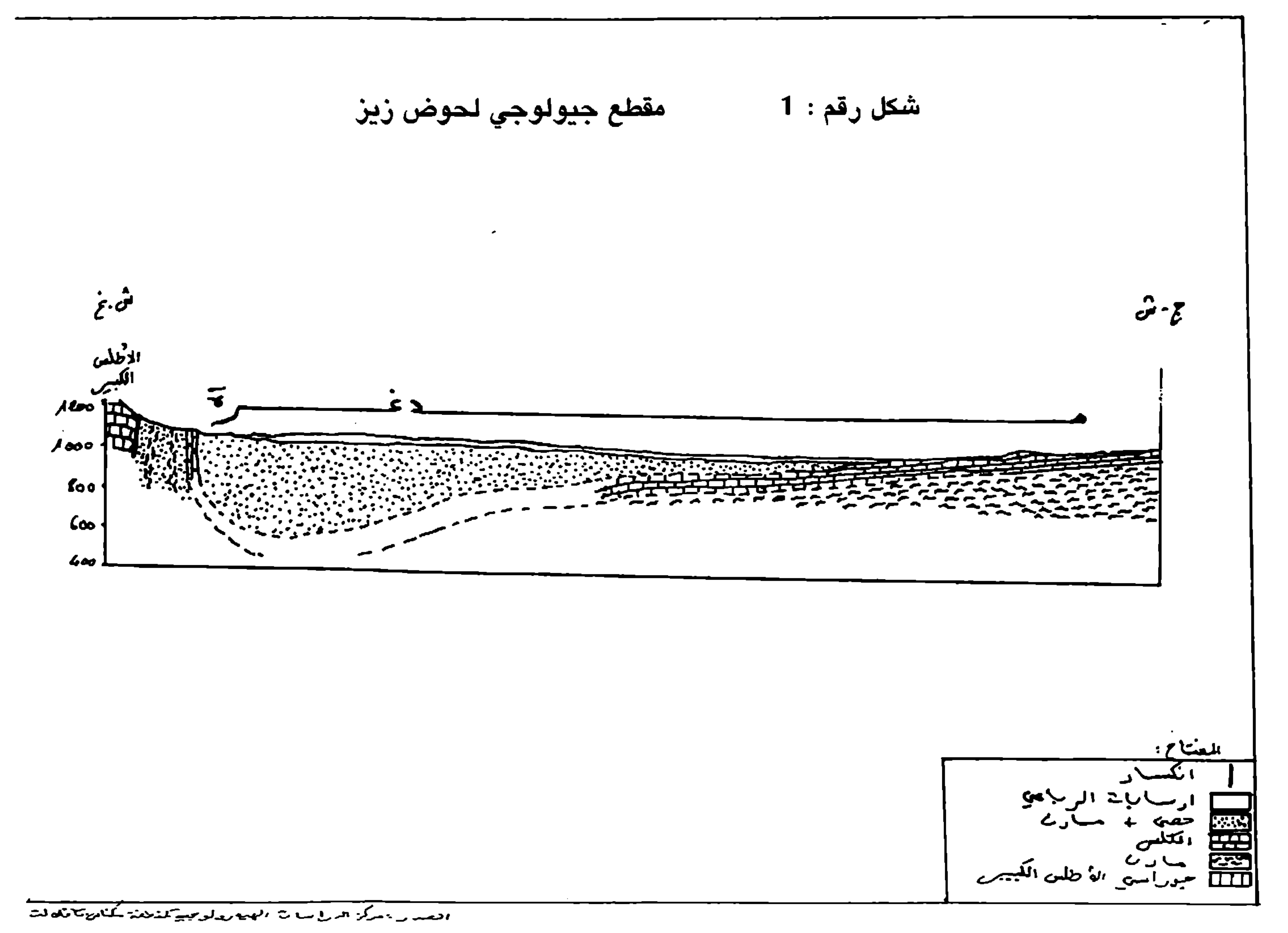


خريطة رقم : 11 طريق مدغرة سجلماسة السودان العربي





التصميم الإداري لإقليم الرشيدية


شكل رقم : 1
مقطع جيولوجي لحوض زيز
ش.غ
ج.ش
الأطلس الكبير
المفتاح :
انكسار
ارسابات الرباعي
حصى + مارن
الكلس
مارن
جوراسي الأطلس الكبير

شكل رقم : 2

مقطع طولي للخنكَ

ج

واد زيز

أمزوج

الخنكَ

ايت عثمان

ش

المفتاح :

كلس

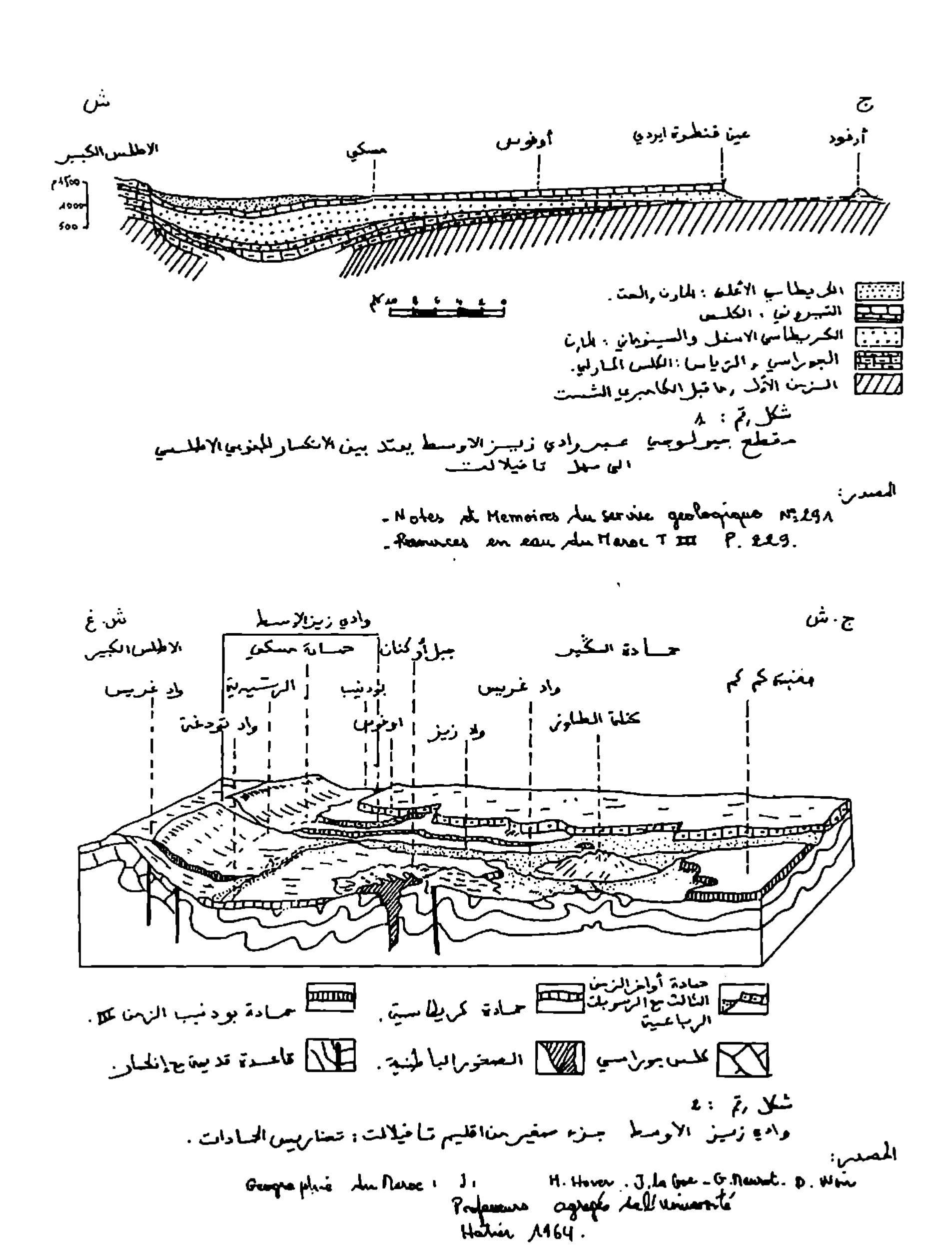
طين

كلس + طين

المقياس $\frac{1}{50000}$

المصدر : مركز الدراسات، الهيدرولوجية لمنطقة مكناس ـ تافلالت

شكل رقم : 3 مقاطع جيولوجية

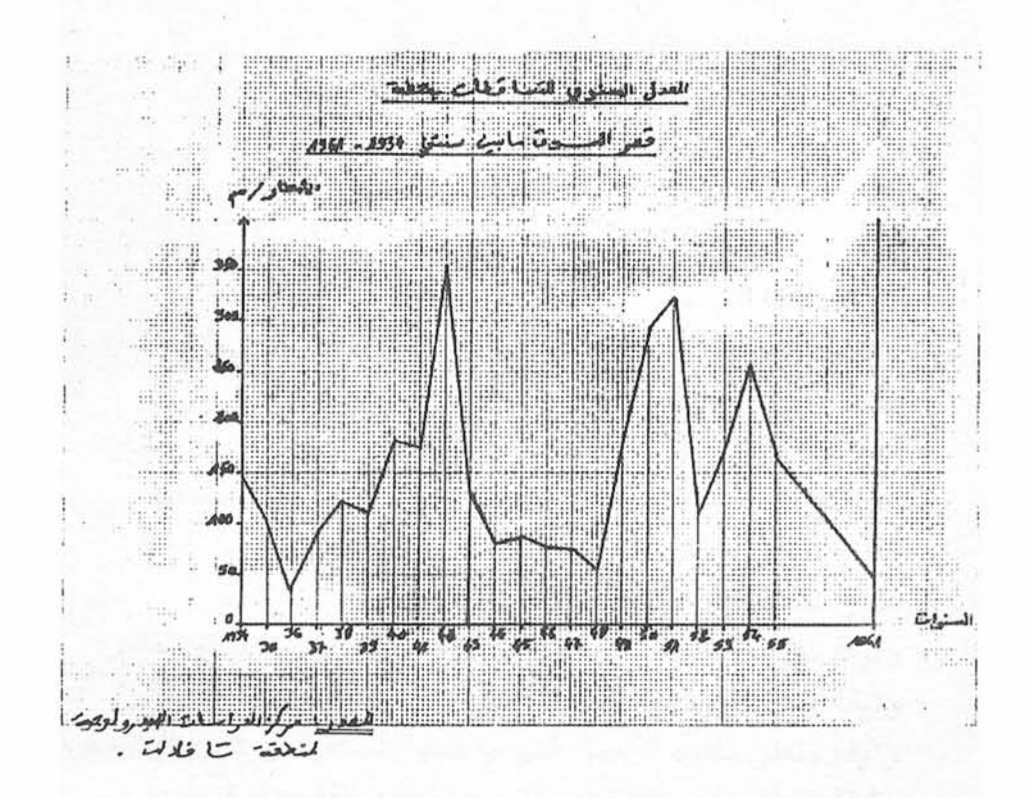


شكل رقم : 1
مقطع جيولوجي عبر وادي زيز الاوسط يمتد بين الانكسار الجنوبي الاطلسي الى سهل تافيلالت

المصدر:
- Notes et Memoires du service geologique N°:291
- Ressources en eau du Maroc T III P. 229.

شكل رقم : 2
وادي زيز الاوسط جزء صغير من اقليم تافيلالت : تضاريس الحمادات .

المصدر:
Geographie du Maroc : J. H. Hover . J. La Gue - G. Maurat - D. Won
Professeurs agrégés de l'université
Hatier 1964 .



المصدر: مركز الدراسات الهيدرولوجية
لمنطقة [illegible] .

فهرس المصادر والمراجع

I – المصادر العربية :

أ – الوثائق المخطوطة :

- عقود الملكية الفردية.
- عقود الملكية الجماعية.
- عقود ملكية الأحباس.
- عقود ملكية المخزن.
- عقود ملكية الهبة.
- عقود ملكية القسمة.
- عقود ملكية الأشرية والبيوع.
- عقود ملكية تقسيم الماء.
- عقد الأخوة بين أسرة آل حم داوود الشريفة واتحادية أيت يفمان.
- وثيقتان تتعلقان بكيفية بناء القصور وتوزيع السكن داخلها.
- وثيقة تتعلق بمكان وجود قصر هلال المندرس.
- فتوى تتعلق بغرز الأخشاب بجدار الجار.
- وثيقة تنظيم الجلوس بروضة مولاي عبد الله بن علي بن طاهر.
- وثيقة تتعلق بتوزيع الصلات على شرفاء مدغرة.
- وثيقة تتعلق بالمدة الزمنية التي يقطعها المسافر من فاس إلى مدغرة.
- وثيقة تتعلق بأحد الطواعين التي ضربت منطقة مدغرة.
- مجموعة من وثائق تتعلق بالصراع الذي اندلع بين بعض قصور مدغرة.
- مجموعة من وثائق تتعلق بمكان وجود بعض أسواق مدغرة.
- مجموعة وثائق تتعلق بتحرير العبيد.

- مجموعــة من ظهائر التــوقير والإحترام التي كان يبعــث بها سلاطين الدولة العلوية إلى أنجال آل بن عمر المدغري.
- مجموعة وثائق تتعلق بملكية اليهود للقطع الأرضية.
- شجر الأنساب.
- ظهير تجديد إقطــاع خطارة تماسين بمــدغرة للشريف الجليــل سيدي محمد بن علي بن محمد من قبل السلطان العلوي الحسن الأول.

ب - المخطوطات :

ابن أبي محلي: أحمد بن عبد الله.
- إصليت الخريت في قطع بلعــوم العفــريت النفــريت. مخ. خ. م. عــدد 100.
- مهراس رؤوس الجهلة ومدارس نفــوس السفلة. مخ. خ. ع. الرباط، رقم ك. 192.
ابن السكاك :
- نصح ملوك الإسلام بــالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام. مخ. خ. ع. الرباط رقم ك. 383.
بناصر: محمد بن عبد السلام.
- الرحلة الكبرى. مخ. خ. ع. الرباط، رقم 5658 ك.
ابن عبد السلام: العربي.

- تقاييد. مخطوط. خاص.
التازي الأندلسي: عبد الودود بن عمر.
- نزهة الأخيار المرضيين في مناقب السادات الدلائيين البكريين. مخ. خ. ع. الرباط رقم 1264. ك. ض. م.

الحسني : علي بن ميمون.
- مجمــوع مؤلف من ظهــائر شريفة وعقــود أنكحة متعلقــة بالشرفــاء السجلماسيين وغيرهم. مخ. خ. ع. الرباط رقم د. 723.

الحوات : أبو الربيع سليمان.
- البذور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية مخ. خ. أ. فاس رقم 98.
السجتاني : النخلة. مخ. خ. ع. الرباط رقم د. 1410.
السكتاني : أبو مهدي عيسى.
- أجوبة وفتاوي السكتاني. مخ. خ. ي. مراكش رقم 349.
السوسي : السملالي علي.
- منتهى النقول ومشتهى العقول مخ. خ. ع. الرباط، رقم 633 د.
العلوي : مولاي علي بن المصطفى.
- فتح القدوس القاهر في نسب أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني مخطوط خاص.

العلوي : محمد الزكي بن هاشم.
- مطالع الزهراء في ذرية بني الزهراء مخ. خ. ع، الرباط. رقم. د. 1768.

العياشي : عبد الله بن عمر.
- الإحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية أيت عياش. مخ. مصور بالخزانة العامة. الرباط رقم 1433 د.

ج - المصادر المطبوعة على الحجر :

الإفراني : محمد بن عبد الله الصغير المراكشي.
- صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر، المطبعة الحجرية فاس. د. ت.

الفضيلي : مولاي إدريس بن أحمد العلوي.
- الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية. ج 1 المطبعة الحجرية فاس 1314هـ/1896م.

العياشي : أبو سالم.

- الرحلة العياشية (ماء الموائد) طبعة ثانية مصورة بالأوفسيط وضع فهارسها محمد حجي جزآن، الرباط 1977م.

القادري : عبد السلام بن الطيب.

- الدرالسني في بعض من بفاس من النسب الحسني، طبعة حجرية فاس 1308هـ/1890م.

المعداني : أبو الحسن علي بن رحال.

- رفع الإلتباس عن شركة الخماس. طبعة حجرية فاس. د. ت.

الناصري : أحمد بن خالد.

- طلعة المشتري في النسب الجعفري، جزآن، طبعة حجرية فاس. د. ت.

الهلالي : أحمد بن عبد العزيز.

- شرح خطبة مختصر خليل، طبعة حجرية فاس. د. ت.

د - المصادر المطبوعة على المطبعة العصرية :

ابن أبي زرع : أبو الحسن علي.

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور الرباط 1970م.

ابن إبراهيم : العباس التعارجي.

- الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، المطبعة الملكية أجزاء: 2 - 7 - 9. دار المنصور للطباعة ما بين سنوات 1971 و1977م.

ابن بصال : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطليطلي.

- كتاب الفلاحة، نشره وترجمه وعلق عليه طوسي مارية مياس بييكروسا ومحمد عزيمان، معهد مولاي الحسن تطوان 1955م.

ابن بطوطة : أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم اللواتي.

- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، جزآن، بيروت 1975م.

ابن جبير : أبو الحسن محمد بن أحمد.
– الرحلة، دار صادر بيروت 1980م.
ابن حماد : أبو محمد عبد الله محمد بن علي.
– أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم. تحقيق التهامي النقرة، عبد الحليم عويس، نشر مكتبة العلوم الرياض 1981م.
ابن حوقل : أبو القاسم النصيبي.
– صورة الأرض، دار مكتبة الحياة بيروت. د. ت.
ابن خرذاذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله.
– المسالك والممالك، المطبعة الحيدرية القاهرة 1889م.
ابن الخطيب : لسان الدين محمد السليماني.
– معيار الإختيار في ذكر المعاهد والديار، مطبعة فضالة المحمدية 1976م.

ابن خلدون : عبد الرحمان بن محمد.
– تاريخ ابن خلدون (المقدمة والعبر). أجزاء : 1 – 4 – 5 – 6 – 7.
دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت 1981م.

ابن الرامي :
– الإعلان بأحكام البنيان، دراسة وتحقيق عبد الستار عثمان، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية مصر 1988م.

ابن رزين : التجيبي.
– «فضالات الخوان في طيبات الطعام والألوان» أو فن الطبخ في الأندلس والمغرب في بداية عصر بني مرين، تحقيق محمد بنشقرون، مطبعة الرسالة الرباط 1981م.

ابن زيدان : مولاي عبد الرحمان.
– إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، الطبعة الثانية، 5 أجزاء، مطابع «إديال» البيضاء 1990م.

ابن الزيات : يوسف يحيى التادلي.

– التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة البيضاء 1984م.

ابن سعيد : أبو الحسن علي المغربي.

– كتاب الجغرافيا، بيروت 1970م.

ابن سيدة : أبو الحسن علي بن إسماعيل.

– المخصص، بيروت، د. ت.

ابن عذاري : المراكشي.

– البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، دار الثقافة البيضاء 1985م.

ابن عسكر : محمد الحسني الشفشاوني.

– دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1977م.

ابن فضل الله العمري : أحمد بن يحيى.

– مسالك الأبصار ـ في ممالك الأمصار من الباب الرابع إلى الباب الرابع عشر، تحقيق مصطفى أبو ضيف، الطبعة الأولى البيضاء 1988م.

– مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أحمد زكي باشا، ج 1، مطبعة دار الكتاب القاهرة 1924م.

ابن القاضي : أحمد المكناسي.

– جدوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، جزآن، دار المنصور للطباعة الرباط 1973م.

– درة الحجال في أسماء الرجال، ثلاثة أجزاء الرباط 1970م.

– المنتقى المقصور في مآثر الخليفة المنصور، تحقيق محمد زروق، جزآن، دار الثقافة البيضاء 1986م.

البكري : أبو عبيد الله.
– المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب. الجزائر 1857م.
بلقاسم الزياني : أحمد.
– تاريخ بلـدة خنيفرة، تحقيق محمد أمحزون، مطبعة النجـاح الجديدة البيضاء 1986م.
البيدق : أبو بكر الصنهاجي.
– المقتبس من كتاب الأنساب في معرفـة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط 1971م.
أبو القاسم الزياني : أحمد.
– الترجمانـة الكبرى في أخبار المعمـور براً وبحـراً، تحقيق عبد الكـريم الفيلالي، مطبعة فضالة المحمدية 1967م.
– الترجمان المغـرب، نشره هـوداس تحت عنـوان: «المغـرب من سنـة 1631م إلى 1812م». إرنيست لورو باريس 1881م.
– البسـتـان الظريف في دولـة أولاد مولاي علي الشريف، تحقيق رشيـد الزاوية. د. د. ع. التاريخ فاس 4 أجزاء 1990م.
الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت.
– معجم البلدان، المجلد، الثالث، بيروت 1957م.
الحميري : ابن عبد المنعم.
– الروض المعطار في خبر الأقطار بيروت 1984م.
الإدريسي : الشريف.
– وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، الجزائر 1957م.
الإصطخري :
– المسالك والممالك، القاهرة 1961م.

الضعيف : محمد الرباطي.
– تـاريخ الـدولـة السعيدة، تحقيق أحمد العماري، معهـد الـدراسـات والأبحاث للتعريب، الرباط 1986م.

الإفراني : محمد الصغير بن عبد الله المراكشي.
– نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي نشره هوداس. مكتبة الطالب الرباط 1888م.
الأندلسي : أبو الخير.
– كتاب الفلاحة، المطبعة الجديدة فاس 1358هـ.
الشيخ عيسى : بن علي الحسني العلمي.
– كتاب النوازل، تحقيق المجلس العلمي بفاس، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة المحمدية 1983م 3 أجزاء.
العلوي : أحمد بن عبد العزيز.
– الأنوار السنية في نسبة من سجلماسة من الأشراف المحمدية، تحقيق عبد الكريم الفيلالي الرباط 1972م.
الفشتالي : أبو فارس عبد العزيز.
– مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء. تحقيق عبد الكريم كريم الرباط 1972م.
القادري : محمد بن الطيب.
– نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج 1، تحقيق محمد حجي، أحمد التوفيق الرباط 1982م.
– التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، دراسة وتحقيق مولاي هاشم العلوي القاسمي، جزآن، دار الآفاق الجديدة بيروت 1981م.

القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي.
– صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج 5، المؤسسة المصرية القاهرة 1915م.

القيسي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الشهير بالسراج.
– أنس الساري والسارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، تحقيق محمد الفاسي فاس 1968م.

كَـنون : عبد الله.
– رسـائل سـعدية. معهد مولاي الحسن تطوان 1954م.
المراكشي : عبد الواحد.
– المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتاب البيضـاء 1984م.
مارمول : كاربخال.
– إفريقيا، ثلاثـة أجزاء، ترجمة مجموعة من الأسـاتذة، مكتبة المعارف الرباط 1984م.
مجهول :
– الدخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور الرباط 1972م.
مجهول :
– الإستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية البيضاء 1985م.
مجهول :
– تاريخ الـدولة السـعديـة الدرعية التكَـمادارتية، اعتنى بنشره جورج كولان المطبعة الجديدة الرباط 1934م.

المقديسي : أبو عبد الله محمد.
– أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ليدن 1909م.

المقرريزي : أبو الفتح ناصر الدين.
– المعرب في ترتيب المغرب. تحقيق محمد فاخوري، نشر مكتبة بن زيد، حلب سوريا الطبعة الأولى 1979م.

المقري : ابن عبد الله أحمد بن محمد التلمسـاني.
– زهرة الأخبـار في تعريف أنسـاب آل البيت المختار، المطبعـة الجديدة فاس 1349هـ.

المنجور : أحمد.
– فهرس أحمد المنجور، تحقيق محمد حجي، مطبعة دار المغرب الرباط 1976م.

الناصري : أحمد بن خالد :

– الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، أجزاء : 5 – 6 – 7 – 8 – 9. دار الكتاب البيضاء 1954م و1955م.

الوزان : الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي.

– وصف إفريقيا. جزآن، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، الطبعة الأولى، الشركة المغربية للناشرين المتحدين. الرباط 1982م.

الونشريسي : أحمد بن يحيى.

– المعيار المغرب والجامع المعرب في فتاوي إفريقية والأندلس والمغرب. منشورات وزارة الأوقاف أجزاء: 7 – 8. الرباط 1991م.

اليوسي : أبو علي لحسن بن مسعود.

– المحاضرات، مكتبة الطالب الرباط 1976م.

II – المراجع والدراسات بالعربية :

أ – المراجع :

أبيض : ملكة.

– التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة للهجرة، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الأولى 1980م.

بنمنصور : عبد الوهاب.

– قبائل المغرب، ج 1 المطبعة الملكية 1968م.

ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين.

– لسان العرب، دار صادر بيروت د. ت.

البنا : علي.

– أسس الجغرافية المناخية والنباتية، دار النهضة العربية بيروت لبنان 1970م.

البكر : عبد الجبار.
– نخلة التمر والجديد في زراعتها وصناعتها وتجارتها، المشروع الإقليمي لبحوث النخيل والتمور في الشرق الأدنى وشمال إفريقيا بيروت 1972م.
بلفقيه : محمد.
– أوليات في الجغرافية الزراعية، منشورات الشركة المغربية لتنمية النشر والتوزيع (صومابروب). مطبعة النجاح الجديدة البيضاء 1988م.
ابن عبد الله : عبد العزيز.
– الموسعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية.
– معلمة الصحراء، ملحق 1، مطبعة فضالة المحمدية 1976م.
– معلمة المدن والقبائل، مطبعة فضالة المحمدية 1977م.
أبو ضيف : أحمد مصطفى.
– أثر القبائل العربية في الحياة المغربية على عهد الموحدين والمرينيين، البيضاء 1982م.
بوشعراء : مصطفى.
– الإستيطان والحماية الفرنسية بالمغرب، ج 1، المطبعة الملكية الرباط 1984م.
أحمد حسن محمود :
– قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة 1957م.
أكَنوش : عبد اللطيف.
– تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب، مطابع إفريقيا الشرق البيضاء 1987م.
حسن إبراهيم حسن :
– تاريخ الإسلام. ج 4 الطبعة السابعة الجيزة مصر 1964م.
حركات : إبراهيم.
– المغرب عبر التاريخ، ثلاثة أجزاء. مطبعة النجاح الجديدة البيضاء 1984م.

- السياسة والمجتمع في العهد السعدي. دار الرشاد الحديثة البيضاء 1987م.
جوليان : شارل أندري.
- تاريخ إفريقيا الشمالية جزآن. ترجمة محمد مزالي، البشير بن سلامة تونس 1983م.
الزركلي : خير الدين.
- الأعلام، دار العلم للملايين بيروت 1979م.
زينسر : هانز.
- التيفوس والتاريخ، ترجمة أحمد بدران، دار الهناء للطباعة والنشر د.ت.
السوسي : محمد المختار.
- المعسول، أجزاء : 3 - 16. البيضاء 1961م.
- سوس العالمة، البيضاء 1984م.
- إيليغ قديما وحديثا، علق عليه وهيأه للطبع محمد ابن عبد الله الروداني، المطبعة الملكية الرباط 1966م.
العروي : عبد الله.
- تاريخ المغرب، محاولة في التركيب بيروت 1977م.
- مجمل تاريخ المغرب، الرباط 1984م.
- مفهوم التاريخ. جزآن المركز الثقافي العربي البيضاء 1992م.
علاَّم : عبد الله.
- الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المومن بن علي. دار المعارف مصر 1971م.
عز الدين : موسى أحمد.
- النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ، دار الشروق القاهرة 1983م.

عياش : ألبير.
- المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، ترجمة عبد القادر الشاوي، نور الدين السعودي البيضاء 1985م.
عياش : جرمان.
- دراسات في تاريخ المغرب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين مطبعة النجاح الجديدة البيضاء 1986م.
غوتية :
- الصحراء، ترجمة كمال يونس، القاهرة 1957م.
لوطورنو : روجي.
- فاس قبل الحماية، جزآن، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي بيروت 1986م.
محمود إسماعيل عبد الرازق :
- الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري. مطبعة النجاح الجديدة 1976م.
مزين : العربي.
- مذكرات من التراث المغربي. مجموعة يشرف عليها الأستاذ العربي الصقلي، المجلدان الرابع والخامس. الرباط 1985م.
المشرفي : محيي الدين.
- جغرافية المغرب الرباط 1957م.
ماك : كوك.
- الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة، البيضاء 1395هـ.
المنوني : محمد.
- ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط 1979م.
- المصادر العربية لتاريخ المغرب، جزآن الرباط 1983م و1989م.
- تاريخ الوراقة المغربية وصناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، مطبعة النجاح الجديدة البيضاء 1991م.

ميكل : أندري.
- الإسلام وحضارتـه، ترجمة زينب عبد العزيز، مـراجعة كمال الدين الحناوي، المكتبة العصرية بيروت 1981م.
والطون : كنيث.
- الأراضي الجافة، ترجمة علي عبد الوهاب شاهين، دار النهضة العربية بيروت 1978م.

ب - الدراسات الجامعية المرقونة :

- إخوان : زهرة.
- من مظاهر التطور الاقتصادي والعمراني في مغرب القرن 16م. د. د. ع. التاريخ الرباط 1984م.
براداة : عبد الرحيم.
- ظـاهرة التنقـلات القبلية في تـاريخ المغـرب الحديث، نموذج القبـائل الصنهـاجية بين ملـوية وغـرب الأطلس المتـوسط د. د. ع. التاريخ فـاس 1988م.

بن حادة : عبد الرحيم.
- النشـاط الاقتصــادي في سوس خلال القـرن السـادس عشر 1513 - 1623م د. د. ع. التاريخ فاس 1987م.

بن كَـرعي : حليمة.
- مداخيل بيت مال المغرب في عهـد السعديين، د. د. ع. التاريخ الرباط 1985م.

البوزيدي : أحمد.
- التاريخ الاجتماعي لدرعـة من مطلع القرن 17 إلى مطلع القرن 20م دراسة في الحيـاة السياسيـة والاقتصادية والاجتماعيـة من خلال الـوثائق المحلية د. د. ع. التاريخ الرباط 1988م.

– حافظي : حسن علوي.
– سجلماسة وإقليمها خلال القرن 8هـ. مساهمة في دراسة مجتمع الواحات في العصر الوسيط. د. د. ع. التاريخ فاس 1988م.
الدبيش : عبد الوهاب.
– فاس المرينية بين سنتي: 674 – 759هـ/1276م – 1358م «المجال والمجتمع وعلاقتهما بالدولة» د. د. ع التاريخ فاس 1989م.
كريمي : ماجدة.
– العلاقات التجارية بين المغرب والسودان في العصر المريني 668 – 759هـ/1269 – 1358م د. د. ع. التاريخ الرباط 1988م.
استتتو : محمد.
– الكوارث الطبيعية في مغرب القرن 16م، د. د. ع. التاريخ، فاس 1988م.
العميم : محمد.
– قبائل المغرب وأقوامه خلال القرنين الأولين للميلاد، د. د. ع. التاريخ فاس 1988م.
المهناوي: محمد.
– السلاح الناري بمغرب السعديين، د. د. ع. التاريخ فاس 1988م.
الوارث : أحمد.
– الأولياء ودورهم السياسي والاجتماعي والديني، د. د. ع. التاريخ فاس 1988م.

ج – الدراسات الجامعية المرقونة بالفرنسية :

Agnouche: Abdellatif.

- Contribution à l'étude stratégique de ligilimation du pouvoir autour de l'institution califienne. Le Maroc musulman des Idrissides à nos jours. Thèse d'état Casablanca 1985.

El Mellouki: Mohammed.

Contribution à l'étude de l'histoire des villes medivales du Maroc. Sijilmassa des origines a 668 / 1269 J.C. aixe province 1985.

د – الدراسات الجامعية المطبوعة :

الأخضر: محمد.

– الحياة الأدبية على عهد الدولة العلوية، مطبعة النجاح الجديدة البيضاء 1977م.

أفا : عمر.

– مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (سوس 1822 – 1906). مطبعة النجاح الجديدة البيضاء 1988م.

البزاز : محمد الأمين.

– تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن والتاسع عشر، مطبعة النجاح الجديدة البيضاء 1992م.

بورقبة : رحمة.

– الدولة والسلطة والمجتمع، دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، دار الطليعة بيروت 1991م.

بوشرب : أحمد.

– دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور، مطبعة النجاح الجديدة البيضاء 1984م.

التوفيق : أحمد.

– مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850 – 1912م)، دار النشر المغربية البيضاء 1980م وطبعة 1983م.

حجي : محمد.

– الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين. جزآن، منشورات دار المغرب للترجمة والتأليف والنشر 1976م.

– الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي. المطبعة الوطنية الرباط 1964م.

الشاذلي : عبد اللطيف.
- الحركة العياشية خلقة في تاريخ المغرب في القرن 17م مطبعة النجاح الجديدة البيضاء 1982م.
العماري : أحمد.
- تـوات في مشروع التـوسـع الفـرنسي بـالمغـرب من حـوالي: 1850 - 1902م، مطبعة النجاح الجديدة البيضاء 1988م.
القدوري : عبد المجيد.
- ابن أبي محلي الفقيـه الثـائر ورحلتـه الإصليت الخريت، منشـورات عكاظ الرباط 1991م.
القبلي : فاطمة خليل.
- رسـائل أبي علي لحسن بن مسعود اليـوسي. جـزآن، مطبعة النجـاح الجديدة البيضاء 1981م.
مزيان : أحمد.
- فجيج. مساهمة في دراسة المجتمع الـواحي المغربي خلال القرن 19م (1845 - 1903م) مطبعة فجر السعادة 1988م.
مزين : محمد.
- فاس وباديتها. مساهمة في تاريخ المغرب السعدي (1549 - 1637م) جزآن. مطبعة المعارف الجديدة البيضاء 1986م.

ناعيمي : مصطفى.
- الصحراء من خلال بلاد تكنة، تاريخ العـلاقات التجارية والسياسية، مطبعة عكاظ الرباط 1988م.

الدراسات الجامعية المطبوعة بالفرنسية :

Mezzine: Larbi. Le tafilalt, contribution à l'histoire du Maroc aux XVII et XVIIIe siècles, imprimerie Najah et Jadida Casablanca 1987.

خ - المصادر والمراجع باللغات الأجنبية :

أ - الكتب :

- Anonyme portugais :

- Chronique de sainta-cruz de capo de gué, texte portugais de XVIe siècle, traduit et annoté par pierre de cenival, publication de section historique du Maroc. Paris guethner 1934.
- Brait-wite (J): Histoire des révolutions de l'empire du Maroc de puis la mort du dernier empereur Moulay Ismail, Amesterdam p. Mortier 1731.
- Breaudel (F) la mediterannée et le monde meditèraneen à l'époque de Philipe II. Paris 1966.
- Ben Ali (Driss): Le Maroc précapitaliste, formation économique et sociale, Rabat 1983.
- Berthier (P): Les anciennes sucreries du Maroc et leurs reseaux hydrauliques, imprimerie Française et Marocaine Rabat, 1966. t 1.
- Brignon et autres: histoire du Maroc. Hatier 1968.
- Brunschvig: La berberie orientale sous les hafssides, Paris. 1940.
- Carcopinot (J): Le Maroc Atlantique, galimart, 1948.
- Carrette (J): Recherches sur l'origine et l'émigration des principales tribus de l'Afrique septentrionale et particulièrement de l'Algérie. Paris. 1853.
- Colin (G.S): encyclopedie de l'Islam. édition 1975 tIII.
- Damio degois: cronica del reil Emanuel Lisbona 1566 - 1567. 2 vol, par Robert Ricard: "les portugais au Maroc" de 1495 à 1521 Rabat 1937.
- Deverdun (gaston): Marrakech des origines à 1912 t 1, Rabat 1955.
- Duby (G): Guerriers et paysans VIIe siècle, premier essort de l'économie Européen ed, Ballimard Paris 1973.
- Enregot Projeckt: Vallées du Ziz Ksar-es souk Aoufous. Belgrades 1964.
- Fagnan: Extraits inédites relatifs au Maghreb, géographie et histoire, Alger 1924.
- De faucauld (ch): Reconnaissance au Maroc (1883 - 1884). Paris 1888.
- Dawsan and pansiot: drapet impovement of date palm growing. New-york 1965.
- Demangeon (Albert) et (Abdré): Géographie génerale, Hachette Paris 1937.
- Doutté (Edmand): Marrakech, Paris 1905.
- Fauvel (J): Les palmiers dattiers dans le sud Algérien. Alger 1910?
- Faure (Roger): Le tafilalet étude d'un secteur traditionel d'irrigation. Paris 1969.
- Gautier (E.F): - Le passé de l'Afrique du Nord. Paris 1964.
  - Les siècles obscures du Maghreb. Paris 1951.
- Guillaume (P) et poussou (J.P): Démographie historique. Collection U Paris 1970.
- Guenoun (S): La montagne berbère, renseignement coloniaux 1929.
- Graude (J): Géographie des maladies. Rabat 1965.
- Gsel (Stephan): Histoire ancienne de l'Afrique du Maroc. (H.A.N.N) t V Paris 1921.
- Iben Al Awam: Kitab Al Filaha. Tome 1 Tunis 1977.
- Iben Fadel Allah Al Omari: Massalik Al Abssar, tradition graude Fray Demonbynes Paris 1927.
- Jamous (R): Honneur et Baraka, les structures sociales traditionnelles dans le Rif. Paris 1981.
- Joly Fernand: Etudes sur le relief du sud - est, Rabat 1962.
- Klatzman (J): Mourir disc milliards d'hommes. P.U.F Paris 1975.
- Labry (André): Géographie économique et Ferroviaire du Maghreb ed, mai Paris 1970.
- Ladurie (E. Roy): Histoire du climat depuis l'an mille, Flamarion Paris. 1983.
- Laumonier (R): Cultures fruitières méditerrannens. Paris 1960.
- Laoust (E): Mots et choses berberes chanall Paris 1920.

- Osché et all: Tropical and subtropical agriculture Mac-millan 1961.
- Otmani: Abdelkader: entreprise dattier au Maroc, institut de commerce Casa 1982.
- Lewiki (t): Sur le titre libyco-berbère, études maghribines et soudanaises Varsovie 1983.
- Marçais (G): Les arbes en berberie du XIe au XIV siècles Paris 1931.
- Martin (A.G.P): - Quatre siècles d'histoire Marocainc au Sahara de 1504 à 1894. au Maroc de 1890 à 1921; Paris 1923.
- Precis de sociologie nord Africain (Les Oasis sahariennes) 2eme partie 1980.
- Mauny (R): Tableau géographique de l'ouest Africain d'après les sources écrites, la traduction et larchiologie Dakar 1961.
- Mas-laterie: traités et documents divers concernant les relations des chretiens et des arabes au Moyen âge Paris 1868.
- Massignion (L): Le Maroc dans les premières années du XVIe siècles. Alger 1906.
- Meunie (D.J): - Le Maroc saharien des origines à 1670. Paris 1982.
- Maghreb et Sahara société de géographie, Paris 1973.
- Harchitecture et Habitat du Dades, un ouvrage publie avec le concour de la recherche scientifique librairie. c. Kinck siek Paris 1962.
- Montagne (R): Les berbères et le Makhzen dans le sud marocain essai sur les transformations politiques des berbères sédantaires. Paris Alcan 1930.
- Noin (D): La population rurale du Maroc. 2 vol presse universitaire de France. Paris 1970.
- Pascon (Paul): Le Haouz de Marrakech, t 1 Rabat 1977.
- Pero loroy: Le palmier dattier au Maroc, Rabat 1959.
- Potoki (J): Voyage en Turque et en Egypte, en Hollande et au Maroc, Paris 1980.
- Rectnwald (G): Le contrat de Khamassat dans l'Afrique du Nord, Paris 1912.
- Redd (F.R): People of the viel, London 1926.
- Saâdi (M): Contrubution, à la lutte contre le bayoud de palmier dattier, Dijon 1979.
- Source inedites de l'histoire du Maroc. 1ère série dynastie Saâdienne (1530 - 1560). Angleterre t 1 1918. Portugais t I II III.
- Terrasse (H): Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat Français, Casablanca 1950.
- Trabut (L): Sur une maladie du palmier dattier "Le Khamedj" ou poriture du régime Paris 1912.
- Tharaut (J et J): Marrakech ou les seigneurs de l'Atlas Paris 1939.
- Valensi (L): Le Maghreb avant la prise d'Alger (1790 - 1830) question d'histoire Flamarion Paris 1969.
- Fellah tunusien, l'économie rural et la vie des compagnes au XVIIIe et XIXe siècles, ed, Mouton Paris 1977.

III - المقالات بالمجلات والجرائد والدوريات :

أ - بالعربية :

أكنوش عبد اللطيف :
- المكانة الاجتماعية والسياسية للشرفاء بالمغرب «ملف خاص حول النخب المغربية» مجلة أبحاث العدد 18 السنة الخامسة مطبعة النجاح الجديدة البيضاء 1988م ص: 7 - 19.

تاوشيخت : لحسن.

– العمارة العلوية بتافيلالت خلال عهد مولاي إسماعيل، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية الدورة الثانية الندوة الثالثة (العصر العلوي اجتماعيا وثقافيا) مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني دجنبر 1990م، ص: 178 – 190.

التملي : محمد.

– «محمد بن العربي العلوي، نموذج فريد للعالم المناضل»، جريدة الاتحاد الاشتراكي عدد 3504 بتاريخ 14 مارس 1993م، ص: 3.

التازي : محمد سعود.

– سكان أرض المغارب في عصور التاريخ القديم، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس عدد 2 – 3 سنة 1979 – 1980م.

التازي : عبد الهادي.

– الماء والغداء والإنسان، ندوات أكاديمية المملكة المغربية «الماء والتغذية وتزايد عدد السكان» القسم الأول، الرباط 27 – 30 أبريل 1982م.

– مجلة الماء والتنمية، عدد 2 يونيو 1986م.

– مجلة الماء والتنمية عدد 2 1988م.

حجي : محمد.

– «المنافسة بين سجلماسة وإيليغ والولاء» ندوة «سجلماسة تاريخياً وأثريا»، منشورات وزارة الثقافة مطابع ميثاق المغرب الرباط 1988م، ص: 29 – 33.

الحكيم : علي بن يوسف.

– «الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة» صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد السادس العدد 1 و2 مدريد 1950م.

الزكري : رابحه.
– «الخصائص العامة للتعليم في المغرب خلال القرن 17م» جامعة مولاي علي الشريف الخريفية الدورة الثانية الندوة الثالثة (العصر العلوي اجتماعيا وثقافيا) مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني دجنبر 1990م، ص: 137 – 151.

العلوي : مولاي التقي.
– «أصول المغاربة القسم البربري» مجلة البحث العلمي، العدد 33 السنة الثامنة عشرة 1982، ص: 69 – 125.
– «دور الإتحاديات الأطلسية» مجلة البحث العلمي، العدد 23 سنة 1974م، ص: 115 – 134.
– «الحافظ عبد الله بن علي بن طاهر الحسني العلوي».
مجلة كلية الشريعة عدد 1 السنة الأولى رجب – شعبان – رمضان 1396هـ/1976م. ص: 50 – 56.
– أوصاف ابن طاهر الخلقية وتأثيره في تلاميذه، مجلة كلية الشريعة العدد 3، جمادى الثانية 1398هـ/مايو 1978م. ص: 41 – 47.

العلوي : عبد العزيز.
– صناعة النسيج في المغرب الوسيط. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس، عدد خاص [2] سنة 1985م، ص: 49 – 65.

العزاوي : عبد الستار.
– «المدخل عنصر معماري للبيوت التراثية في الشارقة» مجلة دراسات تصدر عن اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، العدد الثالث السنة الثانية 1991، ص: 121 – 130.

فاتحي : محمد.
– أضواء حول بداية السعديين. مجلة تاريخ المغرب، العدد الرابع السنة الرابعة، ذو القعدة 1404هـ/غشت 1984م، ص: 21 – 41.

القبلي : محمد.
- مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط عدد 3 - 4. 1978م.
القاسمي : مولاي هاشم العلوي.
- الجذور التاريخية لنشأة الدولة العلوية. جامعة مولاي علي الشريف الخريفية منشورات وزارة الثقافة، مطابع ميثاق المغرب الرباط 1988م، ص: 17 - 23.
مزين : العربي.
- بداية الدولة العلوية بتافيلالت 1631 - 1664م، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، ندوة «نشأة الدولة العلوية الشريفة»، منشورات وزارة الثقافة مطابع ميثاق المغرب الرباط 1988م، ص: 37 - 51.
- سجلماسة الإسم، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية ندوة: «سجلماسة تاريخيا وأثريا»، منشورات وزارة الثقافة، مطابع الميثاق 1988م، ص: 9 - 12.

المهناوي : محمد.
- التنظيم العسكري وعلاقته بالمجتمع في العصر الإسماعيلي. جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، الدورة الثانية الندوة الثانية (الدولة العلوية بين البناء والعلاقات الخارجية) مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني 1990م، ص: 109 - 121.

ب - المقالات باللغات الأجنبية :

- Atlal (R): Les relations entre Juifs et Musulmans en Afrique du Nord 19 - 20e siècle "croyances et prejuges, image de Juifs dans l'expression populaire arabe au Maghreb" in centre national de la recherche scientifique centre régional de la publication Marseille octobre 1978, ed du L.N.R.S Paris 1980 pp: 56-57.
- Batran (A.A): The ulamas of fas, my Ismail and the issue of the Haratin of Fas in shaves and slaveny in Musslim Africa Vol II the survil estate ed, by Jhon Ralph-willus Frank Casa pp: 1-15.
- Bouisc (J) et all: perfermances de la Race "D'Amane" des palmeraires du sud du Maroc. in I.N.R.A.

- Communications aux journnes de l'élevage de Rabat. 5-6 mai 1972 sur l'étevage des palmeraies in I.N.R.A.
- Fiche signalitique de la race "D'amane" 1977 in I.N.R.A. station centrale d'agronomie saharienne. D.R.A. Marrakech.
- Bassac: sijilmassa, traduction d'une manuscrite arabe, B.S.G Alger 1930 pp: 223-244.
- Camps (G): Recherches sur les origines des cultivateurs noirs du sahara R.O.M.M. t 3 n° 7. 1er trimestre 1970 pp: 35-45.
- Colin (G.S): Un voyage de Fes à Tafilalet en 1787 in R.G.M n° 1 1934.
- origine arabe des grands mouvements de la population berbère dans le Royem Atlas Hesp. 1939.
- Collegue d'erfoud: l'histoire du sahara et des relations transahariennes entre le Maghreb et l'ouest Africain au Moyen Age à la fin de l'époque coloniale Italia 1986.
- Delachapelle : esquice d'une histoire du Sahara occidentale Hesp. T. t. WI 1930. pp. 35-95.
- l'escpedition de souetonius soutenius dans le sud-est du Maroc. Hesp. t. XIX. 1939.
- le sultan My Ismaïl et les berbères sanhaja Archives Marocaines (A.M) n° 4 val XXVIII 1931.
- Device (J) : routes de commerce et ech ange en Afrique occidental en relation avec la mediterrannée, un essai sur le commerce Africain medival du X au XIe siècle 1er partie R.H.S n° - 3 1972 pp. 42-73, 2ème partie 1972 pp. 357-387.
- Dusang (R) : L'emplacement du Barrage de l'oued Ziz in R.G.M. n° 11 1967.
- Elfaiz (M) : Le problème de la salinite de terres dans les traites arabes d'agriculture. Hesp. T. 1958. pp. 5-23.
- Fortin (F.C) : La nape phréatique salee du tafilalet R.H.T.E n° 7 Rabat 1973.
- Godinho (Magalhaes V) : Le tournant mondial et 1517 à 1524 et l'empire portugais. in studia I lisbone 1958. pp. 184-199.
- Glariand : (L) : Les problèmes de l'eau au tizimi et au tafilalet, B.E.M Vol. V n° 17 1937 pp. 237-240.
- Groupe d'ingénieurs : séminaires les ressources en eau du Maroc document finale, institut agronomique et vétérinaire Hassan II - Rabat 13-14 Juin 1980.
- Groupe d'ingénieurs : la terre les hommes et l'eau. in bulletin de l'association d'information de l'office des Irrigations (??) n° 4 janvier 1963 pp.
- Hensens (J) : Habitat rurale traditionnelle des OASIS resahariennes; le Ksar problème de ronovation. in bulletin économique sociale du Maroc juillet-septembre 1969 n° 14.
- Chevalier (G) : Sur un facteur de faxicité végétal en Afrique du Nord revue Agricole de l'Afrique du Nord (Algérien) n° 210 Paris 1935 pp. 86-88.
- Jouannet : Notes sur les conditions actuelles de la vie au Tafilalet B.E.M. Vol. IVI n° 23 1959 p. 3-13.
- Justinard (LT. cl) : Le Kennach, une expédition du Sultan Ahmed El Mansour dans le sous 988H/1580 J.C in (A.M) archives marocaines tome XXIV 1933 pp. 163-230.
- Kadiri (M) et Bouix (J) : Le race ovin "D'amane" des palmercies du sud marocain in I.N.R.A.
- Kerfal (M) : Situation et perspective de la recherche ovin "d'amane" dans les régions du sud du Maroc, séminaire national sur l'agronomie saharienne 6 mai 1985 in I.N.R.A.
- Lazarev (G) : Les concessions foncières au Maroc. in annales marocaines de sociologie Rabat 1968 pp. 99-135.
- Laoust (E) : l'habitat chez les transhumants du Maroc central. Hesp. 1934 pp. 8-196.
- Lessard (J.M) : Sijilmassa la ville des relations commerciales au XI siecle d'après El Bekri Hesp. T. vol X fax 1-2 1969 pp. 5-34.
- Margat (J) : Notes sur les cours d'eau perennes dans les bassins du Ziz et ghris. N.M n° 6 1955 pp. 22-25.
- l'alimentation en eau potable des populations de la plaine de tafilalit. in N.M n° 13 1960.
- Mechaux Bellaire : Terres collectives au Maroc et la tradition in Hesp. 1924, tome IV pp. 141-151.
- Meunie (D.J) : Abbar cité rayale du Tafilalet in Hesp. 1959. pp. 9-67.

- Hierarchie sociale du Maroc présaharien in Hesp. 1er et 2ème trimestre 1958 pp. 239-266.
- les oasis des lektawa et du Mhamides in Hesp. 1947 t V pp. 422-424.
- Meunié (P) : Le problème de l'origine du palmier dattier in R.F. vol. 29 n° 3 1974 pp. 236-240.
- Monteil (ch) : Le problème du Soudan occidental, juifs et judaises in Hesp. 3ème 4ème trimestre 1951 pp. 265-295.
- Nixon (R.W) : date culture in Fiensh north Africa and Spain date growers inst R.P.T. n° 27 Boston 1930 pp. 15-21.
- Notes marocaines de service géographique ressources en eau t. III domaine Atlassique Rabat 1977.
- Jean Paul Ruhard : Les Hamada du sud est marocain. pp. 122-139.
- O.N.I : Amengament de la région du Tafilalet, rapport général préliminaire hydraulogique. in projeckte Belgrade 1964.
- Oustry : Notes sur le haut Ziz in B.S.G.A.O vol. XXX 1910.
- Plan directeur de la mise en valeur agricole du Tafilalet volume n° 6 "amélioration du sytème de distribution de l'eau et de gestion des réseaux dans la vallée de la plaine du Tafilalet, 1982.
- Plan directeur : volume n° 7 "les actions d'encourragements de la mise en valeur agricole" année 1983.
- Plan directeur : volume n° 9 "rapport de synthèse" janvier 1983.
- Plan directeur : "Analyse de la situation actuelle" volume n° 1, 1981.
- "sur les orientations de la mise en valeur agricole et définitions des assolements" volume n° 1. 1981.
- Pascon (Paul) : "Types d'habitats et problème d'aménagement du territoire du Maroc. in R.G.M n° 13 1960 pp. 85-101.
- Pons : l'habitat de Figuig. in R.M. 1931.
- Pletsch (A) et Marbrug (G.F.R) : Hiérarchie économique des Ksours dans le sud marocain. in acte du Durham B.E.M 13-15 juillet 1977 pp. 145-155.
- Peyron (M) : Société montagnardes et sahariennes, contribution à l'histoire du Haut Atlas central les Aït Yafleman in R.O.M.M n° 38 2ème semestre 1984.
- Rosenberger (B) : Les vieilles exploitations minières et les centres métalurgiques du Maroc, essai de carte historique 1ère partie in R.G.M n° 17, 1970 pp. 71-108. 2ème partie in R.G.M. n° 18 1970 pp. 590-102.
- calamité sécurité et pouvoir au Maroc du XVI au XVIIe siècles. in peuples méditerrannéens n° 27-28, Avril-septembre 1984.
- cultures complémentaires de substitutions au Maroc (XV-XVII) in A.E.S.C. mai-août 1980. pp. 483-485.
- Rosenberger (B) et Hamid Triki : Famines et épédemies au 16 et 17e siècles in Hesp. 1973 et 1974 fasicule unique.
- Roche (Paul): l'irrigation dans le sud du Maroc. in C.H.E.M Paris 1946.
- Russo (Dr) au pays de Figuig. in B.S.G.M. 1923.
- Swingle (WT) : The date palm andits utilisation in the south western state u,s, bul in clus bul n° 53 New-York 1904?
- introduction of the date From Africa in to the unitedstade dates growers, inst R.P.T. n° 22 New-York 1945 pp. 15-16.
- Sherwin (W) : Géographie Factors in Roman Algeria 1949 pp. 8-10.
- Valensi (L) : La toure de Babel, groupes et relations éthniques au moyen orient et en Afrique du Nord in annalles économique et société 41 année n° 4 juillet-août 1986 pp. 817-838.

فهرس الموضوعات

الموضوعات | **الصفحات**

الفصل الثاني :

الفصل الثالث :

الفصل الرابع :

الفصل الأول :

الفصل الثاني :

رقم الإيداع القانوني: 43 /1996

مطبعة فضالة

3، زنقة ابن زيدون ـ المحمدية (المغرب)

الهاتف: 32.46.45 / 32.46.43 (03)

فاكس: 32.46.44 (03)